

الحكمة المتعالية في الاستقار العقلية الأربعة

المؤلف
الحكيم الإلهي والفيلسوف الزباني
صدر الدين محمد الشيرازي
مستند الفلسفة الإسلامية
الشرف المبرور

مكتبة دار الفقه
تونس - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحكمه المتعالیه فی الاسفار العقلیه الاربعه

کاتب:

محمد بن ابراهیم صدرالدین شیرازی

نشرت فی الطباعة:

دار احیاء التراث العربی

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

الفهرس	٥
الحكمه المتعالیه فی الاسفار العقلیه الاربعه المجلد ٩	١٢
اشاره	١٢
اشاره	١٧
[تممه السفر الرابع]	١٨
القسم الثاني فی علم النفس	١٨
الباب الثامن فی إبطال تناسخ النفوس والأرواح و دفع ما تشيبت به أصحاب التناسخ و فيه فصول	١٨
فصل (١) فی إبطاله بوجه عرشى	١٨
فصل (٢) فی إبطال التناسخ بأقسامه والإشاره إلى مذاهب أصحابه و هدم آرائهم	٢٣
أما إبطال ما قاله بعض التناسخيـه	٢٣
و أما إبطال ما ذهب إليه طائفه أخرى	٢٤
اشاره	٢٤
أحدهما ما نسب إلى المشرقيين	٢٤
و ثانيهما مذهب القائلين بالنقل من جهة الصعود	٢٤
و لنذكر حججا على إبطال هذين المذهبيين	٢٤
اشاره	٢٤
أما الحجه العامه	٢٥
حجه أخرى عامه	٢٨
و أما الحجه الخاصه	٢٩
اشاره	٢٩
حكمه عرشيه: إن للنفس الإنسانيه نشأت ثلاثه إدراكيه	٣٧
النشأ الأولى	٣٧
و النشأ الثانيه	٣٧
و النشأ الثالثه	٣٨
و أما الحجه الخاصه	٣٨
فصل (٣) فی دفع الشكوك الباقية لأصحاب النقل و حلها	٤٢
اشاره	٤٢
فمنها أن احتياج النفوس إلى الأبدان	٤٢
و منها أن الفسقه و الجهال ربما قلت شواغلهم الحسيه	٤٤
و منها أنهم تشبثوا بكلام الأوائل من الحكماء	٤٥
و منها أن العالم الذى فيه الأوقات	٤٩
و منها أن التعذيب بالجهل المركب و غيرهه	٥١
اشاره	٥١
تأييد و تذكره	٦١
فصل (٤) فی تممه الاستبصار لهذا الباب من جهة كيفيه نسيه النفس إلى البدن و الإشارات إلى الموت الطبيعى و أجله و الفرق بينه و بين الأجل الاخترامى	٦٤
اعلم أن النفس حامله للبدن لا البدن حامل لها	٦٤
تذكره فيها تبصره:	٧٢
تمثيل:	٧٣
فصل (٥) فى أن لكل شخص إنسانى ذاتا واحده هى نفسه و هى بعينها الحى المدرك السميع البصير العاقل و هى أيضا الغاذى و المنمى و المولد بل الجسم الطبيعى المتحرك النامى الحساس بوجه	٧٥
اشاره	٧٥

٧٦	و لنذكر المذاهب المنقوله في هذا الباب
٧٦	اشاره
٧٦	أما المنكرون لوحده النفس
٧٧	و أما الموحدون
٨٤	فصل (٦) في ضعف ما قاله صاحب المطارحات في هذا المقام دفعا لما قيل في تكثر القوى من غير أن يرجع إلى ذات واحده كما بزغ نور الحق عليك من أفق تباينه حسب ما تبهناك عليه مرارا
٨٤	اعلم أن بعض المكترين لميادى الأفعال الصادره عن الإنسان التي بعضها جسمانيه و بعضها روحانيه
٨٦	و فيه أبحاث تحقيقيه.
٨٦	اشاره
٨٦	منها أن تسليمه لكون الخيال قوه جسمانيه
٨٦	و منها أن تجويزه لكون قوه غير جسمانيه متصرفه
٨٦	و منها أن إسناده بطلان التولد و النمو في بعض الأوقات
٨٧	و منها أن قوله القوى أضيف إليها أفعال
٨٩	فصل (٧) في أن هذه القوى البدنيه كلها ظل لما في النفس من الهيئات النفسانيه
٩٤	فصل (٨) في المتعلق الأول للنفس
٩٨	الباب التاسع في شرح بعض ملكات النفس الإنسانيه
٩٨	اشاره
٩٨	فصل (١) في خواص الإنسان
٩٨	فمنها النطق
٩٩	و من خواصه العجيبه استنباط الصنائع العمليه الغريبه
١٠٠	و من خواصه أيضا أنه يتبع إدراكه الأشياء النادره حاله انفعاليه
١٠٠	و منها أن المشاركه المصلحيه تقتضي المنع من بعض الأفعال
١٠١	و منها أن الإنسان إذا حصل له شعور بأن غيره اطلع على أنه ارتكب فعلا قبيحا
١٠١	و منها أنه قد ظن أن أمرا يحدث في المستقبل يضره
١٠١	و منها ما يتصل بما ذكر
١٠١	و منها تذكر الأمور التي غابت عن الذهن
١٠١	و منها و هو أخص الخواص بالإنسان تصور المعاني الكليه
١٠٢	فهذه جملة من خواص الإنسان و صفاته
١٠٦	فصل (٢) في أوصاف النفس الإنسانيه و مجامع أخلاقها و اختلافها في الشرف و الرذاه
١٠٦	أكثر الاختلاف الواقع في الصفات الإنسانيه راجع إلى قوه النفس و شرفها
١١١	و مما يجب أن يعلم في هذا المقام
١١٣	فصل (٣) في منازل الإنسان و درجاته بحسب قوى نفسه
١١٤	فصل (٤) في كيفيه ارتقاء المدركات من أدنى المنازل إلى أعلاها و الكلام في مراتب التجرد
١٢٤	فصل (٥) في أن قوى النفس المتعلقة بالبدن بعضها أقل قبولا للتجزى و بعضها أكثر قبولا للتجزى و أنها كيف تكون مع تبدلها و تبدل أفاعيلها شخصيه منسوبه إلى نفس شخصى و كذا البدن كيف يبقى بدنا شخصا مع تبدله في كل حين
١٢٤	اشاره
١٢٤	فاعلم هاهنا أن كل حقيقه جمعيه تأليفيه
١٢٦	و أما الإشكال في أن قوى المتبدله الوجود كيف تكون باقيه بالعدد
١٢٧	قال الفيلسوف فقوه النفس على ضربين
١٢٧	اشاره
١٢٨	أقول إن ما ذكره تحقيق شريف نافع جدا ينتفع به في كثير من المطالب
١٢٨	منها إثبات المعاد الجسماني
١٢٨	و منها كيفيه ارتباط المعلومات

١٢٨	و منها كيفيه بقاء الإنسان
١٣٣	و منها أنه سئل أن ما قيل
١٣٤	و منها أنه قال في مراسله
١٣٦	و منها أنه لما لم يظهر بإثبات تجرد القوة الخياليه للإنسان
١٣٧	و منها أنه زعم أن النفوس الفلكيه
١٣٧	و منها أنه ذهب إلى امتناع الاستحاله الجوهريه
١٣٨	و منها أنه لم يعرف معنى العقل البسيط
١٣٩	و منها أنه أبطل و أحال كون الصوره الجوهريه المفارقة علوما تفصيليه
١٤٢	الباب العاشر في تحقيق المعاد الروحاني و الإشاره إلى السعاده العقليه و الشقاوه
١٤٢	اشاره
١٤٢	فصل (١) في ماهيه السعاده الحقيقيه
١٤٦	فصل (٢) في كيفيه حصول هذه السعاده و منشأ احتجاب النفس عنها ما دامت في هذا العالم
١٤٦	اعلم أن النفس إنما تصل إلى هذه البهجه و السعاده بمزاوله أعمال و أفعال مطهره
١٤٧	و اعلم أن سعاده كل قوه بنيل ما هو مقتضى ذاتها
١٥٢	فصل (٣) في الشقاوه التي يازاء السعاده الحقيقيه
١٥٢	اشاره
١٥٢	الأشقياء فريقان
١٥٢	اشاره
١٥٣	فريق حق عليهم الضلاله
١٥٣	و الفريق الآخر هم المنافقون
١٥٧	فصل (٤) في سبب خلو بعض النفوس عن المعقولات و حرمانهم عن السعاده الأخرويه
١٥٧	اشاره
١٥٧	المانع من اكتشاف الصور العلميه لها أحد أمور خمس كما ذكره- بعض أفاضل العلماء في مثال المراء
١٥٧	أولها نقصان جوهرها و ذاتها قبل أن يتقوى
١٥٧	و الثاني خبث جوهرها و ظلمه ذاتها
١٥٨	و الثالث أن تكون معدولا بها عن جهه الصوره المقصوده و الغايه المطلوبه
١٥٨	الرابع الحجاب المرسل
١٥٩	الخامس الجهل بالجهه التي منها يقع الشعور بالمطلوب
١٦١	فصل (٥) في كيفيه حصول العقل الفعال في أنفسنا
١٦٥	فصل (٦) في إظهار نيز من أحوال هذا الملك الروحاني المسمى عند العرفاء بالعنقاء على سبيل الرمز و الإشاره
١٦٨	فصل (٧) في بيان السعاده و الشقاوه الحسيثين الأخرويتين دون العقليتين الحقيقيتين
١٦٨	اشاره
١٧٤	[بيان كلام الفخر في الحشر]
١٧٧	[كلام المصنف في ذلك]
١٨٤	فصل (٨) في اختلاف مذاهب الناس في باب المعاد
١٨٨	فصل (٩) في احتجاج المتكبرين للمعاد
١٨٨	اشاره
١٨٩	بحث و تحصيل:
١٩٢	فصل (١٠) في تفاوت مراتب الناس في درك أمر المعاد و تفاضل مقاماتهم في ذلك
١٩٢	اشاره
١٩٢	المقام الأول

المقام الثاني.....	١٩٣
المقام الثالث.....	١٩٣
اشاره.....	١٩٣
الأول أن تلك الصور المحسوسة المذكوره في لسان الشرع إشاره إلى صور عقليه.....	١٩٣
و الوجه الثاني أن يكون هذه الأمور كناية عما يلزمها من فنون السرور.....	١٩٤
المقام الرابع.....	١٩٥
فصل (١١) في التنبيه على شرف علم المعاد و علو مكانه و سمو معرفه بعث الأرواح و الأجساد و عظم شأنها.....	٢٠٠
الباب الحادى عشر فى المعاد الجسمانى و ما يرتبط به من أحوال الآخرة و مقاماتها و فيه فصول.....	٢٠٦
فصل (١) فى ذكر أصول يحتاج إليها فى إثبات هذا المقصد أو ينتفع بها فيه.....	٢٠٦
اشاره.....	٢٠٦
الأصل الأول أن الوجود فى كل شىء هو الأصل فى الموجوديه و الماهيه تبع له.....	٢٠٦
الأصل الثانى أن تشخص كل شىء و ما يتميز به هو عين وجوده الخاص.....	٢٠٦
الأصل الثالث أن طبيعته الوجود قابله للشده و الضعف.....	٢٠٧
الأصل الرابع أن الوجود مما يقلل الاشتداد و التضعض.....	٢٠٧
الأصل الخامس أن كل مركب بصورته هو هو.....	٢٠٧
الأصل السادس أن الوحده الشخصيه فى كل شىء.....	٢٠٩
الأصل السابع أن هويه البدن و تشخصه أنما يكونان بنفسه لا بجرمه.....	٢١١
الأصل الثامن أن القوه الخياليه جوهر قائم لا فى محل من البدن و أعضائه.....	٢١٢
الأصل العاشر أن الصور المقداريه و الأشكال و الهيئات الجرميه.....	٢١٣
الأصل الحادى عشر أنك قد علمت أن أجناس العوالم و النشئات.....	٢١٥
فصل (٢) فى نتيجته ما قدمناه و ثمره ما أصلناه.....	٢١٨
فصل (٣) فى دفع شبه المنكرين و شكوك الجاحدين لحشر الأجساد.....	٢٢٠
اشاره.....	٢٢٠
منها ما سبق من أنه إذا صار إنسان غذاء لإنسان آخر.....	٢٢٠
و منها أن جرم الأرض مقدار محصور محدود ممسوح بالفراخ و الأميال و الذراع- و عدد النفوس غير متناه.....	٢٢١
و منها أن الجنه و النار إذا كانتا موجودتين جسمائيتين فأين مكانهما.....	٢٢٢
اشاره.....	٢٢٢
كشف مقال لدفع إشكال.....	٢٢٣
و منها لزوم مفسده التناسخ كما مر ذكره.....	٢٢٦
اشاره.....	٢٢٦
تنبيه تقضيحى:.....	٢٢٨
و منها أن الإعاده لا لغرض عبث و جزاف لا يلىق بالحكيم.....	٢٣٢
اشاره.....	٢٣٢
ردع و تفريع:.....	٢٣٥
و منها ما تشبث به أكثر الطبيعيين و الدهريين.....	٢٣٧
و منها أن الحشر و بعث الأبدان إما أن يقع لبعضها أو لجميعها.....	٢٣٧
فصل (٤) فى القبر الحقيقى و أنه روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النيران.....	٢٣٩
فصل (٥) فى الإشاره إلى عذاب القبر.....	٢٤١
فصل (٦) فى الأمر الباقي من الإنسان.....	٢٤٢
فصل (٧) فى ماده الآخرة و هيولى صورها الباقيه.....	٢٤٣
اشاره.....	٢٤٣

٢٤٤	واعلم أن الفرق بين هيوولي الصور الدنيويه و هيوولي الآخره غير ما ذكرناه بأمور أخرى.
٢٤٤	و منها أن ما يحل هذه الهيوولي لا يحلها إلا بعد حركه استعداديه
٢٤٥	و منها أن الماده الدنيويه إذا أزيلت صورتها عنها فتحتاج في استرجاعها إلى استيناف تأثير
٢٤٥	فصل (٨) في البعث
٢٤٦	فصل (٩) في الحشر
٢٤٦	اشاره
٢٤٨	تبصره أخرويه:
٢٤٩	تذكره توضيحيه: ظن أجناس العوالم و التشنات ثلاثه
٢٤٩	إحداها النشأه الأولى
٢٤٩	و ثانيها النشأه الوسطى
٢٥٠	ثالثها النشأه الثالثه
٢٥٣	فصل (١٠) في أن للنفس الإنسانية أنحاء كثيره من الحشر بعضها قبل حدوث هذا البدن الطبيعي و بعضها بعده
٢٥٣	اشاره
٢٥٥	تذكره فيها تبصره:
٢٥٦	فصل (١١) في أن للإنسان حشرا كثيرا كثره لا تحصي
٢٥٨	فصل (١٢) في تذكر أن الموت حق و البعث حق
٢٥٨	اشاره
٢٦٢	حكمه إلهيه:
٢٦٢	عقد و حل:
٢٦٤	فصل (١٣) في الإشاره إلى حشر جميع الموجودات حتى الجماد و النبات إلى الله تعالى كما يدل عليه الآيات القرآنيه
٢٦٤	اعلم أن الممكنات كما مر على طبقات
٢٦٤	اشاره
٢٦٤	فنفقول أما الوجه الإجمالي
٢٦٥	و أما البيان التفصيلي فلنورده في دعاو
٢٦٥	الدعوى الأولى في حشر العقول الخالصة إلى الله تعالى
٢٦٥	اشاره
٢٦٦	البرهان الأول
٢٦٦	البرهان الثاني
٢٦٦	البرهان الثالث
٢٦٧	البرهان الرابع
٢٦٨	البرهان الخامس
٢٦٨	الدعوى الثانيه في حشر النفوس الناطقه
٢٦٩	الدعوى الثالثه في حشر النفوس الحيوانيه
٢٦٩	اشاره
٢٧١	تنبيه:
٢٧٦	الدعوى الرابعه في حشر القوى النباتيه
٢٧٨	الدعوى الخامسه في حشر الجماد و العناصر
٢٨٤	الدعوى السادسه في معاد الهيوولي و الأجسام الماديه
٢٨٤	اشاره
٢٨٦	تعقيب فيه تأييد:
٢٩٤	فصل (١٤) في معنى الساعه

فصل (١٥) في معنى النفخ في الصور	٢٩٥
فصل (١٦) في القيامتين الصغرى والكبرى	٢٩٨
فصل (١٧) في أن أى الأجسام يحشر في الآخرة و أيها لا يحشر	٣٠٢
فصل (١٨) في حال أهل البصيره هاهنا	٣٠٣
فصل (١٩) في الصراط	٣٠٥
اشاره	٣٠٥
تنوير قرأتى:	٣٠٧
بصيره كشفية:	٣١٠
فصل (٢٠) في نشر الصحف و إبراز الكتب	٣١١
اشاره	٣١١
[الآيات]	٣١٢
و قد ورد في هذا الباب من طريق أهل البيت ع و غيرهم عن النبى ص أحاديث كثيره	٣١٥
و من كلام فيثاغورس و هو من أعظم الحكماء الأقدمين	٣١٥
فصل (٢١) في حقيقه الحساب و الميزان	٣١٧
اشاره	٣١٧
تبصره ميزانيه:	٣٢٣
تنتمه:	٣٢٤
فصل (٢٢) في الإشاره إلى طوائف الناس يوم القيامه	٣٢٦
فصل (٢٣) في أحوال تعرض يوم القيامه	٣٢٧
[معنى صيروره الأمور كلها إلى الله]	٣٢٧
[اموضع جهنم و الصراط و الجنة عند بعض المكاشفين]	٣٢٩
[أحمل الملائكه عرش الحق تعالى و احتفافهم حوله]	٣٣٢
و اعلم أن في القيامه مواقف و مقامات	٣٣٥
اشاره	٣٣٥
و أما العرض	٣٣٥
و أما الكتب	٣٣٥
و أما الموازين	٣٣٦
و أما الصراط	٣٣٦
و أما الأعراف	٣٣٧
فصل (٢٤) في بيان ماهيه الجنة و النار	٣٤٠
أما الجنة	٣٤٠
و أما النار	٣٤٧
اشاره	٣٤٧
تنبيه:	٣٤٩
فصل (٢٥) في الإشاره إلى مظاهر الجنة و النار و مشاهدتهما	٣٥١
فصل (٢٦) في أبواب الجنة و النار	٣٥٢
اشاره	٣٥٢
تبصره و تذكره:	٣٥٤
مكاشفه تنبيهيه:	٣٥٦
فصل (٢٧) في تنمه الاستبصار في بيان حقيقه أحوال الجنة و النار	٣٥٧
قد علمت أن النشأ الآخرة نشأ متوسطه بين المجردات العقليه و بين الجسمانيات الماديه	٣٥٧

٣٥٨	قال صاحب الفتوحات المكيه [فى حقيقه الموت]
٣٦٤	فتحقق و تبين من جميع ما ذكرناه و نقلناه أن الجنه الجسمانيه عباره عن الصور الإدراكيه
٣٦٧	ذكر تنبيهى:
٣٦٨	فصل (٢٨) فى كيفيه خلود أهل النار فى النار
٣٦٨	هذه مسأله عويصه و هى موضع خلاف
٣٦٩	اعلم أن الأصول الحكيميه داله على أن القسر لا يدوم
٣٧٠	ثم إنك تعلم أن نظام الدنيا لا ينصلح إلا بنفوس جافيه
٣٧٥	نقل فيه تأكيد:
٣٨٤	فصل (٢٩) فى استيضاح معرفه جهنم و مادتها و صورتها
٣٨٤	اشاره
٣٨٨	تذكره كشفيه:
٣٩١	فصل (٣٠) فى تعيين محل الآلام و العقوبات فى النار
٣٩٤	فصل (٣١) فى الإشاره إلى الزبانيه و عددها
	فصل (٣٢) فى الإشاره إلى درجات السلوك إلى الله و الوصول إلى الجنهأى جنه الذات و جنه الصفات إنما أعاد شطرا من الكلام فى المعاد الروحانى- ببيان آخر مع سبقه إشاره إلى حسن الخاتمه إذ فى الكلام حسن الخاتمه و حسن الفاتحه- كلاهما مطلوبان كما ترى فى السور القرآنيه
٣٩٦	اشاره
٣٩٩	فصل (٣٣) فى شجره طوى و شجره زقوم
٤٠٢	فصل (٣٤) فى كيفيه تجدد الأحوال و الأثار على أهل الجنه و النار
٤٠٥	تعريف مركز

سرشناسه : صدرالدین شیرازی، محمد بن ابراهیم، ۹۷۹-۱۰۵۰ق.

عنوان و نام پدیدآور : الحکمه المتعالیه فی الاسفار العقلیه الاربعه / مولف صدرالدین محمدالشیرازی.

مشخصات نشر : بیروت: داراحیاء التراث العربی، ۱۳ -

مشخصات ظاهری : ج.

یادداشت : عربی.

یادداشت : فهرست نویسی بر اساس جزء دوم از سفر چهارم.

یادداشت : ج. ۱، چاپ سوم.

یادداشت : ج. ۲، چ. ۲: ۱۹۸۱م.

یادداشت : ج. ۲، چ. ۳: ۱۹۸۱م.

یادداشت : کتابنامه: ص. [۳۹۱] - ۳۹۲؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع : فلسفه اسلامی -- متون قدیمی تا قرن ۱۴

موضوع : فلسفه اسلامی

رده بندی کنگره : BBR۱۰۸۳/ص ۴۸ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی : ۱۸۹/۱

شماره کتابشناسی ملی : ۳۳۴۱۰۷۶

***معرفی اجمالی

«الحکمه المتعالیه فی الأسفار العقلیه الأربعة»، تألیف صدرالدین محمد شیرازی (متوفی ۱۰۵۰ق)، معروف به ملا-صدرا یا صدرالمتألهین، دوره کامل فلسفه صدرایی (حکمت متعالیه) به زبان عربی است.

این نسخه از کتاب، پس از تصحیح چاپ های گذشته، با افزودن تعلیقه های حکیم سبزواری، علامه طباطبائی، آقا علی مدرس

زنوزی و دیگران به چاپ رسیده است. علامه محمدرضا مظفر (متوفی ۱۳۸۳ق) بر این کتاب مقدمه نوشته است.

***ساختار

در ابتدای کتاب، سه مقدمه به قلم محمدرضا مظفر، ناشرین و مؤلف آمده است. متن اثر مشتمل بر ۴ سفر است که در نه جلد تنظیم شده است. هریک از اسفار در ضمن چند «مرحله، فن، موقف یا باب» مشتمل بر فصولی بیان شده است. در صدر صفحه متن اسفار و در ذیل آن تعلیقه های تعدادی از فلاسفه بزرگ ذکر شده است. برخی از اساتید تنها بر بخشی از کتاب تعلیقه زده اند؛ مثلاً آقا علی مدرس و مولی محمد اسماعیل خواجهی تنها بر سفر نفس تعلیقه زده اند (مقدمه ناشرین، صفحه ث).

ساختار کتب حکمت متعالیه، با ساختار آثار فلسفی مشائی و اشراقی تفاوت اساسی دارد. برخلاف متون مشائی، در متون حکمت متعالیه از ریاضیات و طبیعیات بحث نمی شود. اگرچه ملا صدرا در جلد پنجم اسفار به اختصار گریزی به طبیعیات زده است، اما این مباحث نه به نحو مستقل، بلکه صرفاً به مناسبت بحث از مراتب کلی وجود طرح گردیده است. پیش از ملا صدرا، مبحث نفس جزئی از مباحث طبیعیات را تشکیل می داد، اما وی آن را از طبیعیات جدا کرده و به مباحث الهیات به معنی اخص ملحق ساخته است. سیر مباحث فلسفی در این کتاب چنان است که گویی همه مجلدات آن به مثابه مقدمه ای برای دو جلد آخر؛ یعنی هشتم و نهم در نظر گرفته شده اند که به ترتیب به دو مبحث «عرفه النفس» و «معاد» اختصاص دارند (محمدرزاده، رضا، ص ۲۱۴-۲۱۳).

***گزارش محتوا

علامه مظفر در مقدمه اش بر کتاب ابتدا به توصیف جایگاه علمی نویسنده پرداخته است. وی ملا صدرا را از بزرگ ترین فلاسفه الهی دانسته که قرن ها باید بگذرد تا فرزانه ای مانند او ظهور یابد. او مدرّس درجه اول مکتب فلسفی الهی در سه قرن اخیر در بلاد شیعه است (ر.ک: مقدمه مظفر، صفحه ب). وی سپس کتاب اسفار را در رأس تمامی کتب فلسفه قدیم و جدید و مادر تمامی تألیفات او دانسته است؛ چراکه هر کتابی یا رساله ای که پس از آن تألیف کرده، برگرفته از عبارات آن کتاب است (همان، صفحه «ب» و «ز»). در ادامه به ذکر شرح حال صدرا پرداخته و زندگی اش را در سه مرحله توضیح داده است (همان، صفحه د - ز).

«حکمت متعالیه»، عنوان نظام فلسفی صدرالدین محمد شیرازی، مشهور به ملا صدرا و صدرالمتألهین است. ملا صدرا در هیچ یک از آثارش این نام و همچنین نام دیگری را برای اشاره به نظام فلسفی خود به کار نبرده، بلکه آن را در نام گذاری مهم ترین اثر مکتوب فلسفی اش، «الحکمه المتعالیه فی الأسفار العقلیه الأربعة» به کار برده است. اما این کتاب نیز، که پس از او مشهورترین اثر او شناخته شده، به «اسفار اربعه» معروف است و کمتر کسی از آن با نام الحکمه المتعالیه یاد می کند. استفاده از این تعبیر بعد از او، صرفاً برای اشاره به نظام فلسفی وی، متداول شده است. گفتنی است که ملا صدرا در کتاب «الشواهد الربوبیه»، علاوه بر «الأسفار الأربعة» از کتاب دیگر خود به نام «الحکمه المتعالیه» نیز یاد کرده است. به نظر سید جلال الدین آشتیانی، کتاب اخیر همان کتاب ناتمام «المسائل القدسیه» است (ر.ک: فنا، فاطمه، ص ۷۷۴).

با مطالعه و بررسی آثار ملا صدرا می توان دریافت که او در تأسیس نظام فلسفی خود از دو گونه منبع بهره برده است:

۱. منبع روحانی و باطنی؛ یعنی همان چیزی که او الهامات ربانی نامیده و به مدد مجاهده و تهذیب نفس و تجرید عقل به آن دست یافته است؛

۲. منابع ظاهری و به یک معنا تاریخی و آنچه در تاریخ جلوه گر شده است. در بررسی این قسم از منابع باید به این نکته توجه داشت که مراد از تأثیر آنها در پیدایش و شکل گیری حکمت متعالیه لزوماً به این معنی نیست که همه آنها مستقیماً و کاملاً در سیاقی موافق با اندیشه ملا صدرا مؤثر بوده اند. از این رو، به استثنای منابع قرآنی و حدیثی، او اظهار می دارد که پس از مطالعه وسیع و درازمدت آثار پیشینیان و معاصرانش، به بررسی و نقد سره از ناسره افکار و روش آنها پرداخته و گاه به تعبیر خود او، به تخریب و آنگاه بازسازی و دفاع از آنها مبادرت کرده است. برخی دیگر از منابع نیز به منزله مواد و عناصر اصلی، با اندیشه ها و تأملات خاص ملا صدرا صورت جدیدی به خود گرفتند و در بنیان نهادن حکمت متعالیه استفاده شدند (ر.ک: همان، ص ۷۷۵).

نوآوری های حکمت متعالیه را از دو جنبه می توان بررسی کرد: یکی، عرضه راه های جدید برای حل برخی از مسائلی که میان اندیشمندان مسلمان درباره آن منازعه بوده است و دیگری، طرح مسائل جدید و نظریه پردازی درباره آنها. از آنجا که زیربنا و بنیان حکمت متعالیه را علم وجود تشکیل می دهد، بالطبع نوآوری های آن را که در واقع مبانی و مبادی این مکتب بشمار می روند، حول وجود و مسائل مرتبط با آن باید جست. گرچه نقطه آغازین سایر سیستم های فلسفی نیز وجود و شناخت آن است، اما برای نخستین بار در نظام صدرايي این پرسش مطرح شد که وجود با این همه وسعت و شمول بی نظیرش چگونه ممکن است که یک مفهوم صرف باشد که خارج از ذهن عینیت و اصالتی ندارد. نظریه اصالت وجود پاسخ مبتکرانه ملا صدرا به این پرسش است که در خلال سخنان حکمای پیش از او مانند ابن سینا و پیروانش نیز این قول را می توان یافت. اما تصریح و تأکید بر اهمیت آن در حکمت متعالیه صدرايي به نحوی که راه گشای حل بسیاری از معضلات فلسفی و کلامی شده بی سابقه است. برخی از مهم ترین نوآوری های اساسی دیگر در حکمت متعالیه عبارتند از: تشکیک وجود، وحدت وجود، تقسیم وجود به نفسی، رابطی و رابط، امکان فقری، اتحاد عقل و عاقل و معقول، حرکت جوهری، تبیین فلسفی جدید درباره زمان و اینکه آن بعد چهارم است، نظریه جسمانیه الحدوث و روحانیه البقاء بودن نفس، قاعده بسیط الحقیقه، قاعده النفس فی وحدتها کل القوی، اثبات فلسفی عالم خیال منفصل و مجموعه آرای مربوط به معادشناسی (همان، ص ۷۷۹).

در ذیل صفحات کتاب، تعلیقاتی از تعدادی از حکما آمده که با رمز مشخص شده است. این تعلیقات در ادامه با توضیح مختصری معرفی می شوند:

۱. «ن»: آقا علی بن جمشید نوری اصفهانی (متوفی ۱۲۴۶ق). وی یکی از بزرگ ترین شارحان حکمت متعالیه. او حکمت و عرفان را از حکیم آقا محمد بیدآبادی (۱۱۹۲ق) فراگرفت و خود در طول پنجاه سال با همتی والا و تتبعی ژرف به تدریس فلسفه و عرفان همت گماشت. او در احیای فلسفه و به خصوص حکمت صدرايي سهمی بسزا دارد و از میان معاصران او کسی به اهمیت وی در این زمینه سراغ نمی توان گرفت (ر.ک: ناجی اصفهانی، حامد، ص ۲).

۲. «س»: ملا هادی بن مهدی سبزواری (متوفی ۱۲۸۹ق). تعلیقات و حواشی سبزواری که به زبان عربی نوشته از آثار پرارزش اوست. سبزواری به گونه ای منظم و مرتب تمام متن اسفار به استثنای بخش طبیعیات و مباحث جواهر و اعراض را طی تدریس متن، حلاجی کرده و بر آنها حاشیه نوشته است. این حواشی پیش از این به خط خود حکیم به تمام و عیناً با متن اسفار به طبع سنگی رسیده است (ر.ک: امین، سید حسن، ج ۹، ص ۷۴).

۳. «م»: آقا علی مدرس زنوزی (متوفی ۱۳۱۰/۱۳۰۷ق). وی فرزند فیلسوف بزرگ ملا عبدالله زنوزی است. آقا علی مدرس را آقا علی حکیم و حکیم مؤسس هم خوانده اند. وی در فلسفه صرفاً به تقریر و تدریس آنچه گذشتگان گفته بودند نمی پرداخت؛ قریحه ای نقاد و ابتکاری و روشی تحقیقی و تأسیسی داشت و در جستجوی راه حل های تازه برای مشکلات فلسفه بود؛ کاری که در حکمای متأخر کمتر به آن برمی خوریم (دائرةالمعارف تشیع، ج ۱، ص ۱۲۸-۱۲۷).

اثبات معاد جسمانی با برهان عقلی و استدلال فلسفی در فرهنگ اسلامی از مسائل مهمی است که تا زمان ملا صدرا کسی به آن دست نیافته است. ملا صدرا بر اساس مبانی و اصولی که تأسیس کرده، از طریق برهان عقلی به اثبات آن پرداخته است. پس از ملا صدرا تنها کسی که در باب معاد جسمانی سخن تازه آورده و نظریه جدیدی ابراز داشته، حکیم بزرگ آقا علی مدرس زنوزی است. این حکیم ضمن آگاهی کامل از نظریه ملا صدرا و مبانی وی، بسیاری از مبانی او را پذیرفته، ولی نتیجه آن را نپذیرفته است، بلکه دیدگاه جدیدی را از آن استخراج کرده است.

مدرس زنوزی در عین حال که بسیاری از مبانی و تحلیل های ملا صدرا را از قبیل حرکت جوهری، حدوث جسمانی نفس، تفاوت عالم دنیا و آخرت و مانند آنها می پذیرد، ولی نظریه او را از یک سو و نظریه اشاعره را از سوی دیگر باطل اعلام می کند. علت بطلان نظریه ملا صدرا این است که وی بدن دنیوی را به طور کلی از درجه اعتبار عود معاد ساقط کرده است؛ چراکه نزد او بدن های اخروی مجرد از ماده هستند و تنها دارای صورت های امتدادی هستند. این نظریه با ظاهر شرع نمی سازد. همچنین بطلان نظریه ملا صدرا بر این امر استوار است که طبق نظر وی «این همانی» بدن اخروی با بدن دنیوی از هم گسسته شود و بدن اخروی غیر بدن دنیوی بشمار نیاید؛ در این صورت ممکن است گفته شود این نظریه با آیات و روایات سازگار نیست؛ اما اگر نظریه وی بیانگر این مطلب باشد که بدن اخروی همان بدن دنیوی است و «این همانی» بین آن دو محفوظ و تغییر و تفاوت تنها در مواد آنها پدید آمده است، مانند تغییر و تحول در بدن مادی دنیوی از اوان کودکی به نوجوانی و از آن به بزرگ سالی و پیری که در این ایام و مراحل، مواد بدن چندین بار کاملاً تحول یافته، ولی در عین حال «این همانی» بدن در تمام این ایام محفوظ مانده و هیچ مشکلی در آن پدید نیامده است، در این فرض نظریه مزبور با آیات و روایات تنافی نداشته و اشکال یادشده بی اساس خواهد بود (اکبریان، رضا و عارفی شیرازی، محمداسحاق، ص ۴۷-۴۰).

؟. «ل»: علامه اسماعیل بن ملا سمیع اصفهانی (متوفی ۱۲۷۷ق). وی از علما و مدرسان معروف فلسفه، معاصر آخوند ملا علی نوری حکیم متوطن اصفهان (متوفی ۱۲۴۶ق) بود و علی التحقیق پیش از ملا علی نوری فوت شده و تاریخ وفاتش ظاهراً حوالی ۱۲۴۳ق، سه سال قبل از نوری است. اینکه حاجی سبزواری متوفی ۱۲۸۹ق در شرح حال خودش نوشته که در ایام اقامت اصفهان چند سال نزد ملا اسماعیل اصفهانی درس حکمت و کلام می خوانده و بعد از وفات او به خدمت استاد کل آخوند ملا علی نوری پیوسته و حدود سه سال هم نزد وی تلمذ کرده، ظاهراً مقصودش همین محمداسماعیل است (همایی،

جلال، ص ۱۲۷-۱۲۶). البته بسیاری از تعلیقات کتاب با نام «اسماعیل» آمده است (ر.ک: جلد‌های چهارم و پنجم).

۵. «ه»: محمد بن معصوم علی هیدجی زنجانی (متوفی ۱۳؟ ق). وی اگرچه بر منظومه سبزواری تعلیقه زده است، اما در جایی به تعلیقات او بر اسفار اشاره نشده و در کتاب هم تعلیقات او مشاهده نشد. اما از سوی دیگر تعلیقات اندک از میرزا ابوالحسن جلوه (متوفی ۱۳۱۴ ق) یا تعلیقه‌هایی از فتحعلی خویی مشاهده گردید (جلد چهارم، صفحات ۷۶، ۲۴، ۳۶ و ۴۴).

۶. «ط»: سید محمدحسین طباطبایی (متوفی ۱۲۷۱ ق). معرفت‌شناسی در فلسفه اسلامی تا زمان ملا صدرا یک مسئله فلسفی بشمار نمی‌رفت... تا اینکه وی در مبحث عقل و معقول «اسفار» (جلد سوم) بر مسئله فلسفی بودن علم و ادراک، برهان اقامه کرد و به توجیه فلسفی آن پرداخت. این امر باعث شد که فیلسوفان نوصدرایی و در صدر آنها علامه طباطبایی درصدد برآیند که مجموعه مباحث مربوط به علم و ادراک را به شاخه مستقلی تبدیل کنند. اختصاص چهار مقاله از مجموعه مقالات کتاب «اصول فلسفه و روش رئالیسم»، که بسیاری از ابتکارات علامه طباطبایی هم در ضمن آنها بیان شده است، دلالت بر آنچه گفتیم دارد (ر.ک: علی زاده، بیوک، ص ۳۰-۲۹). علامه در تعلیقات خود بر اسفار می‌نویسد: اینکه در علوم برهانی فقط از اعراض ذاتی موضوع بحث می‌کنند، صرفاً یک اصطلاح و یک قرارداد نیست، بلکه مطلبی است که مقتضای بحث‌های برهانی در علوم برهانی است؛ همان گونه که در کتاب برهان از منطق تبیین شده است (صفدری نیاک، مرتضی، ص ۵۱).

علامه طباطبایی معاد جسمانی را مانند حکیم زنوزی از طریق حقوق ابدان به نفوس تصویر می‌کند، نه تعلق نفوس به ابدان؛ پس بی‌شک در این مسئله هیچ تفاوتی بین سخنان علامه و زنوزی نیست (اکبریان، رضا و عارفی شیرازی، محمداسحاق، ص ۵۱).

***وضعیت کتاب

این کتاب اولین بار در سال ۱۲۸۲ ق در ایران در چهار مجلد، چاپ سنگی شده است (مقدمه مظفر، صفحه ف).

جلد اول کتاب مشتمل بر اغلاط فراوانی است که در جداولی در انتهای آن ذکر شده است. به جز جلد‌های چهارم، پنجم و هفتم که در انتهای آنها تنها فهرست مطالب آمده است، در باقی جلد‌ها علاوه بر فهرست مطالب، فهرست اعلام و اسامی کتب نیز به ترتیب حروف الفبا ذکر شده است.

***منابع مقاله

۱. مقدمه و متن کتاب.

۲. فنا، فاطمه، دانشنامه جهان اسلام، جلد ۱۳، زیر نظر غلامعلی حداد عادل، تهران، بنیاد دوائرالمعارف اسلامی، چاپ اول، ۱۳۸۸.

۳. تویسرکانی، سید احمد، «نگاهی بر قدیمی‌ترین نسخه کامل کتاب اسفار»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله خردنامه صدرا، شهریور ۱۳۷۴، شماره ۲، صفحه ۹۲ تا ۹۵.

۴. علی زاده، بیوک، «علامه طباطبایی، فیلسوفی نو صدراپی»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله دین و ارتباطات، بهار ۱۳۸۵، شماره ۲۹، صفحه ۲۳ تا ۳۸.
۵. همائی، جلال، «ملا- اسماعیل اصفهانی حکیم»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله فرهنگ ایران زمین، ۱۳۵۴، شماره ۲۱، صفحه ۱۲۴ تا ۱۳۳.
۶. دائرالمعارف تشیع، جلد اول، زیر نظر احمد صدر حاج سید جوادی و دیگران، تهران، نشر شهید سعید محبی، چاپ سوم، ۱۳۷۵.
۷. امین، سید حسن، دائرالمعارف تشیع، جلد نهم، زیر نظر احمد صدر حاج سید جوادی و دیگران، تهران، نشر شهید سعید محبی، چاپ اول، ۱۳۸۱.
۸. صفدری نیاک، مرتضی، «ملاک تمایز علوم برهانی»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله معرفت فلسفی، تابستان ۱۳۸۵، شماره ۱۲، صفحه ۴۵ تا ۶۴.
۹. محمدزاده، رضا، دائرالمعارف بزرگ اسلامی، ج ۲۱، زیر نظر کاظم موسوی بجنوردی، تهران، مرکز دائرالمعارف بزرگ اسلامی، چاپ اول، ۱۳۹۲.
۱۰. ناجی اصفهانی، حامد، «مجموعه رسائل حکیم ملا علی نوری»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله آینه پژوهش، آذر و دی ۱۳۷۳، شماره ۲۸، صفحه ۶۲.
۱۱. اکبریان، رضا و عارفی شیرازی، محمداسحاق، «معاد جسمانی، از نظر آقا علی مدرس زنوزی و علامه طباطبایی»، آدرس مقاله در پایگاه مجلات تخصصی نور: مجله آموزه های فلسفه اسلامی، پاییز و زمستان ۱۳۸۹، شماره ۹، صفحه ۳۹ تا ۵۴.

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمه السفر الرابع]

القسم الثانى فى علم النفس

الباب الثامن فى إبطال تناسخ النفوس و الأرواح و دفع ما تشبث به أصحاب التناسخ و فيه فصول

فصل (١) فى إبطاله بوجه عرشى

اعلم أن هذه المسأله من مزال الأقدام و مزالق الأفهام و منشأها أن الذى ورد فى كلام السابقين الأولين من الأولين من الأنبياء الكاملين و الأولياء الواصلين يدل بظاهره على ثبوت النقل و التناسخ و الذى يحكى عن الأوائل كأفلاطون و سقراط و غيرهما له محمل صحيح عندنا كما سنبين و نحن بفضل الله و إلهامه علمنا ببرهان قوى على نفى التناسخ مطلقا سواء كان بطريق النزول أو الصعود و هو أن النفس كما علمت مرارا لها تعلق ذاتى بالبدن و التركيب بينهما تركيب طبيعى اتحادى و أن لكل منها مع الآخر حركه ذاتيه جوهريه و النفس فى أول حدوثها أمر بالقوه فى كل ما لها من الأحوال و كذا البدن و لها فى كل وقت شأن آخر من الشئون الذاتيه بإزاء سن الصبا و الطفولي و الشباب و الشيخوخه و الهرم و غيرها و هما معا يخرجان من القوه إلى الفعل و درجات القوه و الفعل فى كل نفس معينه بإزاء درجات القوه و الفعل فى بدنها الخاص به ما دام تعلقها البدنى و ما نفس إلا و تخرج من القوه إلى الفعل فى مده حياتها الجسمانيه و لها بحسب الأفعال و الأعمال حسنه كانت أو سيئه ضرب من الفعلية و التحصل فى الوجوب [الوجود] سواء كان فى السعاده أو الشقاوه فإذا صارت بالفعل فى نوع من الأنواع استحال صيرورتها تاره أخرى فى حد القوه المحضه كما استحال صيروره

الحيوان بعد بلوغه إلى تمام الخلقه نطفه و علقه لأن هذه الحركه جوهرية ذاتيه- لا يمكن خلافها بقسر أو طبع أو إرادته أو اتفاق فلو تعلق نفس منسلخه ببدن آخر عند كونه جنينا أو غير ذلك يلزم كون أحدهما بالقوه و الآخر بالفعل و كون الشئ ء بما هو بالفعل بالقوه و ذلك ممتنع لأن التركيب بينهما طبعى اتحادى و التركيب الطبيعى يستحيل بين أمرين أحدهما بالفعل و الآخر بالقوه.

هذا ما سنح لنا بالبال و بيانه على الوجه المقرر عند القوم أن الصورة فى كل مركب طبيعى من ماده و صورته سواء كانت نفسا أو طبيعه بينهما و بين مادتها سواء كانت بدنا حيوانيا أو جسما طبيعيا آخر أو أمرا آخر نوع اتحاد لا يمكن زوال إحداهما و بقاء الأخرى- بما هما ماده أو صورته فإن نسبه الماده إلى الصورة نسبه النقص كما برهن عليه بالبيانات الحكيمه و التعليمات الإلهيه فوجود كل ماده أنما هو بصورتها التى يخرج بها من القوه إلى الفعل و هذيه كل صورته من حيث ذاتها و ماهياتها بما هى تلك الصورة بمادتها التى هى حامله تشخصها و مخصصه أحوالها و أفعالها الخاصه فإذا تكونت ماده من المواد فهى أنما تكونت بتكون صورتها معها التى من سنخها و إذا فسدت فسدت معها صورتها لما علمت أن صورته كل شئ ء تمامه و كماله فوجود الشئ ء الناقص من حيث هو ناقص مستحيل لأن تمام الشئ ء مقومه و علتة و كذا كمال الشئ ء بما هو كماله إذا فسد فسد ذلك الشئ ء نعم ربما تكون الصورة لا بما هى صورته لشئ ء بل باعتبار كونها ذاتا مستقلة و صورته لذاتها لها وجود آخر و حينئذ وجودها لا- يستلزم وجود ماده معها و كذلك قد تكون لماده الشئ ء لا بما هى ماده له تقوم بصوره أخرى غير تلك الصورة فتوجد معها و تتحد بها فى نحو آخر من الوجود و ذلك لأن حقيقه الماده فى ذاتها حقيقه مبهمه جنسيه شأنها الاتحاد بمبادئ فصول متخالفه هى صور نوعيه فكما أن كل حصه من الجنس إذا عدمت عدم معها الفصل المحصل لها و كذا عدم ذلك الفصل عدمت تلك الحصه الجنسيه التى يتحد معها و يتقوم بها نوعا فكذلك حال كل نفس نسبتها إلى البدن الخاص بها فى الملازمه بينهما فى الكون و الفساد فإن النفس من حيث هى نفس هو بعينها صورته نوعيه للبدن- و عله صوريه لماهيه النوع المحصل النفسانى و البدن بما هو بدن ماده للنفس المتعلقة به

و عله ماديه للنوع و قد علمت غير مره أن النفس ما دامت تكون ضعيفه الجوهر خسيسه الوجود تحتاج إلى مقارنة البدن الطبيعى كسائر الصور و الأعراض فإذا كان الأمر بينهما على هذا النحو كان التلازم فى الوجود و المعيه الذاتيه بينهما على الوجه الذى تقدم ذكره فى مبحث تلازم الهيولى ثابتا لا- محاله فكان زوال كل منهما يوجب زوال الآخر- و لكن لما كان للنفوس البشريه نحو آخر من الوجود غير الوجود التعلقى الانفعالى الطبيعى- سواء كان عقليا محضا أو غيره ففسادها من حيث كونها نفسا أو صوره آخر طبيعىه لا- يوجب فساد ذاتها مطلقا لأن ذاتها قد تحصلت بوجود مفارقى و ذلك الوجود يستحيل تعلقه بماده بدنيه بعد انقطاعها فقد ثبت و تحقق أن انتقال نفس عن بدن إلى بدن آخر مستحيل- و هذا برهان عام يبطل به جميع أقسام التناسخ سواء كان من جهه النزول أو من جهه الصعود أو غير ذلك.

و ستعلم الفرق بين التناسخ و المعاد الجسمانى بوجه مشرقى و كذا بينه و بين ما وقع فى قوم موسى ع كما حكى الله تعالى عنه بقوله وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ فَالتناسخ بمعنى انتقال النفس من بدن عنصري أو طبيعى إلى بدن آخر منفصل عن الأول محال سواء كان فى النزول إنسانيا و هو النسخ أو حيوانيا و هو المسخ أو نباتيا و هو الفسخ أو جماديا و هو الرسخ أو فى الصعود و هو بالعكس من الذى ذكرناه- و إن كان إلى الجرم الفلكى كما ذهب إليه بعض العلماء و حكى الشيخ الرئيس عنه و صوب ما قاله فى نفوس البله و المتوسطين من أنها تتعلق بعد انقطاعها بالموت الطبيعى عن هذا البدن إلى جرم فلكى.

و أما تحول النفس من نشأه الطبيعه الدنيويه إلى النشأه الأخرويه و صيرورتها بحسب ملكاتها و أحوالها مصوره بصوره أخرويه حيوانيه أو غيرها حسنه بهيه نوريه أو قبيحه رديه ظلمانيه سبعيه أو بهيميه متخالفه الأنواع حاصله من أعمالها و أفعالها الدنيويه الكاسبه لتلك الصوره و الهيئات فليس ذلك مخالفا للتحقيق بل هو أمر ثابت بالبرهان محقق عند أئمه الكشف و العيان مستفاد من أرباب الشرائع الحقه و سائر الأديان دلت عليه ظواهر

النصوص القرآنية و الأحاديث النبويه بل الكتاب و السنه مشحونه بذكر تجسم النفوس بصور أخلاقها و عاداتها و نياتها و اعتقاداتها تصريحاً و تلويحاً كما فى قوله تعالى - ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ و قوله تعالى وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَ عَبْدَ الطَّاغُوتِ و قوله تعالى فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ و قوله تعالى شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و شهاده الأعضاء بحسب هيئاتها المناسبه لملكاتها الحاصله من تكرر أفعالها فى الدنيا و قوله تعالى يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيُّدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ - بما كَانُوا يَعْمَلُونَ فصوره الكلب مثلاً و لسانه أو صوته الذى بواسطه لسانه تشهد بعمله الذى هو الشر و على سوء باطنه و عادته و كذا غيره من الحيوانات الهالكة تشهد عليها أعضاؤها بأفعالها السيئه و كقوله تعالى وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ و كقوله تعالى فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيْقٌ و كقوله تعالى قَالَ احْسُوا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ النَّسْخ.

و أما ما وقع فى الحديث

فكقوله ص: يحشر الناس على وجوه مختلفه

أى على صور مناسبه لأعمالها المؤديه إلى ضمائرهما و نياتهما و ملكاتها المختلفه و

كقوله ص: كما تعيشون تموتون و كما تنامون تبعثون

و روى عنه أنه قال ص: يحشر بعض الناس على صوره يحسن عندها القردة و الخنازير

و فى الحديث أيضا ما معناه

: من خالف الإمام فى أفعال الصلاة - يحشر و رأسه رأس حمار

فإنه إذا عاش فى المخالفه التى هى عين البلاءه تمكنت فيه - و لتمكن صفه الحماقه فيه يحشر على صوره الحمار و فى حديث آخر فى صفه المنافقين -

: يلبسون الناس جلود الضأن و قلوبهم كالذئاب

هذا كله بحسب تحول الباطن من حقيقه الإنسانيه قوه أو فعلا إلى حقيقه أخرى بهيميه أو سبعيه و بالجملة ثبوت النقل على هذا الوجه تحول بحسب الباطن ثم حشر الأرواح إلى صوره تناسبها فى الآخره أمر ورد

فى جميع الأديان و لذا قيل ما من مذهب إلا و للتناسخ فيه قدم راسخ و ظنى أن ما هو منقول عن أساطين الحكمة كأفلاطون و من قبله من أعظم الفلاسفه مثل سقراط و فيثاغورث و أغاثاذيمون و أنبأذلس من إصرارهم على مذهب التناسخ لم يكن معناه إلا الذى ورد فى الشريعة بحسب النشأ الآخره.

و كذا ما نقل عن المعلم الأول من رجوعه من إنكار التناسخ إلى رأى أستاذه أفلاطون- كان فى هذا المعنى من انبعاث النفوس الإنسانيه الرديه الناقصه فى العلم و العمل أو فى العلم فقط إلى صور تناسب نفوسها أما المجرمه الشقيه فإلى صور الحيوانات المختلفه مناسبه لأخلاقها و عاداتها الرديه التى غلبت عليهم فى الدنيا و أما السليمه^(١) المتوسطه فيهما أو الناقصه فى العلم الكامله فى العمل فإلى صور حسنه بهيه مناسبه لأخلاقهم أيضا و ذلك لأن التناسخ على المعنى المشهور الذى ذهب إليه التناسخيه مبرهن البطلان محقق الفساد و أما النفوس المبالغه إلى حد العقل بالفعل أى الكاملون فى العلم سواء كملوا فى العمل أو توسطوا فيه- فالجميع متفقون على خلاصهم عن الأبدان طبيعيه كانت أو أخرويه و سواء كان النقل الذى قالوا به حقا أو باطلا لكونهم منخرطين فى سلك العقول المقدسه عن الأجرام و الأبعاد كما عن الحركات و المواد

١- اعلم أن النفس إما كامله فى العلم أو متوسطه فيه أو ناقصه فيه و على كل واحد من التقادير فإما كامله فى العمل أو متوسطه فيه أو ناقصه فيه فالأقسام تسعه إذا علمت هذا علمت أن فى عبارته مساهله حيث لم يذكر بعض الأقسام كالمتوسطه فى العلم الناقصه فى العمل و الكامله فى العلم الناقصه فى العمل و يمكن أن يقال حكمهما معلوم مما ذكر- فإن المتوسطه فى العلم الناقصه فى العمل ليست مما انخرطت فى سلك العقول بطريق أولى من المتوسطه فيهما فهى إما كالمجرمه الناقصه فى العلم إن ارتكبت الكبائر و كالمتوسطه فيهما إن لم ترتكب و أما الكامله فى العلم الناقصه فى العمل فهى أيضا منخرطه فى سلك العقول لكونها أيضا عقلا بالفعل. ثم إن فى عبارته محذورا أشد لأنه حيث خصص فى كلامه الإجمالى أولا النفس بالناقصه فى العلم لم تدرج المتوسطه فيه- فكيف رتب السليمه المتوسطه بكلمه أما التفصيليه عليه، س ره

فصل (٢) فى إبطال التناسخ بأقسامه و الإشاره إلى مذاهب أصحابه و هدم آرائهم

أما إبطال ما قاله بعض التناسخيه -

و هو انتقال النفوس الإنسانيه من أبدانهم إلى أبدان الحيوانات المناسبه لها فى الأخلاق و الأعمال من غير خلاف كما ذهب إليه شرذمه (١) قليله من الحكماء المعروفين بالتناسخيه و هم أقل الحكماء تحصيلا و أسخفهم رأيا حيث ذهبوا إلى امتناع تجرد شىء من النفوس بعد المفارقة من البدن المخصوص لأنها جرميه دائمه التردد فى أبدان الحيوانات و غيرها فهو أخف مثونه و أسهل مأخذا و ذلك لأننا نقول لا- يخلو إما أن تكون منطبعه فى الأبدان أو مجردة و كلاهما محال أما الأول فلما عرفت من استحاله انطباع النفوس الإنسانيه و مع استحاله مناف لمذهبهم أيضا لامتناع انتقال المنطبغات صورا كانت أو أعراضا من محل إلى محل آخر مباين للأول- و إنما قيدنا المحل الآخر بالمباين لأن للصور الطبيعى استحالات و انتقالات ذاتيه و استكمالات جوهرية من طور إلى طور و الأبدان أيضا تتحول بحسب الكميه و الكيفيه بل النوعيه أيضا على وجه الاتصال و ذلك غير مستحيل كما مر فى عده مواضع من هذا الكتاب- و أما الثانى فلأن العناية الإلهيه تأبى ذلك لأنها مقتضيه لإيصال كل موجود إلى غايته و كماله و كمال النفس المجرده أما العلمى فبصيرورتها عقلا- مستفادا فيها صور جميع الموجودات و أما العلمى فبانقطاعها عن هذه التعلقات و تخليتها عن رذائل الأخلاق و مساوى الأعمال و صفاء مرآتها عن الكدورات فلو كانت دائمه التردد فى الأجساد من غير خلاص إلى النشأ الأخرى و لا اتصال إلى ملكوت ربنا الأعلى كانت ممنوعه عن كمالها اللائق بها أبد الدهر و العناية (٢) تأبى ذلك.

-
- ١- و لعلمهم أرادوا أن يطبقوه على ما ورد فى الناموس الإلهى من العذاب و الخلود الأبدى لأن العذاب الموعود عندهم فى هذا العالم و هو جحيم الأشقياء وَلِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ، س ره
 - ٢- و القسر لا يكون دائما و لا أكثرىا، س ره

و أما إبطال ما ذهب إليه طائفه أخرى

إشاره

غير هؤلاء فى هذا الباب فنحن ذاكره و هو ضربان آخران.

أحدهما ما نسب إلى المشركين

أن أول منزل للنور الأسفهد الصيصيه الإنسانيه- و يسمونها باب الأبواب لحياء جميع الأبدان الحيوانيه و النباتيه و هذا هو رأى يوداسف التناسخى القائل بالأكوار و الأدوار و هو الذى حكم بأن الطوفان النوحى يقع فى (١) أرضها و حذر بذلك قومه و قيل هو الذى شرع دين الصابئيه لطهمورث الملك فقالوا إن الكاملين من السعداء تتصل نفوسهم بعد المفارقة بالعالم العقلى و الملا الأعلى و تنال من السعاده ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و أما غير الكاملين من السعداء كالمتوسطين منهم و الناقصين فى الغايه و الأشقياء على طبقاتهم فتنقل نفوسهم من هذا البدن إلى تدبير بدن آخر على اختلافهم فى جهه النقل حيث اقتصر بعضهم على تجويز النقل إلى تدبير بدن آخر من النوع الإنسانى لا إلى غيره و بعضهم جوز ذلك و لكن اشترط أن يكون إلى بدن حيوانى و بعضهم جوز النقل من البدن الإنسانى إلى البدن النباتى أيضا و بعضهم إلى الجماد أيضا و إليه ميل إخوان الصفا.

و ثانيهما مذهب القائلين بالنقل من جهه الصعود

فرعموا أن الأولى بقبول الفيض الجديد هو النبات لا- غير و أن المزاج الإنسانى يستدعى نفسا أشرف و هى التى جاوزت الدرجات النباتيه و الحيوانيه فكل نفس إنما يفيض على النبات فتنقل فى أنواعه المتفاوته المراتب من الأنقص إلى الأكمل حتى تنتهى إلى المرتبه المتاخمه (٢) لأدنى مرتبه من الحيوان كالنحل ثم ينتقل إلى المرتبه الأدنى من الحيوان كالودود مترقيه منها إلى الأعلى فالأعلى حتى تصعد إلى رتبه الإنسان متخلصه إليها من المرتبه المتاخمه لها.

و لنذكر حججا على إبطال هذين المذهبين

إشاره

بعضها عامه يبطل بها التناسخ مطلقا

- ١- كذا فى النسخ التى رأينا و الأولى نصفهما كما فى شرح حكمه الإشراف للعلامه الشيرازى فإنه بعد ما سمي يوداسف قال ٨ و قد استخرج سنى العالم و هى ثلاثمائه ألف و ستون ألف سنه و حكم بأن الطوفان يقع فى نصفها و حذر قومه بذلك، س ره
- ٢- من تاخم كقارب وزنا و معنى لا من تاخم بالمد كقارب وزنا فإنه غلط، س ره

و بعضها خاصه يبطل بها أحد الوجهين ليكون الناظر على بصيره فى طلب المذهب الحق فى سلوك الآخره.

أما الحجه العامه

فهى أن النفس إذا تركت تدبير البدن لفساد المزاج و خروجه عن قبول تصرفها فلا يخلو حالها إما أن تنتقل إلى عالم العقل أو إلى عالم الأشباح الأخرى - أو إلى بدن طبيعى آخر من هذا العالم أو تصير معطله عن تدبير نفسانى فلاحتمالات (١) لا تزيد هذه الأربعة و الأخيران باطلان فبقى أحد الأولين أحدهما للمقربين و ثانيهما لأصحاب اليمين و أصحاب الشمال على طبقات لكل صنف فأما بطلان الأخيرين أما التعطيل فلما تقرر من أن التعطيل محال و أما التناسخ فلأنه إذا اشتغلت بتدبير بدن آخر فذلك البدن لا بد أن يحدث فيه استعداد خاص و قد مر (٢) فيما سبق أن النفوس بما هى نفوس حادثه و أن حدوث الأشياء سيما الجواهر لا بد و أن ينتهى (٣) إلى علل مفارقة غير جسمانيه لامتناع كون جسم عله للنفس و لا كون صورته طبيعیه عله لها - و لا أيضا كون نفس عله لها فإذا لم يكن جسم و لا صورته و لا نفس عله للنفس فالأعراض

١- هنا احتمالاين آخران أحدهما أنها إذا ماتت فانتقلت إلى اللاهوت لا إلى الجبروت فقط لكنه لم يأبى بالأول لفرط بطلانه مع أن من يقول الإنسان إذا مات فانتقل إلى البدن و القوه المنطبعه فيه كصوره أو عرض و المقصود هنا النفس المدبره للبدن حين التاركه له فيما بعده و أدرج الثانى فى الانتقال إلى عالم العقل إذ مراده بعالم العقل عالم المعنى كما نقل فى مبحث الوجود الذهنى من السفر الأول عن الحكماء أنهم قالوا العالم عالمان عالم العقل المنقسم إلى عالم الربوبيه و إلى عالم الجبروت و عالم الصور المنقسم إلى الأشباح المجرده و الماديه، س ره

٢- و قد مر أيضا فى كلام الإمام الرازى أن إبطال التناسخ مبنى على حدوث النفس - فهذه الحجه لا إلزاميه إذ لمن يقول منهم بتناسخ النفوس أو قدمها كالعلامه الشيرازى أن يقول لو كانت النفس حادثه لحدثت عن العلل المفارقة و ليست كذلك نعم تحدث تعلقاتها بالصياصى تعلقا بعد تعلق لأجل حدوث العلل المعده، س ره

٣- فعلى هذا التقرير لا يرد المنع المشهور الذى سيأتى من أنه لم لا يجوز أن يستعد للنفس المستنسخه لا غير إذ بعد مبرهنه حدوث النفس و أن علتها لا تكون إلا المفارق العقلى الذى لا يشترط تأثيره بالوضع يعلم أن القابل لا يستعد إلا للفيض الجديد من السلسله الطويله فعلتها القريبه هى العقل الفعال، س ره

كذلك على الوجه الأولى ولأنها تابعه للأمور المذكوره لكن هذه الكيفيات الاستعداديه من الأمزجه و غيرها مخصصات و ماهيات لتأثير المؤثر العقلى فحدوث كل صورته أو نفس من المبدأ الدائم الفيض لا يتوقف إلا على استعدادات القوابل و الذى يقبل النفس هو البدن- فإذا متى حصل فى البدن مزاج صالح لقبولها فبالضروره يفيض عليه من الواهب النفس المدبره من غير مهله و لا- تراخ البتة كفيضان النور من الشمس على قابل مقابل لها فإذا حدث البدن و فرضنا أن نفسا تعلقت به على سبيل التناسخ فلا بد أن يفيض عليه نفس أخرى من المبدأ على الوجه الذى بيناه فيلزم أن يكون لبدن واحد نفسان و ذلك باطل لما مضى أن لكل بدن نفسا واحده سيما على طريقتنا من كون كل نفس هى نحو وجود البدن الذى لها و تشخصه و لا يمكن أن يكون لوجود واحد ذاتان و وجودان- و ما من شخص إلا و يشعر بنفس و ذات واحده له و ليس لأحد منهم أن يقول النفس المتناسخه منعت من حدوث النفس الأخرى إذ ليس إحداهما بالمنع أولى من الأخرى- و قد أشرنا إلى أن استعداد الماده البدنيه لقبول النفس من الواهب للصور يجرى مجرى استعداد الجدار لقبول نور الشمس استقامه أو انعكاسا إذا رفع الحجاب من وجهه فإن كان عند ارتفاع الحجاب ثم جسم صقيل ينعكس منه نور الشمس الواقع عليه إلى ذلك الجدار أشرق عليه النوران الشمسيان الاستقامى و الانعكاسى و لا يمنع فى وقوع النور الانعكاسى وقوع النور الاستقامى عليه فكذلك قياس ما نحن فيه لكن اجتماع النفسين ممتنع فالتناسخ ممتنع مطلقا سواء كان على وجه الصعود أو لا.

و أما منع كليه المقدمه المذكوره (١) أى فيضان الأمر على القابل الإنسانى من

١- المنع الأول كان منع اجتماع نفسين لمانعيه النفس المتناسخه من الجديده- لا يمنع استعداد القابل للجديده ابتداء و هذا المنع منع استعداد القابل للجديده مسندا بأنه إذا كان قابلا للجديده لا يكون القابل الشريف الإنسانى ذا نفس لها الدرجات الثلاث النباتيه و الحيوانيه و الإنسانيه بخلاف ما إذا كان قابلا للنفس المتناسخه أو مسندا بأنه إذا كانت ماده النبات قابله للفيض الجديد فالقابل الإنسانى لا يستعد إلا للمتناسخه على مذهبهم و إن كان هو قابلا له كما فى التناسخ على وجه النزول فالقابل النباتى لا يستعد إلا للمتناسخه فتخصيص المنع بالقابل الإنسانى على سبيل التمثيل لكن لا يجوز دعوى الأولويه فى النبات و يرد عليهم أن القابل النباتى إذا كان مستحقا للفيض الجديد لزم اجتماع نفسين نباتيتين فى القابل الإنسانى إذ الطفره ممتنع فالقابل الإنسانى حاله فى حركاته و استعداداته للنفس النباتيه الجديده بعد طى مراتب الجماديه ليست إلا- كحال ماده النبات النوعى فى استفاضتها الفيض الجديد من الفياض فيلزم التخصيص من غير مخصص و بالجملة لا صعوبه لهذا المنع و إن ارتضاه الغزالى كما سيأتى فى مباحث المعاد، س ره

المبدأ ابتداء عند استعداده مستندا بأن نفوس النبات انتقلت إلى الحيوانات ثم صعدت ما تخلص منها إلى مرتبه الإنسان فساقط لأن ذلك الانتقال إن كانت على سبيل الاستكمال الجوهرى المتصل فى ماده واحده لا فى مواد منفصله كاستكمالات الصوره الإنسانيه من مبدأ تكونها إلى آخر تجردها فذلك ليس بتناسخ كما أشرنا إليه إنما الكلام فى تعلق النفس من بدن إلى بدن آخر مباين و ذلك(١) لأن ماده النبات إذا استدعى بحسب مزاجه و استعداده نفسا فاستدعاء الماده الإنسانيه بمزاجه الأشرف الأعدل للنفس أولى.

لا يقال مثل هذه الأولويات فى عالم الحركات و الاتفاقات غير مسموعه فإن لبعض الأشياء أسبابا قدرية غائبه عن شعورنا و لو اتفق الناس على أن يعرفوا أن المغناطيس - بأى مزاج استعد للقه الجاذبه للحديد لم يمكنهم فليس لأحد أن يقول إذا استعد المغناطيس لجذب الحديد فمزاج الإنسان أولى بجذبه لأنه أشرف و ذلك لخفاء المرجع.

لأننا نقول المزاج الأشرف الأكمل يستدعى النوع الأشرف الأكمل و تفاوت الشرف فى الوجود بحسب درجات القرب من المبدأ الأعلى و البعد من الماده الأولى فكلما كان أشد تجردا و أكثر براءه من عوارض الجسميه و اللواحق الماديه فهو أكمل وجودا- و أقرب إلى منبع الوجود الخالى عن شوب النقص و الحاجه و جذب الحديد ليس من مراتب الشرف و الكمال يكون فى الإنسان أكثر و أولى من الجماد.

١- الظاهر أن زياده لفظ ذلك من النساخ و حينئذ يكون عله أخرى لسقوط المنع و يمكن أن يكون عله للمطوى فإنه بعد ما قال فذلك ليس بتناسخ كأنه قال- فلا بد أن يقع ذلك أى الفيض الجديد المتكامل بالتدرج و ذلك لأن إلخ، س ره

فإن (١) قالوا إن المزاج الأشرف إذا استدعى النفس الأشرف الأ-تم و هي التي جاوزت الدرجات النباتيه و الحيوانيه فيجب أن النفس المتعلقة هي التي انتقلت عنها- قلنا هذا مجرد دعوى بلا بينه فإن نفوس الأفلاك شريفه في الغايه و لم تنتقل (٢) إليها من الحيوان و الإنسان نفس و لو سلم فالتجاوز و الانتقال لا- يلزم أن يكون من بدن إلى بدن آخر بل باستكمالات ذاتيه متصله فالنفس الإنسانيه الحادثه بحدوث مزاج الإنسان من لدن كونه منيا و جنينا إلى أن تبلغ إلى مرتبه الإنسانيه قد صادفت الدرجات النباتيه و الحيوانيه على سبيل استكمال طبيعي حاصل في كلا طرفي الماده و الصوره و البدن و النفس و قد سبق أن استكمالات النطفه الإنسانيه و تحولاتها في أطوار الخلقه- حيث كانت جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم إنسانا يكون على هذا الوجه لا الذي زعمه الجمهور- من أن هاهنا كونا بعد فساد و فسادا بعد كون من صوره إلى صوره أخرى متباينه الوجود- فإن ذلك غير صحيح كما مر من بطلان تفويض فاعل طبيعي تدبيره في ماده إلى فاعل طبيعي آخر على قياس توارد الفواعل المختارين على موضع واحد في صنائعهم و كما استحال انتقال الفعل الطبيعي عن أحد فاعلين طبيعيين إلى الآخر كذلك يستحيل انتقال الفاعل الواحد من فعل طبيعي إلى فعل طبيعي مباين للأول من غير جهة اتحاد بينهما و هو المعنى بالتناسخ فيكون محالا

حجه أخرى عامه

هي أن النفس إذا فارقت البدن كان آن مفارقتها عن البدن الأول- غير آن اتصالها بالبدن الثاني و بين كل آنين زمان فيلزم كونها بين البدنين معطله عن التدبير و التعطيل محال و هذا تمام على طريقتنا من أن نفسيه النفس نحو وجودها الخاص- ليست كإضافه عارضه لها.

- ١- يعني نحن جعلنا معيار الشرف و الكمال القرب من الحق و هذا ينافي كون ماده النبات قابله للفيض الجديد دون ماده الإنسان فإن جعلوا معيار الكمال التجاوز عن الدرجات قلنا أولا مجرد دعوى بلا بينه و ثانيا أنه حاصل على سبيل الاتصال، س ره
- ٢- أى على المشهور بين الحكماء و إن نقل في شرح حكمه الإشراق قولاً بأن نفوس الكمل تنتقل بعد المفارقة من الأرض إلى السماء و النفوس السماويه من السماء إلى عالم العقل على التعاقب في القرون المتماديه، س ره

و أما الحجج الخاصه

اشاره

على إبطال النقل فى جهة النزول فهى أنها لو كان ما ذهبوا إليه حقا لزم أن يتصل وقت كل فساد لبدن إنسانى بوقت كون بدن حيوان صامت- و اللازم باطل فالملزوم كذلك.

أما بيان الملازمه فلما ذهبوا إليه من أن أول منزل النور الأسفهدى أى الجوهر المجرد النفسى هو الصيصيه الإنسانيه أى البدن الإنسانى الذى خلق تام القوى والآلات- و هو باب الأبواب عندهم لحياء جميع الأبدان العنصريه لأن حياه جميع الحيوانات الأرضيه بانتقال النفوس الإنسانيه إليه فلا حيوان(١) عند هؤلاء و هم يوذاسف التناسخى و من قبله من حكماء بابل و فارس كما هو المشهور غير الإنسان إلا أنه نسخ البعض و بقى البعض و يستنسخ الباقي فى عالم الغرور إن كان من الناقصين أو سيرفع إلى عالم النور إن كان من الكاملين فأى خلق يغلب على الجوهر النطقى و أيه هيئه ظلمانيه يتمكن فيها و يركن إليها فيوجب أن ينتقل بعد فساد بدنه إلى بدن مناسب لتلك الهيئه الظلمانيه من الحيوانات

١- أقول يمكن إبطال النقل على سبيل النزول بأنه لما لم يكن عندهم حيوان غير الإنسان و الملكات الرديه الحيوانيه فيه موجه للنقل فلا بد أن يمضى أولا مدته مديده- و لا حيوان و لا نبات فيها و فيه محذورات. منها عدم إبداعه الأنواع المتوالده و هو خلاف ما ذهب إليه الحكماء. و منها عدم إمكان تعيش الإنسان بلا حيوان و لا نبات. و منها عدم فعاليه العقول التى هى أربابها و الحال أن كلا- من العقول فعال فيما دونه- لا- يمكن أن لا- يكون لها ظلال فى عالمنا الأدنى هذا ما ظهر لى فى إبطال هذا المذهب- و فيه نظر لأنه يتم على القول بحدوث العالم كما يقول المليون و أما على القول بالقدم فقبل كل أناسى حيوانات و قبل كل حيوانات أناسى كالدجاجه و البيضه و الحيوان و النطفه- فإن قلت على هذا المذهب يلزم الدور أيضا لأن انتقال النفس من البدن الإنسانى إلى البدن الحيوانى من النطفه و الأجنه التى فى بطون أمهاتها يتوقف على كون بدن حيوانى و الكون الحيوانى أيضا يتوقف على انتقال النفس الإنسانيه إذ لا- حيوان عندهم غير الإنسان. قلت اشتبه عليك الدور بالتسلسل و هو تعاقبى هنا و مجوز عندهم فهذا كشيئه البيضه و الدجاجه نعم على تقدير الحدوث لازم كما لا يخفى، س ره

المنتكسه الرءوس فإن لكل خلق أبدان أنواع من حيوانات مناسبة لذلك الخلق و لكل باب منه جزء مقسوم أى لكل بدن من الحيوانات التى هى أبواب الجحيم و هى عالم العناصر عندهم قدر مخصوص من الخلق المتعلق بذلك النوع من الحيوان فإن نوعى الخنزير و النمل و إن اشتركا فى خلق الحرص إلا- أن حرص النمل ليس كحرص الخنزير- و كذا لا يكون حرص بعض أشخاص كل نوع منها كحرص الباقى و قس عليه سائر ذمائم الأخلاق- و اختلافها شده و ضعفا و أفرادا و تركيا كما سيجى ء زياده تفصيل فاختلف الحيوانات فى الحقائق أنما هو لأجل اختلاف الناس فى الأخلاق المحموده و المذمومه و فى شدتها و ضعفها و اختلاف تركيبها فإن الأخلاق كلها وارده إليها من المنزل الأول باب الأبواب الذى هو الإنسان لأنها التى كانت موجوده فيه أولا و صارت منه إليها بانتقال جوهر نفسه الموصوفه بها إليها من غير تعطلها فى البين.

و أما بطلان اللازم فلوجهين- أحدهما ظهور عدم العلاقه اللزوميه الموجهه لاتصال وقت فساد البدن الإنسانى بوقت كون البدن الحيوانى الصامت و منع ذلك مستندا بأن هذه الأمور مضبوطه بهيئات فلكيه غائبه عنا كما يجب فى خساره بعض ربح بعض بحيث لا- يبقى المال بينهما معطلا- مكابره إذ مبناه على مجرد احتمال بعيد و مثل هذه الاحتمالات البعيده لا يوقع اعتقادا و لا يصادم برهاننا و مع تمكينها لا يبقى لأحد اعتماد على الحكم على أمرين بالملازمه و على آخرين بعدمها.

و ثانيهما أنه يلزم على ذلك أن ينطبق دائما عدد الكائنات من الأبدان الحيوانيه- على عدد الفاسدات من الأبدان الإنسانيه و ذلك لأنه لو زادت النفوس على الأبدان- لازدحمت عدده منها على بدن واحد فإن لم تتمانع و تتدافع فيكون لبدن واحد عدده نفوس و قد بين بطلانه- و إن تمنعت و تدافعت بقيت كلها أو بعضها معطله و لا- معطل فى الوجود و إن زادت الأبدان على النفوس فإن تعلق نفس واحده بأكثر من بدن يلزم أن يكون الحيوان الواحد بعينه غيره و إن لم يتعلق فإن حدث لبعض تلك الأبدان نفوس جديده و للبعض نفوس مستنسخه كان ترجيحها بلا مرجح و إن لم يحدث لبعضها نفوس بقى

بعض الأبدان المستعدة للنفس الجديده بلا نفس و الكل محال.

و أما بطلان التالى فلأنه قد تكون الكائنات أكثر من الفاسدات إذ فى يوم واحد قد يتولد من النمل ما يزيد عن أموات الإنسان فى سنين شتى [بشىء] لا يتقايس فضلا عن أموات أهل الحرص منهم فى ذلك اليوم و قد تكون الفاسدات أكثر كما فى الوباء العام و الطوفان الشامل.

و أجيب عنه بأنه لا نسلم أن عدد الكائنات أكثر من الفاسدات و إنما يلزم ذلك- لو كان تولد كل نملة فى يوم بانتقال نفس حريص مات فى ذلك اليوم إليه و هو غير لازم- لجواز أن يكون بانتقال نفس حريص مات فى ألوف من السنين و قد فارقت أبدانا كثيره- إلى أن وصلت إلى هذه النملة فإن نفس الحريص لا تلحق البنيه النملية عند الموتة الأولى بل بعد موتات كثيره فإن من فيه هيئات رديه تتعلق بعد المفارقة بأعظم بدن حيوان يناسب أقوى تلك الهيئات ثم تنزل على الترتيب من الأ-كبر إلى الأوسط و منه إلى الأصغر إلى أن تزول تلك الهيئه الرديه ثم تتعلق بأعظم بدن يناسب الهيئه التى تلى الهيئه الأولى فى القوه متدرجا فى النزول إلى أن يفنى كل تلك الهيئات و حينئذ تفارق عالم الكون و الفساد و تتعلق بأول منازل الجنان لزوال العلائق البدنيه الظلمانيه- و الهيئات الرديه الجسمانيه و لا نسلم أيضا أن الفاسدات تكون أكثر من الكائنات و إنما يلزم(١) ذلك لو جاز أن يرتقى من أبدان الحيوانات إلى الإنسان شىء من نفوسها ليلزم صعوبه انطباق العدد الكثير من أبدان حيوانات كثيره الأعداد قصيره الأعمار كأبدان الذباب و البق و البعوض و الحشرات و أمثالها إذ بأقل حراره أو بروده أو ريح يموت و يفسد من كل واحد من هذه الحشرات فى ساعه ما لا يتكون من الإنسان إلا فى ألوف من السنين.

لا يقال قد يحصل وباء عام أو طوفان كلى يهلك كل ذى نفس فيلزم زياده الفاسد

١- يعنى كون الفاسدات أكثر من الكائنات لا يلزم على القائلين بالتناسخ النزولى- و إنما يلزم على القائلين بالتناسخ الصعودى حيث إن الحيوان أقل قليل بالنسبه إلى النبات و كذا الإنسان أقل قليل بالنسبه إلى الحيوان ففى غير الوباء العام و الطوفان الشامل أيضا لا انطباق، س ره

على الكائن ضروره لأننا نقول هذا غير معلوم الوقوع فإن الوباء العام لجميع أصناف الحيوانات- الشامل لجميع النواحي بحيث لا يبقى حيوان أصلا غير متيقن و المتيقن وجود وباء في بعض نواحي الأرض دون غيرها و كذا الكلام في الطوفان إذ لا يلزم منه أيضا أن الفاسد من الإنسان أكثر من الكائن من الحيوان لجواز أن يكون بإزاء ما فسد منه كائنات من الحيوانات البحريه كالحياتان و نحوها أو الحشرات الأرضيه كاللدود و أمثالها و لا استبعاد في أن يكون لكل قوم من أرباب الصناعات الدنيويه أمه من الصوامت البريه و البحريه يشبههم خلقا و خلقا و عيشه كالجنند من الأ-تراك التي يشبه خلقهم و عيشهم أخلاق السباع و عيشها- فلا- جرم بعد موت ذلك القوم ينتقل نفوسهم إلى أعظم نوع من السبع ثم إلى أوسطه على المراتب الكثيره ثم إلى الأصغر في أحقاب كثيره و أزمنه متطاولة إلى أن يزول عنها تلك الهيئات الرديه فحينئذ يترقى إلى عالم الجنان كما مر.

أقول العمده في بطلان التناسخ على جهة النزول ملاحظه أن الموجودات الصوريه كالطبائع و النفوس متوجهه نحو غاياتها الوجوديه خارجة عما لها من القوه الاستعداديه إلى الفعلية و النفس ما دامت في بدنها يزيد بجوهرها و فعليتها فيصير شيئا فشيئا أقوى وجودا و أشد تحصلا سواء كانت من السعداء في النشأ الأخرى أو من الأشقياء- و قوه الوجود يوجب الاستقلال في التجوهر و الاستغناء عن المحل أو المتعلق به حتى يصير المتصل منفصلا و المقارن مفارقا فكون النفس الإنسانية حين حدوثها في البدن مجردة الذات ماديه الفعل و عند فساد البدن بحيث صارت ماديه الذات و الفعل جميعا كما يلزم من كلامهم في نفوس الأشقياء حيث تصير بعد فساد البدن نفسا حيوانيه غير مجردة ذاتا و فعلا كما رأوه مما يحكم البرهان على فساده و يصادمه القول بأن للأشياء غايات ذاتيه- و أنها بحسب الغايات الزمانيه طالبه لكمالاتها مشتاقه بغرائزها إلى غاياتها فهذه الحركه الرجوعيه في الوجود من الأشد إلى الأنقص و من الأقوى إلى الأضعف بحسب الذات ممتع (١) جدا.

١- و الكثره الأفراديه تستلزم الكثره الأوقاتيه في الطبيعه الكليه كما لا يخفى، س ره

فإن قلت صيروره الإنسان بهيمه ناقصه لا يلزم أن يكون بحسب الحركة الذاتية- بل ربما يكون قسرا و إجبارا.

أقول هذا غير جائز بوجهين- الأول أن مثل هذه الأشياء لا يكون دائما و لا أكثريا كما بين في موضعه- و الذى ذهبوا(١) إليه من الانتقال النزولى إنما يكون فى أكثر أفراد النفوس الإنسانية- و أهل الارتقاء الاستكمالیه إلى الملكوت الأعلى قليل عندهم كما أن عدد المقربين الكاملين فى العلم قليل عندنا أيضا.

و الثانى أن هذه الحركة(٢) الوجودیه الاستكمالیه لا يصادمها ما دام وجود الموضوع قسر قاسر و لا إجبار و لا اتفاق إلا القواطع التى يوجب العدم و الهلاك و الانقطاع- و عند ذلك لم يبق للشئ حركه و استكمال غير ما حصل فى مده الكون لا الانحطاط و النزول عما كان سابقا.

فإن قلت فإذا كانت النفوس كلها مترقيه متوجهه نحو الكمال الوجودى حتى الفسقه و الجهال و الأمردال فما وجه الشقاوه الأخرویه.

أقول منشأ الشقاوه أيضا ضرب من الكمال لأن النفس و إن استقلت بضرب من الوجود لكن لما اعتادت فى هذه المنشأ بأفعال و أعمال قبيحه شهويه أو غضبيه أو تمكنت فيه العقائد الفاسده فعند خروجها عن الدنيا و رفع الغشاوه عن بصرها تتعذب بما يتبعها من سوء العادات و الشوق إلى المشتبهات الخسيسه الدنياويه و بالاعتقادات

١- فليراجع فى تعليقه هذا المورد إلى الصحيفه المقابل بنفس هذا الرقم ١ حيث جعلت هنالك اشتباها

٢- أنما لا تقبل هذه الحركة الذاتية و التجدد الجوهرى قسرا و مانعا إذ ما فيه الحركة فيها كموضوعها نفس ذات الشئ ء فلا يبقى شئ ء عند المنع و القسر اعلم أنه قدس سره كثيرا ما يقول فى أمثال هذا المقام إن القسر لا يكون دائما و لا أكثريا فلا بد أن يصل الشئ ء إلى غايته و ملائم ذاته و هاهنا قد خرج من كلامه أن لا قسر أصلا فى الحركة الوجوديه و التوفيق أن إثبات قسر ما باعتبار أصل الطبيعه النوعيه و سلبه رأسا باعتبار الماهيه الموجوده الشخصيه و أن هذا التجدد ذاتى هذا الوجود ما دام هذا الوجود و الذاتى ملائم الذات أو القسر باعتبار الحركات العرضيه لا الجوهريه، س ره

الفاسده و الجهالات الراسخه.

و توضيح ما ذكرناه أنه ما من نفس إنسانيه إلا و لها وجود استقلالى بعد موتها الطبيعى - عن هذا البدن و لها بحسب ما لها من الأفعال و الأعمال المؤديه إلى الأخلاق و الملكات - نوع تحصل فى الوجود و الفعلية سواء كانت تلك الأخلاق فاضله ملكيه أو شيطانيه أو سبعية أو بهيميه فإن خرجت النفس الإنسانيه فى مده كونها العنصرى و حياتها الطبيعىه و نشأتها الدنيويه عن القوه الهيولانيه التى كانت لها فى أصل هذه الفطره - و صارت بالفعل بحسب ما حصل لها من الملكات تصورت بصوره شىء من هذه الأجناس التى تحتها أنواع كثيره تصورا غير طبيعى و لا مادى لأنها تصير عند انقطاعها عن الدنيا صورته بلا ماده و فعلا بلا قوه سواء كانت سعيدة أو شقيه متنعمه بلوازم أخلاقها الشريفه - و نتائج أعمالها الحسنه أو معذبه بلوازم أخلاقها الرديه و نتائج أعمالها السيئه.

فإن قلت كل صورته بلا ماده فهو عقل محض فيكون جوهرها كاملا فى عالم القدس فكيف يكون من الأشقياء.

قلت الماده عبارته عن محل الانفعالات و الحركات للأموال الكائنه الفاسده و للتجرد عنها لا يستلزم التجرد عن المقادير و الأبعاد مطلقا كما فى الصور العقليه و أما الأبدان الأخرويه المناسبه لأخلاق النفوس فهى ليست مواد لتلك النفوس حامله لقوه كمالاتها و هيئاتها بل هى أشباح^(١) ظليه و قوالب مثاليه وجودها للنفس كوجود الظل من

١- فكان النفس أول ما تنزلت و طفقت أن تتصور بعد ما كانت من عالم المعنى الذى لا صورته له و أخذت أن تتكاثف بعد ما كانت فى غايه اللطافه و جعلت أن تنخلق بعد ما كانت من عالم الأمر تشبعت بتلك الصور اللطيفه التى هى صور صرفه بلا ماده - ثم تكدرت و تجسمت بالصور الظلمانيه التى هى بشركه الماده إذ لا ربط بين هذه الظلمه و ذلك النور إلا بتخلل هذا الرابط و كذا فى الحركه الصعوديه لا يطفر الطبيعه و هذا بوجه بعيد كغيم رقيق ينشأ من نفس الهواء الصافى الذى لا بخار و لا دخان فيه بأن يضربه البرد الشديد و يصير نفسه ماده للغيم الرقيق الأبيض كما قرر فى مبحث الانقلابات - و كغيم غليظ يحصل فى الهواء لا - من الهواء بل من بخار و دخان و ينفذ فيه الغيم الرقيق و الهواء اللطيف الحامل للضوء فكان النفس صورته نفسه فصارت مثالا و كثف المثال نفسه فصار جسما طبيعيا، س ره

ذى الظل إذ هي حاصله من تلك النفوس بمجرد جهات فاعليه وحيثيات إيجابيه لا بحسب جهات قابليه و حركات ماديّه و كل ما يحصل من النفس بحسب الجهات الفاعليه و الهيئات النفسانيه فذلك الشئ لا يكون ماده لها و لا بدنا كهذا البدن الذى يتعلق به النفس تعلق التدبير و التحريك بل يكون من اللازم لها و وجوده منها وجود الظل من ذى الظل - فإن ذى الظل لا يستكمل بظله و لا- ينفعل منه و لا يتغير عن حاله بسببه بل و لا يلتفت (١) إليه فهذه الأحكام التى زعمتها أصحاب التناسخ ثابتة للنفس موجه لانقالاتها إلى بدن آخر عنصرى حاصله لها بعد انتقالها منفسخه بما حققناه من صيروره كل نفس فى مده حياتها الطبيعیه ذاتا مستقلة بوجودها موجوده بوجود آخر غير هذا الوجود الطبيعى المادى - صائره نوعا آخر متحصلة بالفعل بحسب الحقيقه الباطنيه.

فإن قلت أليس الإنسان نوعا واحدا و أفراد النفوس البشريه كلها أفراد نوع واحد فكيف يصير أنواعا كثيره من الحيوانات المختلفه و غيرها سواء كانت هاهنا أو فى نشأه أخرى و هل هذا إلا قلب الماهيه و هو محال.

قلنا الإنسان الطبيعى نوع واحد حقيقى و كذا النفوس البشريه من جهه هذا الوجود التعلقى نوع واحد لأنها مبدأ فصله المقوم لماهيته و هو مفهوم الناطق المحصل لجنسه الذى هو الجسم النامى الحساس و معنى الناطق ما له قوه إدراك الكليات و هو فى جميع الأفراد على السواء فهذه النفس و إن كانت صورته هذا النوع الطبيعى و تمامه لكنها بعينها جوهر قابل لصور مختلفه النوع بحسب وجود آخر غير طبيعى كما أن

١- عدم الالتفات إلى الظل الظاهرى واضح و أما عدم الالتفات إلى ظل النفس و هو الشبح فهو فى العارفين الذين لا يلتفتون إلى عالمى الصوره عالم الأشباح الأخرويه و لذائذها الصوريه و عالم الصور الطبيعیه و لذائذها الماديّه الدائره لكونهم مستغرقين فى عالم المعنى بل فى خالق المعنى و الصوره و مالک الأمر و الخلق فعالم الصوره و إن كانا كظل لازم لهم لا يلتفتون إليهما نعم من كان العوالم كمرائى لهم كيف يلتفتون إليها و إلى لذائذها الصوريه و إنما نصب أعينهم شهود معنى المعانى و نور الأنوار و قد ورد فى أئمتنا كما مر ذكركم فى الذاكرين و أسماؤكم فى الأسماء - و أنفسكم فى النفوس، س ره

الهيولى الأولى (١) العنصريه واحده فى ذاتها كثيره الأنواع بحسب ما يخرج من القوه إلى الفعل فى هذا الوجود الطبيعى و لا منافات بين وحدتها و كثرتها من جهتين فكذا حال (٢) النفس و بالجمله الإنسان نوع طبيعى مركب من ماده عنصريه ذى مزاج معتدل بشرى- و من صورته كماله هى نفس متعلقه به حافظه لمزاجه و فاعله لأفعال و أعمال يخصصه- و له ماهيه نوعيه محصله من جنس قريب مأخوذ من مادته و فصل قريب مأخوذ من صورته التى هى نفسه و هى كماله الأول لجسمه الطبيعى من جهة ما يفعل الأفعال الخاصه به و يدرك أوائل الكليات فالنفوس الإنسانيه بحسب هذا الوجود و هذه النشأ- مندرجه تحت نوع واحد حقيقى من هذه الجبهه كلها متماثله لكنها بحسب هذا الوجود- قابله لهيئات و ملكات نفسانيه يخرج لها من القوه إلى الفعل فى وجود آخر من جهة أفعال و أعمال مختلفه تصدر منها فى هذا الوجود كل صنف منها يناسب نوعا آخر من تلك الهيئات الباطنه فإذا تمكنت تلك الهيئات المختلفه فى أفراد النفوس خرجت النفوس فيها من القوه إلى الفعل و اتحدت بها فتصورت بصوره أخرى و وجدت بها وجودا آخر غير هذا الوجود فى نشأ ثانيه و هى لا محاله تصوير أنواعا مختلفه و حقائق متخالفه- و يتصور بصور ملكيه أو شيطانيه أو بهيميه أو سبعيه متخالفه الأشكال و الهيئات فى تلك النشأ لا فى هذه النشأ الدنياويه لاستحاله التناسخ كما مر تقريره.

و هذا المذهب أى كون النفوس الإنسانيه فى أوائل فطرتها من نوع و صيرورتها فى الفطره الثانيه أنواعا و أجناسا كثيره و إن لم يكن مشهورا من أحد من الحكماء- لكنه ما ألهمنا الله تعالى و ساق إليه البرهان و يصدق القرآن كقوله تعالى وَ مَا كَانَ

١- هذا على مذهبه قدس سره أن التركيب بين الهيولى و الصوره اتحادى أظهر- و الحاصل أن الهيولى بحسب ذاتها واحده إذ لا ميز فى صرف الشىء فكما لا ميز فى صرف الفعليه لا ميز فى صرف القوه إلا أن الهيولى المتنوعه كثيره فإن الهيولى المجسمه غير الهيولى الأولى- و الهيولى المتنوعه بالصوره المنوعه الناريه غير الهيولى المتنوعه بالصوره المنوعه المائيه- و كذا المتنوعه بصور المركبات و لهذا كانت الهيولى محتاجه التحقق إلى الصوره الجسميه و فى التنوع إلى الصوره النوعيه، س ر ه

٢- و لا سيما على قاعده اتحاد العاقل و المعقول، س ر ه

النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَقوله تعالى تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى و كقوله تعالى وَلِلَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِئَا هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ و مما يدل على أن نوع العلماء من البشر - مباين لغيرهم (١) قوله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ فالنفس ما دامت تكون بالقوه و فى أول الفطره يمكن لها اكتساب أى مرتبه و مقام شئت لمكان استعدادها الأصلي قبل صيرورتها بالفعل شيئاً من الأشياء المتحصله و أما إذا صارت مصوره بصوره باطنيه و استحکمت فعليتها و رسخت و قوى تمكنها فى النفس فاستقرت النفس على تلك المرتبه تبطل عنها استعداد الانتقال من نقص إلى كمال و تطور من حال إلى حال فإن هذا الرجوع إلى الفطره الأولى - من الفطره الثانيه ممتنع كما مر و العود إلى مرتبه التراب و الهيولى مجرد تمنى أمر مستحيل و المحال غير مقدور عليه

حكمه عرشه: إن للنفس الإنسانية نشأت ثلاثه إدراكيه

النشأ الأولى

هى الصوره الحسيه الطبيعیه و مظهرها الحواس الخمس الظاهره - و يقال لها الدنيا لدنوها و قربها لتقدمها (٢) على الأخيرتين و عالم الشهاده لكونها مشهوده بالحواس و شرورها و خيراتها معلومه لكل أحد لا يحتاج إلى البيان و فى هذه النشأ لا يخلو موجود عن حركته و استحاليته و وجود صورتها لا تنفك عن وجود مادتها -

و النشأ الثانيه

و النشأ (٣) الثانيه هى الأشباح و الصور الغائبه عن هذه الحواس و مظهرها

١- وجه الدلاله أنه جعلهم فى مقابله الناس و الدواب و الأنعام الذين لا- اختلاف بينهم إلا- بحسب الألوان و الأشكال و أما بحسب الباطن فالناس الغفله الجهله ملحقون بهما و لا خشيه لهم من ربهم و قصر الخشيه بكلمه إنما على العلماء فهم كما أنهم مخالفون بالنوع للدواب و الأنعام كذلك للناس الموافقين لهما فى الباطن سيما فى الآيه قراءه أخرى و هى رفع كلمه الله و نصب علماء أى لو جاز عليه الخشيه إنما يخشى منهم أن يتفوهوا بالشطحيات أو بالترجيه المحضه، س ره

٢- متعلق بالأولى، س ره

٣- لكونها مخالفه للنشأ الأولى كانت صور الأولى مخلوطه بالماده قابله للحركه و الاستحاله كما قال و صور الثانيه صرفه مجردة عن الماده و ليست قابله للتحول فصور البسائط هناك ليست قابلاً للامتزاج و المزاج و حصول مولود من المواليد منها- إذا الماده القابله للانقلابات مفقوده هناك و إلا كانت دنيا لا الآخره و لذا ليست تلك الدار دار الترقى و أما الحركات الأينيه التى هناك فهى صوريه صرفه و حققناه فى موضع آخر، س ره

الحواس الباطنه و يقال لها عالم الغيب و الآخره لمقايستها إلى الأولى لأن الآخره و الأولى من باب المضاف و لهذا لا يعرف إحداهما إلا مع الأخرى كالمتضايقين كما قال تعالى وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ و هى تنقسم إلى الجنه و هى دار السعداء و الجحيم و هى دار الأشقياء و مبادئ السعادات و الشقاوات فيهما هى الملكات و الأخلاق الفاضله و الرذيله.

و النشأه الثالثه

هى العقلية و هى دار المقربين و دار العقل و المعقول و مظهرها القوه العاقله من الإنسان إذا صارت عقلا بالفعل و هى لا تكون إلا خيرا محضا و نورا صرفا فالنشأه الأولى دار القوه و الاستعداد و المزرعه لبذور الأرواح و نبات النيات و الاعتقادات و أخريان كل منهما دار التمام و الفعلية و حصول الثمرات و حصاد المزروعات فإذا تقرر هذا و لم تكن النفس ذات قوه استعداديه ساذجه من الصور و الأوصاف و الملكات النفسانيه إلا- فى أول كونها الدنياوى و مبدأ فطرتها الأصلية قبل أن تخرج قوتها الهيولانيه النفسانيه إلى فعلية الآراء و الملكات و الأخلاق فلا يمكن لها- بعد أن يخرج فى شىء منها من القوه إلى الفعل أن يتكرر لها القوه الاستعداديه بحسب فطره ثانيه هى أيضا فى هذا العالم و تكون آخر لأجل تعلق بماده أخرى حيوانيه- لأن عروض الحاله الهيولانيه لا يمكن إلا بانخلاعها عن جملة الأوصاف و الملكات الباطنه- و هذا مع استحالتها ينافى مذهبهم من انتقال النفوس بواسطه هيئاتها الرديه إلى أبدان حيوانات أخرى.

و أما الحجه الخاصه

بإبطال النقل من جهه الصعود فهى أن الحيوان الصامت إن لم يكن له نفس مجردة بل كانت نفسه منطبعه فيستحيل عليه الانتقال من بدن إلى بدن- لكونها جوهرنا ناعتيا انطباعيا و البرهان قائم على استحاله الانتقال فى المنطبعات- أعراضا كانت أو صورا و إن كانت نفسه مجردة فمن أين يحصل لها الكمال و الترقى إلى

رتبه الإنسان و ليست لها من الآلات و القوى إلا ما هي مبادئ الآثار و الأفعال الهيولانية- و العلائق الأرضيه من الشهوه و الانتقام و اللذين هما كمال نفوس الدواب و الأنعام- و هما أصلان عظيمان للتجرب و الإخلاق إلى الأجساد كيف و شىء منهما إذا غلب على الإنسان الذى هو أشرف أنواع العاقرات من الكائنات يوجب أن ينحط درجته إلى نوع نازل من الحيوان المناسب لذلك الخلق سواء كان فى هذه النشأه الدنياويه لو كان النقل حقا على ما زعمه الذاهبون إليه أو فى النشأه الآخره كما هو المحقق عند المكاشف و يراه أهل الحق من بطلان النقل فإذا كان مقتضى الشهوه الغالبه أو الغضب الغالب شقاوه النفس و هبوط نشأتها و نزولها إلى مراتب الحيوانات الصامته التى كمالها فى كمال إحدى هاتين القوتين فيمتنع أن يكون وجود هاتين القوتين و أفعالهما منشأ لارتفاع النفوس من درجتها البهيميه و السبعيه إلى درجه الإنسان الذى كمال نفسه فى كسر هاتين القوتين.

و أما ما قيل إن فى الحيوان كالفرس مثلا شيئا ثابتا فى تمام عمره و لا شىء من أعضائه بدنه إلا و للتحلل فيه سبيل لأجل الحراره الغريزيه و الغريبه الداخله و الخارجه- من الهواء المحيط و لو يسيرا يسيرا و ليس لأحد أن يقول فرسيه هذا الفرس و نفسه فى الانتقال و التبدل على أن لنفسه إدراكات كليه لأنها قد نرى أنه إذا ضرب واحد منها بخشبه ثم بعد حين جررت له خشبه يهرب و لو لا أنه بقى فى ذهنه معنى كلى مطابق- لضرب من ذلك النوع لم يهرب و لما امتنع إعادهه (١) عين الضرب الماضى بل العائد

١- هذا الاستدلال سخييف لأن هنا شقا ثالثا و هو أن يكون الهرب من الصوره المحفوظه فى خياله و هى جزئيه و إيلامها لمطابقتها فى كثير من أحكامها الذاتيه و العرضيه مع الصوره العينيه ألا ترى أن من التذوقا بشىء يلتذ بتذكر ذلك الملد و لو لا- صورته الخياليه لما دعاه إلى طلبه وقتا آخر و كذا فى جانب المولم و لو تصور الحيوان الكلى فلم لا يكون متفكرا كاسباف فكره علما و البهيمه إذا ربطت بحبل على وتد و التوى حبلها على الوتد شاهدناها يجر رجلها بقوه حتى يكاد يقطع مفاصلها مع أنها أدارت على جهه خلاف الجهه الأولى قبل ذلك مائه مره و فى كل مره خلصت و نجت- و مع ذلك لم يحصل بفكره علما بالاستخلاص بعد و لو حصل له الارتجاع الكلى المنقذ لما صعب عليه الأمر و الإنسان حيث يدرك الكلى و يحصله بمشاهده جزئيات قليله يكسب بفكره المطلب و كيفيه الخلاص و الجزئى لا- يكون كاسباف لا- مكتسباف و الكلى كالنير المنير للمطلب و القائد للعقل إليه، س ره

مثله لا- عينه في إدراكه ليس بالمعنى الجزئي ثم قد نرى هذه الحيوانات مع اشتراكها في الحيوانية مختلفه في قربها إلى العالم الإنساني و بعدها حتى أن بعضها في غايه القرب من أفق الإنسان كالقرد المحاكى له في الأفعال و الطوطى المحاكى له في الأقوال- ففي بعضها ضرب من القوه العمليه القريبه من العقل العملى و في بعضها ضرب من القوه العمليه القريبه من العقل النظرى ثم إن عجائب أحوال بعض الحيوانات و ملكاتها- كتكبر الأسد و حقد الجمل و هندسه النحل(١) و سماع الإبل المنسى له مشتهياته يشهد بأن لها نفوسا غير منطبعه ينبغى أن يرتقى إلى الإنسانية و بالجملة نراها بحسب غرائزها متوجهه نحو كمال مترقيه إلى غايه فإن كان ارتفاعا إلى غايه فيالى الإنسانية ثم إلى الملكيه و إن لم يكن لها في توجهها الغريزى غايه فغير لائق بالوجود الإلهى منع المستحق عن كماله.

فالجواب أن لكل نوع من الحيوانات بل النباتات ملكا هاديا له إلى خصائص أفعاله و كماله متصلا به ضربا من الاتصال و هو الذى سماه الفرس رب الصنم و نحن قد أوضحنا سبيل إثبات الصور المفارقة للطبائع الماديه و أن لكل نوع من أنواع الأجسام الطبيعيه جوهرها مقوما لوجوده أصلا لأفراد ماهيته ذا عنايه بها و اختلافها في الشرف و الخسه لأجل اختلاف مبادئها المفارقة النوريه فى شدة نوريتها و ضعفها و قربها و بعدها- من نور الأنوار و أما على طريقه المشائين فغرائب إدراكات بعض الحيوانات و تفنن حركاتها أنما تكون بمعاونه قوى طبيعيه فلكيه و إلهامات سماويه و يجوز أن تصدر عن قوه جرميه بمناسبات مزاجيه حركات إدراكيه كحال الإبل فى تلذذه بالسمعيات.

١- و هندسه العنكبوت و لعل أكثر الناس قد شاهدوا بعض المناكب و هو كبعضه تنسج دوائر بعضها محيطه ببعض بخطوط متوازيه كصور الأفلاك المرقومه فى كتب الهيئه- و يفرز خطوطا مستقيمه من الدائره الصغيره المحاطه إلى الدائره العظيمه من جميع الجوانب كساقات متساويه لمثلثات بحيث يبقى العقل متعجبا، س ره

و أقول على تقدير أن يكون لها نفوس غير منطبعة في ماده متوجهه نحو كمال فلا يلزم أن يكون كمالها كمالا عقليا حتى يلزم دخولها في باب الإنسانيه و ارتقاء نفوسها(١) بحسب هوياتها الشخصيه إلى عالم العقل على أن كثيرا من الناس ليس لهم في النشأ الآخره درجه عقليه و لهم مع ذلك لذات خياليه و ابتهاجات حيوانيه و سعادات ظنيه هي الغايه القصوى في حقهم إذ لا شوق لهم إلى(٢) العقليات و لا نصيب لهم من الملكوت الأعلى- و ليس لكل ذى نفس أن يتوجه إلى غايه عقليه و كمال مطلق و التوجه إلى كمال ما لا يوجب الدخول إلى باب الإنسان و لا يلزم منه منع عن الكمال إذ من المحال منع المستحق عما يستحقه بخصوصه و عن الكمال اللائق بحاله كالكمال المطلق و الخير المحض إذ ربما لا- يناسبه و لا يستعده لا بشخصه و لا بنوعه كالإنسان ثم على تسليم أن لها استعدادا نحو الكمال العقلي فلا- نسلم أن ذلك يستدعى اجتيازها إلى الدرجه الإنسانيه- و تخطيها إياها فإن الطرق إلى الله و إلى دار ملكوته لا- تنحصر في باب واحد كما قال تعالى وَ لِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا و كقوله تعالى

١- و إن ارتقت أبدانها كما ترى أن النبات و الحيوان يصيران غذاء للإنسان- و قيد بحسب هوياتها إشاره إلى أن نفوسها أيضا بحسب استهلاكها في النفس الإنسانيه- ترتقى إلى عالم العقل بعين ارتقاء النفس الإنسانيه إليه تمثيل الإنسان كالطفل اللطيف المرتضع و عالم الطبيعه كالأم و المكان كالمهد و الزمان كالمربيه و النبات و الحيوان كالشدين لتلك الأم و لما كان ذلك الطفل لطيفا في غايه اللطافه و لم يمكن أن يتغذى بكل غذاء فج غليظ كالنبات المتغذى بالماء الممزوج بالتراب و غيره و الحيوان المتغذى بكل نبات و غيره لأنهما لكثافتتهما خفيفتا المئونه دبر العناية لذلك الطفل اللطيف المعتدل المزاج أعنى الإنسان ثدين أعنى النبات و الحيوان حتى ينضج و يصفى العناصر فيهما لكي تناسبه فيغذى بهما كما أن الغذاء الذى يأكله الإنسان لا يناسب الأطفال فلا جرم تستولى عليه الطبيعه التى من خدم النفس التى فى الأم و يتصرف فيه مغيره ثديهما فيصير لبنا سائغا- يحتمله بنيه الطفل الرضيع فهذا المعنى قلنا إن النبات و الحيوان غذاء الإنسان، س ره

٢- بل قد فروا منها فرار المزكوم من رائحه المسك و من لا معرفه له كيف يشاق إلى عالم المعنى و يناله و قد قالوا المعرفه بذر المشاهده و قال تعالى مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى، س ره

ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) و هو صراط الإنسان المؤدى بسالكة إلى رب محمد ع و جميع الأنبياء و آله ع و هو اسم الله الجامع لكل الأسماء الإلهية و مظاهرها دون سائر الصراط المنتهى إلى أرباب الأنواع و أسمائها كالمنتقم و المذل و الجبار و المضل و غيرها كما يعرفه أهل الحق العارفون بعلم الأسماء

فصل (٣) فى دفع الشكوك الباقية لأصحاب النقل و حلها

إشاره

اعلم أن لأصحاب النقل متشبهات أخرى ينبغى إيرادها و ردها ليكون السالك على بصيره و رسوخ فى تحقيق الحق و إبطال الباطل لأن مسأله النقل كثيره الاشتباه - دقيقه المسلك و لذلك اشتهر بين الناس أن قدماء الفلاسفه مع عظم رتبهم فى الحكمه قائلون بالتناسخ و نسبه القول به إليهم افتراء محض عندنا مبناه الاشتباه بين حشر النفوس الإنسانية و تناسخها.

فمنها أن احتياج النفوس إلى الأبدان

لأنها أى النفوس ناقصه بالقوه بحسب أول الفطره و لا - شك أن العصاه من الأمم الشقيه الجاهله التى كفرت بأنعم الله صارت أنقص

١- هذا حكاية عن قول هود ع فيقول ما من نوع طبعى إلا - أن الهويه المحيطه آخذه بنواصيها يجرها إلى نفسها بالحركه الجوهرية الموصلة إياها إلى الغايه و نواصيها التى قدامها أرباب أنواعها التى قد مر ذكرها و الأسماء الحسنى التى يازائها أرباب أربابها و هى أرباب الأنواع عند العرفاء الشامخين فالحيوان مثلا عبد السميع البصير و الجان عبد اللطيف الخبير و الملك عبد السبوح القدوس و القدير الجبار و الموديات عبد المذل الضار و النار و لا سيما نار جهنم عبد المنتقم القهار - و قس عليه سائرهم و الإنسان الكامل عبد الله فهو المظهر الأجل الأكرم و المجلى الأسنى الأتم و هو تحت اسم الجلاله اسم الله الأعظم فهذا الاسم رب أرباب الأرباب فظهر أن رب محمد ص و هود و غيرهما من الأخيار هو المنتهى للصراط المستقيم الذى هو وجود آدم و لا سيما الأشرف من هذا النوع هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، س ره

و أبخس مما كانت فى أوائل فطرها فهى أشد احتياجا و أقوى انجذابا إلى المواد البدنيه مما كانت و هذه الشبهه مما أوردھا بعض أهل الحکمه و لم يقدر على حلها و الذى أفادنا الله و ألقى فى ذهنى أن كل نفس و إن كانت فى أول تكونها بالقوه فى جميع ما لها من الكمالات و الصفات النفسانيه الخياليه أو العقليه مع كونها بالفعل صوره و كمالا- لجسم طبيعى مادى و لذلك لم يقم بلا ماده كما قالوه إلا أنها بعد وجودها الطبيعى و فى مده تكونها البدنى تكتسب أخلاقا و ملكات شريفه أو خسيسه و آراء و اعتقادات حقه أو باطله فتصير بالفعل بعد كونها بالقوه فى شىء من الحالات النفسانيه أما فى السعاده الأخرويه و ذلك إذا اقتنت ملكات فاضله و اعتقادات حقه فصارت من جنس الملائكه و الأخيار و انخرطت فى سلوكهم و أما فى الشقاوه الأخرويه و ذلك إذا اكتسبت ملكات رذيله و اعتقادات باطله فشبهت بالشیاطين و الأشرار لأنها من أهل الشر و الفساد- و بالجمله النفوس التى كانت فى أول تكونها قابله محضه فى الصفات النفسانيه كلها- و متعلقه بالهوى صارت بحسب اكتساب الصفات المستقره التى هى الملكات خارجة من القوه إلى الفعل و تصورت بصورة نفسانيه باطنيه لها نحو آخر من الوجود فى نشأه أخرى لأنها فى هذه النشأه كامله بالفعل لأنها صوره و كمال لجسم طبيعى و لا يمكن أن يكون شىء واحد بحسب نشأه واحده صوره و ماده أو فعلا- و قوه أو كمالا- و نقصا معا- فحاجه النفس الإنسانیه إلى البدن إنما هى من جهة كونها قابله محضه فيما لها من الصفات الباطنه فإذا خرجت فى شىء منها من القوه إلى الفعل و تصورت ذاتها بصورتها الباطنه- لأجل رسوخ تلك الصفه زالت عنها القوه الاستعداديه التى كانت لها فتنفصل عن البدن- و تنفرد بنحو آخر من الوجود الصورى من غير ماده و استعداد و أما النفوس التى غلبت عليها ملكه العلوم الحقه و الأخلاق الفاضله فتصير محشوره إلى عالم القدس موطن الملائكه المقربين و أما التى غلبت عليها الصفات الشيطانيه من الجهل و الغوايه و الضلاله فحشرت مع الشیاطين أو الشهويه و الغضبیه فحشرت مع البهائم و السباع و إليه الإشاره بقوله تعالى وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ وَ قد أشرنا إلى أن خروج النفس من القوه إلى الفعل لا ينافى الشقاوه الأخرويه فالنفوس المتمرده الكافره و الشقيه

و إن صارت فى حياتها الدنيويه أبخس مما كانت و أشقى لكنها مع (١) ذلك زالت عنها القوه و الإمكان و بطل عنها الاستعداد و بلغت حد الكمال فى الشقاوه.

و منها أن الفسقه و الجهال ربما قلت شواغلهم الحسيه

لنوم أو مرض كما للممرورين فيطلع نفوسهم أمورا غيبية و ذلك لاتصالها بعالم القدس فلما جاز للأشقياء بمفارقة البدن أدنى مفارقة الاتصال بالمبادئ و الاستسعاد (٢) بها حين اقترافها بالمعاصى و الشهوات فعند فساد البدن و انقطاعها بالكلية عن شواغله و عدم اشتغالها بشىء من أفعاله الطبيعیه و الحسيه كان ذلك الاتصال أولى فأين يتحقق الشقاوه و النكال و العقوبات التى توعدها فى لسان الشرائع الحقه و النبوات فلا محاله ينبغى أن لا ينقطع علاقه الأشقياء و العصاه عن الأجرام لحصول العقاب بسبب اقتراف الخطيئات فلا بد أن تنتقل نفوس العصاه و المذنبين إلى شىء من الحيوانات المعذبه فى الدنيا على حسب أخلاقهم و عاداتهم المناسبه لذلك الحيوان لتبقى معذبه جزاء لأعمالهم.

الجواب لا- نسلم أن نفوس الأشقياء تتصل عند قله شواغلهم البدنيه بالمبادئ العاليه بل غايه ما يصل إليه نفوس الممرورين و النائمين و ما يجرى مجراهم من الكهنه و المجانين بعض البرازخ المتوسطه بين هذا العالم و عالم القدس و لا نسلم أيضا أنه إذا جاز اتصال نفوس الأشقياء فى هذه النشأ بذلك العالم لقله الشواغل و تعطل الحواس

١- إذا قررت الشبهه بأن النفوس بالقوه فى أول الفطره و صارت فى الآخر أشد قوه- فهذا الدفع يزيلها و أما إن قررت بأن النفوس فى أول الفطره كانت ضعيفه الشوق و العشق إلى عالم الصوره و نشأه المواد و فى الآخر صارت أنقص و أبخس لاشتداد شوقها و عشقها إليهما و رسوخ علاقتها بهما و إخلادها إلى الأرض و اتباع الهوى فلا تدفع بخروجها من القوه إلى الفعل و الجواب الحاسم لمادتها حينئذ أن يقال أشديه احتياجها و أقوائه انجذابها إلى المواد البدنيه لا تقتضى النقل فى عالم الطبيعه لأن عشقها هنا أيضا إنما هو بالصور لا- بالمواد بما هى مواد إذ الماده بما هى ماده لا تليق العشق و الانجذاب و عالم الصوره و المقدار لا تنحصر فى هذا العالم لمكان عالم المثال و لعل الذى اعترف بقوه الشبهه أراد التقرير الذى قررناها به و ليست بتلك القوه لما ذكرناه، س ره

٢- كذا فى النسخ و قد ذكر الأستاذ رحمه الله أنه غلط و الصحيح الالتذاذ و التلذذ- كما وقع فى المبدإ و المعاد فى هذا المقام التلذذ، ط مد

يجب أن يحصل لها ذلك أيضا في الآخرة لجواز أن تكون نفوسهم هناك أشد اشتغالا عنه - بما غشيهم من عظام الأهوال و الشدائد و الدواهي التي لم يبق لهم التفات إلى شيء غيرها لأنهم المقيدون بالسلاسل و الأغلال المحجوبون عن مشاهدته عالم الأنوار كما أشير إلى أحوالهم في الكتاب الإلهي وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا - فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ وَ قد حيل بينهم و بين ما يشتهون.

و منها أنهم تشبوا بكلام الأوائل من الحكماء

كأفلاطون و من قبله من الأساطين - و بإشارات الأنبياء المعصومين من الخطاء و الكذب و بآيات الصحيفة الإلهية كقول القائل الحق كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ وَ قوله تعالى لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ وَ قوله تعالى - رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١) وَ قوله تعالى رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ وَ قوله تعالى قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونِ.

١- الإمامة الأولى الإمامة عن الوجود الدنيوي و الإحياء الأول الإحياء بالوجود البرزخي و الإمامة الثانية الإمامة عن البرزخي و الإحياء الثاني الإحياء بالوجود الآخروي - و في هذا الوجود الآخروي يرد الأشقياء على جهنم بعد الحساب و الكتاب و الوزن و الجواز على الصراط و غير ذلك من المواقف و الوجود الآخروي يتفاوت مع الوجود البرزخي تفاوت الشدید مع الضعیف نسبته إليه نسبة اليقظه إلى النوم كنسبه البرزخي إلى الدنيوي و ذلك لأن الإنسان في البرزخ كمن يرتحل من منزله مسافرا و لكن كان نظره و توجه خواطره إلى القفا فما يسنح له في أثناء طريقه و في مقاماته كأنه يرى و لا يرى و لا يموت و لا يحيى فكأنه ذو حظ من الجانبين كما هو معنى البرزخ حتى يصير بصره حديداً و شهود قلبه أكيدا و عند ذلك يبدل الوجود البرزخي إلى الوجود الآخروي و هذا ما يقال بل أثر أن القالب البرزخي غير البدن الآخروي و لا يتفاوت في هذا أهل الصورة من السعداء و الأشقياء و أما أهل المعنى فيصعدون إلى عالم العقل و مقام المعنى بعد صحوهم عن عالم الصورة و التبدل بعضه بنفخه الصعق و بعضه بنفخه الفرع فقد ظهر أن الآيه إشاره إلى ما ذكر و ليست في التبدلات الطبيعية و لا سيما النقل على سبيل التناسخ، ر س ره

و الجواب أن الذى ورد من الأقدمين فى نقل النفوس الإنسانيه إلى الأبدان الحيوانيه وجهناه إلى غير ما وجهوه إليه و حملناه على غير ما حملوه من إثبات التناسخ- و كذا ما ورد فى الرموز القرآنيه و الكلمات النبويه لها محامل صحيحه غير ما فهمه أصحاب هذا المذهب فإن أكثر مواعيد النواميس الإلهيه إنما يتحقق فى دار أخرى غير هذه الدار و ليست الدار الآخره منحصره فى عالم العقل المجرد عن المقادير و الأشكال و الصور بل عالم الآخره عالمان عالم عقل نورى و عالم حسى منقسم إلى دار النعيم و دار الجحيم أحدهما نورانى و الآخر ظلمانى فالأول للمقربين و الثانى للسعداء الصالحين و أصحاب اليمين و الثالث للأشقياء المردودين إلى أسفل السافلين و أصحاب الشمال و المغالطه فى حمل كلام الأنبياء و الحكماء على التناسخ إنما نشأت من الخلط بين معنى الحشر و النسخ و من الغفله و الجهل بتحقيق عالم آخر متوسط بين عالم الطبيعه و عالم العقل فيه يحشر الناس على هيئاتهم المناسبه لأخلاقهم على التفصيل المقرر بينهم المشهور منهم حيث قرروا أن لكل خلق من الأخلاق المذمومه و الهيئات الرديه المتمكنه فى النفس أبدان نوع يختص بذلك الخلق كخلق التكبر و التهور المناسب- لأبدان الأسود و الخبث و الروغان لأبدان الثعالب و أمثالها و المحاكاه و السخريه لأبدان القروذ و أشباهها و العجب للطواويس و الحرص للخنازير إلى غير ذلك و كما أن لكل خلق ردى ء أنواع مخصوصه من الحيوانات مناسبه لأنواع ذلك الخلق فكذلك بإزاء كل مرتبه قويه أو ضعيفه منه بدن نوع خاص من تلك الحيوانات التى اشتركت فى ذلك الخلق كعظيم الجثه لشديد الشهوه و صغير الجثه لضعيفها و ربما كان لشخص واحد من الإنسان أنواع كثيره من الأخلاق الرديه على مراتب متفاوته فبحسب شدة كل خلق مذموم فى نفسه و ضعف ذلك و ما ينظم إليه من باقى الأخلاق المذمومه القويه و الضعيفه و اختلاف تراكيبها الكبيره التى لا يقدر على حصرها أحد إلا الله تعالى- يختلف تعلق نفسه المذمومه القويه و الضعيفه ببعض الأنواع من أشباح الحيوانات المذمومه دون غيرها و كذا يختلف تعلق بعضها ببعض أفراد نوع واحد دون الباقي ثم إذا زال ذلك الخلق رأسا أو زالت مرتبه شديده منه انتقلت نفسه بحسب خلق آخر يليه

فى الرءاءه نوعا أو مرءبه إلى بدن نوع آءر من الءىوانات المناسبه له إلى أن يزول عن نفسه الهىئات الرءيه كلها إن كانت قابله للزوال و إن لم تكن بقى فيها و الأبدان المناسبه منءقله من بعضها إلى بعض أءقبا كءيره إلى ما شاء الله و هذه كلها إنما يستصح و يستقيم عندنا فى غير النشاء الدنىاويه بل فى عالم الآءره فقوله تعالى كَلِّمًا نَضَّ بَحْثُ جُلُودُهُمْ بِإِدْلَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إشاره إلى تبدل أبدانهم المءاليه على الوجه المذكور لا كما زعمته التناسخيه من انءقال النفوس فى عالم الاستعدادات من ماده بدنیه إلى أخرى لاستءالته كما بيناه و قررناه و ليس لقائل أن يقول ما قررءم فى إبطال النقل بعينه جار فى ءعلق النفوس إلى الأبدان فى النشاء الآءره فإن البدن الأءروى إذا اسءعد لءعلق نفس به فلا بد أن يفيض عليه من الواهب نفس جءيده مءبره إياه فإذا ءعلء هذه النفس المنءقله عن الدنىا به لزم ءعلق نفسین ببدن واحد و هذا ممءنع فما هو جوابك فهو بعينه جوابنا.

لأننا نقول الأبدان الأءرويه ليست وجودها وجودا اسءعداديا و لا- ءكونها بسبب اسءعدادات المواد و حركاتها و ءهىؤاءها و اسءكمالاتها المءءرءه الءاصله لها عن أسباب غريبه- و لواءق مفارقه بل ءلك الأبدان لوازم ءلك النفوس كلزوم الظل لءى الظل ءىء إنها فائضه بمءرء إبداع الءق الأول لها بءسبب الءهات الفاعليه من غير مءاركة القوابل و ءهاتها الاسءعداديه فكل ءوهر نفسانى مفارق يلزم شءبا مءاليا ينشأ منه بءسبب ملكاته و أخلاقه و هىئاته النفسانيه بلا مءءليه الاسءعدادات و حركات المواد كما فى هذا العالم شىئا فشىئا و ليس وجود البدن الأءروى مءءما على وجود نفسه بل هما معا فى الوجود من غير ءخلل الءعل- بینهما كمعيه اللازم و الملزوم و الظل و الشءص فكما أن الشءص و ظله لا یتقدم أحدهما على الآخر و لم یحصل لأحدهما اسءعداد من الآخر لوجوده بل على سبيل ءبعیه و اللزوم- فهكذا قیاس الأبدان الأءرويه مع نفوسها المءصله بها.

فإن قلت النصوص القرآنیه داله على أن البدن الأءروى لكل إنسان هو بعينه هذا البدن الدنىاوى له.

قلنا نعم و لكن من حيث الصورة لا من حيث المادة و تمام كل شىء (١) بصورته لا بمادته أ لا ترى أن البدن الشخصى للإنسان فى هذا العالم باق من أول عمره إلى آخره بشخصه لكن لا من حيث مادته لأنها أبدا فى التحول و الانتقال و التبديل و الزوال- بل من حيث صورته النفسانية التى بها تحفظ هويته و وجوده و تشخصه و كذا الكلام فى كل عضو من أعضائه مع تبديل المقادير و الأشكال و الهيئات العارضة و الكيفيات اللاحقة فالعبرة فى حشر بدن الإنسان بقاؤه بعينه من حيث صورته و ذاته مع ماده مبهمه- لا من حيث مادته المعينه لتبديلها فى كل حين فكما أن جهة الوحده و التشخص فى بدن شخص واحد من حد الصبا إلى حد الشيخوخه مع تبديل كثير من الصفات بل كثير من الأعضاء و الآلات هى النفس و مرتبه مبهمه من الماده غايه الإبهام و لهذا لا يقال- لمن جنى فى الشباب و عوقب فى المشيب إنه غير الجانى فكذلك جهة الوحده فى البدن الدنياوى و البدن الآخروى هى النفس (٢) و ضرب من الماده المبهمه فلذلك تثاب النفس و تعاقب بالذات و الآلام لأجل ما صدر عنها من الأعمال و الأفعال البدنيه بهذه الجوارح و الأعضاء مع تبديلها فى الآخره إلى نوع آخر.

- ١- يعنى لا- يتوهم من قولنا حيث و حيث إنهما متغايران فى ركن ركين منهما- لأن صورته الشىء ماهيته التى هو بها هو كما حقق فى الأمور العامه فما هو من باب الفعلية محفوظ فيهما من الصورة الجسميه و الصورة النوعيه و الصورة الشخصيه و ليست الصورة الأخرويه فاقده شيئا إلا ما هو من باب القوه و القوه لا يناسب ذلك العالم لأنه دار الحصاد لا دار الزرع ففقدان القوه لا يخل بتحقيق الحقيقه بل يؤكد أنها لأن انتفاء القوه دليل على بقائها و دوامها كما هو مقتضى النشأ الأخرويه، س ره
- ٢- هذا الكلام إما مبنى على مذهب بعض العرفاء من أن الوجود المنبسط هو ماده الممكنات و الماهيات صورها كما مر فى العله و المعلوم من الأمور العامه لا- الماده المصطلح عليها فى الحكمه كما لا يخفى و إما مبنى على كون الماهيه ماده عقليه و هى محفوظه فى النشأتين و الملكات الحميده و الرذيله كالماده أيضا للأشباح التى لوازم لها و لحقات و تبعات لبدنه الآخروى بل كلها كبدن للنفس و مقامها الصورى الذى ذكرت أنه رقيقه الحقيقه، س ره

و الذى يؤيد ما ذكرناه من تبدل الأبدان ما ورد فى صفه أهل الجنة أنهم جرد مرد(١) أبناء ثلاثين سنة و أن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءه و فى صفه أهل النار أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل(٢) أحد و فخذة مثل البيضاء و مقعده من النار مسيره ثلاث مثل البريده الربذه و فى روايه أن غلظ جلد الكافر اثنان و أربعون ذراعاً و أن مجلسه فى جهنم ما بين مكه و المدينه و فى روايه أخرى أن الكافر يسحب لسانه الفرسخ و الفرسخين - يتوطاه الناس إلى غير ذلك من أوصاف الفريقين فى الآخرة.

و منها أن العالم الذى فيه الآفات

و العاهات و العقوبات و الشرور و الآلام هو هذا العالم العنصرى لما فيه من التضاد و التفسد و التزاحم و الأمور الاتفاقية و القسريه - دون غيره من العوالم لأنه أكتفها و أكدرها و أظلمها فينبغى أن يكون هذا العالم جهنم الأشقياء و الكفار و الأشرار و جحيمهم هى نار الطبيعه التى قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد و دركاتهما هى أبدان الحيوانات التى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها لتراكم جهالا-تهم و رداء أخلاقهم بخلاف السعداء الذين قال الله فيهم - لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَ وَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ و ذلك لاستحاله انتقال نفوسهم إلى الحيوانات المعذبه التى هى أبواب الجحيم و لكل باب مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ و ذلك لغلبيه الأخلاق المرضيه و الهيئات المحموده لها و إذا لم تنتقل نفوسهم إلى الأبدان العنصريه الكائنه الفاسده فلا يذوقون إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى التى هى مفارقتهم عن الأبدان الإنسانيه.

١- لا- منافاه بين الأ-جرديه و الأمرديه و الكون فى ظرف ثلاثين سنة إذ المراد أنهم من حيث صباحه المنظر و ملاحظته كصحيح الوجه و مليحه الذى هو اليافع أو المترعرع لا- شعور على وجهه و من حيث العقل و الشعور و تقويه القوى و تكامل الأعضاء و الاقتدار كمن هو ابن ثلاثين سنة، س ره

٢- جبل أحد بالحجاز و جبل البيضاء بدمشق و البريده معرب أصلها دم بريده لأنهم كانوا يقطعون ذنب الدابه لتسرع فى السير فخفف و قيل بريد بضم الباء ثم خفف بفتح الباء- ثم أطلق على الرسول الراكب إياها و كأنه قيل مسير ثلاثه أيام، س ره

و الجواب أن اختصاص التعذيب التام و العقاب الشديد فى نشأه لا يستلزم كونها أحسن النشآت فإن النشأه التى يقع فيها العذاب الأليم للأشقياء و الثواب العظيم للسعداء نشأه(١) إدراكه هى أصفى و أطف من هذه النشأه الكثيفه و هى الدار الآخره التى هى دار الحيوان و ذلك لأن الملذ و المؤذى فى الحقيقه ليسا(٢) من الأمور الخارجه عن الصور الإدراكيه الحاضره عند النفس الواصله إليها فكل مؤلم أو ملذ لنا ليس من المحسوسات الخارجه و لا- يمكن إدراكه بهذا الحس الظاهرى الدنيوى- بل بالحواس الباطنه الأخرويه و تلك الحواس هى التى بها يسمع و يبصر و يذوق و يشم و يلمس ما لا وجود له و نقول أيضا إن سكر الطبيعه و خدر النفس(٣) فى هذه الدار لأجل اشتغالها

١- فيه إشارة إلى ما فى الوحي الإلهيَّ الدَّارَ الْمَآخِرَةَ لِهَيِّ الْحَيَوَانِ و المقرب لكون الدار الآخرة عين الحياه و عين العلم و الإدراك ليست الحياه و الإدراك فيها من الطوارى و العوارى كما فى هذه النشأه الدنيويه نشأه النوم فإن النوم أخ الموت فإن كلما ترى فى النوم من سماء تظلك و أرض تحملك و صور بهيه تلذك و تبهجك أو صور مشوهه توحشك و تؤلمك كلها صورك العلميه قوى وجودها فإن كان فى المنامات الأضغاثيه- فتصرف متخيلتك فى صور خيالك المأخوذه فى اليقظه من الخارج و إن كان من المنامات الصادقه فبمشاهده الحس المشترك منك الصور العلميه التى فى المبادى و انعكاس تلك الصور إلى النفس أو بمشاهده حضوريه لها و على التقادير كلها عين العلم و الحياه، س ره

٢- كيف و اللذه و الألم ليسا إلا- إدراك الملائم و المنافر و الإدراك ليس إلا المدرك بالذات فإنه الصوره الحاصله عند المدرك و كما أن الأمر الخارجى ليس ملذا أو مؤلما- بل الأمر الإدراكى كذلك يمكن أن لا يؤلم الصوره الإدراكيه المؤلمه فإن مؤلميتها إنما هى باعتبار الوهم فإن صوره ضياع الأهل و المال يحزنك باعتبار وهمك و جعله زوال إضاقتك إليهما كأنه زوال ذاتك أو زوال صفاتك الحقيقيه كما أن وحشتك من صوره الميت الذى فى حياته كان أعجز شىء فضلا عن حال مماته أمر وهمى و كذا منافرتك عن أشياء تستقبحها فكأنك نفسك تنحت لنفسك مؤلما و موحشا و محزنا و مكيدا- فالويل منك عليك و طوبى لعبد يرى فى مظاهر اللطف و القهر ظهور ربه و يحبه فى جميع صور أسمائه فهو فى رضوانمَنَ اللَّهِ أَكْبَرُ،

س ره

٣- بالخاء المعجمه و الدال المهمله و منه التخدر و التخدير و هو بطلان إدراك الحاسه- و هو من مصطلحات الأطباء، ط مد

بأعمال البدن يمنعها أن تدرك آفات النفس و آلامها الحاصله لها المكتسبه من نتائج أعمالها و لوازم أخلاقها و ملكاتها الرديه إدراكا حقا غير مشوب بما تورده الحواس عليها- و تشتغل به و تلهو و تنسى فإذا ارتفع الحجاب عن الإنسان بالموت و انكشف الغطاء وقع بصره يومئذ إلى تبعات أفعاله و لحقات أعماله فيقع لها حينئذ إن كان سيئ الأخلاق قبيح الأعمال ردىء الاعتقاد الألم الشديد و الداهيه العظيمه كما فى قوله تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ فجحيم الآخره و إن كانت أطف من نعيم هذه الدنيا إلا أن عذاب الأشقياء و آلامها على الوجه اللائق إنما يتحقق فيها لا فى هذه الدار لأن لطافتها توجب ذلك لكون الإدراك الذى هو ملاك العذاب و مبنى التألم فيها أصدق و أصفى و قوله تعالى وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ* يشير إلى أن باعث الألم و العذاب موجود بالفعل هاهنا للكفار و هم لا يدركونه لسكر طبيعتهم و تخدر أذواقهم و عمى بصيرتهم من إدراكه و من تأمل فى الأهوال العظيمه التى قد يراها الإنسان فى نومه أو يتوهمها من غير سبب خارجى و لا جهه محسوسه مع أنه لم يقصر إيلامها عن إيلام الخارجيات بل ربما زاد عليها بما لا يقاس ليعلم يقينا أن عذاب الآخره- أَشَدُّ وَ أَبْقَى من عذاب الدنيا لأنه أشد استقرارا و أوصل إلى النفس و أغرز فيها من هذه الحسيات.

و منها أن التعذيب بالجهل المركب و غيره

إشارة

من الأحوال التى وعدّها الشارع- إن كان يلحق الجوهر الروحانى مجردا عن علائق الأجسام فكيف يحصل من مثله هذا التصور المحدود و ليست معه قوه التخيل(١) و الجهل المركب لا بد فيه من تصورات

١- هذا إشكال صعب على من يقول بالذات و الآلام الجسمانيه بعد المفارقة عن الماده و لا يقول بتجرد القوى تجردا برزخيا أيضا فإن الصورة الجزئيه المؤلمه أو الملهه لا بد فيها من قوه جزئيه تدركها و شوقيه تطلبها أو تبغضها و متخيله تركب و تفصل و فى الجهل المركب تغلط فى التركيب و التفصيل فى الموجبات و السوالب- كإسناد الجسم عيادا بالله إلى الله و السرير الجسمانى إلى جسمه أو سلب القدره و الاختيار عنه أو سلب عموم القدره عنه و قس عليه إذ النفس تدرك الكليات بذاتها و الجزئيات بآلاتها و المفروض أن آلاتها منتفيه و أما من يقول بتجرد القوى الباطنه و إن للنفس قوى هى منبع هذه القوى المشتته الطبيعیه ففى مندوحة منه، س ره

و تصديقات خلاف ما ينبغي منشؤها المتخيله و معلوم أن الفائض من المبادئ ما لم يكن سوء استعداد جرمي لا يكون إلا ما طابق الواقع من الاعتقاديات و غيرها فإن جهات الشر و الآفه و الكذب و الجهل الذى هو ضرب من الصوره العلميه و غيرها راجع إلى هيئات ماديه- فموضع التعذب بالآلام و الشدائد الأخرويه إن كان هو الجوهر المفارق لعلاقه الأجرام- فلا تعذيب بالجهل المركب و غيره لعدم التخيل غايه ما فى الباب أن يبقى فيه أخلاق و ملكات فإذا لم يبق فيه مدد إدراكي زالت بالكلية و لا- شوق إلى ما لا- تصور له بوجه- و لا- تخصص و لا- قوه شوقيه فلا تألم بالشوق أيضا إلى مشتيتها و لذاتها الدنياويه و قد ارتفعت المشوشات الحسيه عنه فكان حاله حينئذ كحال من سكنت قواه فنال الغبطه العظمى من الرحمه الإلهيه فى عالم القدس و الرحمه و إن كان موضوع التخيل هو الدماغ الإنسانى فهو يفسد حاله الموت و يفسد مع فساده التصور و الحفظ و الذكر و الفكر و إن كان جسما آخر فلكيا كما ظنه بعضهم فمعلوم أن علاقته الجوهر الروحاني أنما هى لنسبه بين الماده البدنيه و بين الجوهر الروحاني فأيه نسبه حدثت (١) بينهما بالموت حتى أوجب اختصاصه به و انجذابه من بين سائر الجواهر المفارقة لأبدانها إليه دون غيره من الأجرام بل إلى حيزه دون بقيه الأحياز من نوع ذلك الحيز.

ثم إن الجسم الذى هو موضوع تخيلات النفس يجب أن تتصرف فيه النفس- و تحركه بحركات جرميه تابعه للحركات النفسانيه و الانتقالات الفكرية كما يعرض لجوهر الدماغ من الانفعالات و التغيرات و إلا فلو لم ينفعل و لم يتغير الجسم الذى

١- المقصود أنه لا نسبه مخصصه حتى يخصص هذا الروح من بين سائر الأرواح- و يخصص هذا الجرم من بين سائر الأجرام فيلزم التخصيص بلا- مخصص لا- أنه لا- نسبه مطلقه بين ما يتعلق بالجسم الكثيف العنصرى و بين الجرم الأثيرى الفلكى و إلا أمكن أن يقال النسبه متحققه إذ قبل الموت أيضا الروح متعلق بما هو كالفلك إذ كما قلنا سابقا فى الإنسان كل الأشياء فيه شىء كالفلك و هو هذا الروح البخارى الذى هو متعلق الأول الذاتى للروح الأمرى فإن هذا البخار اللطيف فى الاعتدال و التوسط بين الأطراف كالحالى من الأضداد و لهذه المناسبه و المشابهه يطلق عليه الفلك كما أطلق الله تعالى فى كتابه المجيد على الفلك أيضا الدخان فكان الفلك هو البخار الدماغى للإنسان الكبير- الذى هو مجموع العالم و البخار الدماغى هو فلك العالم الصغير الإنسانى، س ره

تصرفت فيه النفس بانفعالاتها و تغيراتها لم تكن لها تصرف فيه بوجه من الوجوه فلا اختصاص له بها دون سائر الأجسام و ظاهر أن الجسم الفلكي يأبى عن تصرف متصرف فيه غير نفسه المحركه إياه حركه متشابهه متصله على نعت الاستمرار على نهج واحد- و إن كان موضوع ذلك التخیل جرما مركبا(١) دخانيا تحت كره الأثير و تحت فلك القمر المائل كما زعمه قوم آخر فهو أيضا غير صحيح لعدم اعتدال فيه يصلح لقبول النفس المدبره له فإنه إن قرب(٢) من النار أو من الفلك في حر النار فيحيله النار بسرعه إلى جوهرها أو تحيله سرعه حركه الفلك إلى جوهر النار و إن بعد منها و يكون في حيز الهواء فإما أن يتخلخل به فيصعد بحر أو يتكاثف فينزل ببرد و ليس فيه جرم محيط- يغلب عليه من اليبس و الصلابه ما يحفظه من التبرد و يحرسه عن ممازجه غيره به كما للجوهر الدماغي فينا ليتعين فيه محل التخیل متشكلا به و لا بد فيه من جوهر يابس لتتحفظ فيه الصور و جوهر رطب لتقبل.

ثم لما كانت النفوس المفارقة عن الأبدان الإنسانيه غير متناهيه(٣) لزم مما ذكرنا- من اجتماع المفارقات كلها على جسم من أجسام العالم فيلزم إما نهايه تلك الجواهر أو عدم نهايه ذلك و كلاهما محال.

و الجواب أن التجرد الواقع في كلام المشكك إن أراد به التجرد عن الأجسام الحسيه

١- إنما جعل هذا موضوعا من جعل لما ذكرناه من أن متعلق النفس في الحقيقه- إما الدخان كما في النفوس الفلكيه و إما البخار كما في النفوس الأرضيه و الأعصاب و الشرايين و الأورده و الأغشيه المجلله لها و اللحوم التي احتشت بها و غيرها أوعيه و وقايات لها، س ره

٢- و أيضا هذا مركب كما اعترفوا به و كل مركب ينحل و الحال أن دار الأشقياء كدار السعداء دار الخلود و لا ينكره القائل بانقطاع العذاب أيضا و إن قالوا إنه بسيط دائم لا يقبل الفساد فهو بالحقيقه فلك عاشر له طبيعه خامسه بأى ذنب استحق سلب اسم الفلكيه كما سيقول المصنف قدس سره إنه الجرم الإبداعى المنحصر نوعه في شخصه- و أيضا متناه و أصغر من فلك القمر فإشكال ازدحام النفوس الغير المتناهيه على المتناهى- أكد منه على الفلك، س ره

٣- أى اجتماعيه لا تعاقبيه إذ مانع الاجتماع و هو الماده و لواحقها منتفيه، س ره

و الأشباح البرزخيه جميعا فليس الحال كذلك فى النفوس الناقصين و المتوسطين لأنها و إن تجردت عن الحسيه لم تتجرد عن المثاليه و إن أراد به التجرد عن الحسيه دون المثاليه فهو صحيح و لا فساد فيه كما سيجى ء بيانه فى باب المعاد و أما قوله فكيف يحصل عن مثله هذا التصور المحدود و ليست معه قوه التخيل فهو ممنوع لأن الجوهر المفارق عن القوى الطبيعيه دون المثاليه و عن الحواس الظاهره دون الباطنه له إدراكات جزئيه تخيليه و له قوه متخيله منبعثه عن ذاته لما أشرنا سابقا أن للنفس فى ذاتها سمعا و بصرا- و قوه باطنيه و تحريكه لكن قوه تحريكها و قوه إدراكها ترجع إلى أمر واحد و كذا ترجع بعض إدراكاتها إلى بعض فى الوجود الجمعى فترجع قدرتها(١) إلى إدراكها- و يرجع تخيلها إلى بصرها الباطنى بل هذه القوى الظاهره كلها ظلال لما فى جوهر النفس من الجهات و الحشيات الموجوده فى ذاتها بوجود واحد جمعى و قد تفرقت و تكثرت و امتدت ظلالها فى ماده البدن و تشكلت بأشكال الأعضاء و الأدوات فلها فى ذاتها عين باصره و أذن سامعه و ذوق و شم و لمس و قوه فعليه من شأنها تصوير الحقائق على الوجه الحضورى المشاهد لها على طبق ما يتصوره الآن فى هذا العالم فإن المعرفه و التصور هاهنا بذر المشاهده فى العقبى و التفاوت بين التصور هاهنا و المشاهده هناك يرجع إلى

١- رجوع قدرتها إلى علمها كما فى الواجب تعالى فإن علمه فعلى لا انفعالى- و رجوع تخيلها إلى بصرها كما فى النوم الذى هو أخ الموت لأن كلما يرى و يسمع و بالجملة- يدرك مشاهدات قويه و إدراكها مشاهده لا تخيل و التفصيل فى المقام أن القوى الظاهره و الباطنه للنفس فى هذه النشأ عشر و فى النشأ المثاليه عشر لتطابق العوالم و استفاضه هذا العالم من ذلك العالم لكن لفسحه ذلك و خلوه عن حجب المواد و الأوضاع و الأزمنه و نحوها تضرب العشر فى مثله ففى بصره ينطوى كل العشر و فى سمعه أيضا و هكذا فيحصل مائه و فى النشأ العقليه الواحده بالوحده الحقه الظليه أيضا يتحقق العشر و تضرب المائه فيها فتصير ألفا فمدرك واحد هو النفس بوحدتها و بساطتها مشتمل على كل القوى الألفيه فهو الكل فى وحدته و لهذا هو فاعل لهذه القوى المتكثره فى عالم الطبيعه بالتجلى أو بالعنايه و إلى هذا أشار قدس سره بقوله بل هذه القوى الظاهره أى فى عالم الظاهر و الشهاده كلها ظلال لما فى جوهر النفس و امتدت ظلالها فى ماده البدن لَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ، س ره

القوه و الضعف فكل ما يتمنى المرء يدركه فإن كان تأملات الرجل و تصوراته فى هذا العالم من باب الخيرات و الحسنات و النيات الصالحه صارت ماده لجنت و رضوان و روح و ريحان و ملائكه يسر بمنادمتها فى الدنيا و يرتاح برؤيتها و معاشرتها فى أخراه- و إن كانت من الشرور و القبائح و النيات الفاسده و الأمانى الكاذبه و المؤذيات الباطنه صارت ماده لحيات و عقارب و نيران فى قبره و مالک غضبان و شياطين يتضرر بمنادمتها فى أولاه- و يتأذى برؤيتها و مصاحبته فى أخراه و أما قوله لما كانت النفوس المفارقه عن الأبدان غير متناهيه يلزم اجتماع المفارقات كلها إلخ.

فهو مدفوع أما (١) أولا فلأن الكلام (٢) ليس فى جميع المفارقات من النفوس بل إنما هو فى نفوس الأشقياء و لا يلزم ما ذكره فإن النفوس بعضها مما لا يتعلق بالأجرام- و ما يتعلق منها بالأشباح المثاليه و إن فرض كونها غير متناهيه لم يلزم منه فساد لعدم التزام فى الأشباح المثاليه على محل واحد مادى فيجوز عدم تناهيها و على هذا لا يلزم نهايه تلك الجواهر و لا عدم نهايه الأجسام و أما باقى مقدماته فبعضها مما يحكم بصحتها و نعين عليها لموافقتها لما نحن فيه و بعضها مما لا يضرنا صحتها و لا فسادها

-
- ١- ظاهره أن يكون هناك وجه ثان من الدفع و ليس فى الكلام شىء يدل على ذلك، ط مد
 - ٢- هذا الكلام و كذا قوله و إن فرض كونها غير متناهيه يدل بظاهره على تناهى نفوس الأشقياء و ليس كذلك فإن النفوس و إن كانت نفوس المقربين و نفوس الأشقياء البالغين إلى غايه الشقاوه غير متناهيه فضلا عن المتوسطين فى السعاده و الشقاوه النازلين منزله الأصحاء الظاهرين و إن لم يكونوا بالغين أقصى مراتب الصحه فإن العالم و إن كان حادثا كما هو التحقيق لكن لا انقطاع لفيض الله تعالى فإن الفيض قديم و المستفيض حادث و الصنع قديم و المصنوع حادث و كلمات الله تعالى لا تنفذ و لا تبديد و لعله قدس سره فى مقام المنع بنى على مذهب القائلين بانقطاع العذاب و الشقاوه عن الكفار فى دار البوار بكون طباعهم كطباع سمندر و نعامه و نحوهما فنفس الأشقياء من حيث إنهم أشقياء متناهيه و كذا بنى على قول شيخ الإشراق الآتى عن قريب فى الجهال و الفجار من النجاه إلى الروح الأكبر، س ره

فلا نتعرض لها نفيا وإثباتا ولا قدحا وتصويبا.

ثم إنى (١) لأتعجب من بعض الموصوفين بفقہ المعارف الإلهية والاستشراف للأنوار الملكوتية كصاحب التلويحات مع شدة توغله فى الرياضيات الحكمية وفهم الأسرار واعتناؤه بوجود عالم آخر بين العالمين كيف صوب فى التلويحات قول بعض العلماء من كون جرم سماوى موضوعا لتخيلات طوائف من السعداء والأشقياء لأنهم

١- أقول كون جسم الفلك لصفائه و لطافته مظهرا للصور المتخيلة لنفوس طوائف من السعداء لا- فساد فيه و لهذا الصفاء مع صور ما دونه منقوش فيه كما أشار فى حكمه الإشراق إليه بقوله و اعلم أن كل شىء مما فى العالم العنصرى مصور فى الفلك على نحو ما وجد ها هنا بجميع هيئاته و كل إنسان منقوش فيه بجميع أحواله و حركاته و سكناته ما وجد و ما سيوجد انتهى و قال العلامة الشيرازى فى شرح قول الشيخ الإشراقى فى موضع آخر ٤٠ و هى أى نقوش الكائنات التى فى الأفلاك- ك مصوره واجبه التكرار كلما كان فى الوجود شىء يعلم كل الكائنات المستقبل على ترتيبها كالنفوس الفلكية أو تنتقش فيه كذلك كالأجرام الفلكية فتكرار كل ما يقع من الحوادث على الوجه المذكور واجب لكن المقدم حق لما سبق من البيان فالتالى حق انتهى و لا- منافاه بين كون الصور قائمه بذواتها و كونها ذوات مظاهر كما أن الخيال عند المصنف قدس سره مجرد الروح الدماغى مظهر له و للمتخيل بالذات الذى هو عين الخيال عنده- و الصور الخيالية و المرآتية عند الشيخ الإشراقى من عالم المثال المطلق و ليس الروح الدماغى و لا- المرائى محال تلك الصور بل هى مظاهرها فظهور الصور القائمة بذواتها فى المظاهر ليس من باب احتياج تلك الصور بل هذا خاصية وجود ذلك المظهر و ظهور الخيال و المتخيل أى النفس فى مقام التجرد البرزخى فى جسم الفلك ليس يصيرها نفسا له كما أن ظهور الصور المرئية فى المرائى لخاصية وجودها و صقالتها و علاقه نفس بتلك الصور التى فيها لا- يجعل المرائى ذوات نفس و لا- ينافى كونها فى تصرف طبائعها و قواها فلا يلزم التناسخ و كما أن الفلك مظهر عالم المثال الأعظم كذلك مظهر عالم المثال الأصغر و أن يتحاشوا من كون الموجود الملكى مظهر الموجود الملكوتى فالنفس ملكوتية مظهرها البدن و هو ملكى و الصور الخيالية ملكوتية و الروح الدماغى مظهرها و هو ملكى و سيأتى فى المعاد إثبات مظاهر فى هذا العالم للجنة و النار و ما سيذكره من أنه لا أبدان لها حتى يكون لها نسب و ضعية بها إلى تلك الأجرام و تكون هى كالمرائى لها مدفوع بأنه لم لا يجوز أن يكون كما فى القوى و الأرواح الدماغية فهذا الذى ذكرناه معنى ما قاله الشيخ فى حكمه الإشراق و السعداء من المتوسطين و الزهاد من المنزهين قد يتخلصون إلى عالم المثل المعلقة التى مظهرها بعض البرازخ العلوية- و لها إيجاد المثل و القوة على ذلك فيستحضر من الأطمعه و الصور و السماع الطيب و غير ذلك على ما يشتهى و تلك الصور أتم مما عندنا فإن مظاهر هذه و حواملها ناقصه و هى كامله و يخلدون فيها لبقاء علاقتهم مع البرازخ و الظلمات و عدم فساد البرازخ العلوية انتهى و قد علمت أن البرزخ فى اصطلاح حكمه الإشراق هو الجسم الطبيعى و قال أيضا فيها و قد يحصل من بعض النفوس المتوسطين ذوات الأشباح المعلقة المستنيرة- التى مظاهرها الأفلاك طبقات من الملائكة لا يحصى عددها و هذا أيضا معنى ما نقل شارحها العلامة عن الأوائل و عن أفلاطون من انتقال النفوس الكاملين فى العمل دون العلم إلى الأفلاك و معنى ما نقل المصنف قدس سره نفسه فى مبحث علم الواجب تعالى من إلهيات الأسفار عن المعلم الأول أن الأشياء الطبيعية بعضها يتعلق ببعض و إذا فسد بعضها صار إلى صاحبه علوا إلى أن يأتى الأجرام السماوية ثم النفس ثم العقل و معنى ما

ورد في أخبار أهل العصمة أن الجنة في السماء كما في قوله تعالى **فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ** و بالجمله اعتراضاته قدس سره على الشيخ الإشراقي في هذا الباب غير وارده نعم ترد على الشيخ الرئيس و أترابه ممن لا- يقول بعالم المثال إلا أن يبنى كلامهم على مجرد الخيال كما يشير إليه ما نقله قدس سره سابقا عن مباحثات الشيخ بل يشير إليه هذا القول منهم من تعلق خيال هؤلاء بالفلك و شبهه إذ لو كان ماديا منطبعًا في المحل انتفى بانتفاء المحل، س ره

لم يتصور لهم العالم العقلى و لم ينقطع علاقتهم عن الأجرام و هم بعد فى عقولهم بالقوه- التى لم تخرج نفوسهم منها إلى الفعل و احتاجت إلى علاقه البدن.

فقال إنه كلام حسن إلا أنه خالف ذلك القول فى تعلق نفوس الأشقياء بتلك الأجرام الشريفة ذوات النفوس النورانية و قال و القوه تحوجهم إلى التخيل الجرمى- و ليس يمتنع أن يكون تحت فللك القمر و فوق كره النار جرم كروى غير متخرق هو نوع بنفسه و يكون برزخا بين العالم الأثيرى و العنصرى موضوعا لتخيلاتهم فيتخللون به من أعمالهم السيئه مثلا من نيران و عقارب تلذع و حيات تلسع و زقوم يشرب و غير ذلك.

و قال و بهذا يندفع ما بقى من شبه أهل التناسخ و لست أشك لما اشتغلت به من

الرياضات أن الجهال و الفجره لو تجردوا عن قوه جرميه مذكوره لأحوالهم مستتبعه لملكاتهم و جهالاتهم مخصصه لتصوراتهم نجوا إلى الروح الأ-كبر انتهى و أنت قد دريت أن كون جسم من الأجسام فلكيا أو غير فلكى موضوعا لتخيل نفس لا تستتم إلا بأن يكون له معها علاقه عليه و معلوليه بالذات أو بتوسط ما له معها تلك العلاقه بالذات بأن تكون النفس صورته كماله له بذاتها أو بحسب بعض قواها الذاتيه أو العرضيه و بالجملة لا بد أن يكون ذلك الجسم فى تصرف النفس بوجه من الوجوه و أقل ذلك كما يكون لها بالنسبه إلى آله وضعيه كالمرائى أو الأشياء الصقيه- التى قد تكون مظاهر بعض إدراكاتها بحسب علاقه وضعيه لتلك الآله إلى الماده البدنيه- التى هى موضوعه لأفاعيل النفس و ماده لقواها و مطرح لأنوارها المنبعثه عن ذاتها النيره إليه و ليس الجرم الفلكى أو ما يجرى مجراه مما يؤثر فيه شىء مباين عن نفسه الفائضه عليه من مبدئه و قد أشرنا سابقا إلى أن الأ-جرام العلويه ليست متأثره عن غير مبادئها العقلية لا- منطبعه و لا- قابله لتأثيرات غريبه من العلل القسريه و الأسباب الاتفاقية و كذا ما يجرى مجراها من كونه جرما علويا غير متخرق و لما لم يكن لتلك النفوس المفارقة أبدان عند هؤلاء الذاهبين إلى كون جرم سماوى موضوعا لتخيلا-تهم- حتى يكون لأبدانهم علاقه وضعيه إلى تلك الأجرام العاليه لتصير تلك الأجرام كالمرآه لتلك النفوس يشاهد ما فيها من الصور بتوسط العلاقتين إحداهما طبيعیه و الأخرى وضعيه متوقفه على الطبيعه فمتى ارتفعت العلاقه الطبيعیه للنفس بالنسبه إلى بدنها بالموت مثلا ارتفعت العلاقه الوضعيه لها بالنسبه إلى جرم من الأجرام إذ الثانيه متفرعه على الأولى فإذا بطل الأصل بطل الفرع فظهر بطلان ما ذهبوا إليه و أيضا على أن يكون الجرم الفلكى كالمرآه موضوعا لتخيلا-تهم كان المتخيل لهم فى الصور هى الموجوده فيه المتمثله عند نفسه و ليست الصور المتمثله فى الأفلاك إلا ما هى من تخيلات الأفلاك لا ما هى من تخيلات تلك النفوس و محال أن يكون جرم علوى- نسبته إلى نفسه نسبه جوهر الدماغ إلينا ثم يتصور بنقوش و صور خياليه غير التى أنشأتها نفسه الشريفة العلويه و إذا كان الأمر كما ذكرناه فيمتنع أن يكون فى الأجرام

العاليه هيئات مؤلمه شريره و أوهام مظلمه موحشه معذبه حتى يتعذب بها الأشقياء- و ما يتعذب به تلك النفوس على ما اعترفوا ليس إلا- هيئاتها الرديه و تخيلاتها الكاذبه و عقائدهم الباطله و آرائهم الخبيثه دون الصور المطابقه لما فى الواقع لأن الكائن فى القابل الذى فى غايه الخلو و الصفاء كالأجرام العاليه من الفاعل الذى فى غايه الشرف و التقدر كالمبادئ العقلية لا يكون إلا صوراً حقه و مثلاً عينيه مطابقه للأمور الواقعه فى نفس الأمر فلا يستتم ما قالوه و لا يستقيم ما تصوروه من كون تلك الصور مما يتعذب به الأشقياء كما أن هذا رأى فى الجرم الفلكى غير صحيح فكذلك فى الجرم الإبداعى- المنحصر نوعه فى شخصه غير صحيح لأن هذا الجرم أيضاً طبيعه خامسه فلكيه على ما صورته و إن كان حيزه تحت كره القمر للزوم كونه عديم الحركه الغير المستديره دائماً- و سائر ما يلزمه من صفات الأفلاك و لعل عدد نفوس الأشقياء غير متناه فكيف يكون جرم موضوعاً لتخيلاتهم أى لتصرفات نفوسهم فيه و فى صورها الإدراكيه الغير المتناهيه- المنقوشه فيه كما هو رأى هؤلاء القوم و لا أقل من أن يكون ذا قوه غير متناهيه إذ لا بد أن يكون بإزاء كل ارتسام بصوره فى جسم قوه استعداديه أو انفكاك فى ذلك الجسم- و هو معلوم الفساد بل الحق ما حققناه من أن الصور الملذذه للسعداء أو المؤلمه للأشقياء فى النشأه الثانيه كما وعدنا صاحب الشريعه الإلهيه و أوعدها عليها هى واقعته فى نشأه أخرى و فى صقع آخر غير حاله فى جرم من الأجرام و لا قائمه فى قوه جرميه بل قائمه بذواتها إنما مظاهرها نفوس هاتين الطائفتين بضرب من الفعل و التأثير كما أن الصور و الأشباح التى فى المرآه ليست قائمه بها بل مظهرها تلك المرآه بضرب من القبول- و لا منافاه بين صدور الفعل عن قوه بجهه و انفعالها إلذاذاً و إيلا ما بجهه أخرى كما أن (١) الصحه و المرض البدنيين ينشئان من نفسه فى بدنه فى هذه الدار ثم تنفعل

١- و كما أن الإنسان فى النوم تنشئ نفسه الصور البهيه و تلتذذ نفسه بها و تنفعل منها و الصور الموحشه و تنفعل بالخوف الألم منها فكما أن الطبيعه هنا بأسباب معده- من حسن تدبير أو سوء تدبير تعين عليها الصحه المعينه أو المرض المعين و لا تخصص من غير مخصص و الشئ ما لم يجب لم يوجد و النفس أيضاً هنا بأسباب مهيئه من أعمال اختياريه فى اليقظه و أمور طبيعيه مزاجيه فى البدن و روحه البخارى تعين عليها تصوير صورته خاصه من غير أن تكون بإرادته جزافيه كذلك النفس فى النشأه الآخره لأجل سبق أعمال و ملكات ساقها الأسباب القدرية إلى إنشاء صور أخرى مناسبه لها لا يجوز عليها غيرها- و إن قويت مكيدته و اشتدت مقدرته إذ السخيه معتبره بين العله و المعلول و لهذا ورد إنما هى أعمالكم ترد إليكم و نعم ما قال المولوى-
 گر ز خاری خسته ای خود کشته ای و ر حریر قز دری خود رشته ای و لما كان كل المبادئ المفارقة و المقارنه و سائط فيضه تعالى و جهات فاعليته تعالى- فالكل من عنده قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و كما لا ينافى موجوديته الحقيقه موجوديه الأشياء- كذلك لا ينافى إيجاد الحقيقى المحيط و عموم قدرته موجوديه الأشياء و فاعليتها فالإنسان لا بد أن يكون ذا العينين و هو الحسنه بين السيئتين، س ره

النفس عنهما و يكون من أحدهما فى لذه و راحه و من الآخر فى ألم و مشقه و ذلك لكون النفس ذات جهتين جهه عقليه فعليه و جهه طبيعيه انفعاليه فهكذا يكون حالها بحسب فعل الطاعات و المعاصى المؤديه للصور الحسنه و القبيحه فى الدار الآخره عند تجسم الأعمال فيتنعم بإحدهما و يتعذب بالأخرى و تانك الجهتان المصححتان لكون النفس فاعله لشىء و منفعله عنه هما موجودتان فى النفس قبل أن تصير عقلا محضا- و حينئذ يكون فعالا و دراكا بجهه واحده كما أشير عليه سابقا من أن فيه و عنه فى العقل البسيط و هو العقل الفعال شىء واحد فقد ثبت أن جميع ما يلحق النفس فى الآخره هو ما ينشأ منها و النفوس الغير الكامله علما و عملا أو علما فقط أى نفوس السعداء المتوسطين أو الناقصين فى العلم و العمل أو الناقصين فى العلم أو الأشقياء الناقصين فيهما و إن تجردوا عن المواد و الأجرام الدنياويه الطبيعيه لكنها متعلقه بعد بالأشباح الأخرويه التى هى فى باب الإلذاذ و الإيلام أشد و أدوم من هذه الأجرام المستحيله كما فى قوله تعالى وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقَى بل هذه النار و إيلامها- من جملة آثار النار الآخره و عذابها أو عينها لكنها تنزلت و تكدرت و ضعفت قوتها و تأثيرها

كما روى عنه ص: أن ناركم هذه من نار جهنم غسلت بسبعين ماء ثم نزلت

و قس النور على النار حتى تعلم أن نعيم الدنيا بالنسبه إلى نعيم الآخره شىء حقير.

تأييد و تذكره

و مما يؤيد ما ذكرناه من بطلان تعلق النفوس بعد الموت بجرم فلكى أو عنصرى و ينور ما قررناه من أن الصور الأخرويه

التي بها نعيم السعداء و جحيم الأشقياء ليست هي التي انطبعت في جرم فلكى أو غير فلكى بل هي صور معلقه موجوده للنفس من النفس في صقع آخر مرتبه بأعمال و أفعال- حدث عنها في دار الدنيا و أثمرت في ذاتها أخلاقا و ملكات مستتبعه لتلك الصور المعلقه- هو ما قاله قدوه المكاشفين محي الدين العربى عليك أن تعلم أن البرزخ الذى تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأ الدنياويه هو غير البرزخ الذى بين الأرواح المجرده و الأجسام لأن تنزلات(١) الوجود و معارجه دوريه و المرتبه التى قبل النشأ الدنياويه- هي من مراتب التنزلات و لها الأوليه التى بعدها من مراتب المعارج و لها الآخريه.

و أيضا التى(٢) تلحق الأرواح فى البرزخ الأخير إنما هي صور الأعمال.

١- لا أن التنزلات استقاميه و المعارج انعطافيه فإن الدائره أفضل الأشكال لبساطتها و وحدتها لأنها غير متناهيه و نسبه مركزها إلى أطرافها من جميع الجوانب على السويه فناسبت الوجود فى جميع هذه الجهات فكل مرتبه من هذه الدائره يوازيها و يحاذيها ما يماثلها حقيقه و يغايرها من وجه ففى القوس النزولى عقول مجردة فطره بلا تجريد مجرد فيوازيها فى القوس الصعودى عقول بالفعل متحده بالعقول الفعاله بعد ما كانت متجرده بالتجريد و التعريه عن الماده و لواحقها حيث إن النفوس جسمانيه الحدوث و إن كانت روحانيه البقاء و من هنا كانت حملته العرش فى الأول أربعه و تكون فى الآخر ثمانيه-وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ هُمُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى بِانضمام الأربعه الموجوده بالوجود الرابطى فى صراط الإنسان الكامل الأعظم ففى مراتب كل من الدائرتين تمايز مع أصل محفوظ إذ الوجود حقيقه واحده ذات درجات و فى القوس النزولى نفوس مقدمه على المثال دهرها فيوازيها فى الصعودى نفوس مؤخره عن المثال زمانا و هكذا هناك مثال و هنا مثال كما قال هذا الشيخ العارف المحقق و هناك طبائع زمانيه، س ره

٢- و أيضا الأول موطن أخذ العهد و الميثاق بالإقرار بالربوبيه و هو الذر الرابع و البرزخ الأخير موطن صوره الوفاء بالعهود و صورته نقض عهد المعبود و اعلم أن عالم الصوره و المثل الشبحيه المطابقه لهذه الصور الكونيه المثبتة قبل هذه متفق عليه بين الإشراقيين و المشائين أو العلم بالجزئيات الدائره قبل وجودها بهذا النحو أيضا للحق بما هي من صقع العليم الحكيم مجمع عليه بينهم إلا- أن تلك الصور قائمه بذواتها عند الإشراقيين و لذا سموها المثل المعلقه و قائمه بالأنفس المنطبعه الفلكيه عند المشائين، س ره

و نتيجة الأفعال السابقة فى الدنيا بخلاف صور البرزخ الأول فلا يكون أحدهما عين الآخر لكنهما يشتركان فى كونهما عالما روحانيا و جوهرا نورانيا غير مادية انتهى.

و يؤيدها أيضا ما قد صرح به فى الفتوحات أيضا فى الباب الحادى و العشرين و ثلاثمائة من أن هذا البرزخ غير الأول و يسمى الأول بالغيب الإمكانى و الثانى بالغيب المحالى لإمكان ظهور ما فى الأول فى الشهادة و امتناع (١) رجوع ما فى الثانى إليها إلا فى الآخرة و قليل من يكاشفه بخلاف الأول و لذلك يشاهد كثير منها و يكشف بالبرزخ الأول فيعلم ما يريد أن يقع فى العالم الدنياوى من الحوادث و لا يقدر على مكاشفه أحوال الموتى و كذا قوله فى الباب الثالث و الستين منها بعد تبين ما يراه الإنسان فى المرآة و إلى مثل (٢) هذه الحقيقة يصل الإنسان فى نومه و بعد موته - فى الإعراض صوراً قائمه بأنفسها تخاطبه و يخاطبها أجسادا حامله أرواحا لا - يشك فيها - و المكاشف يرى فى يقظته ما يراه النائم فى حال نومه و الميت بعد موته كما يرى فى الآخرة صور الأعمال مع كونها أعراضا و يرى الموت كبشا أملح مع أن الموت نسبة مفارقة عن

١- لا يقال القاعده العقلية لا تخصص فالممتنع دائما ممتنع. لأننا نقول إنما قال ذلك تصديقا للعقل و الشرع أن الصور الأخروية لا بد أن تكون عين الصور التى فى عالم الشهادة إلا فى الأخروية و الدنيوية و يمكن أن يراد بالرجوع فى الآخرة أنها فى الآخرة مرجوع إليها للصور الدنيوية أو أنها ترجع إلى الشهادة - من حيث إنها شهادة أى نفس الوصف العنوانى لا من حيث إنها عالم الطبيعة و الدنيا أى الصور فى الآخرة تصير أقوى و أتم مما فى البرزخ و أشهد و أكشف و فى نسخه سفر النفس التى عندى كلمه إلا - كانت فى الحاشية و لعلها إلحاقه من المحرفين و حينئذ فلفظ فى الآخرة متعلق بما فى الثانى و مشعر بالعليه للامتناع سيما إن كانت كلمه فى للتعليل أى كيف لا يمتنع الرجوع و الآخرة لا تكون دنيا و هما نشأتان متخالفتان تخالف الغايه و المغيا،
س ره

٢- وجه الشبه بين الحقيقة المرآتية و الحقيقة النومية و الحقيقة الأخرية يؤكد بشرطين - أحدهما أن لا تكون تلك الحقيقة قائمه بالمرآة - و ثانيهما أن يكون الروح المتعلق بهذا البدن الطبيعى متعلقا بذلك الشبح ليكون حيا، س ره

اجتماع و من الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس و منهم من يدركه بعين الخيال أعنى فى حال اليقظه و أما فى النوم فبعين الخيال قطعا و قوله أيضا فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت فى البرزخ من الأمور بعين الصور التى هى بها فى الدنيا و قوله أيضا فى آخر هذا الباب و كل إنسان فى البرزخ مرهون بكسبه محبوس فى صور أعماله- إلى أن يبعث يوم القيامة فى النشأ الآخرة

فصل (٤) فى تتمه الاستبصار لهذا الباب من جهه كيفيه نسبه النفس إلى البدن و الإشارات إلى الموت الطبيعى و أجله و الفرق بينه و بين الأجل الاخرامى

اعلم أن النفس حامله للبدن لا البدن حامل لها

كما ظنه أكثر الخلق حيث قرع أسماعهم من أنها زبده العناصر و صفوه الطباع و ظنوا أيضا أن النفس تحصل من الجسم و أنها تقوى بقوه الغذاء و تضعف بضعفه و ليس كما توهموه إنما النفس تحصل الجسم و تكونه- و هى الذاهبه به إلى الجهات المختلفه(١) و هى معه و مع قواه و أعضاء تدبره حيث ما أرادت و تذهب به حيث ما شاءت من هبوط إلى أسفل أو صعود إلى فوق بحيث يمكنه مع كثافه البدن و ثقله فتمتى أرادت صعوده تصير صاعدا و يتبدل ثقله خفه و إذا أرادت

١- ٤٧ و نعم ما قال الشيخ الرئيس إن الناس لكون الحس عليهم غالبا إذا رأوا أن المغناطيس يجذب مثقالا من الحديد صاروا يتعجبون منه و طفقوا يستغربونه و لم يتعجبوا من جذب نفوسهم أبدانهم الطبيعىه إلى الميمنه و الميسره و الصعود إلى فوق و الهبوط إلى أسفل فقد يسكن و قد يتحرك و قد يعدو و قد يصرع و قد يلحقه أوضاع آخر بحيث إنه مسخر تحت قدرتها كالكره تحت الصولجان و الأوراق و الأغصان تحت الريح ٤٧ و نعم ما قيل من أن خيالى صلحشان و جنگشان و ز خيالى نامشان و ننگشان و بنظر آخر أرفع و أعلى و بمشرب آخر أعذب و أحلى قيل - ٤٧ ما همه شيران ولى شیر علم حمله مان از باد باشد دمبدم حمله مان پیدا و ناپیداست باد جان فدای آنکه ناپیداست باد ، س ره

هبوطه يهبط و يتبدل خفته ثقلا و أما الطلوع^(١) إلى عالم السماء و جنبه الأرواح و السعداء و المنزل الأعلى فلا يمكنها أن ترقى إلى هناك بهذه الجثة الكثيفه بل ببدن نوري من جنس تلك الدار إذا تخلصت من هذه البنية المظلمه كما أن الطلوع إلى جنبه المقربين و صقع الكاملين من الصور المفارقة العقليه و مثل الأفلاطونيه النوريه لا يتيسر

١- إن قلت كيف يتمشى هذا الكلام مع القول بالمعراج الجسماني. قلت ليس الكلام في نفوس الأنبياء و لا في مقام الإعجاز ففي نبينا الخاتم ليس الترقى بالجثة الكثيفه بمعنى أن السالبه منتفيه بانتفاء الموضوع بل ترقيه بجسده اللطيف- فإن الجسم الذي يرى من خلفه كما من قدامه و لا- ظل له ليس كثيفا بل هو ألطف من الفلك الأقصى فهو عرج بجسده الظاهري كيف و هو قدس سره سيقول في المعاد الجسماني- إن المحشور يوم النشور هو هذا البدن الذي في الدنيا و المعراج الجسماني و المعاد الجسماني توأمان يرتضعان من ثدى واحد متقاربان في الأحكام و ليت شعري كيف يتفوه الحكيم العالم الرباني بأنه لم يعرج بجسمه و إنما عرج بروحه مع أن عروج الروح يستلزم عروج الجسد فإن الحقيقه هي الرقيقه و عروجها مستلزم لعروجها بل عين عروجها- فضلا عن أن يعتقد بعروج جسده المثالي أيضا و صورته الشئ ما هيته التي هو بها هو لكن الإنسان الحكيم العارف ينبغي أن لا يقف و يقصر على هذا الاستلزام و الانطواء بل يعتقد عروج جسده الظاهري أيضا بالاستقلال و إذا بلغ الكلام إلى هذا المقام لا- بأس أن نذكر كلاما جمليا في باب المعراج فإن التفصيل لا يناسب طور هذه التعليقه فنقول قد ورد في الأخبار المستفيضه و أشير في قوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الْآيَه أنه لما أسرى به ص إلى المسجد الأقصى أتى جبرئيل ع بالبراق و عليه السرج و اللجام المرصعان بالجواهر النفيسه و له أجنحه كالطيور و لما أراد ع أن يركب نفر و شرد البراق و أتى به جبرئيل ثانيا و أركب رسول الله ص فحضر سلما له مدارج من الأرض إلى السماء فعرج به إلى السماوات تدريجا و شاهدهن و ما فيهن ثم بدل البراق بالرفرف و عرج إلى أن كل جبرئيل- و يرقى ص إلى حريم الكبرياء و أوحى إلى عبده ما أوحى و رأى ما رأى و باقى التفصيل في الأخبار. فوقع اختلاف عظيم بين الأمه. فمنهم من قال إن هذه القضية كانت في المنام لروايه عويشيه و خبر معاويى- و هذا القول من الأباطيل. و منهم من قال إنها كانت في اليقظه و لكن بالروح فقط. و منهم من قال إنها كانت بالجسد إلى المسجد الأقصى كما هو نص الكتاب لا إلى فوق السماء. و هذا عندى باطل لأن عروجه إلى السماء صار من ضروريات الدين و ضرورى الدين لا- يطالب له مناط من الكتاب و السنه و غيرهما و لو وجد فهو تفضل نعم خصوصياته مأخوذه من الأخبار و ضرورى الدين كضرورى العقل غنى عن الدليل. و معظم أهل المله البيضاء قالوا إنها كانت في اليقظه و بالجسد من المسجد الحرام إلى ما فوق السماء. و مذهب عرفاء المله و بعض حكمائهم أنها كانت في اليقظه كما ذكرناه و لكن بالجسد المثالى و جميع ما رآه عندهم صور مثاليه كما ذكر الشيخ محى الدين فى الصور الأخرويه و الشيخ الإشراقى فى المرآتيه فيقولون لكل معنى صورته و لكل حقيقه رقيقه- فجميع ما يراه السلاك إلى الله تعالى محتاجه إلى التفسير عن التقشير كرويا محتاج إلى التعبير فالإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى متحقق فى عالم الصورة و هو صورته الانتقال فى الملكوت من مقام إلى مقام و اتمام الأنبياء ع به فى الصلاه- صورته تأسى أولياء أمته المرحومه الذين هم ورثه الأنبياء به ص و البراق صورته مركب الطاعات كما قال ع: الصلاه معراج المؤمن و السرج و اللجام صورته جمعيه الخاطر و حضور القلب و الجواهر النفيسه صور المحبه و الإخلاص و الخضوع و الخشوع و نحوها و نفور البراق و توحشه صورته خاطر بشرى فى الأجرام و إتيان جبرئيل إياه نفى ذلك الخاطر بالعقل الكلى الذى هو مسدده إلى الصواب بل روحانيته ص و الرفرف

صوره جامعیه بین الوحده و اکثره و بین لوازم الروحانيه و لوازم الطبيعه تخلقاً بأخلاق من ليس كمثله شىء و هو السميع البصير و شكل جبرئيل الذى هو كشكل دحيه الكلبى صورته العقل الكلى و رقيقه روح القدس و كلال جبرئيل و منه بالتشديد عن السير صورته أفضليته ص عن الملائكه و إن كانوا من الملائكه المقربين و تخطيه إلى مقام لا يقتحم فيه غيره و هو مقام أو أدنى كما أخبر عنه بقوله ص: لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب و لا نبي مرسل ٥٠ و نعم ما قال العطار النيشابورى چون بخلوت جشن سازد با خليل پر بسوزد در نگنجد جبرئيل چون شود سيمرغ جاناش آشكار موسى از وحشت شود موسيجه وار و قس على هذا سائر ما ورد و إياك أن تتوهم هذا قول بالمعراج الروحاني - لأن القائل بالروحاني فقط لا يقول بالصورة أصلاً بل العروج عنده ترقيات روحانيه للروح النبوى من غير أن يرى صورته سلم و ترقيات على مدارجه الصوريه و الصعود على السماء هو التخطى فيه بخطوات الفكر و أقدام العلم و البراق استعاره من الطاعه و السرج و اللجام و الجواهر النفيسه كنيات و استعارات عن ضبط القلب عن الخواطر النفسانيه - و ورود الخواطر الملكيه و الربانيه من غير صورته متمثله و أشباح متجوهره لها فى حاله الغيبه و حين المراقبه فضلاً عن رؤيه صاحب السلوك نفسه إذ رب مراقب و مجاهد فى سبيل الله يرى صور مجاهدته بأن يشاهد معركه فيها مطارده جنود نوريه و جنود ظلمانيه و غير ذلك و رب مراقب و مجاهد لا يرى صورته مجاهدته مع تحقق معناها لأن ذلك أمر لا يتيسر لكل سالك إلا بقوه السلوك و العرفان و قدم النبوه و الولايه و الحق أنه ص عرج بجسده الشريف الظاهرى فى يقظته إلى فوق السماء و بروحه القدسى إلى حريم أو أدنى و حريم الكبرياء و للمنكرين للعروج الجسماني شبهات أقواها - امتناع الخرق و الالتيام المقرر فى الحكمه فذهب كثير من المتكلمين حتى المحقق اللاهيجى فى گوهر مراد إلى اختصاص الامتناع بالفلك الأقصى و أن الأخبار داله على عروجه ص إلى ما فوق السماء و السماوات فى الشرع سبعة و ما عداها العرش و الكرسي فالخرق و الالتيام حيث استلزما أن تكون الجبهه محدده قبل الفلك الأطلس لا به - مع أنه المحدد للجبهات اختصاص امتناعهما به و العجب من هذا المحقق مع براعته فى الفن - كيف تفوه بذلك فإن الفلك معناه الجسم البسيط ذو الطبيعه الخامسه التى هى مبدأ الميل المستدير الآبى عن الميل المستقيم فإن قبل الميل المستقيم أو ما يلزمه كالحر و البرد و التخلخل و التكاثف و نحوها لم يكن فلکا و ليت شعري بأى ذنب استحق سلب اسم العنصر و لا تفاوت بينهما إلا بمبدئى الميلين فبمجرد أن لا يجرى فى الباقي دليل الامتناع المختص بالمحدد الذى هو من باب تحديد الجبهه لا - يرفع الامتناع من الباقي - إذ الدليل غير منحصر فيه كما عرفت و نفى الخاص لا يستلزم نفى العام فالحق أن عروجه ص إلى السماوات حتى الأطلس مع كونه بجسده الشريف لا يستلزم الخرق لغايه لطافته التى وصفنا قليلاً من كثيرها فى أول الحاشيه أ لم تسمع أن أهل الصنعه - يدبرون أدهانا إذا طلى على راحه الكف سرى إلى ظهره من دقته و أجساما يسمونها أرواحا لكثرت لطافتها من كثرة التقطيرات و التصعيدات و غيرهما سريعه الغوص فى أجسام آخر يسمونها أجسادا لكثافتها بحيث كأنها تنفذ فى أقطارها لا فى زمان و أ لم تر أن وعاء آخر مملوا من تراب لا يسع فيه تراب آخر أصلاً و يسع الماء مقدارا يعتد به و إذا كان مملوا من الماء بحيث لا يسعه يسع الهواء و إذا كان زق مملوا من الهواء بحيث لا يسع الزياده عليه منه يسع النار و قس عليه النار و الفلك فرضاً و كل سافل من فلك بالنسبه إلى أعلى منه لو فرض السريان كل ذلك لألطفيه السارى من المسرى فيه فجسم النبى الختمى ص الذى هو مركز دوائر الأفلاك لألطيفته منها لا غرو أن ينفذ فى أقطارها و لا يخرقها و من يقول إنه ص عرج بجسده المثالى لا بجسمه الظاهرى - لو عرف أن النسبه بينهما نسبه التمام و النقصان و أنهما كنقش قائم بلوح ثم يقوم بذاته - بحيث يكون القائم بذاته جامعاً لجميع ما هو من باب الكمال فى ذلك القائم بالغير غير فاقد ما هو من باب الفعلية لم يتفوه بما قال و من الشبهات قوله تعالى قالوا لئن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله الملائكه قبيلاً أو تكون لك آية من زخرف أو ترقى فى السماء و لئن نؤمن ليرقيك حتى تنزل علينا

كِتَابًا نَقَرُوهُ قُلُوبُ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ نَفَى عَنِ الْبَشَرِ مَقْدَرَهُ الْعُرُوجَ الْحَسْبَى أَقُولُ التَّعَجُّبَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَتَأْتِي بِاللَّهِ لَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى التَّرْقَى إِلَى السَّمَاءِ فَلَا يَنَافِي الْبَشَرِيَّةَ كَمَا لَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ وَقَسَ عَلَيْهِ سَائِرَ شَبَهَاتِهِمُ الْوَاهِيَّةَ وَ مَا سَيَّأَتِي فِي تَحْقِيقِ الْمَعَادِ الْجِسْمَانِي نَعَمْ الْعَوْنُ عَلَى تَحْقِيقِ الْمَعْرَاجِ الْجِسْمَانِي فَانْتَظِرْ، س ر ه

لها إلا- إذا انفصلت عن علوق الأبعاد و الأ-جرام و انقطعت عن الأمثال و الأشباح- و تجردت عن الكونين و رفضت العالمين و الغرض من هذا الكلام أن النفس لترقيها- إلى هذه المعارج أجل من أن تتبع البدن فى وجودها بل البدن من توابع وجودها فى بعض المراتب السفليه و بهذا الأصل ينفسخ مذهب التناسخ و مذهب من يرى أن

منشأ انقطاع النفس عن هذا البدن بالموت الطبيعي هو انتهاء قوه البدن و نفاد حرارته الغريزيه و كلال آلاته و تعطل نظامه و
تزلزل أركانه كما ظنه الجمهور من الأطباء و الطبيعيين أن انقطاعها من البدن لاختلال البنيه و فساد المزاج بل الحق أن النفس

تنفصل عن البدن بسبب استقلالها في الوجود على التدريج و تنقطع شيئاً فشيئاً من هذه النشأه الطبيعيه إلى نشأه ثانيه لما مر من إثبات الحركه الذاتيه للوجود في الجواهر المتعلقه بالمواد الهيولانيه فالنفس تتحول في ذاتها من طور إلى طور و تشتد في تجوهرها من ضعف

إلى قوه و كلما قويت النفس و قلت إفاضه القوه منها على البدن لانصرافها(١) عنه إلى جانب آخر ضعف البدن و قواه و نقص و ذبل ذبولاً طبيعياً حتى إذا بلغت غايتها فى الجوهر و مبلغها من الاستقلال ينقطع تعلقها عن البدن بالكلية و تدبيرها إياه و إفاضتها عليه فعرض موت البدن و هذا هو الأجل الطبيعى دون الأجل الاخرامى الذى بسبب القواطع الاتفاقية فمناً ذبول البدن بعد سن الوقوف إلى أن يهرم ثم يعرض الموت هو تحولات النفس بحسب مراتبها و قربها إلى النشأ الثانيه التى هى نشأ توحدها و انفرادها عن هذا البدن الطبيعى و انفصالها عن هذه الدار و استقلالها فى الوجود و هذه الحالات البدنيه المشاهده من الإنسان من الطفوليه و الشباب و الشيب و الهرم و الموت كلها تابعه لما بحذائها من حالات النفس فى القوه و الفعل و الشده و الضعف على التعاكس- فكلما حصلت للنفس قوه و تحصل حصل للبدن و هن و عجز إلى أن تقوم النفس بذاتها و يهلك البدن فارتحالها يوجب خراب البيت لا أن خراب البيت يوجب ارتحالها فما قيل فى الفرس نظماً-

جان قصد رحيل کرد گفتم که مرو گفتم چه کنم خانه فرو می آید

أنما يصدق فى الموت الاخرامى لا الطبيعى و بالجملة أكثر القوم لما لم يتفطنوا فى النفس بهذه الحركه الرجوعيه و هى السفر إلى الله الذى أثبتناه فى أكثر(٢)

١- فتصير قليله المبالاه بالبدن و بتعميره فيخرب شيئاً فشيئاً. إن قلت نحن نرى كثيراً من النفوس تكره الموت و تعتنى بالبدن أزيد و فى القدسى ٥٢: ما ترددت فى شىء كترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت و أنا أكره مساءته قلت التوجه إلى جانب آخر و قله المبالاه بهذا الجانب أنما هما بحسب الفطره العقلية و بحسب الطلب الذاتى للغنى عن البدن و قواه مستكفيه بذاتها و باطن ذاتها- فلا ينافى كراهه الوهم و الخيال موت البدن و أنهما أجنبيان منها بوجه و بالجملة طلب الموت طلب الغنى و الكمال و هذا مطبوع العقل و مفطور عليه النفس جدا، س ره

٢- أى الإمكانية و هى غير العقول الكليه لأنها تامات متصلات بالأصل و سيدكر بعد سطور أن جميع الموجودات التى فى هذا العالم فى السلوك أى جميع ما فى العالم الطبيعى و الأكثرية باعتبار أنه عالم الكثره و عالم المعنى عالم الوحده، س ره

الموجودات ذكروا وجوها غير سديده فى حكمه الموت و فى ما بيناه يظهر المناسبه فى إطلاق لفظ الطبيعى على هذا الموت دون ما ذكروه و قد سبق أيضا أن الذى بيناه - لا ينافى الشقاوه الثابته لطائفه من النفوس و تعذبهم فى الآخره بالجحيم و النيران و غضب الرحمن و سائر ما سيجرى عليهم جزاء لأعمالهم و تبعات لأفعالهم و نتائج لأخلاقهم - و ملكاتهم السيئه و اعتقاداتهم الرديه الفاسده كما سينكشف لك زياده الانكشاف - و إذا تحقق ما ذكرناه فى الموت الطبيعى و أن منشأ توجّه جبلّى إلى جانب الآخره - و القرب من الله تعالى ظهر و تبين بطلان التناسخ مطلقا بجميع أقسامه و استحاله تعلق النفس بعد موت بدنّها العنصرى سواء كان بالأجل الطبيعى أو بغيره ببدن طبيعى آخر و انتقالها من بدن إلى آخر إذ لو انتقلت من بدن و تعلقت بآخر لكان تعلقها به عند أول تكونه حين كونه نطفه حيوان أو جنين فى رحم كما اعترفوا به فيلزم على ما أصلناه من البيان الخلف من عدم التطابق التعاكسى بين مراتب استكمالات النفس و البدن - على الوجه المذكور

تذكره فيها تبصره:

اعلم أيها السالك إلى الله الراغب إلى دار كرامته بقوه الحدس أنك قاصد إلى ربك صاعد إليه منذ يوم خلقت نطفه فى قرار مكين و ربطت بها نفسك تنقل من أدون حال إلى حال أكمل و من مرتبه هى أنقص إلى مرتبه هى أعلى و أحكم و إلى درجه هى أرفع و أشرف إلى أن تلقى ربك و تشاهده - و يوفيك حسابك و يوزن حسناتك أو سيئاتك فتبقى عنده إما فرحانه مسروره مخلده أبدا سرمدًا مع النبين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا و إما محزونّه متألمه خاسره معذبه بنار الله الموقده التى تطلع على الأفئده مع الكفره و الشياطين - و الفجره و المنافقين فبئس القرين و نحن قد بينا من قبل أن جميع الموجودات التى فى هذا العالم فى السلوك إلى الله تعالى و هم لا يشعرون لغظه حجابهم و تراكم ظلماتهم - لكن هذه الحركه الذاتيه و هذا السير إلى الله تعالى فى الإنسان أبين و أظهر سيما فى الإنسان الكامل الذى يقطع تمام هذه القوس الصعوديه التى كنصف دائره من الخلق إلى الحق كما يعرفه أهل الكشف و الشهود من العلماء الذين لم تعم أبصارهم الباطنيه

عن إدراك حقائق الأشياء كما هي عليها بغشاوه التقليد و الامتراء و حجب الهوى و الدنيا- و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

تمثيل:

مثال البنية الإنسانية في هذا العالم مثال السفينة المحكمه الآله في البحر بما فيها من القوى النفسانيه و الجنود العمال فيها المسخره بإذن الله المرتبه في أمر هذه السفينه المصلحه بحالها فإن سفينه البدن لا يتيسر السير بها إلى الجهات إلا بهبوب رياح الإرادات فإذا سكنت الريح وقفت السفينه عن السير و الجريان و بسم الله مجراها(١) و مرساها فكما أنه إذا سكنت الريح التي نسبتها إلى السفينه نسبه النفس إلى البدن وقفت السفينه قبل أن يتعطل شيء من أركانها- و يختل واحده من آلاتها كذلك جسد الإنسان و آلاته إذا فارقتها النفس لا يتهيا له الحس و الحياه التي في مثالنا بمنزله حركه السفينه و إن لم يعدم بعد شيء من مواد البدن و آلاته و أعضائه إلا ذهاب نفخ الروح الذي بمنزله ريح السفينه و البرهان حقق أن الريح ليس من جوهر السفينه بل حركتها تابعه لحركته و لا السفينه حامله للريح بل الريح حاملها و محركها بإذن الله و مجراها باسم الله و لا تقدر السفينه و من عليها من

١- اعلم أن اسم الله في عرف العرفاء الشامخين عبارته عن حقيقه الوجود مأخوذا بتعين من التعينات الصفاتيه الإلهيه فإذا أخذ بتعين الظاهريه بالذات و المظهرية للغير فهو اسم النور و إذا أخذ بتعين ما به الانكشافيه لذاته و لما عدا ذاته فهو اسم العالم- و إذا أخذ بتعين كونه خيرا جميلا- مبتهجا بذاته و بآثار ذاته من حيث إنها آثاره راضيا بها محبا لها فهو اسم المريد و الشائي و الودود و الراضى و إذا أخذ بتعين الفياضيه على سبيل الشعور و المشيه فهو اسم القادر و هكذا الأسماء الآخر و قد يطلق الاسم على كل وجود من حيث إنه آيه و سمة لكمال من كمالات الله إذا عرفت هذا فاعرف أن كون مجرى الفئتين و مرساهما باسم الله معناه أن وجود الريح و كذا وجود الربان و تبعته و وجود النفس و قواها و إرادتها أسماء الله تعالى الفعالة أو باسمه المقيم المبدئ المنشئ و باسمه الآخر المرجع المعيد القهار مجراهما و مرساهما و عند العرفاء أسماء الله تعالى هي أرباب الأنواع الفعالة فيها فالأفعال التي يترأى بنظر غيرهم من المظاهر- كالمبادئ المقارنه التي هي القوى و الطبائع و المبادئ المفارقة كالنفوس و العقول بنظرهم- من الأسماء الحسنی، س ره

الجنود و القوى المختلفه الراكبه عليها على استرجاع الريح بعد ذهابها بحيله تعملونها أو صنعه يصنعونها كذلك الروح و نفخه ليس من جوهر الجسد و لا الجسد حامل الروح و لا يقدر أحد من القوى و الكيفيات المزاجيه على استرجاع النفس إذا فارقت الجسد فهذا مثال أن حياه البدن و حركته تابعتان للنفس لا النفس تابعه لهما و لهذا بطل مذهب التناسخ الذى عبارة عن استرجاع النفس و نقلها إلى البدن بعد ذهابها عنه تاره أخرى من جهة صلوح مزاجه و استعداد مادته لأن المزاج تابع للنفس كما سبق- من أنها الحافظه للمزاج الجامعه لأجزاء البدن الجابره لعناصره على الالتئام لا النفس تابعه له و لعناصره.

و أما الفرق بين الأجل الطبيعى و الاخترامى فى مثال السفينه هو أنك إذا علمت- أن هلاك السفينه بما هى سفينه من جهتين إما بفساد من جهة جرمها أو انحلال تركيبها- فيدخلها الماء و يغرق و يهلك من فيها إن غفلوا عنها و لم يتداركوا بإصلاح حالها- كهلاك الجسد و قواه من جهة غلبه إحدى الطبائع من تهاون صاحبه به و غفلته عنه- فلا تبقى النفس معه إذا فسد مزاجه و تعطل نظامه و تعوجت نسبته و انحرفت عن الاعتدال و ضعفت آله كما لا- يبقى الريح للسفينه بسبب اختلال آلتها و الريح موجوده فى هبوبها غير معدومه فى الموضع الذى كانت قبل هلاك السفينه فتلك النفس باقيه فى معدنها كبقاء الريح فى أفقها و عالمها بعد تلف الجسم و أما الجبهه الثانيه و هى بأن يكون هلاك السفينه بقوه الريح العاصفه الهابه الوارده منها على السفينه ما ليس فى وسعها و وسع آلاتها حمله فتضعف الآله و تكسر الأداه لضيق طاعتها عن حمل ما يرد عليها- كذلك النفس إذا قويت جوهرها و اشتدت حرارتها الغريزيه المنبعثه عنها إلى البدن ضعف البدن عن حملها و انحل تركيبه و جفت آلاته و فئت رطوباته لاستيلاء الحراره- فإن التحقيق عندنا أن الحراره الغريزيه فى المشايخ أكثر و أشد من حراره الشبان- و إنما لم يظهر أثرها فيهم لقله الحامل و ذبول الماده عكس ما هو المشهور من أن حرارتهم- أقل من حراره الشبان و كذا منشأ عروض الموت الطبيعى غلبه الحراره بالذات الموجهه لإفناء الرطوبه المؤدى إلى فناء الحراره عن البدن بالعرض فيقع الموت ضروره فعروض

الموت الطبيعي من باب الضرورات اللازمه لبعض الغايات الذاتيه كما علمت فى مباحث أقسام العلل و الغايه الذاتيه هاهنا هى قوه النفس و كمالها و اشتداد جوهر الروح و قوه نفخ الصور التى نظيرها فى مثال السفينه شده الريح العاصفه عليها ثم لا يخفى عليك أن أحوال سكان هذه السفينه عند هذه العاصفه الشديده لا تخلو عن أمرين فإن كان من فيها عارفين بموجب التقدير الربانى اطمأنت نفوسهم و سلموا إلى ربهم قبل أن ينكشف الغطاء و ارتحلوا من الدنيا و وعظ بعضهم بعضا بالصبر و قله الجزع و شوق الارتحال إلى دار المعاد فإذا تم لهم العلم بهذه السياسه القدرية و الحكمه القضائيه و العمل بموجب العقل و الإيمان فقد استراحوا من الغم و الحزن و وصلوا إلى النعيم الدائم و إن كانوا غير عارفين بموجب التقدير الإلهى و أن كل ما يفعله الحكيم خير و صواب- و لا- مستمعين لحديث الانقياد و التسليم فجزأؤهم الجحيم و الحرمان عن النعيم و البعد عن رضوان الله العليم الحكيم

فصل (٥) فى أن لكل شخص إنسانى ذاتا واحده هى نفسه و هى بعينها الحى المدرك السميع البصير العاقل و هى أيضا الغاذى و المنمى و المولد بل الجسم الطبيعى المتحرك النامى الحساس بوجه

اشاره

اعلم أنا قد بينا هذا المعنى بوجه من البرهان فيما سبق إلا أنا نريد أن نوضح ذلك- زياده إيضاح لما فيه من عظيم الجدوى فى باب معرفه التوحيد الأفعالى للحق الأول- فنقول إن كل أحد منا يعلم بالوجدان قبل المراجعه إلى البرهان أن ذاته و حقيقته أمر واحد لا- أمور كثيره و مع ذلك يعلم أنه العاقل المدرك الحساس المشتهى و الغضبان و المتحيز و المتحرك و الساكن الموصوف بمجموع صفات و أسماء بعضها من باب العقل و أحواله و بعضها من باب الحس و التخيل و أحوالهما و بعضها من باب الجسم و عوارضه و انفعالاته و هذا و إن كان أمرا وجدانيا لكن أكثر الناس لا يمكنهم معرفته- من باب الصنائه العلميه بل أنكروا هذا التوحيد إذا جاءوا إلى البحث و التفتيش إلا من

أيده الله بنور منه و من عجز عن توحيد نفسه كيف يقدر على توحيد ربه و الذى وصل إلينا من القدماء فى هذه المسأله أنهم لما فرقوا أصناف الأفعال على أصناف القوى و نسبوا كل واحد منها إلى قوه أخرى احتاجوا إلى بيان أن فى جملتها شىء كالأصل و المبدأ- و أن سائر القوى كالتوابع و الفروع.

و لنذكر المذاهب المنقوله فى هذا الباب

إشاره

و دليل كل فريق فذهب بعضهم إلى أن النفس واحده و هم على قسمين.

فمنهم من قال إن النفس تفعل الأفاعيل بذاتها لكن بواسطه آلات مختلفه- يصدر عن كل قوه خاصه فعل خاص منها و هو مذهب الشيخ الرئيس و من فى طبقته.

و منهم من قال إن النفس (١) ليست بواحد و لكن فى البدن نفوس عده بعضها حساسه و بعضها مفكره و بعضها شهوانيه و بعضها غصبيه.

أما المنكرون لوحده النفس

فقد احتجوا بما سبق ذكره من أنا نجد النبات و لها النفس الغذائيه و الحيوانات و لها النفس الغذائيه و الحساسه دون المفكره و العقلية- فلما رأينا النفس النباتيه موجوده مع عدم النفس الحساسه و الحساسه موجوده مع عدم النفس الناطقه علمنا أنها متغايره إذ لو كانت واحده لامتنع حصول واحد منها إلا عند حصول كلها بالاسم و لما ثبت تغايرها و استغناء بعضها عن بعض ثم رأيناها مجتمعته فى الإنسان علمنا أنها نفوس متغايره متعلقه ببدن واحد.

و هذا الاحتجاج ردى فإن كثيرا من الأنواع (٢) البسيطة كالسواد قد يوجد

١- هذا مقابل قوله قدس سره فذهب بعضهم إلخ و الثانى من القسمين هو مذهب المصنف قدس سره لم يذكره لطوله و سيجىء تحقيقه كما مضى أو إن الثانى من القسمين القول بأن النفس واحده و القوى تفعل أفاعيلها و بعلاقه مجازيه تستند إلى النفس و هذا سخي ف جدا و لذا لم يتعرض له أو سقط من القلم، س ره

٢- لك أن تجيب بأن المناط فى الاستدلال هو الطبائع المحصله النوعيه كاللحم و الحركه و السمع و البصر كما مر فى مبحث القوى و اللون طبيعه مبهمه فانيه فى الفصول- كما هو شأن أجناس البسائط الخارجيه التى لا يمكن أخذها موادا فانفكاك اللون عن القابض تابع محض لانفكاك المفرق الذى هو فصل البياض و تغاير الفصلين لا كلام فيه، س ره

بعض مقوماتها الموجوده بوجود واحد فيه كاللون موجودا فى موضع مع عدم المقوم الآخر كقابض البصر و لا يلزم من ذلك أن وجود اللون غير وجود قابض البصر فى حقيقه السواد.

و أيضا (١) ليست القوه الغذائيه الموجوده فى النبات مثلا هى القوه الغذائيه الموجوده فى الحيوان متحده بالنوع و كذا ليست الحساسه الموجوده فى الحيوان الغير الناطق مع الحساسه الموجوده فى الإنسان متحده فى الحقيقه النوعيه بل إنهما متحدان فى المعنى الجنسى أعنى إذا أخذ معناهما مطلقا بلا شرط الخلط و التجريد مع غيره فالحساس مثلا معنى واحد جنسى و إن كان هو فصلا للحيوان المأخوذ جنسا فإذا أخذ هذا المعنى أى الحساس بحيث يكون تام التحصل الوجودى فهو مما قد تم وجوده من غير استعداد و استعداد لأن يكون له تمام آخر و هذا كما فى سائر الحيوانات و إذا أخذ على أنه غير مستقل الوجود بل لا يتحصل وجوده و حقيقته إلا بأن يكون له تمام آخر به يتم حقيقته و يكمل وجوده فهذا المعنى مغاير للمعنى الأول بالنوع و إن كان واحدا معه بالجنس فالحكم بأن الحساس مغاير للناطق أنما يصح فى القسم الأول منه دون القسم الثانى فالنفس الحساسه فى سائر الحيوانات مغايره للنفس المتفكره و لكنها شىء واحد فى الإنسان و هكذا القول فى النفس الغاويه التى فى النبات و التى فى الحيوان و الإنسان بالنسبه إلى النفس الحساسه أو الناطقه فاعلم هذه القاعده فإنها تنفعك جدا-

و أما الموحدون

فقد احتجوا على مذهبهم بأن قالوا قد دللنا على أن الأفعال

١- لك أن تجيب بأن الانفكاك المأخوذ فى دليلهم ليس مخصوصا بقوتين فى موضعين - بل أجروه فيما هو فى موضع واحد كانفكاك الجذب عن الإمساك إذ قد يتحقق فى مريض واحد شخصى الجذب و يختل الإمساك أو الدفع أو الهضم فى القوى الطبيعیه و انفكاك الدرك عن الحفظ أو الحفظ عن التصرف فى القوى الدماغيه لشخص واحد كما هو مقرر فى الأمراض فى الطب و الجواب أن الكلام فى النفوس الثلاثه لا- فى قواها الخادمه- ثم إن المراد من الاختلاف النوعى أنما هو بالعرض كالاختلاف النوعى بين مراتب الأعداد- باعتبار لوازمها فإن اختلاف النفس الناميه فى النبات و الناميه فى الحيوان و الحساسه فى الحيوان و الحساسه فى الإنسان باعتبار الاختلاف بين الإبهام و التحصل و القوه و الفصليه- و الحركه و الوقوف و نحوها و هى لوازم هذه الحقائق، س ره

المتخالفه للنفس مستنده إلى قوى متخالفه و أن كل قوه من حيث هي لا يصدر عنه إلا فعل مخصوص فالغضبيه لا تنفعل عن اللذات و الشهويه لا تتأثر عن المؤذيات و لا تكون القوه المدركه متأثره مما تأثر عنه هاتان القوتان و إذا ثبت ذلك فنقول إن هذه القوى تاره تكون متعاونه على الفعل و تاره تكون متدافعه أما المتعاونه فلأننا نقول متى أحسنا الشئ ء الفلانى اشتهينا أو غضبنا و أما المتدافعه فلأننا إذا توجهنا إلى الفكر اختل الحس أو إلى الحس اختل الغضب أو الشهوه و إذا ثبت ذلك فنقول لو لا وجود (١) شئ ء مشترك لهذه القوى يكون كالمدير لها بأسرها و إلا لا تمتنع وجود المعاونه و المدافعه لأن فعل كل قوه إذا لم يكن مرتبطا بالقوه الأخرى و ليست الآله مشتركه بل لكل منها آله مخصوصه و جب أن لا تحصل بينها هذه المعاونه و إذا ثبت وجود شئ ء مشترك فذلك المشترك إما أن يكون جسما أو حالا- فى الجسم أو لا- جسما و لا حالا فيه و القسمان الأولان باطلان بما سبق فى الفصول الماضيه فبقى القسم الثالث و هو أن يكون مجمع هذه القوى كلها شيئا واحدا لا يكون جسما و لا جسمانيا و هو النفس.

أقول هذا كلام غير مجد فى هذا الباب و لا واف بحل الإشكال فإن لأحد أن يقول ما دريتم بكون النفس رباطا لهذه القوى فإن عنيتم به أن النفس عله لوجودها- فهذا (٢) القدر لا يكفى فى كون النفس هي بعينها الحساس الغذى الساكن الكاتب الضاحك بل كونها عله لوجود هذه القوى لا- يكفى فى كون البعض معاونا للآخر على فعله أو معاوقا له فإن العله إذا أوجدت قوى مخصوصه فى محال متباينه و أعطت لكل واحده منها آله مخصوصه كان كل واحده منها منفصله عن الأخرى غنيه عنها متعلقه بها بوجه من الوجوه فشروع بعضها فى فعله الخاص كيف يمنع الآخر عن فعله أ ليس أن العقل الفعال عندكم مبدأ لوجود جميع القوى الموجوده فى الأبدان فيلزم من كونها بأسرها معلوله لمبدأ واحد و عله واحده أن يعوق البعض عن البعض أو يعينه على ذلك.

١- لو لا تحضيضيه فلا جواب لها أو شرطيه و إلا عطف عليها و امتنع هو الجواب، س ره

٢- إلا أن يفهم معنى العليه على مذاق العرفاء و هو التشؤن و أنه تعالى فاعل بالتجلى لكنه لا يلانم مذاق المشائين، س ره

و إن عنيتم به أن النفس مدبره لهذه القوى و محرکه لها فهذا يحتمل وجهين - أحدهما أن يقال إن النفس تبصر المرئيات و تسمع المسموعات و تشتهي المشتبهات - و تكون ذاتها محلا لهذه القوى و مبدأ لهذه الأفعال و متصفه بصفاتها و هذا هو الحق الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و لكن من الذى أحكمه و أتقنه و دفع الشكوك و أزاح العلل المانعه لإدراكه فإن الأمر إذا كان كذلك فكيف يقع (١) و يسوغ القول بتعدد القوى و يحصل التدافع تاره فى فعلها إذا كان الكل جوهرًا واحدًا له هويه واحد و بالجملة القول به يوجب القول بطلان القوى التى أثبتها الشيخ و غيره من الحكماء فى الأعضاء المخصوصه المختلفه المواضع فإن النفس إذا كانت هى الباصره و السامعه و المشتبهه فأى حاجه إلى إثبات قوه باصره فى الروح التى فى ملتقى العصبين و إلى إثبات قوه سامعه فى الروح التى فى العصب المفروش الصماخى.

و أيضا يلزم أن يكون الإنسان إنما أبصر و سمع لا بإبصار و سماع قائم بذاته بل بإبصار و سماع قائم بغيره و الوجه الثانى أن يقال إن المعنى بكون النفس رباطا أن القوه الباصره إذا أدركت صورته شخص معين أدركت النفس (٢) الناطقه أن فى الوجود شخصا موصوفا بلون كذا و شكل كذا و وضع كذا و كل على وجه كلى لا يخرج انضمام بعضه إلى بعض فى شىء من ذلك الشىء عن الكليه فإنك قد عرفت أن الكلى إذا قيد بصفات كليه

١- و الجواب أن الفاعل بجميع هذه الأفعال هو النفس لكنها لمكان تجردها و تعلق هذه الأفعال بوجه ما بالماده تحتاج إلى أجزاء مختلفه من البدن شأنها تخصيص الفاعل المجرد بفعله و لولاها لم يقع تخصيص و لو لا التخصيص لم يتم فعل لاستواء نسبه المجرد إلى جميع الماديات و هذا الذى ذكرناه هو بالحقيقه محصل ما سيدكره فى ذيل كلامه - و بالنظر إليه يرجع محصل الإشكال على هذا الوجه إلى أنه حق لكنهم لم ينقحوه على ما ينبغى، ط مد ظله

٢- فالصوره الشخصيه فى القوى معده لحصول الصوره المتخصصه فى النفس و لتنبه النفس بالمدرک الشخصى و إنما لم يقل بأن الصور الشخصيه فى القوى سبب لحصول الصور الشخصيه الأخرى فى النفس لأن النفس أرفع من أن يكون محلا للصور الجزئيه - لأن النفس مجردة محل للمجرد و أيضا يلزم اللغويه و أيضا خلاف الوجدان، س ره

و إن كانت ألف صفه لا يصير بذلك جزئيا شخصيا و بالجمله فالإحساس بذلك الجزئى - سبب لاستعداد النفس لأن تدرك ذلك الجزئى على وجه كلى ثم يكون ذلك الإدراك سببا باعثا لطلب كلى لتحصيل ذلك الشئ فعند ذلك يتخصص ذلك الطلب و يصير جزئيا لتخصص القابل و ذلك الطلب الجزئى هو الشهوة و كذا قياس الغضب و سائر الأحوال الجزئية المنسوبة إلى النفس الإنسانية فهذا غاية ما يمكن أن يقرر فى كون النفس رباطا للقوى الجسمانية و مجمعا على مذهب الشيخ و أتباعه.

و أقول ليس هذا بسديد لأن نسبه الشهوة و الغضب و الحس و الحركة و سائر الأفعال الجزئية و الانفعالات الشخصية إلى النفس ليست كنسبه فعل أمر مبين إلى أمر آخر من شأنه أن يدرك على وجه كلى كل ما يدركه الآخر على وجه جزئى و إلا لكان العقل الفعال أيضا ذا شهوة و غضب و حس و حركة كما أن الإنسان كذلك مع أننا نعلم ضروره أنه برىء من هذه الآثار و الشواغل و الانفعالات و أنا نجد من أنفسنا أن لنا ذاتا واحده تعقل و تحس و تدرك و تتحرك و تعتريه الشهوة و الغضب و غيرهما من الانفعالات و نعلم أن الذى يدرك الكليات منا هو بعينه يدرك الشخصيات و أن الذى يشتهى منا هو بعينه الذى يغضب و كذا الكلام فى سائر الصفات المتقابلة و لا يكفى فى هذه الجمعيه وحده النسبه التأليفية كالنسبه بين الملك و جنوده و صاحب البيت و أولاده و عبيده و إمامه بل لا بد من وحده طبيعیه ذات شئون عديده كما يعرفه الراسخون فى علم النفس و منازلها و فى معرفه الوجود الحق و شئونه الإلهيه المستفاده من علم الأسماء الذى علم الله به آدم ع المشار إليه فى قوله تعالى وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا و قد أشرنا إلى تحقيق ذلك فى مواضع من هذا الكتاب لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد حيث بينا أن الوجود كلما كان أشد قوه و بساطه كان أكثر جمعا للمعاني و أكثر آثارا و أن العوالم ثلاثه عالم العقل و عالم النفس الحيوانى و عالم الطبيعه و الأول (١) مصون عن الكثره بالكلية و الثانى مصون عن الكثره

١- أى الكثرتين الآتيتين من الكثره الوضعيه الماديه و الكثره الصوريه كاختلاف الصور المثاليه بالكيفيات كأشكالها و ألوانها و بالكميات كمقاديرها المختلفه فى الصغر و الكبر و نحو ذلك و أما الكثره بالماهيات أو بشده النوريه و ضعفها فمعلومه التحقق فى عالم العقل، س ره

الوضعيه و الانقسام المادى و الثالث مناط الكثره و التضاد و الانقسام إلى المواد.

و إذا تقرر هذا فنقول إن النفس الإنسانيه من بين سائر النفوس الحيوانيه لها مقامات ثلاثه مقام العقل و القدس و مقام النفس و الخيال و مقام الحس و الطبيعه- و كلما يوجد لها من الصفات و الأفعال فى شىء من هذه المقامات يوجد فى مقام آخر- لكن كل بحسبه (١) من الوحده و الكثره و الشرف و الخسه و البراءه و التجسم- فهذه الحواس و القوى الإدراكيه و التحريكه موجوده فى مادته البدن بوجودات متفرقه- لأن الماده موضوع للاختلاف و الانقسام و محل للتضاد و التباين فلا يمكن أن يكون موضع البصر موضع السمع و لا محل الشهوه هو محل الغضب و لا آله البطش آله المشى كذا يقوم بعضو من الإنسان ألم حسى لمسى كتفرق الاتصال و بعضو آخر راحه لمسيه كالالتيام ثم نجد هذه القوى كلها موجوده فى مقام الخيال و عالم النفس الحيوانى بوجودات متميزه متكثره فى الخيال متحدته فى الوضع بل لا- وضع لها كما مر فلها حس واحد مشترك يسمع و يرى و يشم و يذوق و يلمس سمعا جزئيا و بصرا جزئيا و شما و ذوقا و لمسا جزئيا من غير أن ينقسم و يفترق مواضعها كما فى الحواس الظاهره و كذا يشتهى و يغضب و يتألم و يسر من غير تفرق اتصال و لا التيام تفرق

١- فالغضب مثلا- حقيقه من الحقائق و هو فى هذا العالم غليان دم القلب و احتراقه- و اسوداد الوجه و امتلاء العروق و نحوها و فى عالم النفس حاله وجدانيه مجردة عن هذه الصفات الجسمانيه دعت النفس إلى إرادته التشفى و الانتقام و فى عالم العقل هو القاهريه العقليه كما هو شأن الأنوار القاهره المفارقة و فى عالم الربوبيه هو القاهريه الوجوبيه على كل الأنوار كما هو شأن نور الأنوار و الباهريه المفنيه لكل الكثرات- كما هو حكم أحديه الواحد القهار و قس عليه المحبه و الرحمه و الخشيه و نحوها هذا مثال من الأحوال و أما من العلوم فالبياض صورته علمه فى البصر بطور و فى الخيال بنحو و فى العقل بنهج آخر و هكذا و من الذوات فالإنسان الطبيعى بطور و المثالى بنحو و العقلى بقسم و اللاهوتى بطرز و الذهنى على أنهاج من الحسى بالذات و الخيالى و الكلى العقلى و الكلى الطبيعى الصادق على جميع هذه المراتب، س ره

كل ذلك متكرر في عالم الحس الظاهر غير متكرر في عالم الحس الباطن ثم نجد (١) الجميع موجوده في مقام العقل على وجه مقدس عن شوب كثره و تفصيل معرى عن شوب تفرقه و قسمه وضعيه جسميه أو خياليه جزئيه لكنها مع (٢) ذلك كثيره بالمعنى و الحقيقه غير مفقود منها شىء فالإنسان العقلى روحانى و جميع أعضائه عقليه موجوده فى ذلك الإنسان- بوجود واحد الذات كثيره المعنى و الحقيقه فله وجه عقلى و بصر عقلى و سمع عقلى- و جوارح عقليه كلها فى موضع واحد لا- اختلاف فيه كما أفاده أرسطاطاليس فى أثولوجيا.

فإن قلت إذا كانت النفس هى بعينها المدركه لجميع الإدراكات العماله لجميع الأعمال فما الحاجه إلى إثبات هذه القوى الكثيره التى بعضها من باب الإدراك كالسمع و البصر و غيرهما و بعضها من باب التحريك كالجاذبه و الدافعه و الشهوه و الغضب. قلنا هى (٣) و إن كانت كل هذه القوى إلا أن وجود هذه القوى و ظهورها فى

١- لعلى ذكرت فى الحواشى السابقه أنه بمقتضى تطابق العوالم كما سمعت منه قدس سره و من الحكماء الراسخين كل الحواس العشر الظاهره و الباطنه موجوده فى عالم المثال و لسعه ذلك العالم تضرب هذه العشر فى تلك العشر بمعنى أن بصره مثلا- سمع و ذوق و شم و لمس و خيال و هكذا إلى آخر العشر فيكون مائه و جميع هذه المائه موجوده فى عالم العقل و لأوسعيتها تضرب المائه فى عشر فيكون ألفا و كل تلك المائه المثاليه متحده فى الوضع بل لا وضع له و جميع هذا الألف مقدس عن شوب كثره و لو مثاليه، س ره

٢- أى مع تلك الوحده و البساطه لا- صحه لسلب مفاهيمها و حقائقها الكثيره مفهوما فقط فحقيقه السمع و البصر و غيرهما صادقه على ذلك الوجود البسيط لأن انتزاع المفاهيم الكثيره عن وجود واحد جائز، س ره

٣- و الحاصل أن حكم كل من القابل و المقبول يسرى إلى الآخر أما حكم المقبول فهو الشعور الذاتى الذى لشئونه الذاتيه فينسحب على القوى و آلاتها و أما حكم القابل فهو الضيق و الحد و التعين فيوجب الاختلاف فى ظهور المقبول و أن لا يحكى القابل لضيقه جميع صفات المقبول. إن قلت كون عالم الجسم عالم الفرق و الانقسام يقتضى أن يكون لقوى النفس ظهور فى كل عضو إلا أنه يكون ضعيفا لا أن عضوا كان بصيرا و عضوا كان سميكا لأن قوى النفس كانت فى ذاتها واحده. قلت مناط هذا ليس مجرد التفرقه و الانقسام بل مع الخصوصيات الخاصه من الأمزجه المختلفه للأعضاء المختلفه و المواد المتخالفه بالطبع و الوضع و نحوها فافتضى أن يكون ظهورها فى العين بنحو الإبصار و فى الأذن بنحو السماع و هكذا و إن كانت بوجه كما قيل كل شىء فيه معنى كل شىء و الحق فى الجواب أن النفس لما كانت آيه كبرى كانت مظهرا للصفات التنزيهيه و التشبيهيه فكان لها مراتب مرتبه المعانى المرسله و المعانى المضافه و الصور الصرفيه و الصور المشوبه بالماده و الوحده و التكثر- الغير الوضعى و التكثر الوضعى من خصوصيات النشئات و ذاتيات المراتب و بالجملة للنفس الإنسانيه وحده حقه ظليه لا- وحده عديده، س ره

عالم المواد لا يمكن إلا بآلات جسمانيه متباينه متخالفه الوضع لأن عالم الجسم عالم التفرقه و الانقسام لا يمكن أن يكون جسم واحد مع طبيعه واحده عنصرية مبدأ لصفات كثيره كالسمع و البصر و غيرهما من صفات الإدراك و هيئات التحريك فعضو واحد لا- يمكن أن يكون سمعا و بصرا و جاذبه و دافعه لنقصان وجوده عن جامعیه المعانی - بخلاف جوهر روحانی بحسب وجوده الجمعی النفسانی الروحانی فالذات الواحده النفسیه مبدأ لجميع الأفاعیل الصادره عن قواها المتفرقه المتشتمه فی مواضع مختلفه على نعت الاتحاد و الجمعیه و كذا الذات العقلیه بصرفه وحدتها جامعیه لجميع الكمالات- و المعانی الموجوده فی سائر القوى النفسانيه و الحسيه و الطبيعیه لكن على وجه أشرف و أعلى و على وجه يليق بوجودها العقلی كما بيناه مرارا.

فإن قلت ما الفرق (١) بين العقل المفارق و بين النفس فى هذه الجمعیه حيث إن النفس احتاجت فى الاتصاف بمعانى القوى من وجود آلات و أعضاء مختلفه و لم يقع الاكتفاء بوجود ذاتها من غير تعدد هذه القوى و موادها المختلفه و أعضائها و أما العقل

١- أى كيف تكون النفس فى مقام ذاتها جامعیه للقوى و لو كانت كذلك كانت غير محتاجه فى ظهور آثارها عن النفس إلى قوى و آلات مختلفه كما أن العقل حيث كان مستجمعا لمعانى القوى و وجودها بنحو أعلى لم يحتج إلى قوى و آلات مختلفه ثم كيف يتأتى الفرق و كل منهما صاحب وحده جمعیه و حاصل الجواب التفرقه بين الموضوعين - أعنى العقل و النفس بما هى نفس و أن هذا الاحتياج معنى هبوطها و إن لم يكن لم يكن نفسا بل عقلا، س ره

فلم يقع له في صدور أفعاله و ظهور معانيه و حالاته حاجه إلى مواد و آلات عديده.

قلنا صفات العقل و كمالاته تنزل منه إلى المواد الخارجيه على سبيل الإفاضه و الإيجاد من غير أن يتأثر منها أو ينفعل و يستكمل بسببها و أما النفس فليس لها أن تستقل بذاتها و تتبرأ عن التغير و الانفعال من خوارمها و آلاتها إلا بعد أن تصير عقلا محضا ليس له وجهه نقص و لا- كمال منتظر و أما قبل ذلك فهي ذات أطوار مختلفه- تحتاج إلى كلها فتاره في مقام الحس و الطبيعه و تاره في مقام النفس و التخيل و طورا في مقام العقل و المعقول و هذا حالها ما دامت متعلقه الذات بهذا البدن الطبيعي فإذا انقطعت عن هذا العالم كان مقامها إما المقام العقلي المجرد إن كانت من الكاملين في العلم و العمل و إما المقام الثاني المثالي الأخرى إن لم يكن كذلك على اختلاف أنواعها بحسب غلبه الملكات و الأحوال و تصورها بصوره ما يناسبها من الأنواع الأخرى

فصل (٦) في ضعف ما قاله صاحب المطارحات في هذا المقام دفعا لما قيل في تكثر القوى من غير أن يرجع إلى ذات واحده كما بزغ نور الحق عليك من أفق تباينه حسب ما نبهناك عليه مرارا

اعلم أن بعض المكثرين لمبادئ الأفعال الصادره عن الإنسان التي بعضها جسمانيه و بعضها روحانيه

قال بما حاصله أن النفس و قواها لو كانت شيئا واحدا لوجب أن يكون من شأنها- مخالطه ماده تاره و ذلك عند ما يتصرف في الغذاء و ينمى و يولد و يدرك إدراك الجسمانيات و التجرد عنها تاره أخرى و ذلك عند إدراك المعقولات(١) و هو ممتنع- و أيضا كان يجب أن يكون جميع الأشياء المحفوظه في خزانتها مشاهده لها أبدا- كما هو حال القوه العقلية بالفعل(٢).

١- ممنوع بناء على جواز التشكيك و على جواز الحركة الجوهرية، س ره

٢- في درجه العقل المستفاد، س ره

فأجاب عنه فى المطارحات أما أن الخيال جسمانى (١) فالقدماء يعترفون به و إن كان فيه ضروب من التحقيق لا- يلائم هذا الموضوع و إن كان فيه للحواس الظاهره مدخل- و هذه إلى البيان أقرب و أما أن النفس تحتاج إلى مخالطه الماده عند ما تتصرف فى الغذاء و غيره فلعلة لا يتمشى و ربما يجوز أن يكون غير المخالط يتصرف تصرفا ما فى الغذاء و نحوه و ربما (٢) يعتمد على بقاء أثر قوه مع انتفاء قوه أخرى و بطلان التوليد و النمو ربما يعلل فى بعض الأشخاص أو الأوقات ببطلان استعداد مزاجى يناسب ذلك الفعل و كما أن الروح الذى فى التجاوىف مع قرب الأمكنه يختلف مزاجه للاختلاف الذى أوجب استعداد القوى المختلفه على ما ذكر فيجوز أن يكون أمزجه الأوقات من العمر تختلف بها استعداد التأثر عن مبدأ واحد بآثار كثيره أو أثر واحد (٣) مطلقا أو أثر واحد من جهه واحده بقول الخصم كما أن مزاج السن يقتضى بطلان الناميه نفسها مع بقاء واهب الناميه من النفس أو العقل على ما جوزت فأجوز أن يكون مبدأ النمو شيئا واحدا هو مبدأ أفاعيل أخرى و بطلان النمو فى وقت لبطلان الاستعداد المتعلق بالقابل ثم كثير من القوى أضيف إليها أفعال لا يصح حصولها إلا من واهب الصور فإذا كانت (٤) الهيات كلها منه و القوه معده فيجوز أن يحصل الاستعداد- من أمور هى قوى غير جوهرية فعالة انتهى قوله بألفاظه.

-
- ١- اللزم من قول المكثرو يدرك إدراك الجسمانيات لأنه بإطلاقه يشتمل الإدراك الخيالى، س ره
 - ٢- أى فى تعدد القوى كما مر فى مباحث القوى تعددها من مسلك الانفكاك، س ره
 - ٣- لا- منافاه بين وحده الأثر و فرض اختلاف الاستعداد لأنه باعتبار وجود الأثر و انتفائه ثم الإطلاق فى مقابله جهه الوحده و وحده الجبهه فى المبدأ الواحد مع فرض وجود الأثر و انتفائه باعتبار اختلاف الاستعداد، س ره
 - ٤- أى إذا كان المؤثر بالحقيقه هو واهب الصور و لم تكن القوى مؤثرات حقيقه- بل معدات كما يقول محققوكم فلا حاجه إلى القوى الفعلية بل يكفى القوى الانفعالية مع كفياتها المزاجيه لأن هذه القوى الفعلية التى تعتقدون ثبوتها معطلات و إبطال القوى خير من تعطيلها إذ لا معطل فى الوجود، س ره

و فيه أبحاث تحقيقه.

إشارة

و فيه أبحاث (١) تحقيقه.

منها أن تسليمه لكون الخيال قوه جسمانيه

على طريقه القدماء غير صحيح (٢) لما علمت من أنها مجردة عن البدن الطبيعي عندهم حسبما أقمنا البراهين عليه.

و منها أن تجويزه لكون قوه غير جسمانيه متصرفه

فى الغذاء على وجه الافتقار - فى بقاءه إليه شخصا ليس بحق فإن الجوهر المفارق و إن جاز تدبيره للأمور السفليه - لكن ليس ذلك على الوجه الذى ينفعل عنها أو يستكمل بها بوجه من الوجوه.

و منها أن إسناده بطلان التولد و النمو فى بعض الأوقات

إلى بطلان الاستعداد

١- أى برهانيه لا جدليه لأن كلام الشيخ على وفق قواعده و كلام المصنف قدس سره أيضا على وفق قواعده نفسه و قواعد القوم أعنى المشائين كقوله بالصور النوعيه المقارنه الجوهرية و مبدئيتها للآثار الخاصه و قول الشيخ قدس سره بالصور النوعيه - الغير المخالطه بالمواد الفعاله فيها كما هو مذهب الإشراقيين و هى عندهم أرباب الأنواع و الحق مع المصنف قدس سره لأن توحيد الذات و توحيد الأفعال لا يستدعى إبطال القوى - لأن تلك القوى المقارنه أيد فعاله لله تعالى كما أن المبادئ العاليه المفارقة أيد فعاله - بل أعين ناظره له كما أثبت الشرع المطهر جنودا لله تعالى و أنه تعالى رفيع الدرجات ذو العرش و على طريقه الشيخ الإشراقى لا تفاوت بالمرتبه فضلا عن التفاوت بالعدد أو بالنوع إنما التفاوت فى ظهور الحقيقه الواحده بالقوابل و استعدادها. إن قلت الشيخ الإشراقى أيضا قد يتفوه بالقوى فما يعنى بها إذا كان الفاعل فى مملكه البدن هو النفس لا غير. قلت كما أن الخيال مثلا عند المصنف قدس سره هو النفس ظاهره بتعين قوه فعليه - مدركه للأشباح المجرده عن الماده دون المقدار هذا فى القوه الدراكه و كذا المصوره و الناميه مثلا فى القوى النباتيه ظهور النفس بتعين قوه طبيعيه منطبعة بلا تجاف عن مقامها الشامخ تصور الماده أو تنميتها كذلك الخيال عند الشيخ هو النفس أو العقل ظاهرا بتعين قوه انفعاليه و مقارنا مع كيفيه مزاجيه و قس عليه البواقي فلو قيل إن الشيخ الإشراقى قدس سره أيضا لم يقل بإبطال القوى لكان له وجه بهذا المعنى، س ره

٢- و لا- سيما على طريقه هذا الشيخ أن التخيل بإضافه إشراقية للنفس إلى عالم المثال و أنه مذهب القدماء فإن المدرك و المدرك من سنخ واحد و موجودات عالم المثال الأكبر أشد تجردا و قواما من موجودات عالم المثال الأصغر كما هو طريقه المصنف قدس سره و النفس مجردة عند جميع الحكماء، س ره

فى ذلك الوقت نشأ من الخلط بين أحوال النوع و لوازمه و أحوال الشخص و عوارضه- و أن الأولى لا يمكن أن تكون مستنده إلى استعداد(١) المادة و أحوالها الاتفاقية- فإن الذى يحصل بمجرد حال المادة و عوارضها لا يكون دائماً و لا أكثرها أيضاً بخلاف الذى يقتضيه المبادئ الفاعلية من الأمور المطردة فى أشخاص النوع كلها أو أكثرها- و من هذا القبيل وقوف الناميه و المولده مطلقاً و عروض الموت الطبيعى كما بيناه فإنها أحوال منشؤها أسباب فاعليه مقتضيه لأحوال مطرده إما بالذات كالاستكمالات و الانتقالات إلى الغايات الذاتيه و إما بالعرض كالتقصانات اللازمه لبعض القوى بواسطه استكمالات تعرض لبعض أخرى أو انصراف القوه عن فعل لأجل توجهها إلى فعل آخر كالنفس إذا انتقلت إلى نشأ أخرى انصرفت قوتها عن هذه النشأ البدنيه- فيعرض الموت بالتبع فقله مزاج السن يقتضى بطلان الناميه ليس عندنا كلاماً حكماً بل العكس أولى فإن اختلاف أحوال الأسنان كالشباب و الشيب و الموت الطبيعى- تابعه لاختلاف أحوال النفس فى تقلباتها فى الأطوار الذاتيه و انتقالاتها فى نشآت الطبيعه من بعضها إلى بعض ثم فى نشآت الحياه من بعضها إلى بعض ثم فى نشآت العقل فللنفس فى كل وقت تجوهر آخر يقتضى فعلاً- آخر يناسبه و استعدادات أيضاً كما علمت تابعه لمبادئها و القوه تابعه للفعل فالقول بأن المبدأ بصفه المبدئيه باق- و الأثر غير موجود إنما يصح لأجل عائق خارجى على سبيل الندره و الاتفاق فى بعض أشخاص النوع لا فى كلها فيمتنع أن تكون الناميه موجوده و النمو غير حاصل إلا- لمانع اتفاقى يقع عن الشذوذ و الواقع خلافه فإن وقوف النمو و التوليد فى سن الشيخوخه- أمر مطرد فى جميع الأشخاص كلها-

و منها أن قوله القوى أضيف إليها أفعال

لا يصح صدورهما إلا من واهب الصور إلخ بناء على ما ذهب إليه من إنكار الصور الجوهرية و قد علمت وهن قاعدته و بطلان

١- بل لا- بد أن تستند إلى الجهات الفاعليه و قد حقق سابقاً أن الاختلاف النوعى بالجهات الفاعليه و الاختلاف الشخصى بالجهات القابليه و قد حققوا فى مبحث تلازم المادة و الصوره أن تشخص الصوره بالماده لا أصل لتحقيقها فكل ماده مخصصه تعين كل صوره و تحددها لا مقتضيه تنوعها و موجبته، س ره

إنكاره للصور و القوى حيث ذهب إلى أن الغاذى و المنمى و المولد فى الأجسام النباتيه- و الحيوانيه ليست نفوسها و قواها و لا فى الإنسان نفسه بل جوهر مفارق فإننا قد بينا فى مواضع أن مباشر التحريكات و الإحالات هى الطبائع المتعلقة بالأجسام و قواها- و كون المفارق(١) العقلى مبدأ للكل و إن كان صحيحا لكن ليست مبدئيه على سبيل المباشره و المزاوله و الفرق بين المعد(٢) و المقتضى مما لا- يخفى على من أمعن فى الأبحاث الحكيمه فالقوه الناريه فى التسخين و الماء فى التبريد و غيرهما فى بابه ليست معدات لما يصدر عنها دائما بل مقتضيات و موجبات و أسباب فاعليه بلا شبهه سيما فى ما ينشأ فى موادها المنفعله عنها دائما و كذلك القوى النباتيه و الحيوانيه على ما مر مستقصى فى مباحث الصور فالمرجع فى توحيد النفس إلى ما ذكرناه

- ١- و بعبارة أخرى القوى و الطبائع فواعل طبيعیه و إن لم تكن فواعل إلهیه- لأن الفاعل الإلهی أى معطى الوجود و مفیده هو الله تعالى المخرج للشیء من الیس المحض إلى الأیس، س ره
- ٢- لأن المعد ما یوجد ثم یعدم حتى یصیر المعد له موجودا فإن الشیء إما أن یكون وجوده موقوفا علیه لوجود الشیء أو عدمه موقوفا علیه له أو كلاهما و الأول هو المقتضى و الثانى هو المانع و الثالث هو المعد. أقول توجیه كلام الشیخ أنه زعم هؤلاء القوم اکثرین للقوى و ظنهم فمعنى كلامه أنه إذا كانت الهیئات كلها من الواهب و القوى معدات على زعمكم بناء على بطلان الأفعال التولیدیة التى هى مذهب المعتزله فإن حركه الید مولده لحركه المفتاح مثلا- حتى أن المقدمتين مولدتان للنتیجه عندهم و مذهب الحكماء أن العلل معدات فیجوز إلخ و مراد القوم بكون القوه معدة معناها اللغوی أى المهیئ و الواسطه فى إیصال أثر المؤثر الحقیقى و المصنف قدس سره أيضا أطلق المعد بهذا المعنى على المبادئ المقارنه- و المفارقة فى الإلهیات و فى كتابه المبدإ و المعاد حيث ذكر أن الفاعل الحقیقى المعطى للوجود لا- یكون إلا ما هو عرى و برى مما بالقوه مطلقا و هو لیس إلا واجب الوجود بالذات تعالى و ما عداه معدات و وسائط الوجود و الشیخ الإلهی أجل شأننا من أن یخفى علیه التفرقه بین المقتضى و المعد، س ره

فصل (٧) فى أن هذه القوى البدنيه كلها ظل لما فى النفس من الهيئات النفسانيه

فى أن هذه القوى (١) البدنيه كلها ظل لما فى النفس من الهيئات النفسانيه و اعلم أن القوى القائمه بالبدن و أعضائه و هو الإنسان الطبيعى ظلال و مثل للنفس المدبره و قواها و هى الإنسان النفسى الأخرى و ذلك الإنسان البرزخى بقواه و أعضائه النفسانيه ظلال و مثل للإنسان العقلى و جهاته و اعتباراته العقليه فهذا البدن الطبيعى و أعضاؤه و هيأته ظلال ظلال و مثل مثل لما فى العقل الإنسانى أما أن قوى الإنسان الطبيعى الذى بمنزله قشر و غلاف للإنسان الحيوانى المحشور فى الآخريه التى هى دار الحياه لقوله تعالى وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ فالدليل عليه أن الإنسان إذا ركبت قواه الظاهره و حواسه البدنيه بالنوم أو الأعمال [الإغماء] أو (٢)

- ١- قال الشيخ الإشراقى قدس سره فى هذا المقام بوجه آخر قريب من هذا فى حكمه الإشراق فإذا علمت أن النور فياض لذاته و أن له فى جوهره محبه لسنخه و قهرا على ما تحته فيلزم من النور الأسفهد فى الصياصى الغاسقه بسبب قهره قوه غضبيه و بتوسط محبته قوه شهوانيه و كما أن النور الأسفهد يشاهد صورا برزخيه و يجعلها صورا عامه نوريه تليق بجوهره كمن شاهد زيدا و عمروا و أخذ منهما للإنسانيه صوره عامه يحمل عليهما و على غيرهما يلزم فى صيصيته قوه غاذيه و كما أن فى سنخ النور التام أن يكون مبدأ لنور آخر فيحصل منه فى صيصيته قوه توجب صيصيه أخرى ذات نور و هى المولده- و كما أن من سنخ النور أن يزداد بالأنوار السانحه و يخرج من القوه إلى الفعل فيحصل منه لصيصيته قوه توجب الزيادة فى الأقطار على نسبه لائقه و هى الناميه و هذه القوى فروع للنور الأسفهد فى صيصيته و الصيصيه صنم للنور الأسفهد هذا كلامه باختصار ما، س ره
- ٢- كالصفاء الفطرى للنفس كما فى الأنبياء و الأولياء و ركود حواسهم عباره عن تابعيه حواسهم لحواسهم المثاليه و كالمرض كما فى المبرسم و كالاختلاس الملكوتى بانضجار من هذا العالم و بمشاهده أمر عجيب و نحوه و كالموت الاختيارى كما فى السلاك- و كالموت الاضطرارى الذى يحصل لكل أحد، س ره

غيرهما كثيرا ما يجد من نفسه أنه يسمع و يرى و يشم و يلمس و يبطش و يمشى - فله في ذاته هذه المشاعر و القوى و الآلات من غير نقصان و عوز لشيء منها لكنها ليست ثابتة في هذا العالم أى عالم الحس و الشهاده و إلا لشاهدها كل سليم الحس و ليس كذلك فعلم أن موطنها عالم آخر هو عالم الغيب و الباطن و أما أن تلك القوى و الآلات الباطنيه ظلال و أشباح لما في العقل الإنسانى فلأن العقل بسيط و هو منشأ هذه القوى فى النفس و بتوسطها فى البدن و لو لم يكن فيه من الاعتبارات و الجهات ما يليق بذاته لم يكن منشأ صدور هذه الأمور الكثيره عن الأمر البسيط و ذلك لأن كل جوهر عال فى الشرف مبدأ لجميع الكلمات الموجوده فيما دونه من الجوهر النازله على وجه الجمعيه.

و قد نقلنا عن المعلم الأول صريح القول بأن الإنسان العقلى فيه جميع الأعضاء - التى فى الإنسان الحسى على وجه لائق به.

و قال أيضا فى مواضع آخر من كتابه أن فى الإنسان الجسمانى الإنسان النفسانى و الإنسان العقلى و لست أعنى هو هما لكن أعنى به أنه يتصل بهما لأنه صنم لهما و ذلك أنه يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلى و بعض أفاعيل الإنسان النفسانى - و ذلك أن فى الإنسان الحسى كلمات الإنسان النفسانى و كلمات الإنسان العقلى فقد جمع الحسى كلتا الكلمتين إلا أنها فيه ضعيفه قليله نزره لأنه صنم الصنم فقد بان أن الإنسان الأول العالى حساس إلا أنه بنوع أعلى و أفضل من الحس الكائن فى الإنسان السفلى و أنه إنما ينال الحس من الإنسان الكائن فى العالم الأعلى العقلى كما بيناه انتهى كلامه - فما أشد نور عقله و قوه عرفانه و ما أشمخ مقامه فى الحكمه الإلهيه و أعلى مرتبه حيث حقق هذه المسأله على وجه وقف أفكار من لحقه من المتفكرين دون بلوغ شأوه - و جمهور الحكماء الإسلاميين كالشيخ أبى على و من فى طبقته لفى ذهول عما ذكره - فإن الشيخ استضعف فى الشفاء القول المنسوب إلى أفلاطون و معلمه سقراط بأن فى الوجود إنسانين إنسان فاسد و إنسان مفارق أبدى فكيف لو سمع أن فى كل (١)

١- و كيف لو سمع أن فى كل إنسان أربعة أناس بازدياد الإنسان اللاهوتى اللازم لاسم الله الأعظم بل هو اسم الله الأعظم، س

إنسان ثلاثه أناس متفاوتة فى الوجود حسى فاسد و عقلى دائم و نفسانى بينهما فقد ظهر أن هذا الهيكل الحسى الإنسانى بجميع أعضائه طلسم و صنم للإنسان النفسى و هو أيضا صنم للإنسان العقلى و مثال له و هو المحشور إما فى زمره السعداء و أهل الجنة- أو فى زمره الأشقياء و أهل الجحيم و أما الإنسان العقلى فهو فى مقعد صدق عند مليك مقتدر و الإنسان النفسى له الإحساس بذاته للأشياء و الحكم بذاته عليها لا بآله طبيعیه يحتاج إليها فى إدراكه و فعله فإدراكه للخارجيات من المحسوسات و إن كان بصورة زائده حاضره عنده أو حاصله فيه إلا- أن إدراكه لها بعين تلك الصور لا بصورة أخرى و إلا لزم التسلسل فى تضاعف الصور الإدراكية فذاته بذاته لإدراك المبصرات بصر و لإدراك المسموعات سمع و هكذا فى كل نوع من المحسوسات فهو فى ذاته لذاته سمع و بصر و شم و ذوق و لمس و قد علمت فيما سبق اتحاد الحس بالمحسوس فهو حس جميع الحواس و أيضا له الحكم بذاته فى القضايا الوهميه و غيرها لا بأمر زائد من صور القضايا و هو الشهوه لذاته للمشتهيات و الغضب لذاته على المنافرات من غير شهوه زائده و غضب زائد و كذا قياس الإنسان العقلى البسيط فى نظائر ما ذكرناه.

قال الفيلسوف الأعظم إن هذه الحسائس (١) عقول ضعيفه و تلك العقول حسائس قويه.

ثم لقائل أن يقول إن الإنسان إذا كان فى العالم الأعلى يكون حساسا و الحساس فصل جنسه و الحس ليس إلا انفعالا من صورهِ طبيعیه جسمانيه فكيف يمكن أن يكون- فى الجوهر الكريم العالى حس و هو موجود فى الجوهر الدنى السافل.

فالجواب عنه كما يستفاد من كلام الفيلسوف أن نسبه هذا الحس إلى الحس العقلى كنسبه هذا الحيوان اللحمى إلى الحيوان العقلى و كذا نسبه المحسوس هاهنا

١- كما قالوا إن المعلول حد ناقص للعلو و العله حد تام للمعلول و نظير قول المعلم هذا قول المصنف قدس سره فى مبحث القوى إن عدم تسميه المحسوس على رأيه- معقولا بحسب الاصطلاح حيث إن المحسوس مخصص بصورة جزئيه و المعقول بمعنى كلى مجرد و أما أن أريد أن المحسوس ليس معقولا- بمعنى أنه ليس مدركه العقل فلا- إذ المدرك بـكل إدراك و المحرك بـكل تحريك ليس إلا ذات واحده شخصيه، س ره

إلى الأمر المحسوس هناك و لذا قيل الحس الذى فى هذا العالم الأدنى لا يشبه الحس الذى فى العالم الأعلى فإن الحس هناك على المحسوسات التى هناك فلذلك صار بصر هذا الحيوان السفلى متعلقا ببصر الحيوان الأعلى و متصلا به.

أقول و كذا سمعه بسمعه و شمه بشمه و ذوقه بذوقه و لمسه بلمسه كاتصال هذه الأنواع الطبيعية المادية بصورها العقلية الموجوده فى العالم الأعلى و فى علم الله الأزلى -

كما ورد فى الحديث النبوى: على قائله و آله الصلاه و السلام أن هذه النار غسلت بسبعين ماء ثم أنزلت

إشاره إلى أن هذه النار من مراتب تنزلات النار العقلية و كان رسول الله ص بهذه الحواس الباطنيه الأخرويه يدرك الأمور الغائبه عن هذه الحواس الدائره - حيث قال فى الذوق(١)

: أبيت عند ربى يطعمنى و يسقبنى

و فى الشم

: إنى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن

و فى البصر

: (٢) زويت لى الأرض فأريت مشارقها و مغاربها

و فى اللمس

: وضع الله بكتفى يده فأحس الجلد بردها بين ثديي

و فى السمع

: أظت السماء و حق لها أن تأط ليس فيها(٣) موضع قدم إلا و فيه ملك ساجد و راعع

و بالجملة الإنسان العقلى يفيض بنوره على هذا الإنسان الطبيعى السفلى بواسطه الإنسان النفسى المتوسط بين العقلى و الطبيعى.

و اعلم أيضا أن إشراق النفس على الصورة الموجوده فيها كإشراق الشمس على الأجسام و غيره بوجه فإن مقتضى(٤) الأول إفاده ذات المرئى الإشراقى و مقتضى الثانى

١- ليس هذا الذوق و لا الشم و نحوها محموله على الأمور الروحانيه العقلية كما يظن بعض أهل الحكمة الرسميه حيث حملوا أكثر الأمور الشرعيه على الروحانيات فآل أمرهم إلى ما آل بل على الأمور الحسيه و اللذائذ الجزئيه بل إنها بهذه المشاعر

الطبيعيه و لكنها منظويه فى المشاعر الأخرويه الصوريه فكأنها صارت روحا و تلك جسدا و الإدرك للروح فلذا قال قدس سره بهذه الحواس الأخرويه يدرك، س ره

٢- بالزأى المعجمه جمعت و طويت و منه دعاء السفر و ازو لنا البعيد أى اجمعه و اطوه، س ره

٣- و لذا ورد أن البيت المعمور فى السماء ثم إن الكلام تمثيل لعظمه الله تعالى - و إشعار بكثرة ملائكته، س ره

٤- تحليل لقوله بوجه و تجليل للنفس بأن الشمس مظهره للمستشرقات بخلاف النفس فإنها فاعله لمتصوراتها الخياليه بل فاعل إلهى و كذا للمبصرات بالذات لا بالعرض بل لمدركاتهما الأخرى جميعا كما أشاره بقوله و أما إدراكها للمبصرات الخارجيه، س ره

إفاده ظهوره فالنفس عند تخيلها للأشياء تفيد صورها الخياليه الموجوده فى عالمها لا فى هذا العالم و يدركها بذاتها لا بصورة أخرى و أما إدراكها للمبصرات الخارجيه فهو أيضا كما حققناه سابقا فى مباحث الإبصار من أن الماده و وضعها بالنسبه إلى آله الإبصار- مخصص لأن يفيض من النفس صورهِ مساويه للصورة الماديه و هى مجردة عنها و عن غواشيها موجوده فى صقع النفس كالصور الخياليه و الفرق بينهما باشتراط الماده و عوارضها الخارجيه فى المبصره و عدم الاشتراط بها فى المتخيله

فصل (٨) فى المتعلق الأول للنفس

إن النفس لا- تتصرف فى الأعضاء الكثيفه العنصريه إلا- بوسط مناسب للطرفين- و ذلك الوسط هو الجسم اللطيف النوراني المسمى بالروح النافذ فى الأعضاء بواسطه الأعصاب الدماغيه و هذه الدعوى أى كون النفس غير متصرف أولا إلا لذلك الروح الذى قيل إنه مخلوق من لطافه الأخلاط و بخاريتها كما أن البدن مخلوق من كثافه الأخلاط و رديتها قريبه من الوضوح غير محتاجه إلى البرهان إذ درجات الوجود متتاليه مترتبه فى اللطافه و الكثافه فيما يتصف بهما كما أنها مترتبه فى الشرف و الخسه ففى الحيوان الواحد جزء هو اللطف (١) أجزائه و هو الروح المحوى (٢) بالشرابين و جزء

- ١- رقه القوام و غلظته فى الأجسام على ما ذهبوا إليه من الكيفيات الجسمانيه- و هى لا توجب شرافه أو خسه فى الجسم بحسب الوجود و الملاك فى باب التنزلات هو الشرف و الخسه بحسب الوجود فلطافه الروح البخارى لو كان هناك شىء كذلك لا توجب تعيينه لتعلق النفس فتدبر و فى سائر ما ذكره فى هذا الفصل مناقشات تظهر لمن راجع الطب الحديث، ط مد
- ٢- اللطف الأجزاء هو الروح النفسانى الدماغى ثم الروح الحيوانى القلبى- ثم الروح الطبيعى الكبدى و قد مر تثليث الروح و مجاريه و ما ذكر من أن ذلك الوسط هو الجسم اللطيف إلخ يدل على ما ذكرناه لأن الروح الذى فى الأعصاب الدماغيه هو الروح النفسانى الدماغى و المحوى بالشرابين هو الروح الحيوانى و لعله قدس سره لاحظ أصله و بدؤه إذ الروح الدماغى يتكون أولا فى القلب ثم يصعد قسط منه من تجويف شريان الصدغين إلى تجاويف الدماغ للتعديل، س ره

هو أكتف أجزائه هو كالمقيم فى الورك و ما بين ألطف لطيفه و أكتف كثيفه وسائط مناسبه قد نضد بعضها بالبعض كما فى طبقات الأ-جرام الفلكيه و العنصريه على تدبير المحكم الإلهى و النظم البديع العلوى و لا- شك أن ألطفها أبين فعلا- و أقل انفعالا- و أكتفها بعكس ذلك مثاله أن الروح الغريزى مؤثر بالجله فى الدم الطبيعى إذ هو فى أفق الدم ثم لا ينعكس الأمر و الدم الطبيعى مؤثر فى الرطوبه الدماغيه إذ هو فى أفقها و لا ينعكس و تلك الرطوبه مؤثره فى اللحمان العضليه من غير عكس و هكذا فى كل جزء بعد جزء إلى أن ينتهى إلى أصلب الأجزاء و هو القابل المتأثر على الإطلاق من غير أن يؤثر فى شىء مما عداه و كذلك يجب أن يتصور النضد و الترتيب فى الروحانيات- كما تصورت فى الجسمانيات و كذلك الحال فى أجسام العالم الكبير كما علمت فى العالم الصغير فإن فى جسمياته جزء هو ألطف أجزائه و هو الفلك الأعلى الجسمانى- و جزء هو أكتف أجزائه و هو الأرض السفلى و بين ألطف لطيفه و أكتف كثيفه وسائط متناسقه منضده بعضها على بعض على التقدير الإلهى و النظم الحكيمى و قد دلت الأدله على أن ألطفها ذاتا أبينها تفعيلا و أكتفها ذاتا أبينها انفعالا و لهذا ما ورد فى الأدعيه- التوجه إلى جانب السماء عند طلب الحاجات و استجلاب الخيرات و استجابته الدعوات- و هذا معنى (١) ما ورد فى لسان بعض العرفاء أن النور الإلهى معنى أحدى إنما يكون افتنانه بحسب المعادن المجعوله و المراد أن الوجود الفاضل من الحق المسمى عند بعضهم بالنفس الرحمانى أمر واحد حقيقه مختلف المراتب بحسب القرب و البعد من الأول تعالى.

إذا تقرر هذا فاعلم أن جوهر النفس لكونه من سنخ الملكوت و عالم الضياء المحض العقلى لا- يتصرف فى البدن الكثيف المظلم العنصرى بحيث يحصل منهما نوع طبيعى وحدانى إلا بمتوسط و المتوسط بينهما و بين البدن الكثيف هو الجوهر اللطيف المسمى

١- يعنى التوجه إلى جانب السماء فى الحقيقه توجه إلى جنبه تعالى، س ره

بالروح عند الأطباء و المتوسط بين كل واحد من الطرفين و لذلك المتوسط أيضا متوسط آخر (١) مناسب لطرفيه كالبرزخ المثالي بين الناطقه و الروح الحيوانى و الدم الصافى اللطيف بينه و بين البدن ثم الدليل على وجود هذا الجوهر المسمى (٢) بالروح أن سد الأعصاب يوجب إبطال قوه الحس و الحركه عما وراء موضع السد مما يلى جهه الدماغ- و السد لا يمنع إلا نفوذ الأجسام و التجارب الطبيه أيضا شاهده بوجوده فإن كثرته يوجب الفرح و النشاط و القوه و الشجاعه و الشهوه و قلته يوجب الصرع و السكته- و الغم و الحزن و المالىخوليا و عند انقطاعه عن القلب يعرض الموت فجأه و كما أن تعلق النفس بالبدن لأجله فلا- بد أيضا من تعلقها لكونها واحده من عضو واحد هو المتعلق به النفس بواسطه هذا الروح البخارى و سائر الأعضاء يكون متعلقا بها بواسطه ذلك العضو الذى هو الرئيس.

و قد اختلفوا أن ذلك العضو الرئيسى المعطى لقوه سائر الأعضاء و روحها هو القلب أو الدماغ و عند الأكثرين من الأطباء و الطبيعيين أنه هو القلب لكونه أحر ما فى البدن و الدماغ ليس هو كذلك فهو المناسب لتكون الروح الحار الغريزى.

و أيضا الحركات الفكرية يسخن الدماغ تسخيناً شديداً فلو لم يكن بارداً فى أصله- لزم احتراقه عند اجتماع التسخين تسخين الروح و تسخين الحركه الفكرية.

و أيضا أول ما يتخلق فى البدن هو القلب و هو أول ما يتحرك من الأعضاء و آخر

١- لعلك تقول ليس لهذا حد يقف كما لا يخفى فيلزم كون الغير المتناهى محصوره بين حاصرين و الجواب أن هذه المراتب المتوسطه متصله و لا مفصل فيها فهى شىء واحد ذو درجات و لا تعدد فضلاً عن العدد الغير المتناهى و هذا نظير ما قال قدس سره فى الشواهد و غيره إن بين الماء و الهواء واسطه هى البخار و كذا بين الماء و البخار و هو الماء الألف و البخار الأثف و كذا بين البخار و الهواء كل ذلك بنحو الحركه الجوهرية و له نظير آخر فى دفع الإشكال على قاعده إمكان الأشرف أن العقول الطولية درجات شىء واحد و الإشكال هناك مشروح بحله، س ره

٢- دليل آخر على وجوده أن الإنسان لما كان هيكلاً جامعاً فيه كل الأنواع ففيه شىء كالفلک و شىء كالملك و هكذا كما مر و ما هو كالفلک فيه فى اللطافه و الصفا و التخلع بخلعه الحياه و نحوها هذا الروح البخارى، س ره

ما يسكن فهو المتعلق الأول للنفس ثم بواسطته بالدماغ و الكبد و بسائر الأعضاء على الترتيب.

فإن قيل لو كان القلب عضوا رئيسيا معطيا و كانت الأرواح النفسانية فائضه منه إلى الدماغ لكان القلب منبت الأعصاب دون الدماغ لأن منبت الآله يكون من المبدأ لا من الأخذ و لما لم يكن كذلك بطل ما قلموه.

قلنا قد قال بعض شراح القانون إنه لم يقم دليل (١) قطعى على أن منبت الأعصاب هو الدماغ البتة و مع قطع النظر عن ذلك القول لمانع أن يمنع كون منبت الآله واجبا- أن يكون هو المبدأ لم لا- يجوز أن يكون العضو المستفيد منبتا لآله و كانت استفادته القوه من المبدأ بعد أن وصلت الآله إلى العضو المفيد فحينئذ يتأدى فيه الأرواح الحامله- للقوى الأحاسيسيه و التحريكه و الاستقصاء فى هذا المبحث يناسب الكتب الطبيه

١- هذا من هذا الشارح غريب فإن التشریح دلنا على أن منبت الأعصاب هو الدماغ و النخاع البتة و النخاع خليفه الدماغ، س ره

الباب التاسع فى شرح بعض ملكات النفس الإنسانیه

اشاره

و أفعالها و انفعالاتها و منازل الإنسان و مقاماته و أن قواه بعضها أرفع وجودا و أقل قبولا للتجزى من بعض و فيه فصول

فصل (١) فى خواص الإنسان

فمنها النطق

اعلم أن من عظيم حكمه الله فى خلق الإنسان من العناصر و الأركان- إحدائه الموضوعات اللغويه فيه و الداعى إلى ذلك أن الإنسان مفتقر فى معيشته الدنياويه- إلى مشاركته ما و معاونه من بنى نوعه فإن الواحد من الإنسان لو تفرد فى وجوده عن أفراد نوعه و جنسه و لم يكن فى الوجود إلا هو و الأمور الموجوده فى الطبيعه لهلك سريعا أو ساءت معيشته لحاجته فى معيشته إلى أمور زائده على ما فى الطبيعه مثل الغذاء المعمول و الملبوس المصنوع فإن الأغذيه الطبيعه غير صالحه لاغتذائه و الملابس الطبيعه أيضا لا تصلح له إلا بعد صيرورتها صناعيه بأعمال إراديه فلذلك يحتاج إلى تعلم بعض الصناعات حتى تحسن معيشته و الشخص الواحد لا يمكنه القيام بمجموع تلك الصناعات- بل لا بد من مشاركته و معاونه بين جماعه حتى يخبز هذا لذاك و ذاك ينسج لهذا و هذا ينقل لذاك و ذاك يعطيه بإزاء عمله أجره فلهذه الأسباب و أمثالها احتاج الإنسان فى المعاملات و غيرها أن يكون له قوه على أن يعلم الآخر الذى هو شريكه بما فى نفسه بعلامه وضعيه و أصلح الأشياء لذلك هو الصوت لأنه ينشعب إلى حروف يتركب منها تراكيب كثيره من غيره مئونه يلحق البدن و الصوت من الأمور الضروريه للإنسان لتنفسه المضطر إليه فى ترويح حراره القلب و أيضا الهيئات الصوتيه لا يثبت و لا يدوم عدده فيؤمن

وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه و بعد الصوت فى صلاحيه أمر الإعلام هى الإشارة (١) إلا أنه أدل منها لأنها لا ترشد إلا من حيث يقع عليه البصر و ذلك أيضا من جهه مخصوصه- و يحتاج المعلم أن يحرك حقيقته إلى جهه مخصوصه حركات كثيره يراعى بها الإشارة- ففائده الإشارة أقل و مؤنثها أكثر و أما الصوت فليس كذلك فلا جرم قد تقرر الاصطلاح على التعريف لما فى النفس بالعباره فجعلت الطبيعه للنفس أن يؤلف من الأصوات ما يتوصل به إلى تعريف الغير و أما الحيوانات الأخرى فإن أغذيتها طبيعته أو قريب منها و ملابستها مخلوقه معها كالإهاب و الشعر و الثقب و الكهوف فما كان لها حاجه إلى الكلام و مع ذلك فإن لها أصواتا مناسبة لما فى بعضها من شوب رويه و إعلام يقف بها غيرها على ما فى نفوسها و ضمائرها و لكن دلالة تلك الأصوات دلالة إجمالية يكفى لأغراضها من طلب ملائم أو دفع منافر و أما الأصوات الإنسانية فلها دلالة تفصيليه- و لعل الأمور التى يحتاج إلى أن يعبر عنها الإنسان فى أغراضه يكاد أن لا يتناهى- فما كان يمكن أن يطبع بإزائها أصوات بلا نهايه فلأجل ذلك و لضرورات أخرى يحتاج إلى وضع الألفاظ و الاصطلاح عليها.

و من خواصه العجيبه استنباط الصنائع العمليه الغريبه

و أما الحيوانات الأخرى- و خصوصا الطير فى صنائع بيوتها و مساكنها سيما النحل فى بنائه البيوت المسدسه- فإن المسدس أوسع الأشكال بعد الدائره و أشبهها بالدائره من جهه أن مساحته يحصل- من ضرب نصف قطره فى نصف محيطه كالدائره و إنما ترك الاستداره لأن لا يقع خارج البيوت من الفرج فضلا مهملا و كذا المربع لثلا يبقى زوايا ضائعه داخل البيوت فوضعت البيوت على هياها أشكال متراصه شبيهه بشكل صاحب البيت فإن النحل مستدير مستطيل- و لو كانت مستديره لم تتراص و لو كانت مضلعه غير المسدسه فإما أن يتراص أيضا كالمخمس و المسبع و غيرهما أو يقع لها الفرج داخلا كحاد الزوايا مثل المثلث و المربع و مع ذلك

١- و بعد الإشارة هى الكتابه و لكن فيهما كثره تعب و نصب و الكتاب أكثر تبينا و لكن أكثر إتعابا و أزيد مؤنه و الإشارة بضد ذلك و ذكر الحدقه على سبيل التمثيل لا الحصر و هو ظاهر، س ره

كله ليس صدور مثل هذه الصنعه العجيبه عن تلك الحيوانات من تدبير نفسها الشخصيه الجزئيه عن استنباط و إلا لم يكن على وتيره واحده بل صدورها عن إلهام و تسخير من مدبرات أمرها و ملائكه نوعها و أكثر فائده تلك الصنائع يرجع إلى صلاح نوعها أو صلاح غيرها كالإنسان الذى كأنه الصفوه و الغايه فى فعلها و وجودها و وجود صنائعها- و ما يرجع إلى صلاح شخصها فهو قليل بخلاف الإنسان بما هو إنسان سيما الفرد الكامل منه فإن جميع ما يقصده و يكسبه إنما ترجع فائدته إلى ذاته الشخصيه و العله فى ذلك أن حكم الهويه الشخصيه منه كالحقيقه النوعيه من غيره فى أن لها الديمومه الأخرويه بشخصها و البقاء العقلى بذاتها و الحيوانات الأخرى لا يبقى إلا بالنوع لا بالعدد.

و من خواصه أيضا أنه يتبع إدراكه الأشياء النادره حاله انفعاليه

يسمى بالتعجب و يتبعه الضحك و يتبع إدراكه للأشياء المؤذيه انفعال يسمى الضجره و يتبعه البكاء.

و منها أن المشاركه المصلحيه تقتضى المنع من بعض الأفعال

و منها أن المشاركه المصلحيه تقتضى المنع (١) من بعض الأفعال و الحث على بعضها ثم إن الإنسان يعتقد ذلك من حين صغره و يستمر نشوه عليه فحينئذ يتأكد فيه اعتقاد وجوب الامتناع من أحدهما و الإقدام على الآخر و ركز فى نفسه ذلك عنايه من الله لأجل النظام فيسمى الأول قبيحا و الثانى حسنا جميلا و أما سائر الحيوانات- فإنها إن تركت بعض الأمور مثل الأسد المعلم لا يأكل صاحبه و مثل الفرس العتيق النجيب لا يسافح أمه فليس ذلك من جهه اعتقاد فى النفس بل لهيأه نفسانيه أخرى و هو أن كل حيوان يحب بالطبع ما يلائمه و يلذه و الشخص الذى يطعمه محبوب عنده- فيصير ذلك مانعا عن أكله لذلك الشخص و كذا نشوه عند أمه من أول صغره ألفه بها ضربا آخر من الألفه يزجره عن الشهوه إلى إتيانها و ربما تقع هذه العوارض عن إلهام إلهى مثل حب كل حيوان ولده.

١- سواء كانا مع المنع النقيض أو مع جوازه فيشمل الأحكام الخمسه و سواء كانا مع العقل فقط أو منه مع كاشفيه الشرع عنه فيشمل التكاليف العقلية و الشرعيه- فوجوب الامتناع و الإقدام و الإقدام فى كلامه قدس سره على سبيل التمثيل أو محمول على معناه اللغوى و هو الثبوت و القبيح يشمل الحرام و المكروه و الحسن الجميل الثلاثه الأخرى، س ره

و منها أن الإنسان إذا حصل له شعور بأن غيره اطلع على أنه ارتكب فعلا قبيحا

فإنه يتبع ذلك الشعور حاله انفعاليه في نفسه يسمى بالخجاله.

و منها أنه قد ظن أن أمرا يحدث في المستقبل يضره

فيعرض له الخوف أو ينفعه فيعرض له الرجاء و لا- يكون للحيوانات الأخرى هاتان الحالتان إلا بحسب الآن في غالب الأمر و ما يتصل به و الذي تفعله من استظهار ليس لأجل شعور بالزمان المستقبل - و ما يكون فيه بل ذلك أيضا بضرب من الإلهام من الملك المدبر لنوعها كالذي يفعله النمل في نقل البر بالسرعه إلى جحرها منذر بالمطر فإنها إما أن يتخيل أن هناك مؤذ يكون أو مطر ينزل كما أن الحيوان يهرب عن الضد لما يتخيل أن ذا يضربه و يؤذيه أو أن يقع لها ضرب من الإلهام و بالجملة أن الأفعال الحكيمه و العقلية- أنما تصدر من الإنسان من جهة نفسه الشخصيه و من سائر الحيوانات من جهة عقلها النوعيه تدبيرا كليا.

و منها ما يتصل بما ذكر

من أن الإنسان له أن يروى في أمور مستقبله هل ينبغي أن يفعلها أو لا ينبغي فحينئذ يفعل وقتا ما حكمت به رويته و تدبيره أن يفعل و لا يفعل هذا وقتا آخر بحسب ما يقتضى رويته أن لا يفعل ما كان يصح أن يفعل في الوقت الأول و كذا العكس و أما الحيوانات (١) الأخرى فليس لها ذلك و إنما لها من الإعدادات ما يكون على ضرب واحد مطبوع فيها وافقت عاقبتها أو خالفت.

و منها تذكر الأمور التي غابت عن الذهن

فإن سائر الحيوانات لا يقوى على ذلك أعنى الاسترجاع و التدبر.

و منها و هو أخص الخواص بالإنسان تصور المعانى الكليه

المجرده عن الماده كل التجريد كما مر بيانه في باب العقل و المعقول و غيره من المواضع و التوصل إلى معرفه المجهولات تصديقا و تصورا من المعلومات الحاضره و أخص من هذا كله هو اتصال بعض

١- و الحق أن الحيوان في الجملة لا- يخلو عن مشاركته ما للإنسان في جميع هذه الأمور و إن كانت هذه الصفات في الإنسان أقوى و أظهر و يدل على ذلك الرجوع إلى لطائف الآثار المضبوطة عن الحيوان المورده في كتب الحيوان، ط مد

النفوس الإنسانية بالعالم الإلهي بحيث يفنى عن ذاته و يبقى بقاءه و حينئذ يكون الحق سمعه و بصره و يده و رجله و هناك التخلق بأخلاق الله تعالى.

فهذه جملة من خواص الإنسان و صفاته

بعضها بدنيه و لكنها موجوده لبدن الإنسان بواسطه نفسه كالضحك و البكاء و أمثالهما و بعضها نفسيه تعرض من جهه البدن- كالخوف و الرجاء و الخجله و الحزن و غير ذلك و بعضها عقليه صرفه كالحكمه النظرية و العمليه و الإنسان يختص من بين سائر الموجودات فضلا على الحيوانات بجامعيه هذه الصفات التى بعضها طبيعه و بعضها نفسانيه و بعضها عقليه.

قال الشيخ الرئيس للإنسان(١) تصرف فى أمور جزئيه و تصرف فى أمور كليه- و الأمور الكليه أنما يكون فيها اعتقاد فقط و لو كان أيضا فى عمل فإن من اعتقد اعتقادا كليا- أن البيت كيف ينبغى أن يبنى فإنه لا يصدر عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدورا أوليا فإن الأفعال تتناول لأمور جزئيه و تصدر عن أجزاء جزئيه و ذلك لأن الكلى من حيث هو كلى ليس يختص بهذا دون ذاك فيكون للإنسان إذن قوه تختص بالآراء الكليه و قوه أخرى تختص بالرويه(٢) فى الأمور الجزئيه فيما ينبغى أن يفعل و يترك بما ينفع و يضر و مما هو جميل و قبيح و مما هو خير و شر و يكون ذلك بضرب من القياس و التأمل صحيح أو سقيم غاية أنه يوقع رأيا فى أمر جزوى مستقبل من الأمور الممكنه لأن الواجبات و الممتنعات لا يروى فيها ليوجد أو يعدم و ما مضى

-
- ١- و بعبارة أخرى للنفس باعتبار انفعالها مما فوقها أعنى العقل الفعال قوه نظريه- و باعتبار فعلها فيما دونها أعنى البدن قوه عمليه و بوجه هما فى الإنسان بما هو إنسان كالمدرکه و المحركه فى الحيوان و فى الإنسان بما هو حيوان، س ره
 - ٢- يعنى أن القوه الأخرى المسماه بالعقل العملى أيضا قوه مدرکه إلا أنها تختص بإدراك أمور متعلقه بالعمل جزئيه كاستعمال القوى الجزئيه المدرکه و المحركه و القوه الأولى بإدراك أمور غير متعلقه بالعمل جزئيه و عليها تدور دائره الحكمه النظرية و الحكمه العمليه و المراد بالأمور الجزئيه أعم من الأعمال المعاديه كالعدل و الإحسان- للغايات الآجله المحكمه و الأعمال المعايشه كبناء البيت بحيث يكون متقنا يترتب عليه الآثار المطلوبه منه، س ره

أيضا لا- يروى فى إيجاده على أنه ماض فإذا أحكمت هذه القوه تبعت حكمها حركه القوه الإجماعيه إلى تحريك البدن كما كانت تتبع أحكام(١) قوه أخرى فى الحيوان- أو تكون هذه القوه استمدادها من القوه التى على الكليات فمن هناك تأخذ المقدمات(٢) الكليه الكبرويه فيما يروى و ينتج فى الجزويات فالقوه الأولى للنفس الإنسانيه قوه تنسب إلى النظر فيقال عقل نظرى و هذه الثانيه قوه تنسب إلى العمل فيقال عقل عملى- و تلك للصدق و الكذب و هذه للخير و الشر فى الجزئيات و تلك للواجب و الممكن و الممتنع و هذه للجميل و القبيح و المباح و مبادئ تلك من المقدمات الأوليه و مبادئ هذه(٣) من المشهورات و المقبولات و التجريبات الواهنه دون الوثيقه و لكل واحد من هاتين القوتين رأى و ظن فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به و الظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجويز الطرف الآخر و ليس كل من ظن فقد اعتقد كما ليس كل من أحس فقد عقل أو تخيل فقد ظن أو اعتقد أو رأى فيكون فى الإنسان حاكم حسى- و حاكم من باب التخيل وهمى و حاكم نظرى و حاكم عملى و تكون المبادئ الباعثه

-
- ١- أى القوه الشوقيه تخدم العقل العملى فى الإنسان بما هو إنسان كما كانت تخدم المدركه من الوهم و الخيال فى الحيوان و شوقها من حيث خدمتها العقل العملى يسمى بالإراداه كما أن شوقها من حيث خدمتها للوهم يسمى بالشهوه فعياده المريض مثلا لله تعالى من العقل العملى و النظرى لجلب منفعه وهميه أو حسيه من المحركه و المدركه الحيوانيه، س ره
 - ٢- مثل أن لنا مقدمه كليه من أن كل حسن ينبغى أن يؤتى به فنضم إليها صغرى هى أن الصدق حسن و كل حسن ينبغى أن يؤتى به ينتج أن الصدق ينبغى أن يؤتى به- فهذا رأى كلى يدركه العقل النظرى ثم العقل العملى إذا أراد أن يوقع صدقا جزئيا- يقول هذا صدق و كل صدق ينبغى أن يؤتى به فهذا ينبغى أن يؤتى به و هذا رأى جزئى أدركه العقل العملى مستمدا من العقل النظرى فهما مرتبتان من عقل واحد لا- إنهما قوتان متباينتان فالعقل النظرى له التعلق بالتعقل للمعلومات الغير المقدوره لنا و العملى بخلافه- فله التعلق بتعقل كيفيه العمل، س ره
 - ٣- أى فى الأغلب و إلا فقد يكون هذه من المبادئ الأوليه كما فى الإشارات و قد يكون من التجريبات الوثيقه، س ره

لقوته الإجتماعية على تحريك الأعضاء وهم خيالي وعقلي عملي وشهوه أو غضب وتكون للحيوانات ثلاثة من هذه والعقل العملي يحتاج في أفعاله كلها إلى البدن وإلى القوة البدنية وأما العقل النظري فله حاجة إلى البدن وإلى قواه ولكن لا دائما من كل وجه بل قد يستغنى بذاته وليس واحد منها هو النفس الإنسانية بل النفس هو الشيء الذي له هذه القوى وهو كما يتبين جوهر مفرد له استعداد نحو أفعال بعضها لا يتم إلا بالآلات والإقبال عليها بالكلية وبعضها لا يحتاج فيه إلى الآلات البتة وهذا كله سنشرحه في موضعه انتهى كلامه.

وفيه موضع أنظار كثيره لو لا - مخافه الإطناب لأوردتها ولكن فيما ذكرناه من معرفه النفس وشرح أطوارها وكيفيه وحدتها الجامعه لمقاماتها ودرجاتها كفايه للطالب المهتدي والسامع الذكي ولو تأمل أحد في قوله فيكون في الإنسان حاكم حسي - وحاكم من باب التخيل وهمي وحاكم نظري وحاكم عملي إلى قوله بل قد يستغنى بذاته تأملا شافيا يستنبط (١) منه أن النفس الإنسانية تمام هذه القوى كلها لا كما ذكره أنه ليس ولا واحد منها هو النفس الإنسانية بل الشيء الذي له هذه القوى إلا على وجه (٢) دقيق يعرفه العارفون بحقيقه الوجود و أطوارها فإن هذه القوى وإن تكثرت وتعددت بحسب تعدد آلاتها وأفعالها وانفعالاتها في عالم الطبيعه والحس لأنه عالم التفرقه والتراحم والانقسام إلا أنها مجتمعته في ذات النفس على نعت الوحده إذ لا شبهه

-
- ١- أي يستنبط بالوجدان أن هنا حاكما واحدا وليس فيه حاكمون عديده لا أن الشيخ أراد ذلك وهو ظاهر ومثله قوله فيما بعد وكذا يستفاد من قوله، س ره
 - ٢- وهو أن النفس أصل محفوظ في القوى وهي مراتب ظهور النفس وكل مرتبه بشرط التعيين ليست بنفس وقد مر أن التحقيق أن النفس لها مقام الكثره في الوحده- ومقام الوحده في الكثره وقد أشار قدس سره إلى أنه ينبغي أن يعرف حقيقه النفس من معرفه حقيقه الوجود و أطوارها فإن أولى البراهين بإعطاء اليقين هو النمط اللمي كما قال ع: من عرف نفسه فقد عرف ربه أي من عرف نفسه فقد عرف أولا- أحكام ربه وصفاته وعلى طبقه عرف نفسه فتلك المعرفه ميزان لهذه المعرفه وهذا أحد وجوه الحديث وقد ذكرنا في السابق وجوها فتذكر، س ره

لأحد فى أن كل شخص من الإنسان له هويه واحده و نفس واحده منها تصدر جميع الأفعال المنسوبة إليه و مع ذلك لا شبهه أيضا لمن له تدرب فى الصنائه أن الحاكم الحسى لا- بد أن يكون من باب الحس و المحسوس و الحاكم الخيالى لا بد أن يكون مرتبته مرتبه القوه الخياليه و الحاكم العقلى العملى لا- بد أن يكون مرتبته مرتبه المجرد ذاتا المتعلق نسبه و إضافه إلى الصور الجزئيه كما ذكرناه فى باب الوهم (١) و الموهومات أنه عقل مضاف إلى الحس و كذا الحاكم العقلى النظرى مرتبته مرتبه العقل المفارق المحض - فثبت من هذا أن النفس تنتقل انتقالا جوهريا من طور إلى طور حسبما ادعيناه و كذا يستفاد من قوله فله حاجه إلى البدن لكن لا دائما من كل وجه بل قد يستغنى بذاته أن النفس جسمانيه الحدوث روحانيه البقاء مع أنه غير قائل بهذه الاستحاله الجوهرية فإن حاجه النفس إلى البدن كما مر ليس كحاجه الصانع إلى الدكان فى أمر عارض له لا فيما يقوم وجوده بل حاجتها إليه فى ابتداء الأمر حاجه جوهري طبيعى لعدم استقلالها بالوجود دون البدن و قواه الحسيه و الطبيعیه و قد مر أيضا أن نفسه النفس هى نحو وجودها لا إضافه عارضه لذاتها بعد تمام هويتها فإذا كان الحال كذلك ثم صارت عقلا بالفعل غير محتاجه إلى البدن خارجه من حد كونها عقلا بالقوه إلى حد كونها عقلا بالفعل - صارت أحد سكان عالم العقل كالصور المعقوله التى هى بعينها عاقله لذاتها و أين صوره البدن العنصرى المادى و الصوره التى هى بذاتها معقوله بالفعل سواء عقلها غيرها أو لم يعقلها فهل ذلك إلا بتقلبها فى الوجود و استحالتها فى الجوهرية و اشتدادها فى الكون و ترقىها من أدون المنازل إلى أشرف المقامات و المعارج كما يشير إليه حكاية معراج النبی ص و ترقیه إلى كل مقام و استحالتها حتى بلغ المنتهى و رأى من آيات ربه الكبرى و كذا ما حكى الله عن الخليل ع وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ قوله حكاية عنه إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَأَينَ مَرْتَبَتِهِ الْبَشَرِيه كَمَا قَالَ تَعَالَى قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ* و هذه المرتبه الإلهيه التى أشار إليه

بقوله ص: لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب و لا نبى مرسل

١- قد عرفت هناك ما فيه و تعلق العقل و لو كان نظريا فى الابتداء تعلق المجرد المستكمل بالقوى و الصور التى فيها، س ره

فصل (٢) فى أوصاف النفس الإنسانىة و مجامع أخلاقها و اختلافها فى الشرف و الرداءة

أكثر الاختلاف الواقع فى الصفات الإنسانىة راجع إلى قوة النفس و شرفها

أكثر الاختلاف الواقع فى الصفات الإنسانىة (١) راجع إلى قوة النفس و شرفها و مقابلها أعنى الضعف و الخسة و هذا شىء يستفاد من تضاعيف ما ذكرناه فى أحوال الوجود و إن شدته و ضعفه مما يوجب اختلاف الأشياء ذاتا و صفة فنقول إن النفوس الإنسانىة لها تفاوت عظيم فى الكمال و النقص و الشرف و الخسة فالنفس القوية منها هى الوافىة بصدور الأفعال العظيمة منها و الشديده فى أبواب كثيره لما مر من جامعيتها للنشأت الوجوديه و النفس الضعيفه فى مقابلها.

مثال ذلك إنا نشاهد نفوسا ضعيفه يشغلها فعل عن فعل فإذا انصببت إلى الفكر اختل إحساسها أو إلى الإحساس اختل فكرها و إذا اشتغلت بالتحريكات الإراديه اختل أمر إدراكها و ترى (٢) نفوسا قوية تجمع بين أوصاف من الإدراكات و التحريكات سيما

١- بين النفس القوية و بين الشريفة عموم من وجه كما بين الضعيفه و الخسيسه و الكامله منها الجامعه بين الشرف و القوه و لا سيما القويه بما هى عقل ثم الشريفة فحسب ثم القويه فقط و إنما قال و أكثر الاختلاف احترازا عن الاختلاف العددى بنحو التساوى، س ره

٢- كمن يشم شيئا و يسمع شيئا و يكتب شيئا و نحو ذلك و لا يخلط و يميز بينها و يشعر بمزاياها و الحس المشترك للجميع آيه لمن لا يشغله شأن عن شأن فإنه و لا سيما على مذهب المصنف قدس سره و هو التحقيق من أن إدراك الجزئيات بالإنشاء و فعالیه النفس إذا كان بمحضره مبصر و مسموع و مشموم و فى ذائقته مطعوم و فى لامسته ملموس يدرك الكل دفعه واحده- و العقل البسيط الذى هو خلاق للعقول التفصيليه أعنى ملكه العلوم يدرك الكل دفعه واحده دهریه و إن لم يخطر بخیاله تفصيلا زمانيا بدليل أنه إذا سئل صاحب هذا العقل أسئلته شتى رأى فى نفسه جواب الكل رؤيه واحده و الذى يحسب أنه ليس له هذا العلم إلا حين التفصيل و أنه بالقوه قبله إلا أنه بالقوه القريبه بخلاف الأملى الجاهل فإنه عنده بالقوه البعيده يخلط عدم علم الخيال بعدم علم العقل و عدم العلم بصور كثيره بعدمه بصوره واحده هى الوجود الشدید الأكيد النورى الجمعى الذى هو ظاهر بالذات و مظهر لماهيات العلوم و تعيينات المسائل بنحو واحد بسيط لنفس ذلك العقل و إن لم يظهر لغيره الذى هو خيال نفسه و حس نفسه فضلا عن غيره و معلوم أن تمام ذات الإنسان ليس خياله و حسه بل أعلى مراتبه هذا العقل و جميع قواه يستمد منه و ليس هذا علما إجماليا بحسب العقل إذ الوجود نور و كلما كان أشد و أجمع كان إنارته للتعينات أقوى فإن يد الله تعالى مع الجماعه فإذا كانت الماهيات ظاهره متميزه بالوجودات المتكثره المتفرقه كانت متميزه أشد تميز و تفصيل بالوجود الواحد الجمعى كما أن كل الأعيان الثابته معلومه لله تعالى فى الأزل بعلم تفصيلى أتم تفصيل، س ره

ما يتعلق بالفضائل الباطنية فالقسم الأول هو صاحب النفس الضعيفه و الثانى صاحب النفس القويه.

ثم هذه (١) القوه و هذا الضعف قد يكون للنفس بما هى نفس حساسه و قد يكون لها بما هى عقل فالأول كما لأصحاب التخيلايت القويه كالكاهن و كصاحب العين - و الثانى كما لأصحاب العلوم الكثيره و أما النفس الشريفه بحسب الغريزه فهى الشبيهه بالمبادئ المفارقة فى الحكمه و الحريه أما الحكمه فهى إما أن تكون غريزيه أو مكتسبه فالحكمه الغريزيه هى كون النفس صادقه الآراء فى القضايا و الأحكام- و هذه الحكمه الغريزيه هى الاستعداد الأول لاكتساب الحكمه المكتسبه و النفوس الإنسانيه متفاوت فيها حتى أن البالغ منها إلى الدرجه العاليه هى النفس القدسيه النبويه المشار إليه بقوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءٌ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ إشاره إلى عدم احتياجه فى اكتساب العلم إلى معلم بشرى و يقابلها النفس البليده التى لا تنتفع بتعليم معلم أما الحريه فشرحها أن النفس إما أن لا تكون مطيعه بغريزتها إلى الأمور البدنيه و مستلذات القوى الحيوانيه و إما أن تكون مطيعه لها فالتى لا تكون كذلك هى الحره و إنما سميت بها لأن الحريه فى اللغه تطلق على ما يقابل العبوديه- و معلوم أن الشهوات مستعبده قاهره على استخدام النفوس الناقصه فهى عبده الشهوه غير حره عن طاعه الأمور البدنيه سواء تركها أم لم تتركها بل الشائق التارك أسوأ حالا

١- تنزل عما ذكر أولا- لثلا- يتوهم الانحصار إذ قال أولا فى أبواب كثيره و أيضا أصناف من الإدراكات و التحريكات و قوله فالأول أى الأولان و فيه لف و نشر غير مرتب، س ره

و أدنى درجه من الشائق الواجد فى الحال و إن كان أحسن حالا منه فى المال لأن عدم وجدانه فى الحال و اشتغاله بغيرها ربما يزيل عنه ذلك التوقان فى ثانى الحال فظهر من هذا أن الحرية الحقيقيه ما تكون غريزيه للنفس لا التى تكون بالتعويد و التعليم- و إن (١) كانت أيضا فاضله و هو معنى قول الفيلسوف أرسطاطاليس الحرية ملكه نفسانيه حارسه للنفس حراسه جوهرية لا صناعيه و بالجمله فكل ما كانت علاقته البدنيه أضعف و علاقته العقلية أقوى كان أكثر حرية و من كان بالعكس كان أكثر عبوديه للشهوات و إلى هذا أشار أفلاطون بقوله الأنفس المرذوله فى أفق الطبيعه و ظلها و الأنفس الفاضله فى أفق العقل و إذا علمت معنى الحكمه (٢) و الحرية- و حاصلهما قوه الإحاطه بالمعلومات و التجرد عن الماديات فاعلم أن جميع الفضائل النفسانيه يرجع إلى هاتين الفضيلتين و كذا الأخلاق الذميمة مع كثرتها ترجع كلها إلى أضداد هاتين و لا تكفيك تركيه النفس عن بعضها حتى تركى عن جميعها و لو تركت البعض غالبا عليك فيوشك أن يدعوك إلى البقيه و لا ينجو من عذابها إلا من أتى الله بقلب سليم و قال تعالى أيضا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

و قال النبى ص: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

و كما أن للإنسان صوره ظاهره حسننها بحسن الجميع و اعتداله و قبحها بقبح البعض فضلا عن الجميع فكذلك الصوره الباطنه لها أركان لا بد من حسن جميعها حتى يحسن الخلق و تحصل الحكمه و الحرية و هى أربعه معان قوه العلم و قوه الغضب و قوه الشهوه و قوه العقل (٣) و العدل بين هذه

-
- ١- بل فيها فضائل جمه إذ الاعتناء فى الاستكمال بالكسيات و علم الأخلاق مدون لاقتنائها و لا فخر إلا بالكسيات كما قال: الخاتم ص أنا سيد ولد آدم و لا فخر و فى قول الفيلسوف لا شاهد لأنه قال الحرية ملكه و لم يقل غريزه مثلا و الملكة تكتسب بالتكرار و التعويد و قوله لا صناعيه عطف على جوهرية لا على ملكه، س ره
 - ٢- أى الغريزتين و حاصلهما أى حاصل مفهومهما قوه الإحاطه أى استعداد الإحاطه إذ ما علمت هى الغريزه و هى الاستعداد الأول للحكمه الكسبيه كما مر أو حاصلهما أى ثمرتهما شده الإحاطه، س ره
 - ٣- أى قدره العقل العملى على العداله بينها فالمراد بقوه العلم استعداد العقل النظرى، س ره

الأمر فإذا استوت هذه الأركان الأربع التي هي مجامع الأخلاق التي تتشعب منها أخلاق غير محصوره اعتدلت و تناسقت و حصل حسن الخلق أما قوه العلم فأعدلها و أحسنها أن تصوير بحيث تدرك الفرق بين الصدق و الكذب في الأقوال و بين الحق و الباطل في الاعتقادات و بين الجميل و القبيح في الأعمال فإذا انصلحت هذه القوه و اعتدلت من غير غلو(١) و تقصير حصلت منها ثمره هي بالحقيقه أصل الخيرات و رأس الفضائل و روحها قال الله تعالى وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ قَالَ أَيْضًا ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ بعد قوله وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ فهذه(٢)

١- الغلو و يقال له الجريزه هو كثره الفكر في تكثير الفوائد الجزئيه الدنيويه- و دفع المضار الدنيويه و التقصير إهماله و التفريط فيه و هذه حكمه هي أحد أركان العدالة و هي خلق كالعفه و الشجاعه و ليست بعلم و لذا يطلب فيها الاقتصاد و أما الحكمه النظرية فكلما كانت أكثر كانت أفضل كما قيل الشيء يعز حيث ينذر و العلم يعز حيث يغزر و هذه الحكمه الخلقية هي الغريزيه التي عرفها بكون النفس صادقها الآراء في القضايا، س ره

٢- العلميه المكتسبه التي هي أصل الخيرات ثمره الحكمه الخلقية و الحكمه الخلقية التي هي أحد أجزاء العدالة قد جعلها الشيخ في أواخر إلهيات الشفاء مخصوصه بالفكر الوسط في الأمور المعاشيه كما قلناه و الأولى عدم التخصيص حتى يشمل الفكر في النظريات لكن لا- إن الإمعان فيها جريزه لأنه فضيله بل التردد فيها و عدم الوقوف على الآراء الحقه الحاصل عن عدم المزاوله عليها و عدم استدامه خدمه العلوم الحقيقه- و مع هذا العنق المنكسر يتصرف صاحبه في المعقولات بالغرور و معلوم أنه استسمن ذا ورم و نفخ من غير ضرر و مجالسه من هذا شأنه تجلبها كما أن مجالسه الجهلاء و الأغنياء تجر الغباوه و بالجملة قد يشبه هذه الحكمه الخلقية بالحكمه العلميه المعرفه بالعلم بالحقائق على ما هي عليه و هذه يطلب فيها الإفراط و قل رب زدني علما. و تلك يطلب فيها التوسط و من الناس من ظن أن هذه الحكمه العلميه هي الحكمه العلميه التي هي قسيمه للنظريه و هو من بعض الظن لأن هذه الحكمه القسيمه أيضا علم يطلب فيها الزيادة لا التوسط و التي جزء العدالة خلق و الخلق ليس جزء من الفنون العلميه و الحكميه و هي جزء منها معرفه بمعرفه الأشياء التي بقدرتنا و اختيارنا و هي ثلاثه السياسه و المنزليه و علم تهذيب الأخلاق و بالجملة هذه هي العلم بالخلق- و الحكمه التي هي جزء العدالة نفس الخلق و اعلم أن كل من العفه و الشجاعه و السخاوه و الحكمه قسمان فطري و كسبي فمن النفوس ما هي بالفطره إليها مياله كما أن منها ما هي إلى مقابلاتها مياله كما قال على ع^ه رأيت العقل عقلين فمطبوع و مسموع و لن ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع و لا- يكلف بالفطريات بل هي نعم موهبيه و إنما يكلف بالكسبيات منها لتصير النفس نورا على نور و لا شك أن بمزاوله أفعال العفه و قرائنها و الاجتناب عن الأطراف إفراطا و تفريطا و مصاحبه الأخيار و الأبرار و مجانبه الأشرار تصوير الفطريات أتم و أحكم و إن كان في الفطره قصور بيدل بالتمام، س ره

الحكمة ثمره الحكمة بالمعنى الأول و هي كلما كانت أكثر و أشد فهي أفضل بخلاف المعنى الأول و أما قوه الغضب فاعتدالها أن يصير انقباضها و انبساطها على موجب إشاره الحكمة و الشريعة و كذلك قوه الشهوة و أما قوه العداله فهي في ضبط قوه الغضب و الشهوة تحت إشاره الدين و العقل فالعقل النظري منزلته منزله المشير الناصح و قوه العدل و هي القدره التامه منزلتها منزله المنفذ و الممضى لأحكامه و إشاراتة و قوتا الغضب و الشهوة هما اللذان تنفذ فيهما الحكم و الإشاره و هما كالكلب و الفرس للصياد حيث ينبغي أن يكونا في الحركه و السكون و القبض و البسط و الأخذ و الترك مطيعين له منقادين لحكمه و أما قوه الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعه و الله تعالى يحب الشجاع فإن مالت إلى طرف الإفراط سمى تهورا و إن مالت إلى النقصان سمى جبنا و يتشعب من اعتدالها و هو الشجاعه خلق الكرم و النجده و الشهامه و الحلم و الثبات- و كظم الغيظ و الوقار و غير ذلك و أما إفراطها فيحصل منه خلق التهور و الصلف- و البذخ و الاستشازه و الكبر و العجب و أما تفريطها فيحصل منه الجبن و المهانه و الذله و الخساسة و ضعف الحميه على الأهل و عدم الغيره و صغر النفس و أما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفه و عن إفراطها بالشره و عن تفريطها بالخمود فيصدر من العفه(١) السخاء و الحياء و الصبر و المسامحه و القناعه و الورع و قله الطمع و المساعدة- و يصدر عن إفراطها الحرص و الوقاحه و التبذير و الرياء و الهتك و المجافه و الملق

١- كثيرا ما يعد أجزاء العداله أربعه كما قلناه و قد يثلاث فيحذف السخاوه و تدرج في الشجاعه و المصنف قدس سره أدرجها في العفه، و جعل العدل رابعها، س ره

و الحسد و الشماته و التذلل للأغنياء و استحقر الفقراء و غير ذلك و أما قوه العقل و الحكمه فيصدر عن اعتدالها حسن العدل و التدبير و جوده الذهن و ثقابه الرأي- و إصابه الظن و التفطن لدقائق الأعمال و خبايا آفات النفوس و أما إفراطها فتحصل منه الجريزه و المكر و الخدع و الدهاء و يحصل من ضعفها البله و الحمق و الغباوه و الانخداع فهذه هي رءوس الأخلاق الحسنه و الأخلاق السيئه المعبر عنها في حديث عذاب القبر للمنافق برءوس التين و معنى(١) حسن الخلق في جميع أنواعها الأربعة- و فروعها هو التوسط بين الإفراط و التفريط و الغلو و التقصير فخير الأمور أوسطها- و كلا(٢) طرفي قصد الأمور ذميم قال تعالى وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ- وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ وَ قَالَ وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَ قَالَ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ وَ مهما انحرف بعض هذه الأمور- عن الاستقامه إلى أحد الجانبين فبعد لم تتم مكارم الأخلاق

و مما يجب أن يعلم في هذا المقام

أن قوه(٣) النفس غير شرفها كما أشير إليه- و كل منهما قد(٤) يزيد في الآخر و قد يتفق لوازمها أما أن كلا من شرف النفس و قوته قد يزيد على الآخر فلأن الشجاعه مثلا قد يصدر لكبر النفس و احتقار الخصم و استشعار الظفر به و قد يصدر لشرف النفس و الترفع عن المهانه و الذله كما قال الفيلسوف النفوس الشريفه تأبى مقارنه الذله و ترى حياتها في ذلك موتها و موتها

١- أى معناه فيما يعد شجاعه و عفه مثلا في العرف المشهور و كذا كرما و نجده و شهامه و غيرها من فروع الأربعة هو التوسط إلخ و إلا فهي أنفسها ليست إلا التوسط بين الإفراط و التفريط في عرف علماء تهذيب الأخلاق، س ره

٢- تضمين لمصراع بيت، س ره

٣- و أن أقسامهما كثيره فنفس قويه في العقل فقط و نفس قويه في الخيال فقط- و نفس قويه في الحس فقط و نفس قويه في الثلاثه فقط أى بلا شرافه و نفس شريفه فقط- و نفس جامع بين القوه و الشرافه إما في الغايه فيهما و إما في التوسط فيهما أو في إحداهما في الغايه و في الأخرى في التوسط، س ره

٤- أى قد ينضم و يضاف إلى الآخر كما قال فإن كانت من قوه النفس فلا بد فيها من الحكمه لتضع الشئء موضعه و تكون عدلا، س ره

فيها حياتها فإن كانت من قوه النفس فلا بد فيها من الحكمه لأن الشجاعه من هذا الوجه عبارته عن مطاوعه النفس غريزتها العقليه الحكميه فى الإقدام والإحجام (١) والجبن وهو أن تطاوع فى الإحجام ولا تطاوع فى الإقدام وذلك إما للجهل أو للتضعيف- و التهور هو أن تطاوع فى الإقدام ولا تطاوع فى الإحجام وهو لازم لقوه النفس مع جهلها و أما أن القوه و الشرف قد يتفقان فى اللوازم فتلك مثل حب الرئاسة فى النفس الشريفه و فى النفس القويه الجاهله فإن الجاهل القوى لجهله يظن بنفسه كونه أهلا لما ليس أهلا له و لقوه نفسه يقدم على طلبها و غنى النفس قد يكون لقوتها و علمها بالقدره (٢) على رفع الحاجات فى أوقاتها و قد يكون لشرفها و قله التفاتها إلى (٣) الموجود و اهتمامها بالمفقود و فقر النفس كذلك قد يكون لضعفها و ظنها الفقد عند الحاجه و قد يكون لخستها و احتكارها و عداله لازمه لشرف النفس خصوصا مع القوه و الجور لخستها فى الخسيسه المشتاقه إلى جمع المال و الصدق قد يلزم شرف النفس و الكذب خستها و الكرم للقوه مع الشرف و السفه للضعف مع الخسه و كبر الهمة لقوه النفس الشريفه أيضا و الفشل و صغر الهمة لضعف النفس الخسيسه

-
- ١- هو خلاف الإقدام كما قال الشاعر- لا يركنن أحد إلى الإحجام يوم الوغا متخوفا لحمام ، س ره
 - ٢- أى بقدره نفسها و استشعار الظفر بالمطلوب فلا تشتغل هذه النفس بالجمع و الادخار و لا تعتنى بالأسباب فإنه حاجه من ضعف النفس و المفروض أنها قويه قادره بزعمها على نيل مطلوبها و إن كان من باب وثوقها بالله تعالى و علمها بقدرته كان من باب الشرافه، س ره
 - ٣- أى الموجود الطبيعى الحاضر للحواس و المفقود هو الغائب الغير الموجود لها- فليس له الوجود الرابطى و له الوجود النفسى التام، س ره

فصل (٣) فى منازل الإنسان و درجانه بحسب قوى نفسه

إن كل إنسان بشرى باطنه كأنه معجون من صفات قوى بعضها بهيميه و بعضها سبعيه و بعضها شيطانيه و بعضها ملكيه حتى يصدر من البهيميه الشهوه و الشره و الحرص و الفجور و من السبعيه الحسد و العداوه و البغضاء و من الشيطانيه المكر و الخديعه و الحيله و التكبر و العز و حب الجاه و الافتخار و الاستيلاء و من الملكيه العلم و التنزه أو الطهاره و أصول جميع الأخلاق هذه الأربعه و قد عجت فى باطنه عجا محكما لا يكاد يتخلص منها و إنما يخلص من ظلمات الثلاثه الأول بنور الهدايه المستفاد من الشرع و العقل و أول ما تحدث فى نفس الآدمى البهيميه فتغلب عليه الشهوه و الشره فى الصبى ثم تخلق فيه السبعيه فتغلب عليه المعاداه و المناقشه ثم تخلق فيه الشيطانيه- فيغلب عليه المكر و الخديعه أولا إذ تدعوه البهيميه و الغضبيه إلى أن يستعمل كياسته فى طلب الدنيا و قضاء الشهوه و الغضب ثم تظهر فيه صفات الكبر و العجب و الافتخار و طلب العلو ثم بعد ذلك يخلق فيه العقل الذى به يظهر نور الإيمان و هو من حزب الله تعالى و جنود الملائكه و تلك الصفات من جنود الشيطان و جند العقل يكمل عند الأربعين و يبدو أصله عند البلوغ و أما سائر جنود الشياطين يكون قد سبق إلى القلب قبل البلوغ و استولى عليه و ألفتة النفس و استرسل فى الشهوات متابعا لها إلى أن يرد نور العقل فيقوم القتال و التطارد فى معركة القلب فإن ضعف العقل استولى عليه الشيطان و سخره و صار فى العاقبه جنود الشيطان مستقره كما سبقت إلى النزول فى البدايه فيحشر الإنسان حينئذ مع إبليس و جنوده أجمعين و إن قوى العقل بنور العلم و الإيمان صارت القوى مسخره و انخرطت فى سلك الملائكه محشوره إليها و ما تَدْرِ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

فصل (٤) فى كىفیه ارتقاء المدرکات من أدنى المنازل إلى أعلاها و الكلام فى مراتب التجرد

فى كىفیه ارتقاء المدرکات (١) من أدنى المنازل إلى أعلاها و الكلام فى مراتب التجرد اعلم أن لكل معنى معقول ماهیه کلیه لا تأبى الا-شتراک و العموم كالإنسان مثلا- فى إنسان طبعه مطلقه لا- يمنع تصورهما عن وقوع الشرکه بین كثيرین و هى من حیث هى لا تقتضى التوحد و التکثیر و لا المعقولیه و لا المحسوسیه و لا الکلیه و لا الشخصیه و إلا لم تكن مقوله على ما يقابل مقتضاها كما عرفت فى مباحث الماهیه.

ثم إن هذه الطبعیه إذا حصلت فى ماده خارجیه یقارنها بعض من کیف و الكم و الأین و الوضع و متى و جمیع هذه الأمور زائده على ماهيتها كما عرفت إلا أنها داخله فى الشخصیات و أنحاء الوجودات و ليس كما زعمه (٢) الجمهور أن للماهیه وجودا فى الخارج و لأحوالها الشخصیه وجودا آخر و ذلك لعدم معرفتهم بأحوال الوجود و أنحاءه بل وجود الإنسان بما هو إنسان فى الخارج هو بعینه تشخصه الخارجى المستلزم لقدر من الكم و کیف و غیرهما لا أن هذه أمور زائده على وجوده المادى لكن لما (٣) رأوا أن

-
- ١- بصیغه اسم الفاعل ناظر إلى قوله فاعلم أن الإنسان من جملة الأكوان الطبعیه إلخ كما أن قوله و الكلام فى مراتب التجرد ناظر إلى قوله ثم إن هؤلاء القوم لما رأوا إلخ على أن الكلام فى أنواع الإدراکات و المدرکات بالذات بصیغه المفعول أيضا- كلام فى كىفیه ارتقاء المدرکات سیما على قاعده اتحاد المدرک و المدرک، س ره
 - ٢- أى من أهل القشور و أما المحققون فقالوا إن الکلی الطبعی موجود بعین وجود أشخاصه كما قال قدس سره بل وجود الإنسان بعینه تشخصه فوجوده و وجود شخصه واحد و استلزام تشخصه قدرا من الكم و غیره استلزام الشىء علائمه، س ره
 - ٣- عذر من قبلهم فى کون وجود الطبعی غیر وجود شخصه بأن غیر المتبدل غیر المتبدل- و جواب بأنه كما لا یصادم تغاير الأفراد فى النوع المنتشر الأفراد وحدته كذلك لا یصادم تغیر الفرد الواحد وحدته الشخصیه لأن التمیيز غیر التشخص فیجوز بقاء التشخص مع تفننه- و قوله وحدتها النوعیه إشاره إلى وحده الکلی الطبعی و وحدتها العقلیه إلى وحده الکلی العقلی، س ره

هذه الأمور متبدله و الإنسانيه باقيه زعموا أن وجودها غير وجود الماهيه و لم يتفطنوا أنه كما يجوز للماهيه الواحده أعداد من الوجود و أشخاص من الكون بحيث لا- ينافى ذلك وحدتها النوعيه و لا- وحدتها العقليه التجريديه كذلك لا ينافى وحدتها العدديه- استحالتها فى الوجود الشخصى من طور إلى طور مع انحفاظ الهويه الشخصيه على نعت الاتصال التدريجى كما مر بيانه.

ثم إن هؤلاء القوم لما رأوا فى كتب أسلافهم من الحكماء الأقدمين أن أنواع الإدراكات كالحس و التخيل و الوهم و العقل أنما تحصل بضرب من التجريد زعموا أن التجريد المذكور عبارته عن حذف بعض الصفات و الأجزاء و إبقاء البعض بل كل (١) إدراك إنما يحصل بضرب من الوجود و يتبدل الوجود إلى وجود آخر مع اتحاد الماهيه و العين و الثابت فالوجود المادى يلزمه وضع خاص و ماده معينه ذات كم و كيف خاص و أين معين و الوجود (٢) الحسى وجود صورى غير ذى وضع و لا قابل لهذه الإشارات الحسيه إلا أنه مشروط بوجود الماده الخارجيه و صورتها المماثله لهذه الصور المحسوسه- ضرباً من المماثله حتى أنه لو عدمت تلك الماده الخارجيه لم تكن الصوره الحسيه مفاضه على قوه الحس و أما الوجود الخيالى فهو وجود صورى غير مشروط بحضور الماده و لا الإدراك الحسى إلا عند الحدوث و هو مع ذلك صورته شخصيه غير محتمله للصدق- و الحمل على الكثره و أما الوجود العقلى فهو صورته غير ممتنع عن الاشتراك بين الكثره و الحمل [و الصدق] عليها إذا أخذت مطلقه لا بشرط التعيين كالإنسان (٣)

- ١- يعنى أن الإدراك ضرب من الوجود نورى على مراتبه فى النوريه و فى الحقيقه المدرك يترقى من منزل إلى منزل لا- أن الإدراك هو الوجود الطبيعى الظلمانى إلا أنه يحذف عنه بعض و يبقى بعض حذفاً أقل أو أكثر و أن التفاوت فيه، س ره
- ٢- أى المحسوس بالذات وجود آخر أشرف من المحسوس بالعرض و أخس من الوجود الخيالى كما أن الخيالى أخس من العقلى بمراتب، س ره
- ٣- أى الكلى العقلى و هو رب النوع المشاهد عن بعد و سمعه و بصره و يده و رجله علمه الحضورى و قدرته النافذه على أن كل مدرك و محرك فى أصنامهم مأخوذ من لا بشرط منه و متصل به إلا أن سمعه الذاتى و بصره الذاتى علمه الحضورى و يده و رجله الذاتيين قدرته الذاتيه، س ره

العقلى المشترك بين كثيرين و كذا أجزاءه العقلية كالسمع العقلى و البصر العقلى و اليد العقلية و جميع الأعضاء العقلية على وجه لا- ينافى كثرتها فى بساطه تلك الصور العقلية بحسب الوجود فإن الواحد العقلى قد يكون ذا معان كثيرة متخالفه المفهوم متحدته الوجود.

ثم إنك قد علمت مما ذكرناه مرارا أن الأشياء ذوات الطبائع متوجهة إلى كمالاتها و غاياتها فاعلم أن الإنسان من جملة الأكوان الطبيعية مختص بأن واحدا شخصا من نوعه قد يكون مترقيا من أدنى المراتب إلى (١) أعلاها مع انحفاظ هويته الشخصية المستمرة على نعت الاتصال و ليس (٢) سائر الطبائع النوعية على هذا المنهاج- لأن المادة الحاملة لصورتها تنفصل عنها إلى صورته أخرى من نوع آخر منقطعه عن الأولى فلا- تنحفظ فى سائر التوجهات الطبيعية هوياتها الشخصية بل و لا النوعية أيضا بخلاف الشخص الإنسانى إذ ربما يكون له أكوان متعددة بعضها طبيعى و بعضها نفسانى و بعضها عقلى و لكل من هذه الأكوان الثلاثة أيضا مراتب غير متناهية (٣) بحسب الوهم و الفرض لا- بحسب الانفصال الخارجى ينتقل من بعضها إلى بعض أى من الأدون

١- أى غايه الغايات مع انحفاظ هويته بهويته النفس و هويه النفس بهويه العقل- و هويه العقل بهويه كل هو كما فى الدعاء: يا هوى يا من هو يا من لا هو إلا هو، س ره

٢- فالماء إذا صار هواء لا- يبقى بفردته و لا- بنوعه و كذا فى المركب كالغنم إذا صار إنسانا بخلاف الغنم الذى هو الإنسان الجاهل إذا صار إنسانا و الإنسان إذا صار كاملا فى عقله النظرى و العملى أى ملكا علاما و ملكا عمالا بقيت نوعيته بل هويته المتطورة، س ره

٣- فلا أعداد فضلا عن أن يكون غير متناهية فلا يلزم كون الغير المتناهى محصورا بين حاصرين إذ لا مفصل خارجى كما قلنا فى طبقات البرازخ و العقول فلا تغفل و بوجه بعيد كالم متصل الواحد الذى هو الفلك الأطلس فإنه واحد شخصى إذ لا مفصل إلا- فى الوهم- هذا فى الجواهر و فى الأعراض كالم متصل الواحد الخطى كمحور الأطلس بل كالخط الواحد الغير المتناهى و الزمان المتصل الواحد الذى من الله و إلى الله و لا تعدد هناك إلا فى الوهم بتخلل النقاط و لا هنا إلا بتخلل الآتات عند التجزئه بالأيام و الساعات و الدقائق و الثوانى و غيرها، س ره

إلى الأرفع و من الأ-خس إلى الأشرف فما لم يستوف جميع المراتب التى يكون للنشأ الأولى من هذه النشآت الثلاث أعنى الطبيعى و النفسى و العقلى لم ينحط إلى النشأ الثانى و هكذا من الثانى إلى الثالث فالإنسان من مبدأ طفوليته إلى أوان أشده (١) الصورى إنسان بشرى طبيعى و هو الإنسان الأول فيتدرج فى هذا الوجود و يتصفى و يتلطف حتى يحصل له كون أخرى نفسانى و هو بحسبه إنسان نفسانى و هو الإنسان الثانى و له أعضاء نفسانية لا تحتاج فى وجودها النفسانى إلى مواضع متفرقة- كما إذ ظهرت فى الماده البدنيه حين وجودها الطبيعى فإن الحواس فى هذا الوجود متفرقة تحتاج إلى مواضع مختلفه ليس موضع البصر موضع السمع و لا موضع الذوق موضع الشم و بعضها أكثر تجزيا من البعض و أشد تعلقا بالماده كالقوه اللامسه و هى أول درجات الحيوانيه و لذا لا- يخلو منها حيوان و إن كان فى غايه الخسه و الدناءه قريبا من أفق النباتيه كالأصداف و الخراطين و هذا بخلاف وجودها النفسانى فإنه أشد جمعيه من هذا الوجود فتصير الحواس كلها هناك حسا واحدا مشتركا و هكذا قياس القوى المحركه ففى هذا العالم بعضها فى الكبد و بعضها فى الدماغ و بعضها فى القلب و بعضها فى الأنثيين و بعضها فى غير ذلك من الأعضاء و فى العالم النفسانى مجتمعهم ثم إذا انتقل من الوجود النفسانى إلى الوجود العقلى و صار عقلا بالفعل و ذلك فى قليل من أفراد الناس فهو بحسب ذلك الوجود إنسان عقلى و له أعضاء عقليه كما أومأنا إليه و هو الإنسان الثالث هذا إذا أخذ الترتيب من هذا العالم و أما إذا أخذ من عالم العقل فالإنسان الأول هو العقلى و بعده النفسانى و الثالث هو الطبيعى كما فعله إمام المشائين و معلمهم و لا مشاحه فى الاصطلاحات فقد قال فى كتاب أثولوجيا الإنسان العقلى يفيض بنوره على الإنسان الثانى الذى فى العالم النفسانى و الإنسان الثانى يشرق بنوره

١- أى البشرى الطبيعى فقط إلى هنا غالبا و المعيار أنه إلى حصول استحكام الخيالات فإن الأطفال فى أوائل حالهم لا يرون الرؤيا لضعف خيالهم و خيالاتهم مرائى لحاظ محسوساتهم و كذا الإنسان النفسانى فقط إلى أوان تحصيل المعقولات و عند هذا إنسان عقلى سيما إذا صارت الحسيات و الخيالات مرائى لحاظ العقليات و خلص من التلوين- و استقر فى مقام الاستقامه و التمكين فاستقم كما أمرت، س ره

على الإنسان الثالث و هو الذى فى العالم الجسمانى الأسفل فإن كان هذا على ما وصفناه قلنا إن فى الإنسان الجسمانى الإنسان النفسانى و الإنسان العقلى و لست أعنى هو هما لكنه أعنى أنه متصل بهما و أنه صنم لهما و ذلك أنه يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلى و بعض أفاعيل الإنسان النفسانى و ذلك أن فى الإنسان الجسمانى - كلمات الإنسان النفسانى و كلمات الإنسان العقلى فقد جمع الإنسان الجسمانى كلتا الكلمتين أعنى النفسانى و العقلى إلا أنهما فيه قليله ندره لأنه صنم الصنم انتهى كلامه.

و لا- منافاه بين ما ذكرناه من أن بعض أفراد الناس إنسان طبيعى ثم يصير إنسانا نفسانيا- ثم يصير على سبيل الندره و الشذوذ إنسانا عقليا و بين ما ذكره من أن فى الإنسان الجسمانى كلتا الكلمتين إن نظرنا فيما خرج من القوه إلى الفعل و صار مقامه ذلك المقام يعنى مرتبه هويته الوجوديه لا- الذى هو بعد بالقوه و من جهة مجرد الارتباط و الاتصال و قبول الآثار و حكاية الأفعال و مما يجب أن يعلم أن الإنسان هاهنا مجموع النفس (١) و البدن و هما مع اختلافهما فى المنزل موجودان بوجود واحد فكأنهما شىء واحد ذو طرفين أحدهما متبدل دائر فان و هو كالفرع و الآخر ثابت باق و هو كالأصل و كلما كملت النفس فى وجودها صار البدن (٢) أصفى و ألطف و صار أشد اتصالا بالنفس و صار الاتحاد بينهما أقوى و أشد حتى إذا وقع الوجود العقلى صار شيئا واحدا بلا مغايره و ليس الأمر كما

-
- ١- كما إذا عرفته بالأجزاء العقلية فالتعريف التام له هو الحيوان الناطق لا الحيوان فقط و لا الناطق فقط كذلك إذا عرفته بالأجزاء الخارجيه فالتعريف التام أنه نفس و بدن نعم الإنسان الملكوتى هو النفس و الإنسان البشرى الطبيعى هو البدن و أما الإنسان التام فهو المجموع و الأولى حذف لفظ هاهنا لأنه بصدد أن التجرد ليس طرح البدن بل ألطفيته و أتميته إلا- أن يكون ناظرا إلى وصف المجموع بالاجتماع و بالجملة فى هذا التحقيق تعريض بالظانين إذ على ظنهم كان الإنسان هو النفس، س ره
 - ٢- الأصفائيه و الاتصال و الاتحاد شأن البدن المثالى لكن لما كان شئيه الشىء بصورته كان اتحاداه و نحوه اتحاد البدن الطبيعى- بس بزرگان گفته اند نى از گراف جسم پاكان عين جان افتاد صاف ، س ره

ظنه الجمهور أن النفس عند تبدل وجودها الدنيوى إلى وجودها الأخرى تنسلخ عن بدنها و تصير كعريان يطرح ثوبه و ذلك لظنهم أن البدن الطبيعى الذى تدبره و تتصرف فيه تدبيرا ذاتيا و تصرفا أوليا هذه الجثة الجمادية التى يطرح بعد الموت و ليس (١) كذلك بل هذه الجثة الميتة خارجة عن موضوع التصرف و التدبير و إنما هو كثفل و دردى يقع مدفوعا عن فعل الطبيعه كالأوساخ و ما يجرى مجراها أو كالأشعار و الأبواب و القرون و الأظلاف مما تحصله الطبيعه خارجا عن ذاتها لأغراض خارجيه كالدار بينيها الإنسان لا لأجل الوجود بل لدفع الحر و البرد و سائر ما لا يمكن التعيش بدونها فى هذا العالم مع أنها لا تسرى فيها الحياه الإنسانيه فالبدن الحقيقى هو الذى يكون سريان نور الحس و الحياه فيه بالذات لا بالعرض و نسبته (٢) إلى النفس نسبه الضوء إلى الشمس - و لو كانت هذه الجثة الساقطه مما سرت فيه قوه الحياه بالذات لا كالظرف و الوعاء لما بقيت مطروحه منهدمه كالدار التى خربت لارتحال صاحبها منها و بالجملة حال النفس فى مراتب تجردها كحال المدرك الخارجى إذا صارت محسوسا ثم متخيلا ثم معقولا فكما أن قولهم لكل إدراك ضرب من التجريد و إن تفاوت مراتب الإدراكات بحسب مراتب التجريدات معناه هو الذى ذكرناه من أن التجريد للمدرك ليس عباره عن إسقاط بعض صفاته و إبقاء البعض بل عباره عن تبديل الوجود الأدنى الأنقص إلى الوجود الأعلى الأشرف فكذلك تجرد (٣) الإنسان و انتقاله من الدنيا إلى الأخرى ليس إلا تبديل نشأته الأولى إلى

-
- ١- لأن تدبيره الذاتى و تصرفه الأولى فى الدنيا أيضا فى البدن المثالى و تصرفه الثانوى فى الروح البخارى و غلافه، س ره
 - ٢- أى نسبه البدن الحقيقى و هو البدن الأخرى إليها نسبه الضوء إلى الشمس - و الظل إلى ذى الظل و اللازم إلى الملزوم إلا أن ذلك البدن الأخرى فى العقول بالفعل غير ملتفت إليها كما أن ظل الإنسان غير ملتفت إليه، س ره
 - ٣- بل تجرد المدرك تجرد المدرك بناء على اتحادهما و فى كلتا المرتبتين يبدل الأرض غير الأرض و الوجود الظلمانى المادى وجودا صوريا نورا أشرف و أكمل و أبقى و لما كان شئيه الشىء بصورته كان كمال ذلك الكمال هذا بل نفس ذلك كمال هذا فإن كل الصور فى الترقى إلى أن تستغنى عن المواد و تتصل بالصور الصرفه المثاليه - أى تنغمر و تنمحي فيها كما أن كل النفوس تستكمل إلى أن تتصل بالعقول حتى النفوس الحيوانيه تتصل بأرباب أنواعها و تحشر بحشرها حشرا تبعا، س ره

نشأه ثانيه و كذا النفس إذا استكملت و صارت عقلا بالفعل ليس بأن يسلب (١) عنها بعض قواها كالحساسه و يبقى البعض كالعاقله بل كلما تستكمل و ترتفع ذاتها كذلك تستكمل و ترتفع سائر القوى معها إلا أنه كلما ارتفع الوجود للشئ صارت الكثره و التفرقه فيه أقل و أضعف و الوحده و الجمعيه فيه أشد و أقوى.

و يؤيد ما ذكرناه قول هذا الفيلسوف بعد الكلام الذى نقلناه فقد بان أن الإنسان الأول حساس إلا أنه بنوع أعلى و أفضل من الحس الكائن فى الإنسان السفلى - و أن الإنسان السفلى إنما ينال الحس من الإنسان الكائن فى العالم الأعلى العقلى كما بيناه و أوضحناه فإننا بينا كيف يكون الحس فى الإنسان و كيف لا تستفيد الأشياء العاليه من الأشياء السفليه بل هى المستفيدة من الأشياء العاليه لأنها متعلقه بها فلذلك صارت هذه الأشياء متشبته بتلك الأشياء فى جميع حالاتها و أن قوى هذا الإنسان إنما هى مستفاده من الإنسان العالى و أنها متصله بتلك القوى غير أن لقوى هذا الإنسان محسوسات - غير محسوسات قوى إنسان العالم الأعلى و ليست تلك المحسوسات أجساما و لا ذلك الإنسان يحس و يبصر مثل هذا الإنسان (٢) لأن تلك المحسوسات و ذلك البصر خلاف

-
- ١- فإن الترقيات الطويله تغيرات استكماليه و الاستكمال فى الطول ليس بالخلع و اللبس كما فى الانقلاب إلا خلع النقص و الحد بل للتالى كمال المتلو مع شئ زائد فهو لبس ثم لبس فالقوى التى فى الإنسان الطبيعى كلها فى الإنسان النفسانى بأضعافها - و فى الإنسان العقلى بأضعاف أضعافها كما مر إلا أنها بنحو جميع لكونه فى عالم الجمع و يد الله مع الجماعة، س ره
 - ٢- لأن الإنسان الطبيعى يحس بالآلات و الإنسان العقلى لتماميته و غنايه يحس بذاته و علمه الحضورى يرجع إلى سمعه و بصره و لأن الإنسان الطبيعى إذا أحس بشئ و ناله زوى عنه الآخر و العقلى لا يشغله شأن عن شأن يحس الشئ مع المحسوسات الأخرى كما قال ذلك أكثر نيلا للأشياء و إنه يبصر الكليات و كما قال بعض الحكماء - الأول تعالى يعلم الجزئى على وجه كلى أى يعلم الجزئى مع كل الجزئيات الأخرى دفعه واحده سرمدية و لأنه لما كان علم الإنسان العقلى حضوريا وقع بصره و هو علمه الشهودى على أشياء أكرم و أشرف و هى المجردات فهو يبصر بإبصار واحد جميع ما فى عالم العقول - و جميع ما فى عالمى المثال و الطبيعه من المبصرات و إبصار ما دونه إبصاره أيضا و قس عليه، س ره

هذه لأنه يبصر الأشياء بنوع أفضل و أرفع من هذا النوع و هذا البصر و لذلك صار ذلك البصر أقوى و أكثر نيلا للأشياء من هذا البصر لأن ذلك البصر يبصر الكليات- و هذا البصر يبصر الجزئيات لضعفه و إنما صار ذلك البصر أقوى من هذا البصر لأنه يقع على أشياء أكرم و أشرف و أبين و أوضح من الأبدان فلذلك صار ذلك الحس- و ذلك البصر أقوى و أكثر معرفه و صار هذا البصر ضعيفا لأنه إنما ينال أشياء خسيسه دنيه و هى أصنام لتلك الأشياء العاليه و نصف تلك الحسائس فأقول إنها عقول ضعيفه- و نصف تلك العقول فنقول إنها حسائس قويه على ما وصفناه من أنه كيف يكون الحس فى الإنسان العالى انتهى كلامه.

و قال فى موضع آخر من ذلك الكتاب فإن كانت (١) النفس على هذه الصفه أى إن فيها كلمات الفواعل فلا محاله أن فى النفس الإنسانيه كلمات فواعل تفعل الحياه و النطق و إذا صارت النفس الهيولانيه أى الساكنه فى الجسم على هذه الصفه قبل (٢) أن يسكن فيه فهو إنسان هناك لا محاله فإذا صارت فى البدن صنم (٣) إنسانا آخر- و نفسه على نحو ما يمكن أن يقبل ذلك الجسم من صنم الإنسان الحق و كما أن المصور يصور صوره الإنسان الجسمانى فى مادتها و فى بعض ما يمكنه أن يصور فيه و يحرص على أن يتقن تلك الصوره و يشبهها بصوره هذا الإنسان على نحو ما يمكن أن يقبل العنصر- الذى يصورها فيه فتكون تلك الصوره إنما هى صنم لهذا الإنسان إلا أنها أدون و أنقص منه بكثير و ذلك أنه ليس فيه كلم الإنسان فواعل و لا حياته و لا حركته و لا حالاته و لا قواه فكذلك هذا الإنسان الحسى إنما هو صنم لذلك الإنسان الأول الحق إلا أن المصور هى النفس فقد حرصت أن يشبه هذا الإنسان بالإنسان الحق و ذلك أنها جعلت فيه صفات الإنسان الأول إلا أنها جعلتها فيه ضعيفه قليله نذره و ذلك أن قوى

١- أى مطلق النفس كالفلكيه و الحيوانيه كذا فالنفس الإنسانيه كذا، س ره

٢- و الظاهر أنه سقط شىء و هو و كذا النفس قبل أن يسكن فيه، س ره

٣- بالتشديد اشتقاق من الصنم و كذا نفسه من النفس و استعمال الكلمه فى الوجودات فى كلام القدماء مثله فى كلام المتأخرين و فى كلمات الأئمة الطاهرين ع كثير، س ره

هذا الإنسان حياته و حالاته ضعيفه و هى فى الإنسان الأول قويه جدا و للإنسان الأول حواس قويه ظاهره أقوى و أبين و أظهر من حواس هذا الإنسان لأن هذه أنما هى أصنام لتلك كما قلناه مرارا فمن أراد أن يرى الإنسان (١) الحق الأول فينبغى أن يكون خيرا فاضلا و أن يكون له حواس قويه لا- تنخفش عند إشراق الأنوار الساطعه عليها لأن الإنسان الأول نور ساطع فيه جميع الحالات الإنسانية إلا أنها فيه بنوع أفضل و أشرف و أقوى و هذا الإنسان و هو الإنسان الذى حده أفلاطون الإلهى لأنه زاد فى حده فقال إنه الذى يستعمل البدن و تعمل أعماله بأداه بدنيه فهذه النفس تستعمل البدن أولا فأما النفس الشريفه الإلهيه فإنها تستعمل البدن استعمالا ثانيا أى بتوسط النفس

١- أى فى عقله الصعودى و فى الوادى الأيمن من قلبه و لا- يسمع تبعيد لن ترانى كما قال رب الأرباب فينبغى أن يكون خيرا بفعليه العقل العملى و فاضلا بفعليه العقل النظرى بل باندكاك جبل النفسيه كما هناك باندكاك جبل الإنيه فيصير إنسانا كاملا بالفعل- لأن الإنسان الأول الجبروتى نور قاطع ساطع فيه جميع الحالات أى الكمالات الإنسانية- ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد إلا أنها فيه بنحو أفضل هذا من باب الاستثناء من المدح بما يشبه الذم مثل أنا أفصح الناس بيد أنى من قریش و هذا الإنسان هو الذى حده أفلاطون فى قوله بالمثل الإلهيه أن فى معنى الإنسانية إنسانين إنسان فاسد محسوس و إنسان دائم ثابت غير دائر و لا زائل- ذو عنايه بنوعه إلا أنه زاد فى حده و فى النسخ التى رأيناها من سفر النفس لأنه زاد فى حده و هو غلط كما لا يخفى فقال إنه الذى يستعمل البدن أى لم يقتصر فى حده على أنه نور ساطع فيه جميع الكمالات الإنسانية و فعلياتها بل زاد أنه يستعمل البدن مع أن استعمال البدن و قواه جهه النقص و الحاجه كما أن العقل بالفعل جهه الكمال و الغنى فأراد أفلاطون الاستعمال الثانوى و بواسطه النفس و الاستعمال التكميلى لا الاستكمالى و أيضا استعمال النفس الناطقه بالحق عن الحق استعماله لاتصالها به و أنها فى جلبابها قد نضته و إليه أشار بقوله و ذلك أنه إذا صارت النفس الحيوانيه ملكوتيه أى فى الملكوت الأسفل- باستعمال الصورىات المثاليه و الرياضيه لاقتناص الكليات ترتب عليها وجود النفس الناطقه- العقليه التى بالفعل و أعطت النفس الملكوتيه حياه أشرف جبروتيه و قد علمت سابقا أن الكينونه السابقه للعقل الكلى كينونه للنفس و بها صح القول بقدمها الزمانى و كذا الكينونه اللاحقه له تكون لها و هذا أوضح، س ره

الحيوانيه و ذلك أنه إذا صارت النفس الحيوانيه ملكوتيه أتبعته النفس الناطقه الحيه- و أعطتها حياه أشرف و أكرم و لست(١) أقول إنها انحدرت من العلو لكنى أقول إنها زادت حياه أشرف و أعلى من حياتها لأن النفس الحيه الناطقه لم تبرح عن العالم العقلى لكنها تتصل(٢) بهذه الحياه و تكون هذه متعلقه بتلك فتكون كلمه تلك متصله بكلمه هذه النفس و لذلك صارت كلمه هذا الإنسان و إن كانت ضعيفه خفيه أقوى و أظهر لإشراق كلمه النفس العاليه عليها و اتصالها بها.

فإن قال قائل إن كانت النفس هى فى العالم الأعلى حساسه فكيف يمكن أن يكون فى الجواهر الكريمه العاليه حس و هو موجود فى الجواهر الأدنى.

قلنا إن الحس الذى فى العالم الأعلى أى فى الجوهر الأكرم العقلى لا يشبه هذا الحس(٣) الذى فى هذا العالم الدنى و ذلك إنه لا يحس هناك هذا الحس الدنى لأنه يحس هناك على نحو مذهب المحسوسات التى هناك و لذلك صار حس هذا الإنسان السفلى- متعلقا بحس الإنسان الأعلى و متصلا به فإنما ينال هذا الإنسان الحس من هناك لاتصاله به كاتصال هذه النار بتلك النار العاليه و الحس الكائن فى النفس التى هناك- متصل بالحس الكائن فى النفس التى هاهنا و لو كانت فى العالم الأعلى أجسام كريمه- مثل هذه الأجسام لكانت النفس تحس بها و تنالها و لكان الإنسان الذى يحس بها و ينالها أيضا فلذلك صار الإنسان الثانى الذى هو صنم للإنسان الأول فى عالم الأجسام- يحس بالأجسام و يعرفها بأن فى الإنسان الآخر الذى هو صنم للإنسان الأول كلمه الإنسان الأول و فى الإنسان كلمات الإنسان العقلى انتهى كلامه و أراد بالإنسان الأول هاهنا الإنسان النفسانى فإنه أول بالإضافه إلى هذا الإنسان الجسمانى

١- أى ليس التتزل بنحو التجافى و كذا الترقى كما عرفت فى معنى التجرد قبيلى ذلك بل إفاضه الحياه العقليه أنما هى على سبيل الرشح و قد عرفت أن الإفاضه رشح الفوائد و العوائد بحيث لا ينقص من المفيد شىء و لا يزيد فى العود على كماله شىء، س ره

٢- هذا مثل ما قال سابقا فى الأناسى الثلاثه لا أقول إنه هما و لكنى أقول إنه متصل بهما، س ره

٣- قد عرفت فى الحاشيه الفروق فلا تغفل، س ره

فصل (٥) فى أن قوى النفس المتعلقة بالبدن بعضها أقل للتجزى و بعضها أكثر قبولا للتجزى و أنها كيف تكون مع تبدلها و تبدل أفاعيلها شخصيه منسوبه إلى نفس شخصى و كذا البدن كيف يبقى بدنا شخصا مع تبدله فى كل حين

إشاره

قد علمت أن وجودات الأشياء متفاوتة فى الكمال و النقص و أن قاعده الإمكان- دلت (١) على أن كل مرتبه من مراتب الوجود التى تكون متوسطه بين أعلى الموجودات و أدناها هى واجبه التحقيق فى العالم و قد أوضحنا ذلك فيما سبق حيث فصلنا أنواع الجمادات و النباتات و الحيوانات و أن أنواعها متفاوتة الوجود و آخر كل أفق من الثلاثه متصل بأول الأفق الذى بعده.

فاعلم ها هنا أن كل حقيقه جمعيه تأليفه

فاعلم ها هنا (٢) أن كل حقيقه جمعيه تأليفه كالحقيقه الإنسانيه المشتمله على جزء أعلى كالنفس و جزء أدنى كماده البدن فلا بد أن يكون الارتباط بينهما بمتوسط مناسب للطرفين و كذا بين كل من الطرفين و الواسطه فإذن فى الإنسان قوى مختلفه بعضها إدراكيه و بعضها تحريكه و الإدراكيه بعضها عقليه و بعضها وهميه و بعضها خياليه و بعضها حسيه و التفاوت بين هذه الأقسام بالشده و الضعف ظاهر مكشوف و إن أشد منها تجردا هى العقليه ثم الوهميه ثم الخياليه ثم الحسيه و الحسيات خمس مشهوره و فيها أيضا تفاوت بالكمال و النقص و أشدها تعلقا بالماده هى اللسيه ثم الذوقيه ثم الشميه ثم السمييه ثم البصريه و كل من هذه الأقسام الثمانيه لا يخلو من تفاوت بين أفرادها و كذلك القوى التحريكه كالغضبيه و الشهويه و النباتيه بعضها أشد تعلقا بالماده من البعض و كلما كانت أشد تعلقا بالماده كانت أكثر تجزيا و كلما

١- أى إمكان الأشرف و الأخس كليهما، س ره

٢- أى عالم الصغير الإنسانى مثل العالم الكبير فى الاستيفاء و عدم جواز شبه الطفره، س ره

كانت أقل تعلقا بها كانت أقل انقساماً و النفس و إن كانت بحسب ذاتها المجردة غير قابله للتجزى و الانقسام لكنها من جهة اتصالها بالبدن قابله للتجزى و الانقسام.

قال الفيلسوف الأ-كرم إن النفس تتجزى بالعرض و ذلك أنها إذا كانت فى الجسم قبلت التجزئه بتجزى الجسم كقولك إن الجزء المفكرى غير الجزء البهيمى و جزأها الشهوانى غير جزئها الغضبى فالنفس إنما تقبل التجزئه بالعرض لا بذاتها أى بتجزى الجسم الذى هى فيه- فأما هى بعينها فلا- تقبل التجزئه البتة فإذا قلنا إن النفس متجزئه فإنما نعى بذلك أنها فى كل جزء من أجزاء الجسم لأنها تتجزى بتجزى الجسم و الدليل على ذلك أعضاء البدن و ذلك أن كل عضو من أعضاء البدن حساس و إنما يكون حساساً دائماً إذا كانت قوه النفس فيه فإذا كانت قوه النفس الحساسه فى جميع الأعضاء ذوات الحس قيل لتلك القوه إنها تتجزى بتجزى الأعضاء التى هى فيها و قوه النفس و إن كانت منبثه فى جميع الأعضاء لكنها فى كل عضو تامه كامله و ليست متجزئه كتجزى الأعضاء- و إنما يتجزى بتجزى الأعضاء كما وصفناه مرارا انتهى قوله.

و اعلم أن هذه القوى المتعدده هى مجتمعه فى النفس متفرقه فى البدن و سبب افتراقها فى البدن أنه لا بد لكل منها ما يناسبه من الأعضاء فإن العضو الذى هو آله للبصر مثلاً لا يمكن أن يكون مثل العضو الذى هو آله للسمع و كذا (١) العضو الذى يصلح- لأن يكون فيه موضع الغضب غير الذى يصلح أن يكون محل الشهوه و هكذا القياس فى غيرها من الأعضاء و أما اللمس فلكونها قوه سافله دنيه من جنس أوائل الكيفيات العنصريه فأكثر الأعضاء صالحه لقبولها و لهذا تنبت فيها.

قال الفيلسوف إن لكل قوه من قوى النفس موضعاً معلوماً من مواضع البدن تكون فيه لا إنها تحتاج إلى المواضع لثباتها و قوامها لكنها تحتاج إليها لظهور فعلها

١- هو القلب كما يقال الغضب غليان دم القلب لإرادته الانتقام و إن الروح القلبى يبرز إلى الخارج دفعه كما يبرز فى الفرح شيئاً فشيئاً و فى الخوف يميل إلى الداخل دفعه كما فى الغم شيئاً فشيئاً و شهوه الشوقيه إلى الأكل بامتصاص العروق الرطوبات عند الجوع- و صب شىء من السوداء على فم المعده و شهوتها إلى شرب الماء و نحوه بهيجان حراره الكبد و شهوه الوقاع بدغدغه المنى بحراره للأوعيه، س ره

من ذلك المكان المتهى لقبول فعلها لأنها إنما يتهى العضو بالهيئة التي تريد أن يظهر فعلها منه فإذا هيأت النفس العضو على الهيئة الملاءمة لقبول قوتها أظهرت قوتها من ذلك العضو و إنما تختلف (١) قوى النفس على نحو اختلاف هيئة الأعضاء و ليس للنفس قوى مختلفة و لا هي مركبة منها بل هي مبسوطه ذات قوه تعطى الأبدان القوى إعطاء دائما و ذلك أنها فيها بنوع بسيط لا بنوع تركيب فلما صارت (٢) النفس تعطى الأبدان القوى و بسبب تلك القوى آلاتها لأنها عله لها و صفات المعلول أخرى بأن تنسب إلى العله منها إلى المعلول لا سيما إذا كانت شريفه تليق بالعله أكثر مما تليق بالمعلول نرجع إلى ما كنا فيه فنقول إنه إن لم يكن كل قوه من قوى النفس فى مكان معلوم من أماكن البدن و كانت كلها فى غير مكان لم يكن بينها فى أن يكون داخل البدن- أو خارجا منه فرق البتة فيكون البدن المتحرك الحساس لا تغير لها و هذا قبيح و يعرض من هذا أيضا إذا لا نعلم كيف تكون أعمال النفس الكائنه بالآلات الجسدانيه إذا صارت قواها ليست فى البدن انتهى قوله.

و أما الإشكال فى أن قوى المتبدله الوجود كيف تكون باقيه بالعدد

لنفس واحده شخصيه فإنما ينحل بأن الأشياء المتبدله الهويات تحفظ وحدتها الشخصيه بأمر وحدانى الذات نسبته إليها نسبه الروح إلى البدن و نسبه الصورة إلى المادة و قد مرت الإشارة

١- أى اختلافها باختلاف المظاهر و قد علمت أن المدرك للكلية و الجزئى- و المحرك فى الإنسان شىء واحد و أن هذه القوى أظلال ما فى النفس بنحو أبسط- و بالجملة كلمات المعلم ناصه على أن النفس كل القوى و فعلها فى فعله قد انطوى و قوله و لا- هي مركبة منها إشاره إلى أن النفس ليست واحده بالاجتماع بل واحده بالوحده الحقه الظليه. كيف مد الظل نقش اولياست كان دليل نور خورشيد خداست ، س ره

٢- كلمه صارت تامه و صيروره النفس مجيؤها إلى هذا العالم و مجعوليته و تعطى جواب لما و مفعولاه الأبدان و القوى و قوله لأنها عله إلخ تعليل للإعطاء بأن النفس عله للقوى و العله جامع له لكلمات المعلول فلما كانت للنفس فى ذاتها سمع و بصر و شم- و غيرها بنحو اللف وجدت فى البدن بنحو النشر و فاضت منها عليه، س ره

مرارا إلى أن التركيب بين المادة و الصورة اتحادى و كذا النفس و البدن لأنها تمامه- و تمام الشىء هو هو على وجه أقوى و أكمل فكل واحد من القوى النازله السفليه- تحفظ هويته المتجدده بهويه ثابتة هى أصل هويتها و هى قوه أخرى فوقها و هكذا إلى أن ينتهى إلى أمر ثابت الذات من كل وجه.

و بهذا يندفع الإشكال الذى يرد فى اللامسه من أن اللمس لا يكون إلا بتغير العضو اللامس عن مزاجه بورود كيفيه هى ضد كيفيه المزاجيه الملموسه.

أيضا لأن المثل لا يدرك المثل إذ كل إحساس انفعال و الشىء لا ينفعل عن مثله- و أيضا يلزم اجتماع المثلين و هو أيضا محال كاجتماع الضدين فعلى أى تقدير منها يلزم بطلان كيفيه الأولى عند ورود الثانيه و يبطل بطلانها القوه اللمسيه التى فيها و الإدراك لا يكون إلا بقاء المدرك من الصور المدركه.

و وجه دفعه أن القوه اللمسيه و إن انعدمت و تجددت (١) أمثالها لكن القوه الإدراكيه التى هى فوقها تجمع السابقه فتدرك بالسابقه الأمر اللاحق و تحفظهما معا- و إن بطل السابق حين ورود اللاحق.

قال الفيلسوف قوه النفس على ضريين

إشاره

أحدهما يتجزى بتجزى الجسم مثل القوه الناميه و القوه التى هى شهوانيه فإنهما منشأتان فى سائر الجسم من النبات و الحيوان- و القوى المتجزئه بتجزى الجسم تجمعها قوه أخرى أرفع منها و أعلى فقد يمكن إذن أن تكون قوه النفس المتجزئه بتجزى الجسم غير متجزئه بالقوه التى فوقها التى لا تتجزى- و هى أقوى القوى المتجزئه مثل الحسائس فإنها قوه من قوى النفس تتجزى بتجزى الآلات الجسمانيه و كلها تجمعها (٢) قوه واحده هى أقوى الحواس و هى ترد عليها

١- إشاره إلى أن المراد من قوله يبطل بطلانها إلى بدن مثل بطلان كيفيه، س ره

٢- فكان هذه القوه الواحده هى العروه الوثقى التى لا انفصام لها بها فهذه القوى باعتبار وجهها إلى تلك القوه العاليه واحده ثابتة و باعتبار وجهها إلى أنفسها و قوابلها المتجزئه المتغيره متغيره متغايره، س ره

بتوسط الحواس و هي قوه لا تتجزى لأنها لا تفعل فعلها بآله لشده روحانيتها و لذلك صارت الحسائس كلها ينتهى إليها فتعرف الأشياء التى تؤدى إليها الحسائس و تميزها معا من غير أن تنفعل آثار الأشياء المحسوسه فلذلك صارت هذه القوه تعرف الأشياء المحسوسات و تميزها معا فى دفعه واحده انتهى قوله.

أقول إن ما ذكره تحقيق شريف نافع جدا ينتفع به فى كثير من المطالب

منها إثبات المعاد الجسماني

منها إثبات (١) المعاد الجسماني و حشر الأجساد كلها حتى النبات و الجماد-

و منها كيفيه ارتباط المعلومات

و منها كيفيه ارتباط (٢) المعلومات بعقلها

و منها كيفيه بقاء الإنسان

و منها كيفيه بقاء (٣) الإنسان مع تبدل ذاته فى كل آن و هي التى عجز عن دركها الشيخ الرئيس بفرط ذكائه و شده فهمه و لطافه طبعه فقال عند سؤال بهمنيار عنه فى تجويز تبدل الذات لا يلزمنى جوابك لأننى لست بمسئول عنه حين الجواب.

و اعلم أن هذه الدقيقه و أمثالها من أحكام الموجودات لا- يمكن الوصول إليها إلا- بمكاشفات باطنيه و مشاهدات سريه و معانيات وجوديه و لا- يكفى فيها حفظ القواعد البحثيه- و أحكام المفهومات الذاتيه (٤) و العرضيه و هذه المكاشفات و المشاهدات لا تحصل إلا

١- إذ هذا البدن الدنيوى طبيعى ظلماني و البدن الأخرى صورى علمى إن الدار الآخرة لهى الحيوان و مع التفاوت بحسب النشأ أحدهما هو الآخر و حشر ذلك حشر هذا فإن المشخص هو النفس و هى فيهما واحده كما يأتى، س ره

٢- إذ فهم من كلماته سابقه و لاحقه أن بينونتهما صفتيه لا عزليه و لهذا وحده العله و ثباتها وحده المعلول و ثباته حتى إن عند ذوق المتألهين أى القائل بأن وجود الممكن- بالانتساب إلى الواجب تشخصه بالفاعل و عندنا التشخص بالفاعل معناه أنه بوجود من صقع الفاعل فإنه ربط محض به و متقوم تقوما وجوديا به، س ره

٣- و ذلك لأن النفس أصل محفوظ له باعتبار ذاتها. و أيضا التبدل على سبيل الاتصال و الاتصال الوجداني مساوق للوحده الشخصيه- و أيضا باق باعتبار الهيولى المستبقاه بواحد بالخصوص و بواحد بالعموم و باعتبار وجه الله الباقي، س ره

٤- أى الحدود و الرسوم يعنى لا- يكفى حفظ مفهوم العقل الفعال مثلا- و أنه غير محتاج إلى الماده ذاتا و فعلا و أنه لا حاله

منتظره له و أن له كليه بالنسبه إلى العقول بالفعل الجزئيه و غير ذلك من ذاته و أعراضه و إن صار ذلك العلم ملكه بل لا بد و أن تصير النفس غنيه عن البدن و قواه نافيه للأغراض الجزئيه مترفعه عن الغايات الوهميه- محصله للسعه الوجوديه متصله به باقيه ببقائه بل ببقاء الله لأن العقل الكلى كلمه الله- و قدره الله و مشيه الله و بالجملة تخلقوا بأخلاق الروحانيين بل بأخلاق الله، س ره

برياضات و مجاهدات في خلوات مع توحش شديد عن صحبه الخلق و انقطاع عن أعراض الدنيا و شهواتها الباطله و ترفعاتها الوهميه و أمانيتها الكاذبه و أكثر كلمات هذا الفيلسوف الأعظم مما يدل على قوه كشفه و نور باطنه و قرب منزلته عند الله و أنه من الأولياء الكاملين و لعل اشتغاله بأمور الدنيا و تدبير الخلق و إصلاح العباد و تعمير البلاد كان عقيب تلك الرياضات و المجاهدات و بعد أن كملت نفسه و تمت ذاته و صار في كمال ذاته بحيث لم يشغله شأن عن شأن فأراد الجمع بين الرئاستين و تكميل النشاطين.

فاشتغل بتعليم الخلق و تهذيبهم و إرشادهم سبيل الرشاد تقربا إلى رب العباد.

و أما الشيخ صاحب الشفاء فلم يكن اشتغاله بأمور الدنيا على هذا المنهاج - و العجب أنه كلما انتهى بحثه إلى تحقيق الهويات الوجوديه دون الأمور العامه و الأحكام الشامله تبدل ذهنه و ظهر منه العجز و ذلك في كثير من المواضع.

منها منعه الحركه في مقوله الجوهر فإنه زعم أنها توجب خروج الموضوع عن ماهيه إلى ماهيه أخرى فلو تحرك زيد مثلا في إنسانيته لزم عنده خروجه من الإنسانيه إلى نوع آخر مع أنه لا بد في الحركه من بقاء الموضوع و ذلك لذهوله عن أحوال الوجودات و أن لماهيه واحده قد يكون أنحاء متفاوتة من الوجود بعضها أتم من بعض - بل يجوز أن يكون لشخص واحد أنحاء و أطوار كثيره من الوجود نعم لو كان الوجود كما زعمه جمهور المتأخرين أمرا انتزاعيا كان الأمر كما زعمه و ليس كذلك كما علمت.

و منها إنكاره للصور المفارقة الأفلاطونيه و قد سبق تحقيقها في مباحث الماهيه.

و منها إنكاره لاتحاد العاقل بالمعقول و كذا اتحاد النفس بالعقل الفعال و قد مر إثباتهما في مباحث العقل و المعقول.

و منها تبدل ذهنه من تجويز عشق الهيولى للصوره و قد أثبتناه.

و منها إنكاره تبدل صور العناصر إلى صورته واحده معتدله الكيفيه و قد علمت في مبحث المزاج بيانه.

و منها عجزه عن إثبات حشر الأجساد و سيأتى بيانه.

و منها رسوخ اعتقاده في تسرمد الأفلاك و الكواكب و أزليتها بأشخاصها مع صورها و موادها و مقاديرها و أشكالها و ألوانها و أنوارها كل منها بحسب الشخص إلا- الحركات و الأوضاع فإنها قديمه عنده بالنوع و كذا هيولى العنصريات و قد مر بيان حدوثها بالبراهين.

و منها أنه سأل بهمنيار في بعض أسئلته ما السبب في أن بعض قوى النفس مدركه- و بعضها غير مدركه مع أن الجميع قوى لذات واحده فقال في الجواب أنى لست (١) احصل هذا و ذلك لأنه لم يحصل بعد الوحده الجمعيه للبسائط المجرده و قد مر في مباحث النفس أنها العاقله و المتخيله و الحاسه و المحركه.

و منها أيضا سأل قائلا لو أنعم (٢) بشىء ثابت في سائر الحيوان و النبات كانت

١- أقول لعله لم يساعده حاله في ذلك الوقت المخصوص للجواب فإن الإنسان ليس على حاله واحده. گهى بر طارم اعلا نشينم گهى تا پشت پای خود نبينم و إلا فالتفاوت باعتبار القوابل و مواد القوى شىء و التحقيق ما ذكره المصنف قدس سره أن وحده النفس ليست عدديه بل وحده جمعيه و إن شئت قلت وحده حقه ظليه- و قد مر في الأمور العامه تحقق أقسام الفاعل الثمانيه في النفس و عند العرفاء في الإنسان سبع لطائف أولها الطبع و في الإنسان الكامل تراكت جميع القوى المتشتمه في العوالم- فحيث لا يشذ عنه قوه لا يشذ عنه أثر، س ره

٢- إنما خصه بهما لأنهما أبدا في التحلل و التبدل سيما الحيوان باعتبار الحرارة الأربع و غيرها من الأسطقسيه و الغريزيه و الكوكبيه و حراره الحركات البدنيه و النفسانيه من حركات الروح و الدم إلى الخارج و الداخل في الغضب و الفرح و الخوف و الغم و نحوها كما هو مشروح في موضعه و لو نظر إلى وجه الله الثابت في كل شىء- لم يستشكل بل حيثه الوجود في أى شىء ثباته و وحدته و تشخصه فهى كالوضوء الواقع على الماء السيال، س ره

المنه أعظم فقال لو قدرت.

و منها أنه سئل هل يشعر الحيوانات الأخر سوى الإنسان بذواتها و ما البرهان عليه إن كان كذلك فقال يحتاج أن أتفكر فى ذلك و لعلها لا تشعر(١) إلا بما تحس أو تتخيل و لا تشعر بذواتها أو لعلها تشعر بذواتها بآلات أو لعل هناك شعورا ما يشترك من(٢) بين الأظلال يجب أن يفكر فى هذا هذا كلامه فى هذا المقام و قد علمت فيما سبق من طريقتنا أن نفوس الحيوانات التى لها قوه التخيل بالفعل ليست ماديه فهى مدركه لذواتها على الوجه الجزئى لأن ذواتها لها ليست لغيرها و كلما كان وجوده له لا لغيره فهو مدرك لذاته كما مر فى مباحث العلم و لا يلزم من ذلك كونها جواهر عقليه إذ التجرد عن الماده أعم من العقليه و العام لا يوجب الخاص و يقرب من ذلك أنه سئل إن جاز أن تدرك قوه جسمانيه أن هذا الذئب مهروب عنه و أن هذا الشئ مخوف منه فجاز أن تدرك المعانى المعقوله لأن هذه أيضا معان لا يجوز أن تحل جسما إذ لا مقدار لها و الذى يمنع إدراك المعقولات بآله جسمانيه هو أنها ليست ذوات مقدار و صورته الخوف و الأذى كلها لا مقدار لها فأجاب عنه بأنه من يقول(٣) هذا

١- لعل مراده لا يشعر بذواتها إلا مشوبه بالمحسوس أو المتخيل و لا يشعر بها خالصه صرفه و ذلك لأنها لا تفضل على الإنسان الجاهل المتوهم نفسه فى الجبهه و المكان و الزمان كما قيل فيه. "تا تو خود را پیش و پس داری گمان بسته جسمی و محرومی ز جان زیر و بالا- پیش و پس وصف تن است بی جهت آن ذات جان روشن است و قوله بالآلات المراد بها الوهم و الدماغ و قوله يشترك من بين الأظلال المراد بالأظلال هو الصور التى فى مداركها الباطنه أى تشعر بصوره مشتركه غير متميزه عن الصور الأخرى مثل إدراك الإنسان شيئا بالوجه العام لا بالوجه الخاصه، س ره

٢- المشترك من بين الأظلال لعله هو محل القوى التى بها يدرك الحيوان صور المحسوسات و الموهومات و أظلالها و محل هذه القوى هو ذات الحيوان أعنى جسمه هو مدرك فى ضمن كل إدراك لكل قوه مدركه فيه لأن إدراك الحال المرتسم يتضمن إدراك المحل بوجه فافهم، ن ره

٣- الصواب ما يقال هذا الخوف، س ره

الخوف و الهرب كلها معان جسمانيه يحتاج إلى ضرب من التجريد حتى تصير عقليه- وهذا جواب غير نافع و كلام مجمل فإن أصل الإشكال بأن الخوف و الهرب و الشهوه و الغضب و المحبه و ما يجرى مجراها كلها من قبيل المعانى الغير القابله للقسمه- و ليست من قبيل الأمور (١) ذوات الأوضاع و الأشكال و المقادير و الأطراف فكيف تحل فى الجسم و هى لا- تقبل الوضع و الانقسام لا بالذات و لا بالعرض كالسواد و الطعم و الرائحه و حكمها قبل التجريد حكم كثير من الأشياء بعد التجريد فالحق فى الجواب أن يقال مدرك هذه المعانى الوجدانيه لا بد أن يكون قوه حيوانيه غير حاله فى الأجسام و لا يلزم أن يكون عقليه كما مر

و منها أنه سئل أن ما قيل

إن الصور الكلبيه إذا حصلت لشيء صار ذلك الشيء بها عقلا أمر عجيب (٢) فإن الشيء إنما يصير عقلا بأن يتجرد غايه التجرد و كيف يدخل على شيء غير مجرد ما يجرده فإن قوله يصير به الشيء عقلا معناه يصير به الشيء مجردا فأجاب بأن معنى صار ليس أنه صار حينئذ بل معناه أنه دل على كونه كذلك- و هذه كلمه يستعمل مجازا.

أقول إنما ارتكب الشيخ هذا التجوز البعيد (٣) لأن النفس الإنسانيه عنده مجرد عقلى من أول الفطره حين حدوثها فى الشهر الرابع للجنين و ليست كذلك كما سبق بل إنها فى أوائل الأمر خيال بالفعل عقل بالقوه ثم يصير بتكرار الإدراكات و انتزاع

١- أى ليست الخوف و المحبه و نحوهما من المعانى الجزئيه بجسمانيات و لا متقدرات بالنصف و الثلث بأن يقال خوف هذا شبر و خوف ذاك نصفه أو ثلثه أو ربهه فكيف يحل فى الجسم أى فى الوهم الذى هو حال فى الروح البخارى الدماغى الذى هو جسم لطيف، س ره

٢- هذا القول يقال فى النفس حيث يطلق عليها العقل بالملكه و العقل بالفعل - فيطالب الوجه فى إطلاق العقل على النفس و العقل و النفس متخالفان و قسيما فى تقسيم الجواهر إلى الخمسه فيجاب بأن تسميتها بالعقل تسميه المحل باسم الحال فإن الصوره العقليه إذا حصلت لشيء صار ذلك الشيء بها عقلا، س ره

٣- ليس ببعيد على مذهبه فإن ما يقال النفس مجردة لتجرد عارضها ليس تجرد العارض تجردها بل كاشف عنه فإن تجرد الحال كاشف عن تجرد المحل، س ره

المعقولات من المحسوسات و الكليات من الجزئيات صائره من حدود العقل بالقوه إلى حد العقل بالفعل فتتحول(١) و تنتقل ذاتها في هذه الاستحاله الجوهرية من القوه الخياليه إلى القوه العقليه ثم لا يخفى أن الكلمات المنقوله من القدماء الناصه في هذا الباب كثيره لا تقبل التأويل و لا يمكن حملها على المجازات.

و منها أنه قال في مراسله

وقعت بينه و بين بعض تلامذته و قد سأله عن أشياء- أنى قد تأملت هذه المسأله فاستجدتها و أجبت عن بعضها بالمقنع و عن بعضها بالإشاره- و لعلى عجزت عن جواب بعضها أما الشىء الثابت فى الحيوان و لعله أقرب إلى درك البيان و لى فى الأصول المشرقيه خوض عظيم فى التشكيك ثم فى الكشف و أما فى النبات فالبيان أصعب و إذا لم يكن ثابتا كان تميزه ليس بالنوع فيكون بالعدد ثم كيف يكون بالعدد إذا كان استمراره فى مقابله الثبات غير متناه القسمه بالقوه و ليس قطع أولى من قطع فكيف يكون عدد غير متناه متجددا فى زمان محصور فلعل العنصر هو الثابت ثم كيف يكون العنصر ثابتا و ليس الكم يتجدد على عنصر واحد بل يرد على عنصر بالتغذيه فلعل الصوره(٢) الواحده يكون لها أن تكسبها و تلبسها ماده و أكثر منها و كيف يصح هذا و الصوره الواحده معينه لماده واحد و لعل الصوره الواحده محفوظه فى ماده(٣) واحد اولى تثبت إلى آخر مده بقاء الشخص و كيف يكون هذا

- ١- إن قلت هذا أيضا عجيب لأن الجسم أو الطبع يصير مجردا و هذا انقلاب. قلنا ليس المراد أن الجسم أو الطبع يصير مجردا بل المراد أن الأفق الأعلى من الطبع يتصل اتصالا معنويا بالأفق الأدنى من النفس و كذا النفس و العقل و قولنا صارت النفس عقلا للاتصال و لأن فى الوجودات ما به الامتياز عين ما به الاشتراك و وحده وجه الله تعالى فيها، س ره
- ٢- أى النوعيه النباتيه لها أن تلبسها ماده واحد فى مواضع أخرى و أكثر منها أى هاهنا، س ره
- ٣- لما شرط التكافؤ فى الوحده أشعر أن الماده الأولى هنا واحد ثم أبطل هذا بأنه كيف يقال الصوره النباتيه واحد و هى نفس نباتيه ساريه فى المحل متبدله بتبدل المحل، س ره

و أجزاء النامى يتزايد على السواء فتصير كل واحده من المتشابهه الأجزاء أكثر مما كان- و القوه ساريه فى الجميع ليست قوه البعض أولى بأن تكون الصورة الأصلية دون قوه البعض الآخر فلعل قوه السابق وجودا هو الأصل (١) و المحفوظ لكن نسبتها إلى السابق كنسبه الأخرى إلى اللاحق فلعل النبات الواحد بالظن ليس واحدا بالعدد فى الحقيقة بل كل جزء ورد دفعه هو آخر بالشخص متصل بالأول أو لعل الأول هو الأصل يفيض منه الثانى شبيها له فإذا بطل الأصل بطل ذلك من غير انعكاس و لعل هذا يصح فى الحيوان أو أكثر الحيوان و لا يصح فى النبات لأنها لا تنقسم إلى أجزاء كل واحد منه قد يستقل فى نفسه أو لعل للحيوان أو النبات أصلا غير مخالط لكن هذا مخالط لكن هذا مخالف للرأى الذى يظهر منا أو لعل (٢) المتشابه فى الحس غير متشابه فى الحقيقة أو لعل النبات لا واحد فيه بالشخص مطلقا إلا زمان الوقوف الذى لا بد منه- فهذه أشراك و حبال إذا حام حوالها العقل و فرع إليها و نظر فى أعطافها رجوت أن يجد من عند الله مخلصا إلى جانب الحق انتهت عبارته.

أقول قد ظهر من هذه الترددات أنه كان عاجزا من تصحيح الحركة الكمية فى النبات بل فى الحيوان أيضا بناء على عجزه عن إثبات أمر ثابت فيهما يكون موضع هذه الحركة لأن النفس لهما حاله عنده فى مادتهما الجسمانيه و الجسم إذا تبدل بالزيادة أو النقصان يتبدل بتبدله كل ما يحل فيه و أنت قد وقفت على تحقيق ذلك فيما سبق و العجب أنه قد جرى الحق على لسانه فى جملة هذه الاحتمالات و الشقوق الفاسده و لم يثبت فيه على التردد و هو قوله أو لعل للحيوان أو النبات أصلا غير مخالط و لم يعلم أن هذا هو الرأى المحقق الذى لا يعتريه شك و لا ريب أما الحيوان

١- أى الثابت هو الأجزاء الأصلية المنخلقه من منى الوالدين، س ره

٢- لا تتوهم أنه تكرار لما سبق فإنه إحقاق للأجزاء الأصلية فى النبات بأنه لا يميز الحس فيه أجزاء غير أصلية و أجزاء أصلية أى عمدته إذا بطلت بطل الأخرى و لا ينعكس و كذا قوله أو لعل النبات فرقه مع السابق من جهة فرق زمان الوقوف عن غيره و قد ذكر هذا العبارات من الشيخ فى أواخر السفر الأول أيضا و قد علقنا هناك ما ينفعك، س ره

فلما ظهر بالبراهين القطعيه أن له نفسا غير مخالطه بجسمه و أما النبات فلما مر من أن القوه المتجدده فى الأمور الطبيعیه متصله بما فوقها(١) من قوه ثابتة غير متجدده- و قد سبق(٢) أيضا أن الماده المقداريه داخله فى هويه ما له صورته طبيعیه كامله على سبيل(٣) الإيهام فلا يقدر تبدلها فى استمرار هويه شخصيه.

و منها أنه لما لم يظفر بإثبات تجرد القوه الخياليه للإنسان

صار متحيرا فى بقاء النفوس الساذجه الإنسانیه بعد البدن فاضطر تاره إلى القول بطلانها كما فى بعض رسائله المسمى بالمجالس السبعه على أنه معترف بأن الجوهر الغير الجرمى لا يبطل بطلان الجسد و تاره إلى القول بأنها باقيه من جهه إدراكها ببعض الأوليات و العمومات- و كل من له قدم راسخ فى الفلسفه يعلم أن الشأ الآخره نشأ إدراكيه علميه و النفوس العقليه قوامها بإدراك العقليات و الشىء لا يمكن أن يوجد بالمعنى العام ما لم يتعين و لم يتذوت و أى سعادته(٤) للنفس فى إدراك الشىء و الممكن العام أو الخاص أو بإدراك أن الكل أكثر من جزئه أو بأن المساوى للمساوى مساو و ما يجرى مجرى هذه و كما أن فى هذا العالم لا- يمكن وجود أمر بمجرد كونه جوهرًا مطلقًا أو كيفًا مطلقًا ما لم يتحصل نوعًا مخصوصًا له صورته مخصوصه فكذا لا يوجد شىء فى العالم العقلى- بأن(٥) يكون أحد موجودات ذلك العالم بمجرد كونه شيئًا ما أو ممكنًا ما أو جوهرًا ما

١- و أما فوق القوه المتجدده هو الذى تعين بتنوع الأمور الطبيعیه و فى وجهه هو الله هو المقوم للزمان كما يقتضيه قاطع البرهان فافهم إن شاء الله المستعان، ن ره

٢- متعلق بما سبق من الشيخ أن الصوره الواحده معينه لماده واحد، س ره

٣- متعلق بقوله داخله عند هذا يلزم استمرار الشخص على نعت الاتصال الغير القار و هذا ضرب من الثبات و البقاء و بقاء قاطبه الزمانيات هو هذا و كن من الشاكرين، س ره

٤- لعل مراد الشيخ فعليتها بجميع البديهيات التصوريه و التصديقيه الست المشهوره و الأوليات تطلق على أوائل المعقولات كما تطلق الثانوى على النظريات المكتسبه، س ره

٥- لا يذهبن عليك أن الشىء بحسب الوجود العقلى ما لم يصير جوهرًا لم يكن له قوام فى النشأ العقليه و حصول هذا القوام يتقرر بالفصول المتنوعه المكمله الكامله الجوهریه العقليه و وجود الأوليات تصوريًا كان أو تصديقيًا فى المثل بمثابه وجود الحراره فى الفحم و حصول الحقائق النظرية للنفس بمنزله صيروره الفحم بالاستحاله نارًا النفس كذا لنفس الساذجه بالفحم كذا) و صيرورتها عقلا بالفعل بصيروره الفحم نارًا صرفه- و كما لا يصير الفحم بمجرد حصول الحراره فيه ناريه و طبيعته ناريه فكذلك لا يصير النفس الإنسانیه بمجرد حصول الأوليات شيئًا عقليًا بل الخيالى خيالًا بالفعل فى غايه الكمال فى الوجود الخيالى و عقل بالقوه القريبه من الفعل فى الوجود العقلى و لم يصير بعد متقررًا فى العالم العقلى فأحسن التأمل، ن ره

لم يصبر ذاتا عقليه مخصوصه

و منها أنه زعم أن النفوس الفلكيه

لم يبق لها كمال منتظر إلا فى أسهل غرض (١) و أيسر عرض و هى النسب الوضعيه لأجسادها و هذا عند البصير المحقق رأى سخيـف و اعتقاد فاسد فإن النفس ما دام وجودها النفسى ناقصه الذات غير تامه الهويه مفتقره إلى الجسم ليصير آله لها فى تحصيل كمالها الوجودى متشبته به لضعف وجودها و لتتـهياً باستعمالها و تحريكها إياه للخروج من القوه إلى الفعل فى تجوهرها لا- فى أمر خارج عن تجوهرها و وجودها غايه الخروج كالإضافات و كيف يسوغ عند العارف البصير أن ينحبس جوهر عقلى بعلاقه جرميه مهاجرا عن عالم النورى إلى عالم الظلمات لأجل تحصيل إضافات و نسب وضعيه مع أن عندهم أن العالى لا يلتفت إلى السافل.

و منها أنه ذهب إلى امتناع الاستحاله الجوهريه

و مع ذلك اعترف بأن النفس إذا استكملت و تجردت عن البدن تصير عقلا- و سقط عنها اسم النفس و لم يعرف أن نفسيه النفس ليست إضافه زائده على وجودها كالملك و الربان حتى إذا زالت عنها الإضافه بقى وجودها كما كان بل نفسيه النفس أنما هى نحو وجودها و إذا اشتدت فى

١- هذا كمال حاصل له من جهه نفسه و هو التصور بعد التصور و الشهود بعد الشهود للمجردات التى فوقها نعم المصنف قدس سره لما قال بالحركه الجوهريه- قال بالاستكمال الذاتى للفلك و نيل ذاته و بلوغ جوهره إلى الغايه بنحو الاتصال الحقيقى و هم قالوا بالاستكمال الصفاتى لا غير و هو قصور و فصل ذلك فى مفاتيح الغيب، س ره

وجودها و كملت ذاتا عقليه صار وجودها وجودا آخر و هذا بعينه استحاله ذاتيه و انقلاب جوهرى و قد أنكرها.

و منها أنه لم يعرف معنى العقل البسيط

و منها أنه لم يعرف معنى العقل (١) البسيط و لم يحصل مفاده على الوجه الذى مر بيانه بل زعم أنه عباره عن إدراك المعقولات دفعه بلا ترتب (٢) زمانى بل بترتب على و معلولى و بأن يعلم العاقل من ذاته صورته بعد صورته دفعه بلا زمان قال فى التعليقات العقل البسيط هو أن يعقل المعقولات على ما هى عليه من مراتبها و عللها دفعه واحده بلا انتقال فى المعقولات من بعضها إلى بعض كالحال فى النفس بأن تكتسب علم بعضها من بعض بل بأنه يعقل كل شىء و يعقل أسبابه حاضره معه فإذا قيل للأول عقل قيل على هذا المعنى البسيط إنه يعقل الأشياء بعقلها و أسبابها حاضره معها من ذاته بأن يكون صدور الأشياء عنه إذ له عليها إضافه المبدأ لا بأن يكون تلك فيه حتى يكون صور الأشياء المعقوله فى ذاته و كأنها أجزاء ذاته بل يفيض عنه صورها معقوله و هو أولى (٣) بأن يكون عقلا- من تلك الصور الفائضه عن عقليته و المعقولات البسيطة هى أن يكون كلها على ما هى عليه من ترتب بعضها على بعض و عليه بعضها لبعض حاصله له دفعه

١- أى العلم البسيط الواجبى و إنما عبر المشاءون عن علمه بالتعقل و العقل لترفعه عن الأقسام الثلاثه الأخرى من العلم و هى الإحساس و التخيل و التوهم و لم يعرف الشيخ لأن معنى العقل البسيط كون بسيط الحقيقه كل الموجودات بنحو أتم و هو العلم الحضورى السابق على كل المعلومات لأن كل وجود حاضر بحضور ذاته و كل ماهيه حاضره بحضور أسمائه و صفاته الملزومه لها لزوما غير متأخر فى الوجود. و منتهى تحقيق الشيخ أن هذه الصور قائمه بذاته قياما صدوريا لا حلوليا و أن هذه الصور منبعثه من ذاته لا كالصور النفسانيه التى ترشح على النفس من العقل الفعال و بإعداد من الموجودات الطبيعیه التى هى مدركه للقوى الجزئيه إذ من فقد حسا فقد علما، س ره

٢- ليس هذا الترتب و الترتيب بتقرر بعديه بحسب الثبوت لا الوجود كما اشتهر من المشائين بل على ما هو أهل الحق بأن يكون الجميع فى الوجود و الفرق فى عين الثابت تدبر فيه، ن ره

٣- لأن ذاته مبدأ هذه الصور العلميه و مبدأ الكمال أولى به و ليس فاقدا له فذاته عند الشيخ علم كمالى إجمالى بجميع ما سواه و تفصيل بذاته، س ره

واحد على أنها صادرة عنه إذ هو مبدأ لها و المثال في ذلك كما تقرأ كتابا فتسأل عن علم مضمونه فيقال لك هل تعرف ما في الكتاب تقول نعم إذ كنت تتيقن أنك تعلم و يمكنك تأديته على تفصيل و العقل البسيط هو المتصور بهذه الصور و ليس في العقول الإنسانية عقل على هذا المثال و يكون متصورا بصور المعقولات جملة دفعه واحده اللهم إلا أن يكون نبيا و العلم العقلي هو بلا تفصيل زمانى و النفسانى هو بالتفصيل انتهى كلامه- و لقد كرر الكلام في كتاب التعليقات في بيان العقل البسيط و أكثر ذكر ذلك إلا أنه لم يزد في الفرق بينه و بين العلم النفسانى إلا بأن المعقولات هاهنا مترتب بترتيب زمانى و هناك مترتب ترتيبا سببيا و مسبيا و أن العاقل لها هاهنا مبدأ قابلى- و هناك مبدأ فاعلى و لم يتيسر له حقيقه معناه و أنه كل المعقولات مع بساطته كما مر و فوت (١) معنى البساطه لأن ذلك مدرك عزيز المنال و مرتقى صعب شريف المثال و الله ولى الفضل و الإفضال و بيده مفتاح الآمال.

و منها أنه أبطل و أحال كون الصورة الجوهرية المفارقة علوما تفصيليه

للوأجب تعالى بالأشياء بناء على (٢) زعمه أنها أمور منفصله عنه تعالى مباينه الذوات لذاته- فكيف يكون لوازم الأول تعالى فإذا لم يكن من اللوازم كان صدورها عنه مسبقا بصور أخرى فيتسلسل و يتضاعف الصور إلى غير نهايه فجعل علمه تعالى أعراضا حاله في ذاته معتذرا بأن ذاته لا تنفعل منها و لا تستكمل بها.

و قد علمت فساد ما زعمه و أن الصور العقلية الجوهرية ليست منفصله الذوات عن

-
- ١- لأن البساطه الحقيقه أن يكون البسيط كل الوجود و كله الوجود بلا- كليه- و يكون وجوده كله الوجدان لكل الوجود و الفعلية بلا فقدان و إلا لزم التركيب من الوجود و العدم و الوجدان و فقدان و هو شر التراكيب، س ره
 - ٢- و ليست كذلك لأنها باقيه ببقاء الله فضلا عن إبقائه حيه بحياه الله فضلا عن إحيائه و من رآها فقد رأى الله لأن الماده و لواحقها و الحركه و عوارضها منتفيه- و أحكام السوائيه فيها مستهلكه و كان ينبغي للشيخ أن يرفع الانفصال و الاستقلال و التشتت عن هذه الوجودات بجعلها علما حضوريا له تعالى فكيف بهذه الصور المفارقة العقلية- لا أن تجعل الانفصال الذى لم يكن قط و لا يكون عوض مانعا عن العلميه، س ره

ذاته كما مر مستقصى فهذه (١) و أمثالها من الزلات و القصورات إنما نشأت من الذهول عن حقيقة الوجود و أحكامها و أحكام الهويات الوجودية و صرف الوقت في علوم غير ضرورية كاللغة و دقائق الحساب و فن أرثماطيقى و موسيقى و تفاصيل المعالجات في الطب و ذكر الأدوية المفردة و المعاجين و أحوال الدرياقات و السموم و المراهم و المسهلات و معالجه القروح و الجراحات و غير ذلك من العلوم الجزويه- التي خلق الله لكل منها أهلا و ليس للرجل الإلهي أن يخوض في غمرتها- و لهذا لما سئل سقراط عن سبب إعراضه عن العلوم التعليميه قال إنى كنت مشغلا بأشرف العلوم يعنى به العلم الإلهي و بالجملة رأس الأمر و سنامه لمن أعطاه الله فطره صافيه و طبعاً لطيفاً و ذكاء شديداً و فهما ثاقبا و استعدادا بالغاً أن لا يشغل بأمور الدنيا و طلب الجاه و الرفعه بل يكون معرضاً عن الخلق طالبا للخلوه آنسا بالله آيساً عن غيره مع حضور القلب و اجتماع الهمة و صرف الفكر في الأمور الإلهيه بعد أن حصل له قبل ذلك شطر من العلوم الأدبيه و المنطقيه و الطبيعيه و الخلقيه مما لا بد فيه للسالكين إلى الله تعالى على طريق الاكتساب العلمى دون المجذوبين إليه تعالى في أول الأمر بجذبه ربانيه توازى عمل الثقلين و أما بدون أحد الأمرين المذكورين فكيف يتيسر الوصول إلى مرتبه الكشف العلمى و الشهود القلبى في المعارف الإلهيه و أحوال المبدأ و المعاد و معرفه النفس و مقاماتها و معارجها إلى الله تعالى مع الاشتغال بأمور الدنيا و علائقها و حوائلها.

١- مقصوده قدس سره أن الشيخ لم يعط كل ذى حق حقه و لم يضع جهده في موضعه و كان عليه أن يصرف وقته في ملازمه باب الحق و طول خدمه العلم الأعلى المطلق- و إلا- فجامعيه فنون الحكمه من أقصى مراتب الكمال و أدخل في إقبال العقول المتعلمه المستترشده و لو كان جل أوقاته مصروفه في العلم الإلهي لما عثر قدمه في مهمات الحكمه سيما مسأله العلم الحضورى أما مثل عدم العثور على شىء ثابت في النبات و الحيوان- المشعر بالذهول عن أحكام حقيقه الوجود و أنه يقول بتباين أنحائها كما يشعر قول المصنف- إنما نشأت إلخ فليس كذلك فإنه يقول بالسنيخيه بين وجود العله و وجود المعلول و باتفاق حقيقته كما يدل عليه عباراته في المباحثات و غيرها بل أول المصنف قدس سره في الشواهد الربوبيه ظاهر قول المشائين بالتباين بأنه بالعرض للماهيات لا بالذات، س ره

قال الشيخ فى بعض مراسلاته إلى تلميذ التمس منه إعاده تصنيف ضاع منه فى بعض الأسفار ثم من هذا (١) المعيد و من هذا المتفرع من الباطل للحق و عن الدنيا للآخرة و عن الفضول للفضل فقد أنشب القدر فى مخاليب الغير فما أدرى كيف أتخلص لقد دفعت إلى أعمال لست من رجالها و قد انسلخت من العلم فإنما ألاحظه من وراء سجف ثخين مع شكرى لله تعالى فإنه على الأحوال المختلفه و الأهوال المتضاعفه و الأسفار المتداخله لا يخلينى عن وميض يحيى قلبى و يثبت قدمى إياه أحمدته على ما ينفع و يضر و يسوء و يسر انتهى أقول فرضنا أن هذه الشواغل العائقه وقعت له على سبيل الجبر و الاضطرار من غير إرادته منه و اختيار فمن الذى صنف فى العلوم الجزئيه التى هى من قبيل الصناعات و الحرف مجلدات أ ليس الاشتغال الشديد بها و الخوض فى غمراتها حجابا عن ملاحظه الحق عائقا من ملازمته و العكوف على بابه و الاستجلاب لأنوار علمه و مزيد إحسانه

١- كلمه من استفهاميه فقد أنشب القدر فى بياء المتكلم مخاليب الغير غير الدهر كعنب بمعجمه فمثناه من تحت إحداثه المغيره دفعت إلى بياء المتكلم و السجف بالسین المهمله و الجيم الستر و الوميض الإشراق، س ره

الباب العاشر فى تحقيق المعاد الروحانى والإشاره إلى السعاده العقليه و الشقاوه

إشاره

التي يازائها و إلى السعاده و الشقاوه الغير الحقيقتين و ما قيل فى بيانهما و فيه فصول

فصل (١) فى ماهيه السعاده الحقيقيه

اعلم أن الوجود هو الخير و السعاده و الشعور^(١) بالوجود أيضا خير و سعاده- لكن الوجودات متفاضله متفاوتة بالكمال و النقص فكلما كان الوجود أتم كان خلوصه عن العدم أكثر و السعاده فيه أوفر و كلما كان أنقص كان مخالطته بالشر و الشقاوه أكثر و أكمل الوجودات و أشرفها هو الحق الأول و يليه المفارقات العقليه و بعدها النفوس و أدون الموجودات هى الهيولى الأولى و الزمان و الحركة ثم الصور الجسميه

١- لأن العلم عين المعلوم بالذات مطلقا و عين المعلوم بالعرض ماهيه و وجودهما ما به الامتياز فيه عين ما به الاشتراك فالعلم بالشمس مثلا- شمس و بالقمر قمر و هكذا و الشعور بالوجود حضورى و حصولى و الحضورى إما إجمالى و إما تفصيلى- فالأول كعلم النفس الناطقه القدسيه بذاتها و هى الوجود كما هو رأيه و رأى الشيخ الإشراقى و الثانى كعلم الفانى بالمفنى فيه و حق العلم به علم الحق تعالى و العلم الحصولى بالوجود قسمان أحدهما العلم بمراتب الوجود بالفحص و البحث عن الماهيات و مقوماتها و عوارضها اللازمه و المفارقة و ثانيهما العلم به بصوره العامه المطابقه لحقيقته مثل العلم بأنه طرد العدم عن الماهيات و أنه حيثيه الوحده و الهويه و أنه النور الحقيقى و الحياه الساريه و العشق السارى و العلم و الإدراك و نحو ذلك من العنوانات المطابقه لحقيقته البسيطه المبسوطه و المزيه و التفاضل بين العقلاء بوفور المعارف به فإنه الموضوع للحكمه ما قبل الطبيعه، س

ثم الطبائع ثم النفوس وجود كل شىء لذيد عنده و لو حصل له وجود سببه و مقومه له لكان ألد لأنه وجوده فيكون كمال لذته بإدراكه و حيث كانت الوجودات متفاوتة- فالسعادات التى هى إدراكاتها تكون متفاضله أيضا و كما أن وجود القوى العقلية- أشرف من وجود القوى الحيوانية الشهويه و الغضبيه التى هى نفوس البهائم و السباع- و غيرهما من الحيوانات فسعادتها أجل و لذتها و عشقها أتم فنفسنا إذا استكملت و قويت و بطلت علاقتها بالبدن و رجعت إلى ذاتها الحقيقية و ذات مبدعها تكون لها من البهجه و السعاده ما لا يمكن أن يوصف أو يقاس به اللذات الحسيه و ذلك لأن أسباب هذه اللذه أقوى و أتم و أكثر و ألزم للذات المبتهجه أما أنها أقوى فلأن أسباب اللذه هى الإدراك و المدرك و المدرك و قوه الإدراك(١) بقوه المدرك و القوه العقلية أقوى من القوى الحسيه و مدركاتنا أقوى فلا جرم هى محصله لحقيقه الشىء المدرك الملائم و نائله للبهاء المحض و الخير الصرف و الوجود الذى هو أصل كل موجود و فياض كل خير و نظام و كذلك ما بعده من الجواهر العقلية التى هى معشوقات بذواتها سواء عشقها غيرها أم لم يعشق و أما المشتهايات الحسيه فإدراكها بالقوى الضعيفه الوجود الناقصه الأكوان و هو يتعلق بالظواهر و الأطراف غير متوغل إلى حقيقه الشىء الملائم و المدركات هى من باب المأكولات و الملموسات و الروائح و الألوان و ما أشبهها و أما أنها أكثر فإن مدركات القوه العقلية هى كل الأشياء- و مدركات القوى الحسيه هى بعضها و هو المحسوسات فقط دون المعقولات.

و أيضا ليس كل المحسوسات ملائما لذيدا للحس بل بعضها ملائم له و بعضها مناف بخلاف العقل فإن كل معقول ملائم له و به كمال ذاته و ذلك لأن الحسيات يقع فيها التضاد و المنافره لقصور وجوداتها و قبولها النقص و الآفه و أما العقلية فلها الفسحه و السعه فى الوجود من غير تراحم و تضايق و أما أنها ألزم للذات فإن الصور

١- و الأولى عدم إرجاع الإدراك إلى المدرك إذ هو فى نفسه قوى و أقوى إذ إدراك الخير و الكمال و الجمال و الجلال بالحضورى التام أقوى من الحضورى الإجمالى- و الحصولى بعنوانات حقيقه الوجود أقوى من الحصولى بعنوانات مراتبها و كل واحد من الثلاثه سبب فى تماميه السعاده و اللذات و اجتماعها سبب للأتميه، س ره

العقلية إذا عقلها العقل يستكمل بها و يصير ذاته ذاتها كما علمت بل كان بعضها قبل أن يقع الشعور به مقوماً (١) لذات العقل و كان غافلاً- عنه لاشتغاله بغيره فإذا استشعر و تنبه- يرى ذلك البهاء و الجمال في ذاته فصار مبتهجا بذاته غايه البهجه كما قال معلم الأول فصرت داخلاً- في ذاتي خارجاً عن سائر الأشياء فأدى في ذاتي من الحسن و البهاء و السناء- ما تكل الألسن عن وصفه فوصول سبب الالتذاذ إلى هذا المستلذذ العقلي أشد و أوغل إذ لا أوصول إلى الشئ من ذاته إلى ذاته و هذه اللذذ شبيهه بالبهجه التي للمبدإ الأول بذاته و بلذات المقربين بذواتهم و ذات مبدئهم و معلوم أن لذذ الملائكة الروحانيين- بإدراكاتهم النورية فوق لذذ الحمار بإدراك صورهِ الجماع و القضم و نحن لا نشتهى تلك اللذات ما دمنا متعلقين بهذه الأبدان بالوجدان بل نعلمها من جهه الاستدلال و البرهان- إذ لا- نتصور من ذوات المعشوقات العقلية إلا- بحسب مفهومات كليه ذهنيه صادقه عليها- و مفهوم الشئ و ماهيته و معناه غير حقيقه وجوده و هويته العينيه فإن مفهوم الحلاوه ليس حلوا و ماهيه السلطنة ليست سلطاناً إلا أن البرهان و العقل يدعوان إلى وجود المستلذذات العقلية و معرفه العقلية في النشأ الأولى منشأ الحضور في العقبي لما مر أن المعرفه بذر المشاهده و ذلك لأن الحجاب بيننا و بين العقلية إما عدم التفطن لها و هو الجهل (٢) و إما الاشتغال بغيرها كالبدن و المواد الحسيه و قواها المنطبعة فالنفس إنما تتوصل إليها باكتساب (٣) العلم بحقائقها حتى تصير قوتها العقلية مستعده بالطبع تهيؤاً قريباً- لقبول صورها العقلية من المبدإ المفارق فإذا زال المانع الخارجى بالموت إذ ليس بعد المفارقة عن البدن لصاحب المعرفه إعراض عن تلك الجبهه إلى جانب البدن و شواغله

-
- ١- فإن القيوم تعالى مقوم وجودي لوجود العقل و كان غافلاً كما قيل. «در جستن جام جم بسی پیمودم روزی ننشستم و دمی نغنودم ز استاد چو وصف جام جم بشنودم خود جام جهان نمای عالم بودم، س ره
 - ٢- و المفروض عدمه لأن الكلام في أن المعرفه بذر المشاهده فبقي الثاني، س ره
 - ٣- و هو مشاهده العقول المفارقة الكليه عن بعد فإذا زاول العلم بالحقائق تبدل البعد بالقرب سيما بعد رفع شواغل البدن، س ره

فيكون مجرد المعرفة بالليذ العقلي سبب الوصول إليه و الالتذاذ به عند رفع المانع و هو الاشتغال بالبدن و قد انقطع بالموت و هذا بخلاف الشعور بالمحسوسات اللذيذه فإنه غير كاف للوصول إليها و الإحساس بها لإمكان الحجب الجسماني بين الحواس و محسوساتها اللذيذه و السبب فيه ضيق وجودها و ضعف حصولها و فقد بعض أجزائها عن بعض و غيبته عنه فلا حضور للجسم عند نفسه و لا عند شىء آخر فكذا الجسماني القائم به من الصفات و الأعراض و لهذا ليس للأجسام بما هي أجسام حياه و لا شعور و أما الأجسام الحيه فليس كونها جسما هو كونها حيه إنما الحياه لها بسبب كون آخر يطرأ عليها بسبب حى بالذات هو نفسها الحيوانيه و لو كان وجود الجسم حياه له كان وجود كل جسم حياه له و ليس كذلك و أما ما ليس بجسم و إن كان ذا تعلق به فليس يمتنع بأن يكون وجوده بعينه حياته كالواجب تعالى و العقول و النفوس الفلكيه- و الإنسانيه و الحيوانيه و ليست الحياه ما به يكون الشىء حيا غير نفس وجوده فإنه من المستحيل أن يصير الشىء بهذا الوجود ذا هذا الوجود بل حياه الشىء حييته كما هو طريقتنا فى باب الوجود و كذا المضاف و الأين و الاتصال فى الصوره الجسميه- و النفسيه فى النفس و النوريه فى المفارقات و التقدم و التأخر الزمانيتين فى الأكوان المتجدده.

و الغرض من إيراد هذا الكلام هاهنا أن يعلم أن الوجود الجسماني يصحبها الموت و الغفله و الهجران و الفوت سواء كان هذا الوجود من طرف المدرك المشتاق أو فى طرف المشتاق إليه لما فيه من قله الحضور و الوجدان و بقدر تعلق الشىء سواء كان مدركا أو مدركا كان الحضور أقل و الإدراك أنقص حتى أن شعورنا بذواتنا حين فارقتا البدن كان أشد لأن حضورنا لنا أتم و أوكد و أكثر الخلق لاستغراقهم بأبدانهم الماديه و شواغلها نسوا أنفسهم كما قال تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ و ذلك لأنهم لا يشعرون بذواتهم مع هذه العلاقه الشديده إلا مخلوطا(١) بالشعور بأبدانهم لأن

١- فيظنون أنفسهم فى الجبهه السفلى و مؤرخه بتاريخ معين بالعرض للبدن و هى مجردة بالذات عن الجهات و الأوقات بل الكليات العقلية على مذهب المنكرين للمثل الأفلاطونيه كل منها بلا زمان و مكان و جهه و نحوها فكيف من ينشئها و الكليات العقلية بل الجزئيات الخياليه موجب ضعفها بعلاوه ضعف توجهها إليه جعل النفس إياها مرأى ملاحظه الخارجيات لا ملحوظات بالذات و لو جعلتها ملحوظات لقويت كما فى الآخره و الجزئيات عند أهل العلم الكلى ينبغى أن تلحظ لاقتناص الكليات و لو لا هذه الموجبات ينبغى أن يتفطن النفس بأن كل كلى له وحده جمعيه و وجود نوري محيط- و جميع رقائقه و رقائق رقائقه من أفراده المثاليه و الطبيعيه شروقه و بروقه و مشمولاته- و له الكثره فى الوحده و الوحده فى الكثره، س ره

اتصال النفس بالبدن و ارتباطها به كاتصال النور بالظل و الشعلة بالدخان و الشخص بالعكس إذا قابلته مرآه لأننا لا نعقل شيئا و نحن بدنيون إلا- و التعقل منا يشوب بالتخيل- فإذا انقطعت العلاقه بين النفس و البدن و زال هذا الشوب صارت المعقولات مشاهده- و الشعور بها حضورا و العلم عينا و الإدراك رؤيه عقليه فكان الالتذاذ بحياتنا العقليه أتم و أفضل من كل خير و سعادته و قد عرفت أن اللذيذ بالحقيقه هو الوجود و خصوصا الوجود العقلي لخلوصه عن شوب العدم و خصوصا المعشوق الحقيقى و الكمال الأتم الواجبى لأنه حقيقه الوجود المتضمنه لجميع الجهات الوجوديه فالالتذاذ به هو أفضل اللذات و أفضل الراحة بل هى الراحة التى لا ألم معها

فصل (۲) فى كيفيه حصول هذه السعاده و منشأ احتجاب النفس عنها ما دامت فى هذا العالم

اعلم أن النفس إنما تصل إلى هذه البهجه و السعاده بمزاوله أعمال و أفعال مطهره

للنفس مزيله لكدوراتها و مهذبته لمرآه القلب عن أرجاسها و أدناسها و بمباشرة حركات فكريه و أنظار علميه محصله لصور الأشياء و لماهياتها فإذا استكملت بحصول معرفه الأشياء فى ذاتها و خرجت ذاتها من القوه العقليه الهيولانيه إلى العقل بالفعل انقطعت حاجتها عن فعل الحواس و استعمال البدن و قواه و لكن لا يزال يحاذيها البدن و القوى- و يشغلها و يمنعها عن تمام (۱) الاتصال و روح الوصال فإذا انحط عنه شغل البدن

۱- و نعم ما قيل- ۱۲۵ تا بود باقى بقايای وجود كى شود صاف از كدر جام شهود تا بود پيوند جان و تن بجای كى شود مقصود گل برقع گشای تا بود قالب غبار چشم جان كى توان دیدن رخ جانان عيان ، س ره

و وساوس الوهم و دعا به المتخيله ارتفع الحجاب و زال المانع الخارجى و دام الاتصال لأن النفس باقيه و المبدأ الفاعل باق و الفيض من جهته مبدول و النفس متهياه- و الحجابان أعنى الداخلى و الخارجى مرتفعان أما الداخلى و هو قصور النفس و هيولانيته و غولها فى البدن و اتحادها به فبخروجها من القوه إلى الفعل و صيرورتها راجعه إلى ذاتها العقلية و تميزها عن البدن و قواه غايه التميز و أما الخارجى و هو البدن و حواسه كغلاف فيه مرآه مصيقله فبخروجها عن غلاف البدن بالموت فإن البدن و الحواس و إن احتيج إليها فى ابتداء الأمر ليحصل بواسطتها الخيالات الصحيحه حتى تستنبط النفس من الخيالات المعانى المجرده و تتفطن بها و تنبه إلى عالمها و مبدئها و معادها إذ لا يمكن لها فى ابتداء النشأ التفطن بالمعارف إلا بواسطه الحواس و لهذا قيل من فقد حسا فقد علما فالحاسه نافعه فى الابتداء عائقه فى الانتهاء كالشبكة للصيد و الدابه المركوبه للوصول إلى المقصد ثم عند الوصول يصير عين ما كان شرطا- و معينا شاغلا و وبالا.

و اعلم أن سعادته كل قوه بنيل ما هو مقتضى ذاتها

من غير عائق و حصول كمالها من غير آفه و لا- شك أن كمال كل ما هو من باب نوعه و جنسه فكمال الشهوه هو حصول مشتتها و كمال القوه الغضبيه هو الغلبه و الانتقام و كمال الوهم و سعادته هو الرجاء و التمنى و لكل حاسه الإحساس بالكيفيه المحسوسه التى هى من نوعه- فللمس إدراك الكيفيه المزاجيه المعتدله المتوسطه بين أوائل الكيفيات الأربع اعتدالا و توسطا قريبا من اعتدال اللامسه و توسطها و للذوق إدراك الطعوم المناسبه لمزاج الآله و البدن كالحلاوات و الدسومات و غيرها و للشم الروائح الطيبه و للبصر الأنوار و الألوان و للسمع الأصوات المؤتلفه و النغمات المطربه و للخيال تصور المستحسنات و هى إما مثل المحسوسات المرتفعه إلى الخيال أو حكايات المعقولات

المتنزه إليه و للنفس بحسب ذاتها العقلية الوصول إلى العقليات الصرفه و صيرورتها موضوعه- للصور الإلهيه و نظام الوجود و هيئه الكل من لدن الحق الأول إلى أدنى الوجود.

و أما كمال(١) النفس و سعادتها بحسب مشاركه البدن و وقوعها فى هذا العالم- و دار البدن فبحصول العداله بصدور أفعال سائقه إليها محصله إياها و هى أن تتوسط بين الأخلاق المتضاده فيما تشتهى و لا تشتهى و تغضب و لا تغضب لئلا تنفعل عن البدن و قواه فإن المتوسط بين الأضداد بمنزله الخالى عنها فإن الخلو المحض و البراءه الصرفه عن آثار هذه القوى غير ممكنه للنفس ما دامت فى هذا الكون الدنياوى لكن التوسط بينها بمنزله الخلو عن غيرها حتى لا تنفعل عنها و لا تدعنها- بل تحصل لها هيئه استعلائييه على القوى فتخدمها و تأتمر بأمرها و تنزجر بزجرها- و تطيعها فى جميع ما تأتى و تذر و تأتمر و تنزجر فإن إذعان النفس للبدن و قواه- و انفعالها عنها من موجبات شقاوتها و الحرمان عن سعادتها فإن ارتباط الذى بين النفس و البدن يوجب أولاً- انفعال كل منهما عن صاحبه فتاره تحمل على البدن فتقهره تأييدا من الله و ملكوته و تاره تسلم للبدن و تنقهر عن قواه بإغواء الشيطان- بوساطه تلبيس الوهم و تزينه المشتهايات الحيوانيه فإذا تكرر تسليمها له انفعلت عنه انفعالا قويا و حدثت فيها هيئه انقياديه و عادته رديه حتى أنه يعسر عليها بعد ذلك ما كان لا يعسر قبل ذلك من دفع مفسده و كف أذاه و إذا تكرر قمعها له و استعلاؤها عن انقياده حدثت فيها هيئه استعلائييه يسهل بها على النفس ما لم يكن يسهل من قبل- و هذه القوه الاستعلائييه أنما تحصل بأن تفعل الأفعال التى لا بد لها من فعلها ما دامت فى البدن على وجه التوسط الخالى عن الإفراط و التفريط كما أن هيئه الخضوع و الدناءه أنما تحصل بوقوع الأفعال منها فى الأطراف كالغلو و التقصير فإن الأطراف مؤثرات و الأوساط بخلافها فإنها فى حكم اللامؤثر فأفعال التوسط بمنزله ترك

١- عطف على قوله و للنفس أى كمال النفس بحسب القوه النظرية هو الوصول إلى العقليات الصرفه و بحسب العقل العملى حصول العداله المعتبره عند علماء الأخلاق- و هى التوسط المشهور بينهم، س ره

الأفعال البدنيه و عدم الالتفات إليها كما أن الفاتر من الماء لا حار و لا بارد و هيئه الاستعلاء و الرفع ليست غريبه عن طبع النفس بل الملائم لطبعها هو التجرد و التفرد بذاتها و الهيئه الإذعانيه كأنها غريبه عن ذاتها العقلية مستفاده من الماده التي تعلقت بها فسعاده النفس و كمالها هو الوجود الاستقلالى المجرد و التصور للمعقولات و العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليها و مشاهدته الأمور العقلية و الذوات النورانيه و لا تقاس هذه اللذات إلى ما يناله الحس من اللذات المكدره و المشتبهات الجرميه الدائره- و المرغوبات الكثيفه الزائله و سبب خلونا و عدم وجداننا لهذه العلوم و المعارف التي قد حصلناها و نحن فى شغل البدن هو مثل التخدير الحاصل لقوه الذوق بواسطه(١) مرض بوليموس فيعوقها عن نيل لهذه الطعوم و الحلاوات الموجوده عندها فلو فرض حصول المعارف العقلية التي هى مقتضى طباع القوه العقلية و خاصيتها و النفس غير مستغرقه فى شغل البدن و لا مشغله بما تورده الحواس لكانت لهذه النفس بها لهذه لا يدرك الوصف كنهها فإنما لا يشتد الشوق و الابتهاج من العرفاء بمعارفهم فى هذا الآن لعدم الذوق و الوجدان التام فإن اللذيذ هو وجود الملائم الخارجى لا مفهومه أو وجوده الذهنى- و إنما الحاصل عند النفس هاهنا من المعلومات العقلية هو نحو وجودها الضعيف الذهنى- و إنما ضعف وجودها الذى للنفس لضعف إدراك النفس لها إما لغموورها فى البدن و إما لضعف تحصيل النفس إياها كما يكون بطريق الظن و القياس الغير المنتج لليقين- و إلا فهى قويه الوجود شديده الظهور و الوضوح بحسب أنفسها لكن هذه المعرفه الضعيفه من النفس إذا كان ضعفها من جهه البدن لا من ضعف التحصيل و عدم البراهين و الحدود الذاتيه تؤدى بعد رفع غشاوه البدن إلى مشاهدته المقربين و مصاحبه القديسين

١- أى الجوع البقرى و هذا اللفظ فإن بولى هو الشىء العظيم كالبقرة و موس هو الجوع و فى الفرس يشبه الشىء العظيم بالبقرة فمعنى گاوجوع أنه جوع عظيم كالبقرة- و سببه أنه يعرض برد مفرط لفم المعده فيبطل لمسه فلا- يشعر بدغدغه السوداء المصبوب عليه المنبه على الجوع و يبطل جذبه بحيث لا يمكن أن يزدرد لقمه فالمعده شبهان- و لكن الأعضاء لها جوع عظيم إذ لا يصل إليها شىء فلها شدة الحاجة إلى الغذاء و أما خداره قوه الذوق و آلتها فلسرايه البرد من فم المعده إليها، س ره

التي لا سعادته فوق مشاهدتهم فإن المعرفة التامة في هذه الدنيا بذور المشاهدة التامة في الآخرة كما مر فهذه اللذة العقلية لنفس كملت في هذا العالم فإن كانت منفكة عن العلوم الحقيقية منزله عن الرذائل الخلقية ليكون مصروف الهم إلى المتخيلات فلا يبعد أن يتخيل (١) الصور الملذذة الموعودة فينجر إلى مشاهدتها بعد رفع البدن كما في النوم الذي هو ضرب من الموت لأنه عبارته عن ترك استعمال بعض قواها المحركة والحساسة - فيتمثل لها ما وصف في الجنة من المحسوسات وهذه جنة المتوسطين وسعادته الصالحين وأصحاب اليمين وتلك جنة الكاملين المقربين وبالجملة البهجة تابعه للمشاهدة وحيث يخفى قدر المشاهدة يصغر قدر البهجة - فكذا لك حالنا في السعادة التي نعرف وجودها ولا - نتصورها مشاهده لكننا نعلم أنها إذا ارتاحت نفسنا في حياتنا الدنيا وآمنت لذكر الله وفرحت بذكر صفاته العليا وأفعاله العظمى وكيفيه ترتيب الوجود منه تعالى على أليق نظام وأحسن ترتيب على اتساق - ودوام وكمال وتمام فذلك مما يدل دلالة واضحة من جهه المناسبه على أن تنال من

١- ليس المراد أن التخيل يستحكم فيخبر إلى التمثل وإلا كان تخيلات المطعومات اللذيذه والملبوسات الفاخرة والمنكوحات البهيه ونحوها لأهل العيش الهنيء في الدنيا متمثله في الآخرة ويجل ساحه عز كلام هذا المحقق المتأله قدس سره عن أمثال هذا المعنى كما سيظهر بل ظهر من تحقيقاته فالمراد أن الأعمال الصالحه ومزاوتها والملكات المتخلقه منها وتخيل صورها اللانزله المناسبه الموجوده بلسان الشرع الأنور توجب التمثل في الآخرة بصور جرد مرد لأنفسهم والحشر مع الصور الجميله واللذائذ وكذا في طرف مظاهر القهر فإن حرص الحريص وتخيله لوازمه ومتعلقاته في الدنيا يوجب التمثل بالنمل والحشر معه وأذيه المودى للمسلمين وتخيله لوازمها وأسبابها في الدنيا توجب تمثيل الحيات والعقارب في العقبي وقس عليها الذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا - إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا فَهَئِذَا أَكَلُ اللَّذَائِذِ مِنْ طَرِيقِ الْحَرَامِ هُنَاكَ يَمَثَلُ بِأَكْلِ النَّارِ فِي النَّوْمِ الذي هو ضرب من الموت أيضا هكذا فإن سنى الرخاء تمثل ببقرات سمان و سنى القحط تمثل ببقرات عجاف والعلم باللبن والسرور بالخضرة ونحوها - وبالجملة بين كل عمل وتجسمه بصورته مناسبه ولزوم عقلى فيضطر هناك على حسبها وتخيلها والناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ووصلوا إلى تعبيرات ما رأوا في هذا المنام، س ره

السعادة عند فراغها عن شواغل البدن قدرا يعتد به و خصوصا إذا أحكمت المسائل و أتقنت العلوم و المعارف على أتم وجه و أبلغه كما وقع للراسخين في العلم و أقل المراتب في اكتساب العلم التي يستحق بها الإنسان لهذه السعادة الحقيقية على وجه الظن (١) و التقريب لا على وجه النصوصيه و التحديد أن يكتسب هاهنا العلم بالمبدأ الأعلى - و الوجود الذي (٢) يليق به و يخصه و يعرف أيضا علمه بجميع الأشياء على وجه - لا يلزم (٣) منه انفعال و قدرته على جميع المقدورات على وجه لا يوجب تغيرا و لا تكثر في ذاته و يعرف عنايته بالأشياء الخاليه عن الالتفات بغيره و عود الغرض إلى ذاته - و يعرف سعه رحمته و جوده و سائر صفاته الحقيقيه على وجه لا - يزيد شئ منها على ذاته إلا - الإضافات فإنها زائده لكن بشرط أن يعرف أن هذه الإضافات كالتقاريره و العالميه و الرازيه و المبدئيه و غيرها كلها إضافه واحده بسيطه في الوجود و إن اختلفت أساميها باختلاف الاعتبار فكما أن جميع صفاته الحقيقيه راجعه إلى الوجود المتأكد فكذلك جميع صفات الإضافيه راجعه إلى الموجدية التامه كما سبق و يعرف العقول (٤) الفعاله - التي هي كلمات الله التامات التي لا تبيد و لا تنفذ و ملائكته العلميه و يعرف النفوس الكليه التي هي كتبه و ملائكته العلميه و يعرف ترتيب النظام في البدايه و العود - و أن الوجود مترتب من الأول تعالى إلى العقل و منه إلى النفوس و منها إلى الطبائع - حتى تنتهي إلى المواد و الأجسام ثم يترتب منها صاعدا إلى المعادن ثم النبات ثم

١- فإنه إن زيد شئ آخر مثل مسأله التكلم و السمع و البصر و نحوها أو نقص - بإرجاع بعضها إلى بعض لم يخل بالغرض، س

ره

٢- و أما أن وجوده بسيط الحقيقة كل الوجودات و وحدته هي الكثره في الوحده و الوحده في الكثره فهو من أفضل المراتب،

س ره

٣- و أما أن علمه الذاتي حضوري و له علم سابق بكل الكليات و الجزئيات - بناء على أن البسيط كل الأشياء و هو العلم الإجمالي في عين الكشف التفصيلي فهو من أفضل المراتب لا أقلها، س ره

٤- و أما أنه يتصل و يتحد بها كما قيل "نفس را چون بندها بگسيخت يابد نام عقل" Z و أن في إدراك كل كلى عقلى إضافه شهوديه اتحاديه عن بعد و انه ميقات الوصال لها كما أن معرفه وجود الكل طرا مشاهده وجود الحق فهو من أعلى المراتب، س

ره

الحيوان و هلم إلى درجه العقل المستفاد فانتهى إلى ما ابتدأ منه و عاد فمن فاز بهذه المعارف فقد فاز فوزا عظيما و ينال من السعاده قدرا جسيما و خلص من الشقاوه التى منشؤها إما الإعراض عن تحصيلها مع المكنه و الاستعداد و الانحراف عن طريق الحكمه مع ملكه الشوق إلى كسب العلوم أو إنكار هذه المعلومات بالجحود و الاستكبار و العناد.

و لكن كلما يزيد على هذا المبلغ كما أو يشتد كيفا كانت سعاده أكمل و أتم فإننى (١) اعلم من المشتغلين بهذه الصنائه من كان رسوخه بحيث يعلم من أحوال الوجود أمورا يقصر الأفهام الذكيه عن دركها و لم يوجد مثلها فى زبر المتقدمين و المتأخرين من الحكماء و العلماء لله الحمد و له الشكر.

ثم إنك قد علمت أن الشرف و السعاده بالحقيقه إنما يحصل للنفس من جهه جزئها النظرى الذى هو أصل ذاتها و أما ما يحصل لها بحسب جزئها العملى الذى هو من جهه تعلقها بالبدن و إضافتها و نفسيتها فليس لها بحسبه من الاغتراب إلا السلامه عن المحنه و البلاء و الطهاره عن الشين و الرجس و الصفا عن الكدوره و الرذيله- و الخلاص عن العقوبه و الجحيم و العذاب الأليم و ذلك بمجرد لا يوجب الشرف الحقيقى و الابتهاج العقلى إلا أن لأهل السلامه كالزهاد و الصلحاء ضربا آخر من السعاده التى تناسبها كما سنعود إلى شرحه

فصل (٣) فى الشقاوه التى بإزاء السعاده الحقيقه

إشاره

اعلم أن هذه الشقاوه لا تكون للنفوس الحيوانيه و لا للنفوس الساذجه و لا للنفوس العاميه التى لم تحصل فيها بعد ملكه التشوق إلى كسب العلوم العقلية و الكلاميه- و لا- محبه الترفع و الرئاسة كأكثر أرباب الحرف الدنيويه و العوام و النساء و الصبيان- فإن لهم إذا شقوا نوع آخر من الشقاوه كما أن لهم إذا سعدوا نوع آخر من السعاده- إذ

الأشقياء فريقان.

إشاره

١- أراد نفسه الشريفه و الحق معه و تحقيقاته الأتيقه أعدل شاهد على ما أفاده شكر الله مساعيه، س ره

فريق حق عليهم الضلالة

فريق حق عليهم (١) الضلالة و حق عليهم القول فى الأزل لأنهم أهل الظلمه و أهل الدنيا و الحجاب الكلى المختوم على قلوبهم فطره كما قال تعالى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ* و قوله وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا الْآيَةَ.

و الفريق الآخر هم المنافقون

الذين كانوا مستعدين فى الأصل قابلين لنور المعرفة بحسب الفطره و النشأ الأولى و لكن ضلوا عن (٢) الطريق و احتجبت قلوبهم بالرين - المستفاد من اكتساب الرذائل بارتكاب المعاصى و مباشره الأعمال البهيميه و السبعيه - و مزاوله المكاييد الشيطانيه حتى رسخت الهيئات الغاسقه و الملكات المظلمه و ارتكمت على أفئدتهم و انتقشت نفوسهم برسوم سفسطيه و صور جهليه و خيالات باطله و أوهام كاذبه فبقوا شاكين حيارى تائهين منكوسين انتكست وجوههم إلى أقفيتهم و حبطت أعمالهم و بقيت نفوسهم فى غصه و عذاب أليم مغلوله مقيدة بسلاسل علائق الهوى فى ظلمات شهوات الدنيا و قد سلبت عنها قوى إدراك هذه الشهوات و آلاتها تلذعها عقارب الهيئات السوأى و حياتها خالدين فيها ما دامت السماوات و الأرض و كانت قد ناداها منادى الحق فتغافلت و غوت و أعرضت و جحدت فحل عليها غضب الحق و قيل فيها وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي

١- فى موضعين أحدهما نشأ العلم فإن كل عين ثابت استدعى فى العلم ما يليق بحاله فاستدعى السكر الحلاوه و الحنظل المراره و لا ألف الاستقامه و الدال الانحناء و هكذا و ثانيهما الماده فماده الشعير تطلب صورته الشعير و لا تطلب صورته الحنطه - و ماده العصفور تطلب صورته العصفور و لا تطلب صورته الطاوس و هذا الطلب أيضا فى الأزل لأن الأزل ليس وقتا موقوتا و حدا محدودا بل روح الدهر و الزمان و أيضا كلا الطلبين من ذات الشىء لأن ماهيته هى هو و مادته جزؤه لا تباينه فما عامل الله شيئا إلا بما علم منه، س ره

٢- لمحبه الترفع و الرئاسة كما هو مفهوم من نفيهما عن الفريق الأول و لغلبيه شهواته و شيطنته و نكراه و استعباد هواه إياه، س ره

أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (۱) و من أعظم الآلام لهم أنهم عن ربهم لمحجوبون و قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون- و أحاطت به خطيئاتهم فهم فى الدرك الأسفل من النار متقاعدون فلا شك أن هؤلاء الأشقياء أسوأ حالا من الفريق الأول فالأولى (۲) أهل الحجاب و الأخرى أهل العقاب- و فى الكتاب الإلهى قد تكررت و تكثرت الإشارة إليهما جميعا و إلى كل منهما منفردا.

منها ما وقع فى أوائل البقره فالإشارة إلى القسم الأول قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فهؤلاء لا- سبيل إلى خلاصهم من النار- و هم أصحاب (۳) النار بالحقيقه كأكثر الكفره طبعاً و قد تأكدت القوه بمزاولة المعاصى و الشهوات كذلك حقت كلمه ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون و كذلك (۴) حقت كلمه ربك على الذين كفروا إنهم أصحاب النار لأنهم سدت عليهم الطريق- و أغلقت عليهم الأبواب إذ القلب أعنى القوه العاقله هو مشعر الإلهى الذى هو محل الإعلام و الإلهام فحجبوا عنه بختمه و الحواس سيما السمر و البصر و هما المشعران- اللذان هما بابان عظيمان من أبواب الفهم و الاعتبار فحرموا عن جدواهما لامتناع نفوذ المعنى فيهما إلى القلب فلا سبيل لهم فى الباطن إلى العلوم الحقيقيه و لا فى الظاهر

۱- سيما الآيات الكبرى أعنى الأدلاء على الله الهادين إليه قال على ع: لا- آيه أكبر منى و نعم ما قيل، اگر چه آينه روى جانفزای تواند همه عقول و نفوس و عناصر و افلاك ولى كس ننماید تو را چنانكه توئى بجز دل من مسكين بیدل غمناك ظهور تو بمن است و وجود من از تو فلست تظهر لولای لم أكن لولاك فنسيتها و أعرضت عنها و نبذت دلالتها وراء ظهرک و كذلك اليوم تنسى بعين إنسانك نفسك، س ره

۲- كالحيوانات العجم فحجابها فطرى و مختوميه قلوبهم جبليه، س ره

۳- فإن أصحاب الشىء ملازموه و مزاولوه و أهله كما يقال أصحاب الدنيا و أهلها لملازميها و من أهلها و اختارها، س ره

۴- أى فى الأزل كما عرفت، س ره

إلى العلوم الرسميه (١) كما قال تعالى وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ - لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا الْآيَةَ فَحَبَسُوا فِي سجون الظلمات فما أعظم عذابهم - والإشارة إلى القسم الثانى قوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَى قَوْلِهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ هؤلاء مرضى القلوب متألمو النفوس بالحق و الحسد و الكبر و النفاق و العداوة و البغضاء و الرعونه و الرياء و هم أهل الكيد و النفاق و الغدر و الخداع و الشقاق و المكر و الحيله و قد يكون لهم مع ذلك آراء باطله - و اعتقادات فاسده و نعوذ بالله إذا حفظوا مع شراره النفس أقوالا - شرعيه و علوما ناموسيه - جعلوها من أسباب الترفع و الرئاسة بادعائهم الإيمان بالله و باليوم الآخر و لم يدخل فى قلوبهم الإيمان أصلا فهذه الأمراض النفسانيه سواء كانت من باب الآراء و العقائد - أم لا كلها مؤلمه للنفوس معذبه للقلوب و لكن الاعتقادات الرديه و العلوم الفاسده - أشد تعذيبا و أكثر إيلا للنفوس فإنها نيرانات ملتهبه فى نفوس معتقديها و حركات مشتعله فى قلوبهم فأيلامها أشد من إيلا هذه النار الدنيويه كما ذكر الله تعالى بقوله - نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفْتِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّيْدَةٌ فِي عَمِيدٍ مُّمِدَّدَةٍ لَّأَنَّهُمْ مَعِ كَوْنُهَا فِي نَفْسِهَا قَبِيحٌ مِّمَّا يَنْشَأُ سَائِرَ الْمَعَاصِي وَ السَّيِّئَاتِ الْمَوْجِبَةِ لَتَعَذِّبَ النَّفُوسَ إِلَى وَقْتٍ مَّعْلُومٍ فَهَاتَانِ الشَّقَاوَتَانِ (٢) كلاهما شقاوه عقليه و سيأتى (٣) شرح السعاده و الشقاوه الحسينيتين فيما بعد إن شاء الله تعالى.

و الحاصل أن الشقاوه الأخرويه إما بحسب ما يحصل لها من الهيئات البدنيه - من المعاصى الحسيه الشهويه و الغضبيه و إما بحسب ما يحصل لها من الهيئات النفسانيه كالحسد و الرياء و الجحود للحق و الإنكار للعلوم الحقه الحقيقه فسبب

١- أى المتعلقه بكيفيه العمل، س ره

٢- أى شقاوه أهل الحجاب و المختوم على قلوبهم و شقاوه أهل العقاب و بعباره أخرى الجهل البسيط و الجهل المركب فإن الأولى أيضا نقص و عدم شأنى باعتبار نوعه - و إن لم يزاووا المعاصى و أما إن زاووا كما سبق أنه قد تأكدت القوه بمزاووله المعاصى و الشهوات فواضح، س ره

٣- أى بيان تجسم الأعمال و تشبيح الكلمات بالصور المناسبه، س ره

الشقاوه التي تحصل من الجبهه الأولى أن هذه الهيئات الانقياديه و الانفعالات الانقهاريه للنفس إذا تأكدت يمنعها عن الوصول إلى سعادتها الأخرويه و تصدها عن (١) درك النعيم الأخرى و هى مع ذلك تحدث نوعا من الأذى عظيما لفقد المألوفات العاديه- و وجود الملكة الشوقيه إليها و عدم ما يشغل النفس عن تذكرها فإن هذه الهيئات و إن كانت قبيحه فى نفسها مؤلمه لجوهر النفس مضاره لحقيقتها لكن كان إقبال النفس على البدن يشغلها عن الإحساس بفضائنها و قبائنها و مضادتها لجوهر النفس فى الآخره إذا زال ذلك الإقبال و الاشتغال فيجب أن تحس بإيلامها و إيذائها كما قال تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفِّصِ رُكِّ الْيَوْمِ حَتَّى تَأْذَى النفس عند رفع الحجاب و الموت أذى عظيما و عذابا شديدا كمن به آفه مؤلمه و مرض أليم و له شغل شاغل كخدر أو إغماء أو غير ذلك فإذا فرغ عن ذلك أحس به فتأذى منه غايه الأذى و لكن لما كانت هذه الهيئات الانقياديه غريبه عن جوهر النفس كما أشرنا إليه فكذا ما يلزمها و يتفرع عنها من الأشباح الجهنميه فلا يبعد أن يزول عنها فى مدته من الدهر متفاوتته على حسب كثرة العوائق و قتلها إن شاء الله تعالى و يشبه أن تكون الشريعة الحقه قد أشارت إليه حيث ورد أن المؤمن الفاسق لا- يخلد فى النار و أما القسم الثانى من الشقاوه العقليه فهو الداء العضال (٢) و المرض المؤلم للشاعر بالعلوم و الكمال العقلى فى الدنيا و الكاسب شوقا لنفسه إليها ثم تارك الجهد فيه لتكتسب العقل بالفعل اكتسابا ما فقدت منه القوه الهولانيه و حصلت ملكه الاعوجاج- و الصور الباطله المخالفه للواقع و القول على العصبية و الجحد فهذه الداء العياء مما

١- أى لا- عن تلك الغبطه العظمى مثل أنها عن ربها لمحجوبه إذ علمت أن ليست لها ملكه التشوق إلى تحصيل المعارف و لا استعدادها حتى يكون شقاوتها بالصد عنها- بل لها بدلا عنها كما قال ملكه الشوق إلى المألوفات الجزئيه الدنيويه فتشقى بفقداء، س ره

٢- سيما الجهل المركب لمضادته للنفس النطقيه التى من عالم العصمه و الطهاره- بحسب أصل فطرتها و قد صارت بحسب الفطره الثانيه مثل كتاب مشحون من الأغاليط و الأكاذيب عند نقاد وقاد معير فهو لا يليق إلا التمزيق و التحريق بالنار أى نار النار التى تطلع على الأفئده، س ره

أعيت أطباء الأرواح عن علاجها إذ المحال غير مقدور عليه و هذا الألم الكائن عنها- بإزاء اللذه الكائنه عن مقابلها و كما أن تلك أجل من كل إحساس بملائم كذلك هذه أشد من كل إحساس بمناف من تفريق اتصال بالنار أو تجميد بدن بالزمهرير أو ضرب عنق و قطع عضو و عدم تصور ذلك لأهله فى الدنيا سببه ما ذكرناه من المعنى الذى قررناه فى عدم وجدان اللذه المقابله له و كما أن الصبيان لا يحسون باللذات و الآلام- التى يخص المدركين و يستهزئون بهم و إنما يستلذون ما هو غير لذيد و يكرهه المدركون كذلك صبيان العقول و هم أهل الدنيا لا يشعرون بما أدركه ذو العقول البالغه الذين يخلصون عن الماده و علائقها

فصل (٤) فى سبب خلو بعض النفوس عن المعقولات و حرمانهم عن السعاده الأخرويه

أشاره

اعلم أن القوه التى هى محل العلوم و المعارف فى الإنسان هى اللطيفه المدبره لجميع الجوارح و الأعضاء المستخدمه لجميع المشاعر و القوى و هى بحسب ذاتها قابله للمعارف و العلوم كلها إذ نسبتها إلى الصور العلميه نسبه المرآه إلى صور الملونات و المبصرات و إنما

المانع من انكشاف الصور العلميه لها أحد أمور خمس كما ذكره - بعض أفاضل العلماء فى مثال المرآه.

أولها نقصان جوهرها و ذاتها قبل أن يتقوى

كنفس الصبى فإنها لا- يتجلى لها المعلومات لنقصانها و كونها بالقوه و هذا بإزاء نقصان جوهر المرآه و ذاتها كجوهر الحديد قبل أن يذوب و يشكل و يصيقل.

و الثانى خبث جوهرها و ظلمه ذاتها

ككدوره الشهوات و التراكم الذى حصل على وجه النفس من كثرة المعاصى فإنه يمنع صفاء القلب و طهاره النفس و جلاءها فمنع ظهور الحق فيها بقدر ظلمتها و تراكمها كصداء المرآه و خبثها و كدورتها المانعه من ظهور الصورة فيها و إن كانت قويه الجوهر تامه الشكل و اعلم أن كل حركه أو فعل وقعت من النفس حدث فى ذاتها أثر منها فإن كانت شهويه أو غضبيه صارت بحسبها عائقه من

الكمال الممكن فى حقها و إن كانت عقله صارت بحسبها نافعہ فى كمالها اللائق فكل اشتغال بأمر حيوانى دنيوى كنكته سوداء فى وجه المرآه فإذا تكثرت و تراكت أفسدتها و غيرتها عما خلقت لأجله كتراكم الغبارات و البخارات و الأصدية فى المرآه- الموجه لفساد جوهرها.

و الثالث أن تكون معدولا بها عن جهه الصورة المقصوده و الغايه المطلوبه

فإن نفوس الصلحاء و المطيعين و إن كانت صافيه نقيه عن كدوره المعاصى نقيه عن ظلمات المكر و الخديعه و غيرهما لكنها ليست مما يتضح فيه جليه الحق لأنها(١) ليست تطلب الحق و لم تحاذ شطر المطلوب و عدلت عن الطريق المؤدى إلى جانب الملكوت و هو صرف الفكر فى المعارف الحقيقيه و التأمل فى آيات الربوبيه و إدراك الحضرة الإلهيه- بصرف الهم إلى أعمال بدنيه و نسك شرعيه و أوراد و أذكار وضعيه من غير تدبر و تأمل فيها(٢) و فى الغرض من وضعها فلا- ينكشف لهم إلا- ما توجهت إليه همهم من تصحيح صورہ الأعمال و الطاعات و دفع مفسدات النسك من القيام و الصلوات و غيرهما إن كانوا متفكرين فيها و إذا كان تقيدهم بترجيح الطاعات و تفضيل حسنات الأعمال- مانعا عن انكشاف جليه الحق فما ظنك فى صرف الهمه إلى شهوات الدنيا و علائقها- فكيف لا يمنع من الكشف الحقيقى و هذا فى مثال المرآه هو كونها معدولا بها من جهه الصورة إلى غيرها.

الرابع الحجاب المرسل

فإن المطيع القاهر للشهوه المتحرى للفكر القاصد لتحصيل

- ١- بل نعمه و ملكه و هذه حجاب عنه أولا تطلب حق المطالب لإعراضها عن التفصيل اكتفاء بالإجمال، س ره
- ٢- مثل أن الغرض من الصلاه الاتصال المعنوى و القرب الحقيقى كما ورد أن الصلاه معراج المؤمن و من الصوم تصفيه القلب لاستجلاب الفيض كما ورد الجوع سحاب يطر الحكمة بل التخلق بأخلاق من هو صمد لا يطعم و من الزكاه تحصيل الجود بل التخلق بأخلاق الوهاب الرزاق القاضى للحاجات و من الحج التجريد و التفريد التام- كما ورد أن الحج رهبانيه هذه الأمه و هذا مجمل من الأغراض الحقه و تفصيلها و تفصيل أغراض أركانها و عوارضها يحتاج إلى بسط فى المقام، س ره

العلم قد لا- ينكشف له حقيقته مطلوبه الذى قصده لكونه محجوبا عنه (١) باعتقاد مقبول للناس سبق إليه منذ الصبا على وجه التقليد و حسن الظن يحول بينه و بين حقيقته الحق- و يمنع أن ينكشف فى قلبه خلاف ما تلقفه بالتقليد و هذا أيضا حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين و المتعصبين للمذاهب بل أكثر المنسوبيين إلى العلم و الصلاح فإنهم محجوبون باعتقادات تقليديه رسخت فى نفوسهم و تأكدت فى قلوبهم و صارت حجابا بينهم و بين درك الحقائق و هذا فى مثالنا حجاب المرسل بين المرآه و الصورة.

الخامس الجهل بالجهه التى منها يقع الشعور بالمطلوب

و العثر على الحق المقصود فإن طالب العلم ليس يمكنه تحصيل العلم بالمطلوب من أى طريق كان بل بالتذكر المعلوم و المقدمات التى تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها و رتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا مقررا بين العلماء النظائر ذوى الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهه- فيتجلى له حقيقته المطلوب فإن العلوم المطلوبه التى بها تحصل السعاده الأخرويه- ليست فطريه فلا- تقتنص إلا- بشبكته العلوم الحاصله أولا- بل كل علم غير أولى لا- يحصل إلا بعلمين سابقين يأتلفان و يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث- على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل و الأنثى فإن لكل ممكن معلول عله مخصوصه لا يمكن حصول شىء من ذوات العلل و الأسباب إلا من طريق سببه و علته فكذلك العلم بها لا يحصل إلا من جهه العلم بأسبابها و عللها فالجهل (٢) بأصول المعارف و بكيفية ترتيبها و ازدواجها هو المانع من العلم بها و مثاله فى المرآه هو عدم المحاذاه لها بالجهه التى فيها الصورة المرئيه قرب صورته لم تكن محاذيه للجهه التى فيها المرآه- بل مثاله أن يريد الإنسان مثلا أن يرى قفاه فى المرآه فيحتاج إلى مرآتين ينصب

١- مثل أن المشتق ذات ثبت له المبدأ فيحجب المتعلم أن يعتقد أن الوجود موجود- بل عن أن الواجب وجود إلى أن يرفع أو أن الصفه مطلقا معنى قائم بالغير فيحجبه عن أن يعتقد أن النفس فى ذاتها حياه و علم ذاتها بذاتها و إرادته ذاتها لذاتها و نحو ذلك و هذا معنى ما قال بعض العرفاء العلم حجاب أكبر، س ره

٢- و هى مواد البراهين و بكيفية ترتيبها و هى صورها المشروحه فى الميزان قال تعالى وَزُنُوزًا بِالْقِسْطِ طَاسِ الْمُسْتَقِيمِ* و قالوا أَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ، س ره

أحدهما وراء القفا والأخرى فى مقابلتها بحيث يبصرها ويراعى مناسبه مخصوصه بين وضع المرأتين حتى ينطبع صورته القفا فى المرآه المحاذيه للقفا ثم تنطبع صورته هذه المرآه فى المرآه الأخرى حتى تدرك العين صورته القفا كذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبيه فيها انتقالات أعجب مما ذكر فى المرآه و يعز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الاهتداء بها فهذه هى الأسباب المانع للنفس الناطقه من معرفه حقائق الأمور- وإلا فكل نفس بحسب الفطره السابقه صالحه لأن تعرف حقائق الأشياء لأنها أمر ربانى شريف فارق سائر جواهر هذا العالم بهذه الخاصيه و ما

ورد عنه ص: لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء

إشاره إلى هذه القابليه و هذه الحجب الحائله بين النفوس الإنسانيه و عالم الملكوت فإذا ارتفع هذه الحجب و الموانع عن قلب الإنسان الذى هو نفسه الناطقه تجلى فيه صورته الملك و الملكوت- و هيئه الوجود على ما هى عليه فيرى ذاته فى جنه عرضها السماوات و الأرض بل يرى فى ذاته جنه عرضها أوسع من عرض السماوات و الأرض لأنهما عبارته عن عالم الملك و الشهاده و هو محدود و أما عالم الملكوت و الحقائق العقليه و هو الأسرار الغائبه من مشاهدته الحواس المخصوصه بإدراك البصيره فلا نهايه لها و جملة عالم الملك و الملكوت إذا أخذت دفعه تسمى الحضرة الربويه لأن الله محيط بكل الموجودات إذ ليس فى الوجود سوى ذات الله و أفعاله و مملكته من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنه (١) بعينها عند قوم و هو سبب استحقاق الجنه عند آخرين و يكون سعه المملكه فى الجنه بقدر سعه المعرفه و بمقدار ما يتجلى للإنسان من الله و صفاته و أفعاله و إنما المراد من الطاعات و أعمال الجوارح كلها تصفيه القلب و تطهير النفس و جلاؤها بإصلاح الجزء العملى منها قد أفلح من زكّاها وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا و نفس الطهاره و الصفاء ليست كمالات بالحقيقه لأنها أمر عدمى و الأعدام ليست من الكمالات بل المراد منها حصول أنوار الإيمان أعنى إشراق نور المعرفه بالله و أفعاله و كتبه و رسله و اليوم الآخر و هو المراد بقوله تعالى فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ... فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ

١- أى جنه الذات و جنه الصفات و جنه الأفعال الإبداعيه و الإنشائيه، س ره

فشرح الصدر غايه الحكمه العمليه و النور غايه الحكمه النظرية فالحكيم الإلهي هو الجامع لهما و هو المؤمن الحقيقي بلسان الشريعة و ذلك الفوز العظيم

فصل (٥) في كيفية حصول العقل الفعال في أنفسنا

اعلم أن للعقل الفعال وجودا في نفسه و وجودا في أنفسنا فإن كمال النفس و تمام وجودها و صورتها و غايتها هو وجود العقل الفعال لها و اتصالها به و اتحادها معه - فإن ما لا وصول (١) لشيء إليه بوجه الاتحاد لا يكون غايه لوجود ذلك الشيء فما هو غايه بالطبع لشيء في وقت فهو من شأنه أن يصير صورته له في وقت آخر إلا لمانع يقطع طريقه إلى الوصول و كأننا قد أوضحنا تحقيق هذا الاتحاد في العلم الكلي عند بحثنا عن أحوال العقل و المعقول إيضاحا يكفى لأهل العرفان و أصحاب الذوق و الوجدان - و إن لم يكن نافعا لأهل الجحود و الطغيان فمن استشكل عليه أن شيئا واحدا كيف يكون فاعلا متقدما على وجود الشيء و غايه متأخره عنه مترتبة عليه ترتبا ذاتيا بعد مراتب استكمالاته و ترقياته في الوجود فعليه أن يرجع و ينظر إلى ما حققناه و يسلك الطريق الذي سلكناه حيث عرفناه بقوة البرهان و نور الكشف و العيان أن المبدأ الأعلى له الأوليه و الآخريه لأجل سعه وجوده المنبسط و قوه وحدته الجامعه - و شدة نوريته الساطعه و تمام هويته التي انبعث منها الهويات و عينه التي انبجست منها أعيان الوجودات فوجوده التام الذي هو فاعل الآليات هو غايتها و كمالها فهو أصل شجره الوجود و ثمرتها لأن وحدته ليست كسائر الوحدات التي تحصل بتكررها الأعداد فلا ثاني لوحده كما لا مثل لوجوده بل أحديته الصرفة جامعته للكثرات

١- أي الوصول إلى الغايه لا يكون بنحو الاتصال الإضافي بل بنحو الاتحاد و التحول - بأن يتحول و ينقلب المغيى إلى الغايه بناء على جواز التبديل الذاتي على الاتصال الحقيقي - و الحركة الجوهرية ثم إنه كما قال قدس سره للعقل الفعال وجود نفسي و وجود رابطي - و النفس النطقية القدسيه تتحد بوجوده الرابطي فلا يرد إشكالات الشيخ الرئيس عليه، س ره

ساريه فى الوحدات و نور وجوده نافذ فى الهويات

كما قال أمير الموحدين على ع:

مع كل شىء لا بمقارنه و غير كل شىء لا بمزايله

فلا يدفع وجوده الابتدائى وجوده الانتهاى فمنه يتنزل الموجودات فى الابتداء و إليه تصعد الآيات فى الانتهاء فعلى هذا المنوال حال وجودات الأنوار القيومية و صور المفارقة الإلهيه فإن (١) وجودات العقول الفعاله ظلال لوجوده و وحداتها مثل لوحده فسمعتها و جمعيتها أنموذج لسعته و جمعيتها فإنما هى وسائط صدور الأشياء عن الحق تعالى و وسائل رجوع الموجودات إليه فلها الأوليه بأوليته و الآخريه بآخريته كما أنها موجوده بوجوده لا بإيجاده- باقيه ببقائه لا بإبقائه لأنها كما علمت بمنزله أشعه نوره و لوازم هويته.

ثم إن النظر فى العقل الفعال من حيث وجوده فى نفسه غير النظر فيه من حيث حصوله لنفوسنا فالنظر فيه من الحيثية الأولى قد مر ذكره فى الربوبيات إذ قد ثبت وجوده فى نفسه بالبرهان و ليس النظر فيه الآن إلا من حيث كونه كاملاً للنفس الإنسانية و تماماً لها و البرهان على وجوده فى النفس أن النفس فى مبادئ الأمر- و إن كانت نفساً بالفعل لكنها عقل بالقوه و لها أن تصير عقلاً بالفعل لأجل تصور المعقولات و التفتن بالثوانى بعد الأوليات حتى يصير بحيث تحضر صور المعلومات متى شاءت فتحصل لها ملكه استحضر الصور العقلية من غير تجشم كسب جديد فخرجت ذاتها من العقل بالقوه إلى العقل بالفعل و كلما خرج من حدود القوه و الاستعداد إلى حد الفعل فلا بد له من أمر يخرج منه إليها فهو إن كان أمراً غير عقلى كجسم أو قوه جسمانية فيلزم أن يكون الأخس وجوداً عله مفيده للأشرف وجوداً و كان غير العقل

١- فكما أن وجوده كل الوجودات كذلك وجودها كل وجودات ما دونها و كما أن وحدته وحده حقه حقيقه كذلك وحدتها وحده حقه ظليه لا- عدديه و بالجملة إضافتها إلى النفس متأخره زماناً متقدمه ذاتها عليها دهرًا و مثله و مثلها كمثل عاكس انعكس منه عكس صغير على جليديه غبراء يصلحها بالتصفيه و التلطيف و التكبير بالتدريج بحيث تقبل صورته حاكية للعاكس على ما هو عليه من العظم و الشكل و الحسن و الجمال و تشتد الصورة بحيث تستغنى عن المرآه رأساً فتكسرها و تفنى فى العاكس فالعاكس لا تغير فيه و حاله قبل الصورة- و بعدها و عند نقصها و كمالها حال واحده، س ره

أفاده العقل لغيره و ذلك محال و إن كان عقلا فلا يخلو إما أن يكون عقلا فى أصل الفطره فهو المطلوب و إن لم يكن كذلك فيحتاج لا- محاله إلى أمر يخرج من القوه إلى الفعل - و يجعله عقلا بالفعل فننقل الكلام إليه حتى يدور أو يتسلسل أو ينتهى إلى المطلوب فثبت وجود العقل المقدس عن شائبه القوه و النقص الاستعدادى.

و من سبيل آخر أن النفس الإنسانیه قد لا يكون معلوماتها التى اكتسبتها حاضره لها مدركه و لها قوه الاسترجاع و الاستذكار فهى مخزونه فلها قوه الإدراك و قوه الحفظ و هما متغايرتان لأن (١) الحافظ فاعل و المدرك قابل فيمتنع اتحادهما- و لا شك أن المدرك القابل هى النفس فالحافظ الفاعل جوهر أجل منها وجودا و هذا النحو من الوجود عقل فعال و ظاهر مكشوف أنه ليس جسما من الأجسام و لا قوه فى جسم لأن شيئا منهما لا يكون معقولا بالفعل و لا عاقلا بالفعل فكيف يكون سببا لما ليس بجسم و لا- فى جسم و الكلام فى وجود سبب تصير به النفس عقلا بالفعل و أما المعقول من الجسم فهو صورته عقليه لا يحمل عليه معنى الجسم بالحمل الشائع الصناعى- فبالجسم لم يصير جسم معقولا فضلا عما ليس بجسم من الأمور التى ليست داخله فى مكان- و لا منطبعه فى ذى وضع و حيز حتى يجاورها أو يحاذيها جسم أو صورته فى جسم فيؤثر فيها لما تقدم أن تأثير الأجسام و الجسمانيات فى الأشياء بمشاركه الأوضاع المكانية- فإن القرب الوضعى و الاتصال المقدارى فى الجسمانيات بإزاء القرب المعنوى و الارتباط العقلى فى الروحانى فى قبول الأثر و استجلاب الفيض و أما الأول تعالى فهو و إن كان هو الفيض المطلق و الجواد الحق على كل قابل لفيض الوجود إلا أن فى كل نوع من أنواع الكائنات لا بد من واسطه تناسبه من الصور المجردة و الجواهر العقليه و هم الملائكه المقربون المسمون عند الأوائل بأرباب الأنواع و عند الأفلاطونيين بالمثل الأفلاطونيه و الصور الإلهيه لأنها علومه التفصيليه التى بواسطتها يصدر الأشياء

١- قد يطوى حديث الفعل و القبول و يستدل بالفرقه بين المشاهده و الذهول و النسيان فى المعقول فيثبت العقل الفعال خزانه للنفس الناطقه كما فى إثبات الخيال خزانه للحس المشترك و الحافظه للوهم، س ره

الخارجة كما مر ولا شك أن أليقها و أنسبها في أن يعتنى تكميل النفوس الإنسانية - هو أبوها القدسى و مثالها العقلى المسمى بلسان الشرع جبرئيل روح القدس و فى مله الفرس كان يسمى روانبخش و فى كثير من الآيات القرآنيه تصريح بأن هذه المعارف فى الناس و فى الأنبياء يحصل بتعليم الملك و إلهامه كقوله تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى و قوله قَالَ تَبَّأْنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (١) و كيفيه وساطه هذا الملك المقرب العقلانى - فى استكمالنا العلميه أن المتخيلات المحسوسه إذا حصل فى قوه خيالنا يحصل منها من جهه المشاركات و المباينات المعانى الكليه و لكنها فى أوائل الأمر مبهمه الوجود - ضعيفه الكون كالصور المرئيه الواقعه فى موضع مظلم فإذا كمل استعداد النفس و تأكد صلاحيتها بواسطه التصفيه و الطهاره عن الكدورات و تكرر الإدراكات و الحركات الفكرية - أشرق نور العقل الفعال عليها و على مدركاتها الوهميه و صورها الخياليه فيجعل النفس عقلا بالفعل و بجعل مدركاتنا و متخيلاتنا معقولات بالفعل و فعل العقل الفعال فى النفس و صورها المتخيله الواقعه عندها كفعل الشمس فى العين الصحيحه و ما عندها من الصور الجسمانيه الواقعه بحذائها عند إشراقها على العين و على مبصراتها فالشمس مثال العقل الفعال و قوه الإبصار فى العين مثال قوه البصيره فى النفس و الصور الخارجيه التى بحيالها مثال الصور المتخيله الواقعه عند النفس فكما أن قبل إشراق الشمس عند الظلام يكون البصر بصرا بالقوه و المبصرات مبصرات بالقوه فإذا طلعت الشمس و أشرق عليها صارت القوه البصريه رائيه مبصره بالفعل و تلك الملونات التى بحيالها مرئيات مبصره بالفعل فكذلك مهما طلع على النفس هذا النور القدسى و أشرق ضوءه عليها و على مدركاتنا الخياليه صارت القوه النفسانيه عقلا و عاقلا بالفعل و صارت المتخيلات معقولات بالفعل و ميزت القوه العقلية بين المكتسبات الحاصله ذاتياتها عن عرضياتها

١- بناء على أن المراد بالعليم الخبير هو الملك أو الله تعالى بواسطه الملك لكن ليس فى الآيه تصريح به فليس دلالتها نصا بل دلالتها على المطلوب بضميمه أن ربط الحادث بالقديم بواسطه و طريقه العرفاء أن الأسماء الحسنى هى الأرباب للأنواع و فيها دلالة عليها و على الأول إسناد التنبئه إلى العليم الخبير لأن الوسائط مجالى علم الله - كقولها تَقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ، س ره

و حقائقها عن لواحقها و رقائقها و أصولها عن فروعها و أخذتها مجردة عن الأعداد و الأفراد فيصير الإنسان عند ذلك إنسانا عقليا إذ بطلت جزئيته و ضيق وجوده بقطع التعلقات و القيود و إذا اشتد هذا النور الذى هو صورته العقلية اتحد بالروح الكلى الإنسانى المسمى بروح القدس و العقل الفعال و المبدأ الفاعلى الذى سعته وجوده و بسط هويته بحيث يكون نسبته إلى جميع الأشخاص و الأعداد و الأنداد البشريه نسبه واحده كما هو شأن الكلى الصادق عليها المحمول عليها بحسب المفهوم و المعنى إلا أن المفهوم (١) عنوان للأفراد و هذا المبدأ الفاعلى حقيقه لها و حامل لها حافظ إياها- و كذا الطبائع الكليه عنوانات لذوات نوريه و هويات عقلية و ملائكه قدسيه و أرباب أنواع طبيعیه و بالجمله مهما صارت النفس عقلا تصير محسوساتها معقولات بالفعل (٢) و عاقلات أيضا لما مر من طريقتنا أن كل معقول بالفعل عاقل بالفعل

فصل (٦) فى إظهار نبذ من أحوال هذا الملك الروحانى المسمى عند العرفاء بالعنقاء على سبيل الرمز و الإشاره

العنقاء (٣) محقق الوجود عند العارفين لا يشكون فى وجوده كما لا يشكون فى

- ١- أى الطبيعه المبهمة لفرط إبهامها و فقدانها يحمل عليها و هذا المبدأ الفاعلى لسعه وجوده و كمال وجدانه حامل إياها حاو لها فله الكثره فى الوحده و لها الوحده فى الكثره و هو توحيد الكثير و هى تكثير الواحد، س ره
- ٢- فإن وجود المعقولات وجود النفس العاقله و علمت أن المراد من الاتحاد- ليس اتحاد مفهوم المعقول مع مفهوم النفس بل أن وجوده وجودها و وجودها حياه و عقل و عاقل و معقول، س ره
- ٣- و ما يقال إن له ألف أجنحه و ألف منقار و نحو ذلك فأكثر من ذلك لأن فيض الله لا- ينقطع و لو عين و حدد بالألف فباعتبار مظهريته للألف من أسماء الله تعالى كيف و إن جناحى العقل النظرى و العقل العملى أو العلم و القدره لكل نبي و ولى و حكيم- و بالجمله إنسان كامل بالفعل جناحه و ألسنه الكل لسانه كما أنه لسان الله. ١٤٤ اين همه آوازا زان شه بود گر چه از حلقوم عبد الله بود گفت او را من زبان و چشم تو من حواس و من رضا و خشم تو، س ره

البیضاء و هو طائر قدسی مكانه (١) جبل قاف صغیره یوقظ الراقدین فی مرقد الظلمات- و صوته ینبه الغافلین عن تذكر الآیات نداؤه ینتهی إلى سماع الهابطین فی مهوی الجهالات المترددین كالخیاری فی تیه الظلمات النازلین فی عالم الهیولی و الهاویه الظلماء- و القریه الظالم أهلها و لكن قل من یستمع إلیه و یصغی نداءه و یعرف صداه (٢) لأن أكثرهم عن السمع لمعزلون و عن آیات ربهم معرضون صم بكم عمی فهم لا یعقلون هو مع جمیع الخلق و هم لا معه و نعم ما قیل بالفارسیه.

با مائی و با ما نه ای جائی از آن تنها نه ای

و كل من له عله الاستسقاء أو فیه مرض السوداء یستسقی (٣) بظلاله و كذا من به من عله مالیخولیا ینتفع بسماع صغیره بل الأمراض المختلفه و العلل الممرضه كلها یزول بخواص (٤) أجنحته و ریاشه إلا مرض واحد مهلك و هو الجهل الراسخ المركب بالعناد- و له الطیران (٥) صعودا و نزولا- من غیر حركه و انتقال و له الذهاب و المبیء من غیر تجدد حال و ارتحال و إلیه القرب و البعد من دون مسافه و مكان و لا تغیر و زمان- منه ظهرت الألوان فی ذوات الألوان و هو مما لا لون له و كذا الأمر فی باب الطعوم و الروائح و من فهم (٦) لسانه يفهم جمیع ألسنه الطیور و یعرف كل الحقائق و الأسرار

-
- ١- أى قاف القدره إن نظرنا إلى قیامه الصدوری بما فوقه أو جبل قاف القلب إن نظرنا إلى تجلیه على ما تحته من القلوب القابله له بإصلاح الله و عنايته تعالى، س ره
 - ٢- الصدى عكس النداء فصداه معارف العقول بالفعل و معرفه الإنسان الكامل بالفعل، س ره
 - ٣- إذ معالجه الطیب مثلا یألهامه و تعلیمه، س ره
 - ٤- أى خواص القوى و الطبائع التى بمنزله أجنحته لأنه مبدأ الصور النوعیه- التى فى العناصر و العنصریات، س ره
 - ٥- هذا وجوده الرابطی للعقول أو صعود العقول و نزولها إلیه فى إدراكها الكلیات و اتصالها به، س ره
 - ٦- أى معارفه و علومه فهم علوم جمیع العلماء بالله لأن الكل كانوا متصلین به فى علومهم فعقائد جمیع أهل الحق واحده و لهذا كان الإمام عالما بكل اللغات و بألحان الطیور المساویه، س ره

مستوكره المشرق و لا يخلو عنه ذره فى المغرب الكل به مشغل و هو من الكل فارغ و الأمكنه مملوءه منه و هو خال عن المكان العلوم و الصنائع مستخرجه من صفيره و النغمات اللذيذه و الأغانى العجيبه و الأرغونات و الموسيقىارات المطربه و غيرها مستنبطه من أصول هذا الطير الشريف الذات المبارك الاسم.

چون ندیدی شبی سلیمان راتو چو دانی زبان مرغان را

كل من يتعوذ بریشه من ريشه يجوز(۱) فى النار آمنا من الحرق و يعبر على الماء مصونا من الغرق بل استكمال جميع الخلق بأنحاء كمالاتهم و وصول السالكين إلى مآربهم و حاجاتهم بتأييد هذا الطير القدسى

۱- أى نار الطبعه و يعبر على الماء أى البحر المسجور الدنيا هذا حال العنقاء- و أما سيمرغ الذى هو سلطان الطيور السماويه فهو العقل الكلى أو الوجود المنبسط الذى هو نور الله ۱۴۶ فقال الشيخ فريد الدين العطار فيه- «ابتدای کار سيمرغ ای عجب جلوه گر بگذشت در چین نیمشب در میان چین فتاد از وی پری لا جرم پر شور شد هر کشوری هر کسی نقشی از آن پر بر گرفت هر که دید آن نقش شوری در گرفت این همه آثار صنع از فر اوست جمله نقشی از نقوش پر اوست گر نگشتی نقش پر او عیان این همه غوغا نبودی در میان آن پر اکنون در نگارستان چینست اطلبوا العلم و لو بالصين ازینست فأراد بذلك الطير المتجلى فى الصين العقل الكلى و بالصين النفس الكليه الفلكيه التى هى أقصى بلاد مشرق عالم الملكوت و باللیل السلسله النزولیه التى هى حقیقه ليله القدر- و بالريش الملقى منه عكسه و ظله و بالممالك الأفلاك الدواره و بالنقش الذى أخذه كل أحد العقل الجزئى. و أما قول ذلك الشيخ- ۱۴۶ هست ما را پادشاهی بی خلاف در پس کوهی که هست آن کوه قاف نام آن سيمرغ و سلطان طيور او بما نزدیک و ما زو دور دور فهو ظاهر فى الوجود المنبسط، س ره

فصل (٧) فى بيان السعاده و الشقاوه الحسيتين الأخرتين دون العقليتين الحقيقتين

إشاره

إن النفوس الجاهله جهلا- بسيطا دون ما هو مضاد للحق إن كانت هيولانيه محضه و لم تحدث هيئه عقليه و لا علم أولى ففى بقائها وقع التردد و الاختلاف بين الفلاسفه- و المنقول من الإسكندر الأفروديسى و هو من أعظم تلامذه معلم المشائين القول بعدمها و فساده و الشيخ الرئيس أيضا مال إلى هذا الرأى فى بعض رسائله الموسومه بالمجالس السبعه و قد أشرنا إلى أن النشأ الآخره لو كانت منحصره فى النشأ العقليه لكان القول ببطلان هذه الساذجه لازما اضطراريا لأن وجود الشىء فى كل نشأ أنما يكون بصورته لا بهيولاه لكن قد علمت أن بعد هذه النشأ التعليقه المتجدده الكائنه الفاسده عالمان صوريان مستقلان باقيا غير داثرين أحدهما دار المعقولات و الثانى دار المحسوسات الصرفيه التى لا ماده لها و لا حافظ إياها إلا النفس لأن وجودها وجود إدراكى و هو نفس محسوسيتها و المحسوس بما هو محسوس وجوده بعينه وجوده للجوهر الحاس و هو النفس فالنفس هى الحافظه و المبقية للصور الحسيه هناك من غير ماده كما أن العقل هو الحافظ المبقى بإذن الله للنفس من غير حامل أو بدن فلا حاجه للأشياء الموجوده فى هذا العالم إلا بأسبابها^(١) الفاعله و جهاتها دون الأسباب القابله و القوى و الاستعدادات فإذن هذه النفس باقيه بعد البدن و لم يترسخ فيها هيئات بدنيه و رذائل نفسانيه حتى تكون متأذيه بها معذبه بسببها لمنافاتها و مضادتها لجوهر النفس من حيث فطرتها الأصلية النورانيه و لا يمكن أيضا أن تكون معطله لا تفعل و لا تنفعل إذ لا معطل فى الوجود فلها بقدر حظها من الوجود حظ من اللذه و السعاده و قد مر أن الوجود لذيد إن حصل و كماله ألد و هذه النفس وجودها لها لا لشيء آخر لكونها غير ماديه- فاللذه حاصله لها بقدر وجودها و وجود ما معها إن كان بلا مانع أو مشوش لكنها ضعيفه

١- و جهاتها هى الملكات الحميده و الرذيله للنفس، س ره

إذ لا كمال لها وإن كانت خارجه عن القوه المحضه و الهولانيه بحصول الأوليات و بعض الآراء المشهوره و المقدمات الذائعه و لم يحدث فيها بعد شوق إلى العقلیات و لا داعيه كمال علمى عقلى على وجه التأكد و الجزم فإنها إذا فارقت هذا البدن فإن كانت خيره فلا محاله لها سعادته غير حقيقه من جنس ما كانت توهمته و تخيلته و بلغت إليه همته و سمعت من أهل الشرائع من الحور و القصور و السدر المخضود و الطلح (١) المنضود و الظل الممدود و الأشجار و الأنهار و سائر ما يكون لذيذا بهيجا عنده و هذا مما لا إشكال فى إثباته عندنا لأن الصور الأخرويه المحسوسه حصولها غير مفتقر إلى موضوع و ماده كما أشرنا إليه و سيأتى بيان ذلك على مسلك البرهان و الفحص البالغ و البحث اللائق.

و أما الفلاسفه فنقل صاحب الشفاء عن بعض منهم قولاً ممكناً على زعمه و قد وصفه بأنه لا يجازف فى الكلام من أن هؤلاء إذا فارقوا الأبدان و هم بدنيون و ليس لهم تعلق بما هو أعلى من الأبدان فيشغلهم التزام النظر إليها و التعلق بها عن الأشياء البدنيه و إنما لأنفسهم أنها زينه لأبدانهم فقط و لا يعرف غير الأبدان و البدنيات - أمكن أن يعلقهم نوع تشوقهم إلى التعلق ببعض الأبدان التى من شأنها أن يتعلق بها الأنفس لأنها طالبه بالطبع و هذه ماهيات هيئه الأجسام دون الأبدان الإنسانيه و الحيوانيه للعدر الذى ذكرناه و لو تعلق بها لم يكن إلا نفساً لها فيجوز أن يكون ذلك جرماً سماوياً لا أن تصير (٢) هذه الأنفس أنفساً لذلك الجرم أو مدبره لها فإن هذه لا يمكن بل أن تستعمل ذلك الجرم لإمكان (٣) التخيل ثم يتخيل الصور التى كانت معتقده عنده و فى وهمه فإن كان اعتقاده فى نفسه و فى أفعاله الخير و موجب السعاده رأى الجميل و تخيله فيتخيل أنه مات و قبر و سائر ما كان فى اعتقاده للأخيار - قال و يجوز أن يكون هذا الجرم متولداً من الهواء و الأدخنه و يكون مقارناً

١- قراءه على ع طلع منضود، س ره

٢- بل تعلقها كالتعلق بالمرآه لتظهر الصور المألوفه للنفس، س ره

٣- و ذلك لوجوب التلازم بين الماده و الصوره مطلقاً عند الشيخ فلا يقول بالصور القائمه بذواتها، س ره

لمزاج (١) الجوهر المسمى روحا الذى لا يشك الطبيعيون أن تعلق النفس به لا بالبدن- و أنه لو جاز أن لا يتحلل ذلك الروح مفارقا للبدن و الأخلاط و يقوم لكانت النفس تلازمه الملازمه النفسانيه.

و قال و أضداد هؤلاء من الأشرار يكون لهم الشقاوه الوهميه أيضا و يتخيلون أنه يكون لهم جميع ما قيل فى السنه التى كانت لهم من العقاب للأشرار و إنما حاجتها إلى البدن فى هذه السعاده و الشقاوه بسبب أن التخيل و التوهم أنما يكون بآله جسمانيه- و كل صنف من أهل السعاده و الشقاوه يزداد حاله باتصاله بما هو من جنسه و باتصال ما هو من جنسه بعده به فالسعداء الحقيقيون يتلذذون بالمجاوره و يعقل كل واحد ذاته و ذات ما يتصل به و يكون اتصال بعضها ببعض لا على سبيل اتصال الأجسام فيضيق عليها الأمكنه بالازدحام لكن على سبيل اتصال معقول بمعقول فيزداد فسحه بالازدحام.

هذا ما بلغ إليه نظر الشيخ و أترابه فى إثبات السعاده و الشقاوه الأخرويتين المحسوستين و فى كيفية جنه السعداء و جحيم الأشقياء فى المعاد و قد مرت الإشارة منا فى الفصل الثالث من الباب الثامن من علم النفس عند بحثنا عن دفع الشكوك الباقية- لأصحاب النقل إلى سخافه هذا الرأى و ما يلزمه من المفاسد و الذى نذكر هاهنا أن القول بتجويز أن يكون موضوع تصور النفس و تخيلها بعد التجرد عن هذا البدن جرما متولدا من الهواء و الدخان كيف يصح من رجل ذى بضاعه من الفلسفه الطبيعيه فكيف من الفلسفه الإلهيه أ ليس مثل هذا الجسم الدخانى المتولد من بعض المواد العنصريه يتفرق و يتحلل بأدنى سبب إذا لم يكن له طبيعه حافظه إياه عن التبدد و عن التحلل شيئا فشيئا بإيراد البدل كما فى الروح الطبى حتى يبقى تهيؤه لتصرف النفس فيكون هو فى ذاته نوعا نباتا بل حيوانا لكونه موضوع الإدراك التخليلى فإذا ن أ ليس هذا عين

١- يريد أن النفس فى هذه النشأه الأوليه أيضا متعلقه بالبخر و الدخان من الروح البخارى القلبى و الدماغى و الكبدى السارى فى الشرايين و الأعصاب و الأورده سيما ما فى الدماغ و نعم ما قيل-م چون دمی در گل دمدم آدم کند در كف دودی همه عالم کند ، س ره

التناسخ و أليس صار هذا الجرم الدخاني حيوانا غير إنسان تعلقت به نفس إنسانيه- فصار هذا الإنسان منسلخا عن إنسانيته إلى حيوان آخر و ذلك لأن شرط الإنسانيه- أن يكون له قوه إدراك المعقولات إما بالفعل أو بالاستعداد القريب أو البعيد له و ليس فيه شىء منها إذ قد بطل استعداده الأول بالموت من غير أن تصير عقلا بالفعل ثم لو فرض كونه ذا قوه تعقل المعقولات لكان إنسانا آخر فعلى أى وجه يلزم التناسخ و هو مع بطلانه فى نفسه كما مر قد أحاله الشيخ و غيره من توابع المشائين و هذا اللزوم لا- يدفع بمجرد قوله تستعمله من غير أن تصير نفسا لها إذ لا معنى للنفس إلا الجوهر الإدراكي- المستعمل لجرم حيوانى ذى حياه بالقوه موضوع لإدراكاته سيما على ما ذهبوا إليه من انطباع صور المحسوسات و المتخيلات فى الأجرام التى هى آله لها و بالجملة هذا مذهب ردىء و قول فاسد ألجأهم إلى القول به عدم علمهم بتجرد النفس الخياليه و مدركاتهما عن المواد الطبيعیه و العجب من الشيخ أبى على أيضا أنه ذكر فى هذا الكلام المنقول أن السعداء الحقيقيين يتلذذون باتصال ذواتهم ببعض اتصالا- عقليا كاتصال معقول بمعقول مع أنه لم يحصل معنى الاتصال العقلى و الاتحاد الذاتى بين العاقل و المعقول و لم يقدر على إثباته بل أنكره فى أكثر كتبه غايه الإنكار و شنع على القائل به كفر فوريوس و متابعيه غايه التشيع.

ثم قال فى أواخر إلهيات الشفاء و فى رساله الأضحويه إن الصور الخياليه ليست تضعف عن الحسيه بل تزداد عليها تأثيرا و صفاء كما نشاهد فى المنام و ربما كان المحلوم به أعظم شأنا فى بابيه من المحسوس على أن الأخرى أشد استقرارا من الموجود فى المنام بحسب قله العوائق و تجرد النفس و صفاء القابل و ليست الصور التى ترى فى المنام- بل و التى تحس فى اليقظه كما علمت إلا المرتسم فى النفس إلا أن (١) إحداهما تبتدئ من

١- حاصله أن المشاهده تتم بأن يتمثل الصوره فى النبطاسيا الذى هو كمرآه ذات وجهين سواء تمثلت عنده من طرق الحواس الظاهره أو من داخل و ما من الداخل أعم من أن تكون الصور المشاهده و المتمثله لوجهه الداخلى رقائق الحقائق عكس ما رويان بستان خدا أو ما ركبت المتخيله من الصور المخزونه فى الخيال فأدر كته النبطاسيا و حفظه الخيال كبسائطه و هذان ما ينحدر إليه من الباطن و الأول ما يرتفع إليه من الخارج، س ره

باطن و تنحدر إليه و الثانيه تبتدئ من خارج و ترتفع إليه فإذا ارتسم فى النفس ثم هناك الإدراك المشاهد و إنما (١) يلذ و يؤذى بالحقيقه هذا المرتسم فى النفس لا الموجود فى الخارج و كلما ارتسم فى النفس فعل فعله و إن لم يكن سبب من خارج فإن السبب الذاتى هذا المرتسم و الخارج هو سبب بالعرض أو سبب السبب فهذه هى السعاده و الشقاوه- الخسيستان بالقياس إلى الأنفس الخسيسه و أما الأنفس المقدسه فإنها تبعد عن مثل هذه الأحوال و تتصل بكمالها بالذات و تنغمس فى اللذه الحقيقيه و تبرئ عن النظر إلى ما خلفها و إلى المملكه التى كانت لها كل التبرى و لو كان بقى فيها أثر من ذلك اعتقادى أو خلقى تأذت به و تخلفت لأجله عن درجه العليين إلى أن يفسخ انتهى كلامه.

فهذه غايه ما وصلت إليه أفكار الفلاسفه الإسلاميين أعنى صاحب الشفاء و الفارابى- و من كان فى طبقتهم و يحذو حذوهم و هى قاصره عن درجه التحقيق غير بالغه حد الإجداء بل باطله فى نفسها كما سبق و ستعلم مخ القول و لب الكلام فيما سيأتى عند تجريدنا البحث إلى إثبات معاد الأنفس الغير الكامله و لا الواصله إلى درجه العليين.

ثم العجب أن الذى صورته الشيخ رئيس الفلاسفه و نقله من بعض العلماء و هو أبو نصر كما ذكره المحقق الطوسى شارح الإشارات أحسن و أجود مما ذكر فى كتب غيرهم من الإسلاميين و لهذا اختاره الشيخ الغزالى فى كثير من مصنفاته كما يستفاد من بعض مواضع الإحياء و غيره و قال فى رسالته المشهوره الموسومه بالمضنون بها إن

١- هذا واضح فإن الصوره الجميله التى فى مادتها وجودها لمادتها لا لك حتى تلذك و اللذه إدراك الملائم و الإدراك لغه أيضا هو النيل فلا- يلذك إلا- الصوره التى تنشئها أو تقبلها و إذا مات الولد فصوره موته أو ذهابه فى الخارج لا تؤذيك بل الصوره التى تجعلها بسوء غرضك مؤذيه لك كيف و لعله عدو لك فصوره ذهابه الخارجى خير لك- و حكاية خضر و موسى ع قرعت سمعك و حكم الأمثال واحد، س ره

اللذات المحسوسة الموعوده فى الجنه من أكل و نكاح يجب التصديق بها لإمكانها- و اللذات كما تقدم حسيه و خياليه و عقليه أما الحسى فلا يخفى معناه و إمكانه فى ذلك كإمكانه فى هذا العالم فإنه بعد رد الروح إلى البدن و قام البرهان على إمكانه- و أما الخيالى فلذه كما فى النوم إلا أن النوم غير مستقر لأجل انقطاعه فلو كانت دائمه لم يظهر الفرق بين الخيالى و الحسى لأن التذاذ الإنسان بالصوره من حيث انطباعها فى الخيال و الحس لا- من حيث وجودها فى الخارج فلو وجدت فى الخارج و لم يوجد فى حسه بالانطباع فلا لذه له و لو بقى المنطبع و عدم فى الخارج لدامت اللذه و للقوه المتخيله قدره على اختراع الصور فى هذا العالم إلا أن الصوره المخترعه المتخيله ليست محسوسه و لا منطبعه فى القوه الباصره فلذلك لو اخترع صوره جميله فى غايه الكمال و توهم حضورها و مشاهدتها لم يعظم سروره لأنه ليس يصير مبصرا كما فى المنام- فلو كانت للخيال قوه على تصويرها فى القوه الباصره كما له قوه تصويرها فى المتخيله- لعظمت لذته و نزلت منزله الصور الموجوده و لم يفارق الدنيا الآخره فى هذا المعنى- إلا من حيث كمال القدره على تصويرها الصوره فى القوه الباصره و لا يخطر بباله شىء يميل إليه إلا و يوجد له فى الخيال حيث يرى و إليه الإشاره

بقوله ع: إن فى الجنه سوقا يباع فيه الصور

و السوق (١) عباره عن اللطف الإلهى الذى هو منبع القدره على اختراع الصوره بحسب الشهوه و هذه القدره أوسع (٢) و أكمل من القدره على الإيجاد من خارج الحس و حمل أمور الآخره على ما هو أتم و أوفق للشهوات أولى و لا- ينقص رتبها فى الوجود اختصاص وجودها فى الحس و انتفاء وجودها فى الخارج فإن وجودها مراد لأجل حظه و حظه من وجوده فى حسه فإذا وجد فيه فقد توفر حظه- و الباقي فضل لا حاجه إليه و إنما يراد لأنه طريق المقصود و قد تعين كونه طريقا فى هذا العالم الضيق القاصر أما فى ذلك العالم فيتسع الطريق و لا يتضيق و أما الوجود

١- و هو الملكات الحميده المسببه عن تكرار الأعمال الحسنه و كل منها حقيقه لرفائق مخصوصه، س ره

٢- لأنها على الإنشاء بخلاف ما هاهنا لأنه على التكوين، س ره

الثالث العقلى فهو أن يكون هذه المحسوسات أمثله للذات عقليه التى ليست بمحسوسه- فإن العقليات تنقسم إلى أنواع كثيره مختلفه كالحسيات فتكون هى أمثله لها كل واحد مثالا للذه أخرى مما رتبته فى العقليات يوازي رتبه المثل فى الحسيات انتهى كلامه.

و أكثر موافق لما نقلناه من صاحب الشفاء و كأنه مأخوذ منه و أنزل من هذه المرتبه من الاعتقاد فى باب المعاد و حشر الأجساد اعتقاد علماء الكلام كالإمام الرازى- و نظرائه بناء على أن المعاد عندهم عباره عن جمع متفرقات أجزاء ماديه لأعضاء أصلية باقيه عندهم و تصويرها مره أخرى بصوره مثل الصوره السابقه ليعلق النفس بها مره أخرى و لم يتفطنوا بأن هذا حشر فى الدنيا لا- فى النشأه الأخرى و عود إلى الدار الأولى دار العمل و التحصيل لا- إلى الدار العقبي دار الجزاء و التكميل فأين استحاله التناسخ و ما معنى (١) قوله تعالى إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ وَ قوله تعالى نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ قوله تعالى نَحْنُ خَالِقُنَاكُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا وَ لا- يخفى على ذى بصيره أن النشأه الثانيه طور آخر من الوجود يباين هذا الطور المخلوق من التراب و الماء و الطين و أن الموت و البعث ابتداء حركه الرجوع إلى الله أو القرب (٢) منه لا- العود إلى الخلقه الماديه و البدن الترابى الكثيف الظلمانى.

[بيان كلام الفخر فى الحشر]

ثم جعل الفخر فى تفسيره الكبير يستدل على إثبات ما فهمه و تصورمه من معنى الحشر و المعاد بآيات قرآنيه وقعت فى باب القيامة و البعث و يحملها على ما وافق طبعه و رأيه فقال إن قوله تعالى فى سورة الواقعه من الآيات إشاره إلى جواب شبهه المنكرين الذين هم من أصحاب الشمال المجادلين فإنهم قالوا أ إذا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا

١- إذ التبديل و الأمثال و الإنشاء و ما لا تعلمون تدل على خلاف ما قالوه، س ره

٢- الرجوع فى النفس المطمئننه و القرب فى غيرها و بعباره أخرى الرجوع فى المقربين و القرب فى أصحاب اليمين و أما أصحاب الشمال فقربهم لأجل مظهرية صفه قهره تعالى، س ره

وَ عِظَامًا أَوْ إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْمَأْوُولُونَ وَ أَشِيرَ إِلَى إِمكَانِهَا هَذَا بِوُجُوهِ أَرْبَعَةٍ - أَوَّلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ وَجِهَ الْاِسْتِدْلَالُ بِهَذَا أَنَّ الْمَنَى إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنْ فَضْلِهِ الْهَضْمُ الرَّابِعُ وَ هُوَ كَالطَّلِ الْمُنْبَثِ فِي أَطْرَافِ الْأَعْضَاءِ وَ لِهَذَا يَشْتَرِكُ كُلُّ الْأَعْضَاءِ وَ يَجِبُ غَسْلُهَا بِالِاتِّدَادِ الْوَاقِعِ لِحَصُولِ الْاِنْحِلَالِ عَنْهَا كُلِّهَا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَ قُوَّةَ الشَّهْوَةِ عَلَى الْبَنِيهِ حَتَّى أَنْهَا تَجْمَعُ (١) تِلْكَ الْأَجْزَاءَ الطَّلِيَّةَ فَالْحَاصِلُ أَنَّ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً جِدًّا أَوَّلًا فِي أَطْرَافِ الْعَالَمِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ جَمَعَهَا فِي بَدَنِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ وَ جَمَعَهَا اللَّهُ فِي أَوْعِيَةِ الْمَنَى ثُمَّ إِنَّهُ أَخْرَجَهَا مَاءً دَافِقًا إِلَى قَرَارِ الرَّحِمِ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَجْزَاءُ مُتَفَرِّقَةً فَجَمَعَهَا وَ كَوْنُ مِنْهَا هَذَا الشَّخْصَ فَإِذَا افْتَرَقَتْ بِالمَوْتِ مَرَّةً أُخْرَى فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ جَمْعُهَا مَرَّةً أُخْرَى وَ هَذَا تَقْرِيرُ الْحُجَّةِ وَ إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهَا فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتَابِهِ مِنْهَا فِي سُورَةِ الْحَجِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ إِلَى قَوْلِهِ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.

وَ مِنْهَا فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ ذِكْرِ مَرَاتِبِ الْخَلْقِ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ - ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ.

وَ مِنْهَا فِي سُورَةِ لَا أُقْسِمُ إِلَّا بِكَ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى وَ مِنْهَا فِي سُورَةِ الطَّارِقِ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ وَ ثَانِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَمْ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ وَجِهَ

١- أَى بِالْتَّبْخِيرِ كَمَا قَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْاضِلِ الْأَطْبَاءِ إِنَّهُ يَتَبَخَّرُ تِلْكَ الرُّطُوبَةُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ حَتَّى يَتَصَعَّدَ إِلَى الدِّمَاغِ وَ هُنَاكَ يَفَارِقُهَا الْحَرَارَةُ الْمُبْخِرَةُ فَتَبْرَدُ وَ تَتَكَثَّفُ ثُمَّ تَنْزِلُ فِي الْعُرُوقِ الَّتِي خَلْفَ الْأَذْنَيْنِ وَ تَنْفِذُ إِلَى النِّخَاعِ ثُمَّ تَنْزِلُ إِلَى الْكَلِيتَيْنِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْثَيْنِ وَ لِهَذَا قِيلَ إِنْ قَطَعَ الْعَرَقَيْنِ اللَّذَيْنِ خَلْفَ الْأَذْنَيْنِ يَقْطَعُ النِّسْلَ، س ر ه

الاستدلال^(١) به أن الحب و أقسامه من بطون مشقوقه و غير مشقوقه كالأرز و الشعير مدور و مثلث و مربع و غير ذلك من الأشكال إذا وقع فى أرض البذر و استولى عليه الماء و التراب فبالنظر العقلى يقتضى أن يتعفن و يفسد لأن أحدهما يكفى لحصول العفونه و الفساد فهما جميعا أولى ثم إنه لا يفسد بل يبقى محفوظا ثم إذا ازداد فى الرطوبه- تنفلق الحبه قطعتين فيخرج منها فرقتان فرقه من رأسها صاعده إلى فوق و أخرى من تحتها يتشبث بها فى الأرض و كذا النوى بما فيها من الصلابه العظيمة تنفلق بإذن الله مجموعته على نصفين يخرج من أحدهما الجزء الصاعد و من الثانى الهابط فيكون أحدهما خفيفا صاعدا و الآخر ثقيلًا هابطا مع اتحادهما فى طبيعته و العنصر فيدل ذلك على قدره كامله و حكمه شامله يعجز العقول عن دركها فهذا القادر كيف يعجز عن جمع الأجزاء و تركيب الأعضاء.

و ثالثها قوله تعالى أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَ أَنتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ وجه الاستدلال بوجوه.

أولها أن الماء جسم ثقيل بالطبع و إصعاد الثقيل على خلاف الطبع فلا بد له من قادر قاهر يقهر الطبع و يسخره و يبطل الخاصيه و يصعد الذى من شأنه الهبوط و النزول.

و ثانيها أن تلك الذرات المائيه المبتوثه اجتمعت بعد تفرقها فلا بد لها من جامع يجمعها قطره قطره فمن جمع الأجزاء الرشيه المائيه للانزال قادر على أن يجمع الأجزاء المبتوثه الترايبه للبعث.

و ثالثها تسييرها بالرياح.

و رابعها إنزالها فى مظان الحاجه و الأرض الجزر و كل ذلك دليل الحشر.

و الرابع من تلك الوجوه قوله تعالى أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ وجه الاستدلال أن النار صاعده بالطبع و الشجره هابطه و أيضا النار نورانيه و الشجره ظلمانيه و النار حاره يابسه و الشجر بارد رطب فإذا أمسك الله فى داخل تلك الشجره الظلمانيه تلك الأجزاء النورانيه فقد جمع بقدرته بين تلك

١- لا يخفى أنه بهذا التقرير دليل خطابى و كذا ما بعده، س ره

الأجزاء المتنافره فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب أجزاء الحيوان- و جمع أعضائه انتهى كلامه.

[كلام المصنف فى ذلك]

و هذا نهايه ما بلغ إليه فهم أهل الكلام و غايه ما وصلت إليه قوه نظر علماء الرسوم فى إثبات النشأ الآخره و حشر الأجسام و نشر الأرواح و النفوس و فيه مع قطع النظر عن مواضع المنع و الخدش و عن تحريف الآيات القرآنيه عن معانيها- و الأغراض المتعلقة بها المقصوده منها المنساقه هى إليها و لأجلها كما سنشير إليه أن ما قرره و صورته ليس من إثبات النشأ الأخرى و بيان الإيمان بيوم القيامة فى شىء أصلا- فإن الذى يثبت من تصوير كلامه و تحرير مراده ليس إلا إمكان أن يجتمع متفرقات الأجزاء المنبثه فى أمكنه متعدده و جهات مختلفه من الدنيا و يقع منظما بعضها إلى بعض فى مكان واحد فيفيض عليها صورته مماثله للصوره السابقه المنعده فيعود الروح من عالمه التجردى القدسى بعد أحقاب كثيره كانت فيه فى روح و راحه تاره أخرى إلى هذا العالم متعلقه بهذا البدن الكثيف المظلم و إنما سمي يوم الآخره بيوم القيامة لأن فيه يقوم الروح عن هذا البدن الطبيعى مستغنيا عنه فى وجوده قائما بذاته و بذات مبدعه و منشئه و البدن الأخرى قائم بالروح هناك و الروح قائم بالبدن الطبيعى هاهنا لضعف وجوده الدنيوى و قوه وجوده الأخرى و بالجملة كلامه أشبه بكلام المنكرين للآخره منه بكلام المقرين بها فإن أكثر الطباعيه و الدهريه هكذا كانوا يقولون يعنى أن المواد العنصريه- تجتمع بواسطه هبوب الرياح و نزول الأمطار على الأرض و وقوع الأشعه الشمسيه و القمرية و غيرهما عليها فيحصل من تلك المواد إنسان و حيوان و نبات ثم تموت و تنفسخ صورها ثم تجتمع تلك الأجزاء مره أخرى على هذه الهيئه أو على هيئه أخرى قريبه منها فيحصل منها أمثال هذه المواليد تاره أخرى إما مع بقاء النفوس و الأرواح- كما يقوله التناسخيه أو مع حدوث طائفه منها و بطلان طائفه سابقه و ليت(١) شعري من الذى أنكر أن يحدث من ماء و تراب و ماده بعينها تاره بعد أخرى صورته شبيهه

١- فإن الاجتماع و الافتراق واقعان بداهه فلا- حاجه إلى الاستدلال نعم الطباعيه يقولون هما فعل القوى و الطبائع و الأشاعره يقولون إنهما من أفعال الله تعالى بإبطال خواص القوى و الطبائع و أهل الحق لا يبطلون و لا يعطلون و يقولون لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم لأن الطبائع و القوى المقارنه و المفارقة المضافه و المرسله جميعا مجالى قدرته و درجات فاعليته تعالى إلا أن الكلام ليس فى الفواعل و البدايات بل فى الغايات و العائدات، س ره

بالصوره الأولى حتى يكون المطلوب إثبات قدره الله فى ذلك و جملة الأمر أن هؤلاء القوم من أصحاب اللقلقه و الكلام و أهل المجادله و الاختصام لم يعلموا أن مقصود التكاليف و وضع الشرائع و إرسال الرسل و إنزال الكتب ليس إلا- تكميل النفوس الإنسانية و تخليصها عن هذا العالم و دار الأضداد و إطلاقها عن أسر الشهوات و قيد الأمكنه و الجهات و هذا التكميل و التجريد لا يحصلان إلا بتبديل هذه النشأه الدائره المتجدده إلى النشأه الباقية الثابته و هذا التبديل إلى النشأه الباقية موقوف أولاً على معرفتها و الإيمان بوقوعها و ثانياً على أنها الغايه الأصلية المقصوده من وجود الإنسان التى يتوجه إليها بمقتضى فطرتها الطبيعى لو لم ينحرف عن مسلكها بواسطه الجهالات و ارتكاب السيئات و ثالثاً على العمل بمقتضاها و ما يسهل السبيل إليها- و تدفع القواطع المانعه عنها فالغرض الإلهى من هذه الآيات الداله على حقيقه المعاد- هو التنبيه على نحو آخر من الوجود و الهدايه إلى عالم غائب عن هذه الحواس باطن عن شهود الخلائق و هو مسمى بعالم الغيب و هذا بعالم الشهاده و هو عالم الأرواح و هذا عالم الأجساد و كما أن الروح باطن الجسد كذلك عالم (١) الآخره باطن هذا العالم ثم لما كان إثبات نحو آخر من الوجود يخالف هذا الوجود الطبيعى الوضعى- و نشأه أخرى باطنه تباين هذه النشأه الظاهره أمرا صعب الإدراك متعصيا على أذهان أكثر الناس جحدوه و أنكروه و أيضا لا لفهم بهذه الأجساد و شهواتها و لذاتها يصعب عليهم تركها و طلب نشأه تضاد هذه النشأه و لذلك لم يتدبروا فى تحقيقها و كيفيتها- بل أعرضوا عنها و عن آياتها كما قال تعالى

١- أى ليس فى عرض العالم إنما هو فى الطول إلا- أن الصور الكماليه فى السلسله الطويله العروجه ليست مسماه بالحشر و الآخره إلى أن تطرح النفوس جلايب الأبدان الطبيعى و تصير من عالم المعنى أو مكتسبه بصور لا ترى بهذه المشاعر الطبيعى و لهذا قال تعالى يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً فذلك العالم من هذا العالم كالفرخ من البيضه، س ره

وَكَأَيُّنَ مِنْ آيِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا وَأُخْلِدُوا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا قَالَ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَنَحْنُ رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ وَالشَّرِيعَةِ انْقَبَضُوا عَنْ إِثْبَاتِ عَالَمِ التَّجَرُّدِ وَاشْمَأَزَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالرُّوحِ وَمَدَحِ ذَلِكَ الْعَالَمِ وَمَذْمَةِ الْأَجْسَادِ وَشَهَوَاتِهَا الْمَحْسُوسَةِ وَدُثُورِهَا وَانْقِطَاعِهَا وَكَثَرَتْهُمْ تَوَهُمَاتُ الْآخِرَةِ كَالدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا كَنَعِيمِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهَا أَوْفَرُ وَأَدْوَمُ وَأَبْقَى وَأَجَلُ ذَلِكَ رَغْبَا إِلَيْهَا وَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ لِأَجْلِهَا طَالِبِينَ قِضَاءِ لَوْطَرِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَأَجَلُ مَا ذَكَرْنَاهُ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ذِكْرُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى النِّشْأَةِ الْآخِرَةِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامِ لِيَتَنَبَّهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَوْمِ الْجَهَالَةِ وَرَقْدَةِ الْغَفْلَةِ فَيَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْآخِرَةِ وَيَتَبَرَّأَ مِنَ الْبَدَنِ وَقِيُودِهِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَعْلِقَاتِهَا مُتَطَهِّرًا عَنِ الْأَدْنَسِ وَالْأَرْجَاسِ مُتَشَوِّقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ وَمَجَاوِرَهُ الْمُقَرَّبِينَ وَالْإِتِّصَالَ بِالْقَدِيسِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُنْقُولَةِ لَيْسَ مَا فَسَّرَهُ صَاحِبُ الْكَبِيرِ مِنْ إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ الْجَزَافِيَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَى إِبْطَالِ الْحُكْمِ وَنَفْيِ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ - وَاعْجَبَ الْأُمُورَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَتَى حَاولُوا إِثْبَاتَ أَصْلِ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ كإِثْبَاتِ قُدْرَةِ الصَّانِعِ أَوْ إِثْبَاتِ النَّبَوِّهِ وَالْمَعَادِ اضْطُرُّوا (١) إِلَى إِبْطَالِ خَاصِيَةِ الطَّبَاعِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهَا - وَنَفَى الرِّابِطَةَ الْعَقْلِيَّةَ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَالتَّرْتِيبِ الذَّاتِيَّ الْوُجُودِيَّ وَالنِّظَامَ اللَّائِقَ الضَّرُورِيَّ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَلا تَبْدِيلَ لَهَا وَهَذِهِ عَادَتُهُمْ فِي إِثْبَاتِ أَكْثَرِ الْأَصُولِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ إِمَامُ أَهْلِ الْبَحْثِ وَالْكَلَامِ.

فَإِنْ قُلْتَ فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْآيَاتِ سَيِّمًا الْمَشْتَمَلَةَ عَلَى ذِكْرِ النُّطْفَةِ وَابْتِدَاءِ الْخَلْقِ فَهَلِ الْمُرَادُ مِنْهَا إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْشَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ وَالتَّكْوِينِ مَرَّةً أُخْرَى.

قُلْتَ الْغَرَضُ الْأَصْلِيُّ مِنَ الْآيَاتِ الْمَعَادِيَةِ يَحُومُ حُومَ بَيَانِ مَنْهَجَيْنِ شَرِيفَيْنِ فِي بَيَانِ الْمَعَادِ وَحُشْرِ النُّفُوسِ وَالْأَجْسَادِ.

١- وَلَوْلَا هَذَا فَكُلُّ مَرْكَبٍ يَنْحَلُّ لِتَصَادُمِ بَسَائِطِهِ وَمِيُولِهَا إِلَى أَحْيَاظِهَا الطَّبِيعِيَّةِ - وَقَدْ صَرَّحَ سَابِقًا بِهِ بِقَوْلِهِ فَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْ قَادِرٍ يَبْطُلُ الْخَاصِيَّةُ، س ر ه

أحدهما إثبات ذلك من جهة المبدأ الغائى و لزوم الغايات للطبائع الجوهرية الأصلية و ثانيهما إثباته من جهة المبدأ الفاعلى و لا شك أن البرهان الذى يكون الحد الأوسط فيه عله للنتيجة و هى ثبوت الأكبر للأصغر و هو المسمى ببرهان اللم أوثق من الذى يكون الأوسط معلولا للحكم المذكور و هو المسمى بالدليل ثم أوثق البراهين اللميه و أحكمها ما يجعل الوسط فيه سببا فاعليا أو سببا غائيا دون سائر الأسباب فإذا نقول الآيات التى فيها ذكرت النطفه و أطوارها الكماليه و تقلباتها من صورته أنقص إلى صورته أكمل و من حال أدون إلى حال أعلى فالغرض من ذكرها إثبات أن لهذه الأطوار و التحولات غايه أخيره فلإنسان توجه طبيعى نحو الكمال و دين إلهى فطرى فى التقرب إلى المبدأ الفعال و الكمال اللائق بحال الإنسان المخلوق أولا من هذه المواد الطبيعیه و الأركان لا يوجد فى هذا العالم الأدنى- بل فى عالم الآخرة التى إليها الرجعى و فيها الغايه و المنتهى فبالضرورة إذا استوفى الإنسان جميع المراتب الخلقية الواقعه فى حدود حركته الجوهرية الفطريه من الجماديه و النباتيه و الحيوانيه و بلغ أشده الصورى و تم وجوده الدنيوى الحيوانى فلا- بد أن يتوجه نحو النشأ الآخرة و يخرج من القوه إلى الفعل و من الدنيا إلى الآخرة ثم المولى و هو غايه الغايات منتهى الأشواق و الحركات و هو المراد من قوله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ إِلَى قَوْلِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ قبور الأجساد(١) و قبور الأرواح أعنى الأبدان و كذا غيره من الآيات المذكوره فيها أطوار الخلقه و أكوان النطفه فإن الغرض من الكل- إثبات النشأ الآخرة للإنسان من جهة ثبوت الغايه لوجوده و حركته الفطريه.

١- أعنى الأبدان تفسير لكليهما فإن الأبدان الطبيعیه قبور و غلف للأجساد البرزخيه و الصور الأخرويه و كذا للأرواح. مبین كه اسرافیل وقتند اولیا مرده را ز ایشان حیاتست و نما جانهای مرده اندر گور تن برجهد ز آوازشان اندر کفن ، س ره

فإن قلت هذه التحولات و التطورات مما يوجد فى غير ماده الإنسان أيضا كالنبات و الحيوان فيلزم أن يكون لها أيضا نشأه أخرىه.

قلت بعض هذه الأحوال و الأطوار يوجد فيها لا كلها لنقصان فطرتها عن درجه الإنسانيه فغايتها أيضا تكون بعد تلك الأطوار و سائر الأكوان الحيوانيه ما لم يصل إلى حد الإنسانيه و لم يدخل بابها لا يمكنه(١) الولوج إلى ملكوت السماوات- و الصعود إلى باب القدس كما أن الأكوان النباتيه ما لم يدخل باب الحيوانيه- لم يمكنه الدخول إلى الإنسانيه لا على وجه التناسخ بل على نحو آخر(٢) يعلمه أهل البصيره و الحكمه ثم إنه ليس كل متوجه نحو غايه فهو لا محاله واصل إليها بل ربما يعوق عنها لأمر خارجي فإن هاهنا قواطع للطريق و حجباً عن الوصول و الغرض أن للطبائع غايات ثابتة مقتضى الفطره الأصلية البلوغ إليها و ربما يقع المنع و الحجاب.

و أما الآيات(٣) التى يستدل فيها على إثبات الآخره بخلق الأجرام العظيمه و الأنواع الطبيعیه فالغرض فيها إثبات هذا المطلوب من جهه نحو الفاعليه فإن أكثر الناس يزعمون أنه لا بد من حدوث شىء من ماده جسميه و طينه لأن حصول شىء

١- أى استقلالاً و أما الحشر التبعي فهو ممكن لها على قسمين - أحدهما أنه إذا حشر الإنسان حشر معه جميع ما فى وجوده لقد صار قلبى قابلاً كل صورته- لو أحب أحد حجراً لحشر معه. و ثانيهما أن كل حيوان استكمل وجوده تكويناً فى مدته حياته فإذا انقضى أجله حشر صورته إلى عالم الصور البرزخيه و نفسه إلى المثال النورى الذى فى عالم العقول المتكافئه- و هو محشور إليها و هى إلى الله و هو بتبعيتها إليه، س ره

٢- أى على سبيل الاتصال الطولى فى صراط الإنسان، س ره

٣- كآيات سوره الواقعه و كقوله تعالى وَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ - بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ كقوله تعالى مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ أَى كَانَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنشَاءِ مِنَ الْجِهَاتِ الْفَاعَلِيهِ و ليس بالتكوين عن ماده سابقه و كذا خلق أولى العظام فأمكنه إنشاءها فى الآخره من مجرد الجهات الفاعليه و غير ذلك من الآيات، س ره

لا- من أصل محال فينكرون حدوث عالم آخر و إشكال و صور فيها و لم يعلموا أن وجود الأكوان الأخرويه أنما هو من باب الإنشاء بمجرد الجهات الفاعليه لا من باب التخليق من أصل مادي و جهات قابليه فالله تعالى بينه على أن شأنه الأصلي في الفاعليه هو الإبداع و الإنشاء لا التكوين و التخليق من ماده و كذلك خلق السماوات و الأرض و أصول الأكوان فإن وجودها لم يخلق من ماده أخرى بل أوجدها على سنه الاختراع و الإنشاء و هكذا يكون إنشاء الجنه و النار و الأجسام الموعوده في الآخرة فيندفع إشكال المنكرين للدار الآخرة أنها في أى (١) ماده توجد و فى أى قطر و جهه و أين مكانها و متى زمانها و وقت قيامها يطلبون للآخرة مكانا خاصا- و يسألون عن الساعه أيا مرساها أى فى أى مكان من أمكنه هذه الأجسام و يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ* أى فى أى زمان معين من أزمنه الدنيا و لم يعلموا أن مكان الآخرة و زمانها ليس من جنس مكان الدنيا و زمانها و لا أن وجودها و إيجادها ليس كوجود الأكوان الدنيويه و إيجادها فلها نشأ أقوى حاصل من الإنشاء و لهذه خلقه حاصله من التخليق و هذا أيضا منهج دقيق شريف و حمل الآيات القرآنيه على ما هو أشرف و أحكم أولى فالغرض من هذه الآيات التى أشير فيها إلى هذا المنهج أن إبداع الصور و إنشاءها من غير ماده سابقه أنسب و أقرب إلى العله الأولى و أهون (٢) عليها من تركيب المواد و جمع أجزائها و متفرقاتها لأن أمرها كلمح البصر أو هو أقرب- كما قال وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ وَ قَوْلُهُ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ فإذا كان الأليق و الأخرى بمبدع البدائع و مكون الصنائع إنشاء الصور و إبداعها من غير ماده من تخليقها من مزاج و امتزاج و تركيبها من أجزاء مختلفه حاصل بازدواج- ففعله الخاص الذى هو الإبداع و الإنشاء أشرف و أرفع من جمع متفرقات و تركيب مختلفات فإن هذا شأن القوى و الطبائع التى هى فى الدرجه الأدنى من القصور فى الفاعليه و التأثير فإذا صدر منه تعالى وجود الإنسان على نهج الامتزاج و التركيب من

١- و سيأتى هذه الإشكالات كل برأسه مع جوابه إن شاء الله تعالى، س ره

٢- أى أليق بذاتها، س ره

الأركان و الأمشاج فليجز صدوره منه تاره أخرى على سبيل الإنشاء مجردا عن الهيولى.

على أنك قد علمت أن الإيجاد مطلقا منه تعالى و أن الوسائط هي مخصصات و مرجحات لإيجاده أو جهات مكثرات لفعله و إفاضه وجوده و لكن ما هو أبسط فى الوجود و أرفع من الكثره فهو أقرب إلى الموجد الحقيقى و قد أشرنا إلى أن وجود الأمور الأخرويه أصفى من التركيب و أعلى من الامتزاج و أقرب إلى الوحده الخالصه- من هذه الأمور الدنيويه فكما أن فعله الخاص فى الابتداء هو إنشاء النشأه (١) الأولى لا- تركيب المختلفات و جمع المتفرقات فكذلك حقيقه المعاد و الفعل اللائق به إنشاء النشأه الثانيه و هو أهون عليه من إيجاد المكونات فى الدنيا التى تحصل بالحركات من الأجساد و الاستحالات فى المواد لأن الآخره خير و أبقى و أدوم و أعلى و ما هو كذلك فهو أولى و أنسب فى الصدور عن المبدأ الأعلى و أهون عليه تعالى كما قال وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.

و اعلم أن الآخره و الثانويه أنما هى بالقياس إلى حدوثنا و إفتلك النشأه هى فى نفسها أقدم و أسبق لأنها ما قبل الطبيعه فى ترتيب الوجود ذاتا و شرفا (٢) و ما بعد الطبيعه نظرا إلى حدوثنا (٣) و استكمالنا فهذا أيضا يدل على أن الدار الآخره موجوده بالفعل و أن الجنه و النار مخلوقتان (٤) الآن كما دلت عليه الآيات و الأحاديث الكثيره.

و مما يدل أيضا على أن إيجاد الأكوان الأخرويه أشبه لسنه الله التى هى الإبداع من إيجاد المكونات الدنيويه أن إيجاد هذه المواليد و تبليغها إلى كمالها حاصل

-
- ١- فإن مجموع العالم الطبيعى مبدع فإن مجموع الماده و المادى و الزمان و الزمانى- و المكان و المكانى مثلا لا ماده و زمان و مكان له كما يأتى بل كل نوع من الأنواع المتوالده إبداعى، س ره
 - ٢- و دهرًا فإن عالم المثال له التقدم دهرًا على عالم الماده و عالم العقول تقدمه الذاتى و الدهرى أوضح و أبين و هذا للمقربين كالغايه الأعلى منه، س ره
 - ٣- أى وجودها الرابطى متأخر، س ره
 - ٤- خلافا لبعض المليين القائلين بأنهما ليستا مخلوقتين إلا فى القيامه الكبرى، س ره

بالتدرّيج و هى أيضا تدرّيجه الوجود حدوثا و كمالا- و الأخويات أمور دفعيه الوجود حدوثا و كمالا- و أن أفراد الأنواع و أشخاص الطبائع المتكثّره الأعداد لا يوجد جميعها دفعه واحده فى آن بل بعضها يوجد قبل و بعضها بعد على سبيل التوالد أو التولد و ما لم تنعدم أمه لا توجد أمه أخرى كما قال تعالى لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ بخلاف وجود الصور الأخويه و أشخاصها المنشأ لا على وجه التولد و التوالد قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ لِأَنّ وجوده أنما يقع دفعه واحده بإذن الله فى نفخ إسرائيل أرواحهم فى صور أجسادهم الكائنه من تلك الأرواح فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١)

فصل (٨) فى اختلاف مذاهب الناس فى باب المعاد

إن من الأوهام العاميه و الآراء الجاهليه رأى من ذهب إلى استحاله حشر النفوس

١- النفخه نفختان نفخه تطفى النار و نفخه تشعلها و هذه الأبدان الطبيعیه كأحطاب و أخشاب مشتعله بنار هى نور الله تعالى ففى القيامه الكبرى تطفى هذه النار دفعه واحده- و تشعل أحطاب أخرى هى الصور الصرفه الأخويه التى أجسادهم القائمه بتلك الأرواح- بنار هى تلك الأرواح فإذا نظرت طولا رأيت تاره نيران الأنوار الأسفهبديه متشبهه بهذه الصور الماديه و تاره أخرى متشبهه بالصور الصرفه الأخويه و هذا بوجه كتشبت الأرواح كلها فى النهار بالأبدان الطبيعیه عند اليقظه و فى الليل عند النوم بالأشباح المثاليه كما قال تعاليلله يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ وَ يرشدك إلى المطلوب إرجاع الأناسى بل الحيوانات جميعا إلى أصلها القابلى الذى هو العناصر فإن كل مولود أصله هذه العناصر و لا حياه و لا علم و لا قدره و لا غيرها من الكمالات فيها بل الكمالات فيها طوارى و عوارى و لا بد يوما أن يرد الودائع و حين التلبس و التنور انظر إلى أخواتها العطلاء و تصور أمواتها الشوهاء تعرف مبدئها، س ره

و الأجساد و امتناع أن يتحقق فى شىء منهما المعاد و هم الملاحده و الطباعيه (١) و الدهريه و جماعه من الطبيعيين و الأطباء الذين لا- اعتماد عليهم فى المله و لا- اعتداد برأيهم فى الحكمه زعما منهم أن الإنسان ليس إلا هذا الهيكل المحسوس حامل الكيفيه المزاجيه و ما يتبعها من القوى و الأ-عراض و أن جميعها مما يعدم بالموت- و يفنى بزوال الحياه و لا يبقى إلا المواد المتفرقه فالإنسان كسائر الحيوان و النبات إذا مات فات و سعادته و شقاوته منحصرتان فيما له بحسب اللذات و الآلام البدنيه الدنياويه و فى هذا تكذيب للعقل على ما رآه المحققون من أهل الفلسفه و للشرع على ما ذهب إليه المحققون من أهل الشريعه و المنقول من جالينوس فى أمر المعاد هو التردد و التوقف بناء على توقفه فى أمر النفس أنها هل هى المزاج فتفنى بالموت و لا يعاد أم هى جوهر مجرد فهو باق بعد الموت فلها المعاد ثم من المتشبهين بأذيال العلماء من ضم إلى هذا أن المعدوم لا يعاد فإذا انعدم الإنسان بهيكله لم يمكن إعادته و امتنع الحشر و المتكلمون منعوا هذا بمنع امتناع إعادته المعدوم تاره و بمنع فناء الإنسان بفساد هيكله أخرى فقالوا إن للإنسان أجزاء باقيه إما متجزئه أو غير متجزئه ثم حملوا الآيات و النصوص الوارده فى بيان الحشر على أن المراد جمع الأ-جزاء المتفرقه الباقيه التى هى حقيقه الإنسان و الحاصل أن أصحاب الكلام ارتكبوا فى تصحيح المعاد أحد الأمرين المستكرين المستبعدين عن العقل بل النقل و لا يلزم شىء منهما- بل العقل و النقل حاكمان بأن المعاد فى الآخره هو الذى كان مصدر الأفعال و مبدأ الأعمال مكلفا بالتكاليف و الواجبات و الأحكام العقليه و الشرعيه ثم لا يخفى أن عرق

١- الفرق بينهما أن الطباعيه بعد المواد الجسمانيه و هى القوى الانفعاليه لم يتفطنوا من القوى الفعلية و المبادئ الفاعله إلا بالقوى و الطبائع المقارنه و لم يعثروا بالمبادئ البرزخيه و المجردات المضافه التى هى النفوس النطفيه القدسيه فضلا عن المجردات المرسله فكيف على من له الأمر و الخلق القدوس السبوح رب الملائكته و الروح و الدهريه يقول باقتضاء الزمان و فصوله للاجتماع و الافتراق و الحياه و الموت و نحو ذلك فتبا لنظرهما و تعسا على فكرهما نعم من لا يعرف اللطيفه المجرده فى ذاته كيف لا يعجز عن إثبات المجردات فى الإنسان الكبير الخارج منه و عن معرفه الله تعالى، س ره

الشبهه لا تنقل عن أراضى أو هام الجاحدين المنكرين للحشر والقيامة إلا بقطع أصلها وهو أن الإنسان بموته يفنى و يبطل ولا يبقى لأنه ليس إلا الهيكل مع مزاج أو صورته حاله فيه وقد مر قطع هذا الأصل مستقصى وقد اتفق المحققون من الفلاسفة والمليين على حقيه المعاد وثبت النشأ الباقيه لكنهم اختلفوا فى كيفيته فذهب جمهور الإسلاميين وعامه الفقهاء وأصحاب الحديث إلى أنه جسمانى فقط بناء على أن الروح عندهم جسم سار فى البدن سريان النار فى الفحم والماء فى الورد والزيت فى الزيتون و ذهب جمهور الفلاسفة وأتباع المشائين إلى أنه روحانى أى عقلى فقط لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه لقطع تعلق النفس عنها فلا يعاد بشخصه تاره أخرى إذ المعدوم لا يعاد والنفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفناء فتعود إلى عالم المفارقات لقطع التعلقات بالموت الطبيعى و ذهب كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء و جماعه من المتكلمين كحجه الإسلام الغزالى والكعبى والحليمى والراغب الإصفهانى وكثير من أصحابنا الإماميه كالشيخ المفيد وأبى جعفر الطوسى والسيد المرتضى والعلامه الحلى والمحقق الطوسى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى القول بالمعادين (١) جميعا ذهابا إلى أن النفس مجردة تعود إلى البدن و به يقول جمهور النصارى والتناسيخيه إلا أن الفرق بأن محققى المسلمين ومن يحذو حذوهم يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى البدن لا فى هذا العالم بل فى الآخرة والتناسيخيه بقدمها و ردها إلى البدن فى هذا العالم وينكرون الآخرة والجنه والنار الجسمانييتين.

ثم إن هؤلاء القائلين بالمعادين جميعا اختلفت كلماتهم فى أن المعاد من جانب البدن- أ هو هذا البدن بعينه أو مثله و كل من العينيه أو المثليه أ يكون باعتبار كل واحد من الأعضاء والأشكال والتخاطيط أم لا والظاهر أن هذا الأخير لم يوجه أحد بل كثير

١- هذا هو القول الفحل والرأى الجزل لأن الإنسان بدن و نفس و إن شئت قلت نفس و عقل فللبدن كمال و مجازاه و للنفس كمال و مجازاه و كذا للنفس وقواه الجزئيه كمالات و غايات يناسبها وللعقل وقواه الكليه كمال و غايه و لأن أكثر الناس لا يناسبهم الغايات الروحانيه العقلية فيلزم التعطيل فى حقهم فى القول بالروحانى فقط و فى القول بالجسمانى فقط يلزم فى الأقلين من الخواص والأخصين، س ره

من الإسلاميين مال كلامهم إلى أن البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الخلقه و الشكل - و ربما يستدل عليه ببعض الأخبار المذكوره فيها صفات أهل الجنه و النار ككون أهل الجنه جردا مردا و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد و بقوله تعالى كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ و بقوله تعالى أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ.

فإن قلت فعلى هذا يكون المثاب و المعاقب بالذات و الآلام الجسمانيه غير من عمل الطاعه و ارتكب المعصيه.

قيل فى الجواب العبره فى ذلك بالإدراك و إنما هو للروح و لو بواسطه الآلات و هو باق بعينه و لهذا يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخه إنه هو بعينه و إن تبدلت الصور و المقادير و الأشكال و الأعراض بل كثير من الأعضاء و القوى و لا يقال لمن جنى فى الشباب فعوقب فى المشيب إنها عقاب لغير الجانى هذا تحرير المذاهب و الآراء و الحق كما ستعلم أن المعاد فى المعاد هو هذا الشخص بعينه نفسا و بدنا فالنفس هذه النفس بعينها- و البدن هذا (١) البدن بعينه بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعينه فلان الذى كان فى الدنيا- و إن وقعت التحولات و التقلبات إلى حيث يقال هذا ذهب و هذا حديد و ربما ينتهى فى كلاهما إلى حيث يتحدان و يصيران عقلا- محضا واحدا و من أنكر ذلك فهو منكر للشريعة ناقص فى الحكمه و لزمه إنكار كثير من النصوص القرآنيه

١- أى البدن البرزخى و الأخرى هذا البدن الدنيوى لكن لا بوصف الدنيويه و الطبيعيه و إنما كان هو هو بعينه لما مضى و سيأتى أن شيئه الشىء بصورته أى الصورة البدنيه لا- بمادته و بصورته التى بمعنى ما به الشىء بالفعل و هو النفس و النفس مشخصه فإذا كان مشخص هذا و ذاك باقيا فكيف لا يكون الشخص بمعناه و صورته باقيا و تشخص النفس بالوجود الحقيقى و هو عين وحدتها و تشخصها و سيحقق المصنف قدس سره المقام بأبلغ وجه، س ره

فصل (٩) فى احتجاج المنكرين للمعاد

اشاره

احتج المنكرون تاره بامتناع إعادته المعدوم كما مر و تاره (١) بأنه لو أكل إنسان إنساناً فالأجزاء المأكوله إن أعيدت فى بدن الأكل لم يكن الإنسان المأكول معاداً و إن أعيدت فى بدن المأكول لم يكن الأكل معاداً و إن أعيدت فيهما لزم أن يكون أجزاء بعينها منعمه و معذبه إذا أكل مؤمن كافراً و أجيب فى الكتب الكلاميه عن الأول بمنع الامتناع فى إعادته المعدوم أو بمنع توقف العود عليها و عن الثانى بأن المعاد هو الأجزاء - التى منها ابتداء المخلوق و هى الأعضاء الأصلية عندهم و الله تعالى يحفظها و لا يجعلها جزءاً كذلك لبدن آخر.

إن للناظرين فى أمر المعاد إثباتاً و نفياً مشاجرات و مباحثات فى الجانبين - ذكرها يؤدى إلى التطويل من غير فائده و ما أورده المتكلمون من الكلام لا- يفى بالإلزام و الإفحام فكيف يتبين المرام و تحقيق المقام و الأولى بحال من اقتصر فى تحقيق - هذه الأمور الاعتقاديّه على مجرد البحث الكلامى أن يستفسر عن هؤلاء المنكرين للمعاد - الجاحدين لأحكام الشريعة بناء على قصور مداركهم عن دركها أنهم هل يدعون الامتناع أو يمنعون الإمكان و الجواز فعلى الأول يقال لهم إن عليكم البينه و إثبات ما ادعيتم - و ما لكم فيما قلتم به من هذا عين و لا- أثر و على الثانى كل ما أزيل ظاهره عن الإحالة و الامتناع قام التنزيل الإلهى و الأخبار النبويه الصادره عن قائل مقدس عن شوب الغلط

١- هذا يتم إذا كان شيئه الشىء بمادته و يعاد الإنسان بتكوينه من أجزاء ماديّه - و أما إذا كانت شيئته بصورته فلا يلزم من كون أجزاء ماديّه بدن أجزاء لبدن آخر أن يكون صورته جزءاً لبدن آخر إذ ماديّه الغذاء تصير جزءاً للمغتذى لا صورته فإن كل صورته لها أجل و هى فى تلك المده فصوره لا تنقلب إلى صورته فما هو حقيقه الإنسان و ما هو صورته بل ما هو بدنه من حيث هو بدنه لا يصير غذاء لشيء بل كل ماديّه إذا أخذت مع صورتها النوعيه أو الشخصيه و قيل إنها ماديّه لشيء ففى ماديّه بالعرض، س ره

و الكذب مقام البراهين الهندسيه فى المسائل التعليميه و الدعاوى الحسابيه.

بحث و تحصيل:

إن من الباحثين من حصل وجه الإعاده البدنيه بما حاصله أن الشخص إنما يتشخص و يتخصص بخصوصيه أجزائه ماده و صورته و بدنا و روحا و ليس خصوص التآليف معتبرا فى الشخص بل المعتبر أشخاص الأجزاء بتأليف نوعى لا شخصى باق بعينه ثم إذا بطل التآليف و انحل التركيب المعتبر لم يبق الشخص الأول لا لزوال الأجزاء فإنها باقيه بأشخاصها و أعيانها بل لزوال النظم و التآليف المعتبر بينها نوعا ثم إذا حصل مره أخرى من نوع التآليف المعتبر بين الأجزاء الباقيه بعينها عاد الشخص الأول بعينه هذا كلامه.

و يقرب منه ما ذكره بعض أجله المتأخرين حيث قال قد ذهب بعض المتكلمين إلى جواز إعاده المعدوم و ذهبت الحكماء و بعض المتكلمين إلى امتناعها و هؤلاء البعض القائلين بالمعاد الجسمانى المنكرين لإعاده المعدوم لا يقولون بانعدام الأجسام بل بتفرق أجزائها و خروجها عن الانتفاع ثم قال ذكرت فى حواشى التجريد أن هذا بناء (١) على نفى الجزء الصورى للأجسام و حصر أجزائه فى الجواهر الفرده كما هو مذهب المتكلمين و كذا على ما ذهب إليه المصنف حيث قال الجسم هو الصوره الاتصاليه و إنها تبقى بعينها حال الانفصال و لو أثبت الجزء الصورى فى الأجسام قيل يكفى فى المعاد الجسمانى كون الأجزاء الماديه هى بعينها و لا يقدح فيه تبدل الجزء الصورى بعد أن كان أقرب الصور إلى الصوره الزائله.

فإن قيل فيكون تناسخا قيل الممتنع عندنا هو انتقال النفس إلى بدن مغاير له بحسب ماده لا إلى بدن متألف من عين ماده هذا البدن و صورته هى أقرب الصور إلى الصوره الزائله فإن سمي ذلك تناسخا فلا بد من البرهان على امتناعه فإن

١- و على أن شيئيه الشئىء بمادته و هذا سخييف جدا و الحق أن شيئيه الشئىء بصورته و صورته الإنسان كما كتبت فى الحاشيه السابقه اثنتان إحداهما صورته الباطنه أعنى ما به الشئىء بالعقل و هى النفس و ثانيتهما صورته الظاهره و كلتاهما باقيتان فى الآخره و هذيته محفوظه، س ره

النزاع أنما هو فى المعنى لا فى اللفظ انتهى قوله.

و قال فى موضع آخر دليلنا على امتناع التناسخ هو الدلائل السمعية.

و أقول كلام هذين الفاضلين فى غاية السخافه و الركاهه مع أنه أقرب إلى الصواب من كلام غيرهما من أهل الكلام فى هذا الباب و ذلك لوجوه.

الأول أنه مبنى على أن شخص زيد لم ينعلم منه بالموت إلا نسب و إضافات بين أجزائه و نظم و ترتيب بين أعضائه فيلزم أن تكون الحياه من مقوله المضاف و هو ظاهر الفساد.

و الثانى كون أجزاء زيد مثلاً منحصره فى الجواهر الفرده لا يلزم أن تكون تلك الجواهر إذا ركبت تكون زيدا سواء كان تركيباً و ترتيباً مطلقاً على أى وجه كان أو على نظم مخصوص و إلا لزم على الأول أنها لو ركبت منها كره مصمته كانت هذه الكره زيدا و على الثانى أن يكون زيدا الميت فى بعض من الأحيان حيا إذا وقعت أجزاؤه على هذا النظم مع كونه ميتاً سواء كان هذا التركيب جزءاً منه أو شرطاً خارجاً عنه- و المحقق الطوسى لم يذهب و لا غيره من العقلاء القائلين بنفى الهيولى إلى أن الجسم المعين- الذى هو فرد للجسم المطلق بالمعنى الذى (١) هو جنس لا بالمعنى الذى هو ماده لا ينعلم بالتفريق إنما الذى لا ينعلم عندهم هو الجسم بمعنى الماده و هو الذى يكون مستمر

١- و هذا هو محل الكلام إذ الكلام فى بقاء الإنسان لا- فى بقاء الجسم بشرط لا- فكيف لا يبقى و الجسم الجنسى وجوده وجودات لأنه المقول على الكثره المختلفه الحقائق- و الحمل هو الاتحاد فى الوجود فهو فى الناطق عينه فكل ناطق جسم و كذا فى الصاهل و الناهق و غيرهما فزوال الناطق بعينه زوال الجسم و عندى أن توجيه كلامه أن هذا بناء على أن اتصال الجسم التعليمى كما يقول به صاحب المحاكمات و كذا الفاضل القوشجى فى مقام الاعتراض إنهم كما يقولون إن الهيولى مع المتصل متصله و مع المنفصل منفصله كذلك نحن نقول إن الصوره الجسميه مع الجسم التعليمى الواحد متصله واحده و مع الجسم التعليمى المتعدد متصله متعدده و إن كان هذا خلاف التحقيق فإن الاتصال الجوهرى الصورى اتصال بالذات متقدم على سائر الاتصالات و لكل اتصال جوهرى أو كمى انفصال يقابله و المقابل لا يقبل المقابل فإن القابل واجب الاجتماع مع مقبولة، س ره

الوجود فى مراتب الاتصالات و الانفصالات لا ما هو الجسم بالمعنى الجنسى الذى لا وجود له محصلا إلا بصورة أخرى مقومه له مخصصه لطبيعته الجنسية تخصيصا تميزه من بين سائر الأنواع تميزا ذاتيا و قد اتفق جمهور الحكماء و أتباعهم على أن الجسم بما هو جسم مطلق - لا - وجود له فى الأعيان و لا - الجسم المعرى عن كافة الصور الكماله مما يمكن أن يوجد فى الخارج و إنسانيه الإنسان ليست بمجرد الجسميه و إلا لكان كل جسم إنسانا و كذا زيديه زيد ليس بمجرد أجزاء ماديه كيف كانت و إلا لكان إذا صارت تلك الأجزاء متفرقه متباعدة بعضها عن بعض فى أطراف العالم زيدا و كيف يصح لعاقل أن يذهب - إلى أن جسما مخصوصا كهذا الفرس إذا قسم أقساما و فرقت أجزاءه كان بعينه باقيا حال التفرق.

الثالث أن مفسده التناسخ بحسب المعنى كما ذكره وارده هاهنا بلا مريه و هى لزوم كون بدن واحد ذا نفسين فإن تلك الأجزاء لو كانت قابليتها لتعلق النفس حين التفرق باقيه لم تفارق عنها النفس فكان زيد حال الموت حيا و قد فرض ميتا و إن لم تكن باقيه فاحتاجت فى قبولها للنفس إلى انضمام أمر إليه به يستعد للقبول فإذا انضم إليها ذلك الأمر و صارت مستعدة باستعداد آخر جديد لا - بد أن يفيض عليها من المبدإ الجواد فيض جديد و روح مستأنف فإذا تعلق بها الروح المعاد أيضا كان لبدن واحد روحان و هو ممتنع ثم أى تخصص و مناسبه بقى لأجزاء تراييه متفرقه من بين سائر الأجسام لبقاء ارتباط النفس بها و لو كان ارتباطا ضعيفا فإن كل علاقه و ارتباط بين شيئين دون سائر الأشياء أنما يتحقق بأن يكون كل منهما أنسب الأشياء إلى الآخر و نحن نرى كثيرا من المواد التى لها مزاج قريب من مزاج الحيوان و كيفيه قريبه من كيفيته يكون بها يستحق الماده لفيضان صورته حيوانيه فهى أولى بتعلق النفس إليها من تلك الأجزاء الرماديه التى لم يبق لها استحقاق قبول صورته جماديه فضلا عن النباتيه فضلا عن الحيوانيه - فضلا عن الإنسانيه فضلا عن الزيديه و كل من له أدنى إدراك إذا رجع إلى وجدانه يعلم يقينا أن لا التفات و لا اشتياق و لا استيناس للنفس بجسم من بين سائر الأجسام أو بأجزاء جسميه من بين سائر الأجزاء إلا بأن يكون له أو لها كيفيه محسوسه ملاءمه أو هيئه

مناسبه قل لى أيها العاقل المتأمل أى تعلق و تشوق يكون للنفس بأجزاء مبعوثه فى الهواء أو مغموره فى باطن الأرض أو الماء بحيث لا- يتميز عند الحس أو الخيال عن غيرها من الأجزاء و إن كان لها تميز فى نفس الأمر و فى علم الله امتيازاً لا يوجب الاختصاص لهذا الأمر أصلاً و ليست أيضاً عند انحلال التركيب و فساد القوى البدنيه قوه ذاكره للنفس عندهم حتى يكون بقاء البدن الشخصى فى الحافظه مخصصاً لتعلق النفس بالأجزاء التى منها ركب البدن و بعد تسليم وجود الذكر و كونه مخصصاً فهو إنما يوجب تخصيص تعلق النفس بهذا البدن المعاد دون سائر الأبدان لا لتعلق هذه النفس به دون(١) نفس أخرى و الذى ينفع لهم فى دفع مفسده التناسخ على تقدير صحته هو الثانى دون الأول- إذ الكلام فى كون ماده بدنيه حادثه مستدعيه لفيضان نفس حادثه فيلزم وجود نفسين لبدن واحد و هو آت بعينه هاهنا على ما سبق فالمصير فى دفع هذه المفساد و التكاليف البعيده- و التمحلات الركيكه كلها إلى ما تفردنا بتحقيقه و جعله الله نصيبنا من الحكمة المتعاليه- كسائر نظائره من الفرائد الزاهره التى يحكم بصحتها و يعرف شرف قدرها و نوريتها من بين كلمات أصحاب الأفكار و أرباب الأنظار كل من سلك سبيل الله و كوشف بالأنوار الإلهيه و الأسرار كما يعرف الجوهرى قيمه اليواقيت اللامعه و الدرر الزاهره من بين سائر الأحجار

فصل (١٠) فى تفاوت مراتب الناس فى درك أمر المعاد و تفاضل مقاماتهم فى ذلك

إشاره

اعلم أن لأهل الإيمان و الاعتقاد بحقيه الحشر و المعاد و بعث الأجساد حسب ما ورد فى الشريعه الحقه مقامات.

المقام الأول

أدناها فى التصديق و أسلمها عن الآفات مرتبه عوام أهل الإسلام و هو

- ١- بل دون نفوس أخرى لأن النفوس غير متناهيه كما قالوا إن النفس الناطقه لها أفراد غير متناهيه بالفعل فيلزم ازدحامها و تمنعها إذ لا يفى المتناهى بغير المتناهى نعم على مذهب المليين متناهيه، س ره

أن جميع أمور الآخرة من عذاب القبر و الضغط و المنكر و النكير و الحيات و العقارب و غيرها أمور واقع محسوسه من شأنها أن يحس بهذه الباصرة لكن لا- رخصه من الله في إحساس الإنسان ما دام في الدنيا لحكمه و مصلحه من الله في إخفائها عن عيون الناظرين كما يدل عليه ظاهر بعض الآيات و صور الروايات.

المقام الثاني

أن تلك الأمور الموعوده بها أو المتوعد عليها في عالم الآخرة هي مثل ما يرى في المنام كلها أمور خياليه و صور مثاليه لا وجود لها في الخارج كما لا وجود لها عينيا لما يراه الإنسان في نومه من الحيات و العقارب التي تلدغها إلا أنها كثيرا ما يتألم منها في النوم حتى يراه يصيح في نومه و يعرق و يتزعج من مكانه انزعاجا شديدا و كذا في جهه اللذه فإنه ربما يلتذ بشىء في النوم التذاذا شديدا لا يلتذ مثل هذا الالتذاذ و السرور في اليقظه كل ذلك يدركه النائم من نفسه و يتأذى أو يلتذ به و يشاهد كثيرا من الصور و الأشكال و يفعل أفاعيل خياليه و أنت ترى ظاهره ساكنا و لا- يرى حواليه حيه موجوده- و هي موجوده في حقه و العذاب حاصل في حقه و لكنه غير مشاهد و إذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق (١) بين حيه يتخيل أو يشاهد و كذا الحال في الجنات و الأشجار و الأنهار- و المواضع النزهه و الأشخاص الكريمه التي يراها و يسر بها في نومه حاصله له موجوده في حقه إدراكا ذهنيا لا عينيا خارجيا و لا مشاهده بالحواس الظاهره و هذا هو الذى مال إليه الشيخ في باب جنه الناقصين في العلم و نار القاصرين في العمل من الفساد و غيرهم و تبعه الغزالي على ما مر كما يظهر من كتبه و رسائله و قد نقلنا نبذا من كلامه في ذلك.

المقام الثالث

إشارة

في الاعتقاد بالصور الموعوده يوم المعاد و توجيهه بأحد وجهين.

الأول أن تلك الصور المحسوسه المذكوره في لسان الشرع إشارة إلى صور عقليه

الأول أن تلك الصور المحسوسه المذكوره في لسان الشرع إشارة إلى صور (٢) عقليه مفارقة واقع في عالم العقول الصرفة حسب ما ذهب إليه أفلاطون و شيعته من أن

١- كما قيل خذ الغايات و دع المبادئ، س ره

٢- و ليس شىء من الموجودات إلا و له صورته في عالم العقول المتكافئه حتى للماء و التراب و الهواء و النار و الذهب و الفضة و المعادن الأخرى فجميع الموجودات عندهم- تنزل على الحقائق إذ لم يقولوا بالرقائق و هو قصور عظيم، س ره

لكل نوع من الأنواع المحسوسه مثلاً عقلياً و صورهِ مفارقة في عالم العقل و لا يخفى أن مشاهدهِ الأمور الأخرويه على هذا الوجه العقلي مختص بأهل المعرفه و الكاملين في العلم- دون المتوسطين و الناقصين من العقول الساذجه و النفوس الساكنه و هم أكثر أهل الجنه كما ورد في الخبر أكثر أهل الجنه البله و عليون ذوو الألباب و لذلك ذكر الغزالي في بعض رسائلهِ بعد ذكر الوجوه الثلاثه كلاً ما بهذه العبارة و جميع هذه الأقسام ممكنه فيجوز أن يجمع بين الكل و يجوز أن يصيب كل واحد بقدر استعدادهِ فالمحمود على الصوره المشعوف بالتقليد لن يفتح له طريق الحقائق و لا يتمثل له هذه الصور العقليه و العارفون المستصغرون بعالم الصور و اللذات المحسوسه يفتح لهم من لطائف السرور و اللذات العقليه- ما يليق بهم و يشفى شرهم و شهوتهم إذ حد الجنه أن فيها لكل امرئ ما يشتهيهِ فإذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف العطيات و اللذات و القدره واسعه و القدره البشريه عن الإحاطه بعجائب القدره قاصره و الرحمه الإلهيه ألقت بواسطه النبوه على كافه الخلق القدر الذي احتملت أفهامهم فيجب التصديق بما فهموه و الإقرار بما وراء منتهى العلم من أمور يليق بالكرام الإلهيين انتهى كلامه.

و الوجه الثاني أن يكون هذه الأمور كناية عما يلزمها من فنون السرور

و الوجه الثاني (١) أن يكون هذه الأمور كناية عما يلزمها من فنون السرور أو الآلام- و هو المراد من قول الغزالي في بيان المرتبه الثالثه إنه لو رأى أحد في المنام الخضره و الماء الجارى و الوجه الحسن و الأنهار و الأمطار الممطره باللبن و العسل و الخمر و الأشجار المزينه بالجواهر و اليواقيت و اللثالي و القصور المبنيه من الذهب و الفضه و الأسوره المرصعه بالجواهر و الغلمان المتمثل بين يديه للخدمه لكان المعبر يعبر ذلك بالسرور و لا يحمله على نوع آخر من السرور يرجع بعضه إلى سرور العلم و كشف المعلومات و بعضه إلى

١- الفرق بين الوجهين غير خفى إذ في الوجه الأول الحقائق المعقوله من سنخ رقائقيها لا اختلاف إلا بالكلية و الجزئيه أى السعه و المحدوديه سيما عند المصنف قدس سره- القائل بأن الفرد الإبداعي المجرد و الأفراد الطبيعيه متماثلات بحسب الماهيه و في الوجه الثاني حالات و كفيات نفسانيه مبانيات مع الموجودات مبانيه المعنى للصوره مثلاً الخضره- و الماء الجارى و نحوها لها صبه السلب إلا لمسبباتها و غاياتها على الثاني دون الأول و كذا للحيه و العقرب و نحوهما من مظاهر القهر، س ره

سرور المملكه و بعضه إلى مشاهده الأصدقاء و إن اشتمل الجميع اسم اللذه و السرور- فهي مختلفه المراتب مختلفه الذوق لكل واحد مذاق يخالف الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغى أن يفهم كذلك و إن كانت مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر انتهى.

ثم بين كون تلك(١) الأمور الموعوده كناية عن اللذات و الآلام العقلية بأن الحيه بنفسها لا تؤلم بل الذى يلقاك منها هو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك فى الأثر- الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير السم(٢) لكان العذاب قد يؤثر و كان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى هو يفضى إليه فى العاده فإنه لو خلق فى الإنسان لذه الوقاع مثلا من غير مباشره صورته الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافه للتعريف بالسبب و يكون ثمره السبب حاصله و إن لم يحصل صورته السبب و السبب لثمرته لا لذاته و هذه الصفات المهلكات- تنقلب مؤذيات و مؤلمات فى النفس عند الموت فيكون آلامها كآلم اللدغ و اللسع من غير وجود حيات و عقارب و انقلاب الصفه مؤذيه يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق فإنه كان لذيذا فصار اللذيذ بنفسه مؤلما حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه لم يكن قد تنعم بالعشق و الوصال بل هذا بعينه أحد(٣) أنواع عذاب الميت.

المقام الرابع

فى الاعتقاد بالصور التى فى الآخره هو مقام الراسخين فى العرفان

١- هذا تتميم فى طرف اللذات لا- فى الآلام لأن الأثرسمى مثلا إذا انقلب من الحس إلى التعقل صار شريفا بهيا فإن عالم العقل هو عالم الحسن و البهاء و عالم الصدق و الصفاء و على هذا يرجع إلى الوجه الأول و له وجه لكن فيه ما فيه كما ذكره المصنف قدس ره، ن ره

٢- ليت شعرى كيف يتصور كون مثل ذلك الأثر عقليا على كونه مدركا للمس و هو صورته لمسياه اللهم إلا أن يريد باللمس اللمس العقلى و مماثله الصوره العقلية للمسياه للصوره اللمسياه الحسيه معقوله مقبوله كما قرره فى محله فافهم لكن فيه ما فيه، ن ره

٣- لأنه كان عاشقا لمعشوقات شتى من النساء و البنين و الذهب و الفضه و الخيل المسومه و غيرها من أمتعته الدنيا و زخارفها، س ره

الجامعين بين الذوق و البرهان و هو الإذعان اليقيني بأن هذه الصور التي أخبرت بها الشريعة و أنذرت بها النبوه موجودات عينيه و ثابتات حقيقه و هى فى باب الموجوديه و التحقق أقوى و أتم و أشد و أدوم من موجودات هذا العالم و هى الصور الماديه بل لا- نسبه بينهما فى قوه الوجود و ثباته و دوامه و ترتب الأثر عليه و هى على درجات بعضها صور عقليه هى جنه الموحدين المقربين و بعضها صور حسيه ملذه هى جنه أصحاب اليمين و أهل السلامه و المسلمين أو مؤلمه هى جحيم أصحاب الشمال من الفاسقين أو الضالين و المكذبين بيوم الدين و لكن ليست محسوساتها كمحسوسات هذا العالم بحيث يمكن أن يرى بهذه الأبصار الفانيه و الحواس الدائره الباليه كما ذهب إليه الظاهريون المسلمون و لا أنها أمور خياليه و موجودات (١) مثاليه لا وجود لها فى العين كما يراه بعض أتباع الرواقيين و تبعهم آخرون و لا- أنها أمور عقليه أو حالات معنويه و كمالات نفسانيه و ليست بصور و أشكال جسمانيه و هيئات مقداريه كما يراه جمهور المتفلسفين من أتباع المشائيين بل إنما هو صور عينيه جوهريه موجوده لا- فى هذا العالم الهولانى محسوسه لا- بهذه الحواس الطبيعيه بل موجوده فى عالم الآخره محسوسه بحواس أخرويه نسبه الحاس إلى الحاس كنسبه المحسوس إلى المحسوس و عالم الآخره جنس لعالم كثيره كل منها مع تفاضلها أعظم و أشرف من هذا العالم و كذلك للإنسان و حواسه نشئات كثيره غير هذه النشأ الهولييه المستحيله الكائنه الفاسده و لذلك قال تعالى عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ تُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ قَالَ تَعَالَى وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً وَ قَالَ تَعَالَى بعد خلق النطفه و العلقه و المضغه و هى أطوار طبيعيه ماديّه ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ إشاره إلى شرف نشأ الروح و قال تَعَالَى وَ قَدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَاراً ثُمَّ نَشَأَ الْوَلَايَةَ لِمَنْ يَفُوزَ بِهَا نَشَأَ أُخْرَى أَعْلَى عَنْ نَشَأَ أَصْلَ الرُّوحِ ثُمَّ نَشَأَ النَّبُوَّةَ وَ ظَهَرَ خَاصِّيَّتُهَا أَشْرَفَ مِنْ نَشَأَ أَصْلَ الْوَلَايَةِ وَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْشِئُ النَّشْآتِ وَ بَاعِثُ الْأَمْوَاتِ

١- أى فى المثال الأصغر و هو الخيال الإنسانى فهو عباره أخرى لأمر خياليه- و مع ذلك قد أكدها بقوله لا وجود لها فى العين فلا- يرد أن الموجودات الأ-خرويه مثل معلقه لا يكون غير ذلك و ينادى به أبدا فكيف نفاه و ذلك لأن ما نفاه أن يكون أمورا خياليه لا معنون لها و مثلا ضعيفه من المثال المقيد، س ره

و ناشر الكتب و الصحائف و الرسائل يوم النشور و هو محصل ما فى الصدور و مخرج ما فى القبور و حقيقه البعث يرجع إلى إحياء الموتى و نزع الصور من المواد و إخراج الأرواح من الأجساد بإنشائهم نشأه أخرى و تبديل وجودهم بوجود أرفع و أنور و أعلم فإن الجهل هو الموت الأكبر و العلم هو الحياه الأشرف و قد ذكر الله تعالى فى كتابه العلم و الجهل و سماهما حياه و موتا كما سماهما نورا و ظلمه بقوله تعالى أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ الْآيَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مِنْ نَفُوسِ السَّعْدَاءِ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً الْفَسْحَةِ - و عالما أعظم و أوسع مما فى السماوات و الأرضين و هى ليست خارجه عن ذاته بل جميع مملكته و ممالكه و خدمه و حشمه و بساتينه و أشجاره و حوره و غلمانة كلها قائمه به و هو حافظها و منشئها بإذن الله تعالى و قوته و وجود الأشياء الأخرويه و إن كانت تشبه الصور التى يراها الإنسان فى المنام أو فى (١) بعض المرايا لكن يفارقها بالذات و الحقيقه أما وجه المشابهه فهو أن كلا منها بحيث لا يكون فى موضوعات الهيولى و لا فى الأمكنه و الجهات لهذه المواد و أن لا تراحم بين أعداد الصور لكل منهما و أن شيئا منهما لا يزاحم لشيء من هذا العالم فى مكانه أو زمانه فإن النائم ربما يرى أفلاكا عظيمه و صحارى واسعه و مفاوز نائية مثل الذى يراه فى يقظه هذا العالم و هى مع كونها مغايره لما فى الخارج بالعدد لكن لا- تراحم و لا- تضايق بينها فكذلك ما يراه الإنسان بعد الموت و فى القبر لا تراحم و لا تضايق بينه و بين هذه الأجسام فالमित يرى فى قبره ما لا- يسع فيه لو كان من أجرام هذا العالم و أما وجه المباينه فهو أن نشأ الآخره و الصور الواقعه فيها قويه الجوهر شديده الوجود عظيمه التأثير إلذاذا و إيلا ما و هى أقوى و أشد و أكد و أقوى من موجودات هذا العالم فكيف من الصور المناميه و المرآتية و نسبه النشأ الآخره إلى الدنيا كنسبه الانتباه إلى نشأ النوم

كما فى قوله ع: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا

و قد سبقت الإشارة إلى كيفيه وجود الصور الأخرويه فى عده مواضع من هذا الكتاب

١- سيما على طريقه الشيخ الإشراقى أن صورته المرآه من موجودات عالم المثال- و الصوره الأخرويه تشبه صورته المرآه بشرط أن تكون قائمه بذاتها لا بالمرآه و أن تكون متعلقه للروح حيه لا شبحا بلا روح، س ره

و أما بيانها على النهج التفصيلي البرهاني و المسلك التعليمي اللمي على النظم الميزاني بإيراد ما يتوقف إثباتها عليه من المقدمات و الأصول الضرورية و القواعد الكليه البرهانيه بحيث لم يبق لأحد بعد الاستماع مجال للبحث و الإنكار و لا مساغ للمنع و الاستنكار إلا لقصور الطبع أو سوء الفهم و الاعوجاج أو مرض العناد و الاستنكار فقد قرب إنجاز مواعده و إبراز سره و مقصده إن شاء الله تعالى.

و أما إجماله فبأن يعلم أن النفس الإنسانيه لكونها من سنخ الملكوت و نشأ القدره و القوه على اختراع الصور من غير ماده لكن الصور التي يخرعها حين تعلقها بهذا البدن العنصري الكثيف المركب من الأضداد و ما يحتاج إليه من جلب المنافع و دفع المضار و غير ذلك من التدابير و التصرفات الشاغله لا تكون إلا ضعيفه الوجود ناقصه الكون لا يترتب عليها الآثار المطلوبه منها و لا تكون أيضا ثابتة مستقره بل زائله متغيره لأن مظهرها الآن جرم بخارى فى الدماغ و هو دائم التحلل و التجدد و الزوال و الانتقال حسب اختلاف أمزجه العضو الدماغى من جهه ما يرد عليه من المغيرات الداخليه و الخارجيه - حتى لو فرض وجود تلك الصور أقوى و أدوم مما كانت من جهه عدم الشواغل و جمع الهمة - و عزل سائر القوى البدنيه عن فعلها لكانت الآثار المطلوبه مترتبه عليها و لم يبق فرق حينئذ بين الصور المتخيله و الموجوده فى العين و لكان الخيال حسا و المتخيل محسوسا - أ لا ترى أنه كلما استراحت النفس من الاشتغال و الحركات الضرورية فى حفظ هذا البدن المجتمع من الأمور المتنافره المتداعيه إلى الانفكاك و تعطلت الحواس الظاهره عن فعلها - إما بالنوم أو الإغماء أو بانصراف توجه النفس عن استعمالها إلى الجنبه العاليه بقوه فطريه - أو مكتسبه اغتنمت الفرصه و رجعت إلى ذاتها بعض الرجوع لا - كله لأن القوى الطبيعيه و النباتيه و غيرها مستعمله و إلا لحدث الموت و تعفن البدن برطوباته فبهذا الرجوع أصبحت النفس مخترعه للصور مشاهده إياها بحواسها التي فى ذاتها بلا مشاركه البدن - فإن لها فى ذاتها سمعا و بصرا و شما و ذوقا و لمسا إذ لو لم تكن لها فى ذاتها هذه الخمسه - فكيف يكون الإنسان حاله النوم أو الإغماء يبصر و يسمع و يشم و يذوق و يلمس مع أن حواسه الظاهره معطله عن إدراكاتها بل هى أتم و أصفى لأن هذه كالقشور لها و كما

أن هذه الخمسة البدنيه ترجع إلى حس واحد هو الحس المشترك فجميع حواس النفس و قواها المدركه و المحركه ترجع إلى قوه واحده هى ذاتها النوريه الفياضه بإذن الله و بحوله و قوته و يصير حال رجوعها من هذا العالم إلى ذاتها إدراكها^(١) للأشياء عين قدرتها- فإذا كان رجوعها إلى ذاتها و هى بعد متصرفه فى البدن بعض التصرف منشأ اختراع الصور على هذا المنوال فما ظنك إذا انقطعت العلائق و العوائق كلها و رجعت إلى ذاتها و ذات مبدعها كل الرجوع ثم أ و لا تنظر و لا تتأمل فى أن هذه النفوس الإنسانيه كلما كانت أتم قوه و أقوى تجوهرها كانت أقل مزاحمه و معاوقه لقواها إما لفتورها و ضعفها كما للمجانين و المرضى أو بسبب آخر قدسى كما للأنبياء و الأولياء أو باستعمال أمور مدهشه للحواس- محيره لها كما للكهنة و السحرة كانت ملاقاتها للصور الغائبه و مشاهدتها إياها أقوى- و تأثيرها رغبه و رهبه و تلذذا و تألما أكثر و أعظم و ربما يوجد بعض النفوس المستعليه- عن القيود الدنيويه النافضه عن أذيلنا غبار المحسوسات من الذين يلتفتون إلى أغراض هذا العالم و لا ينظرون إلى الدنيا إلا بعين الاحتقار و الاعتبار لا يشغلهم شأن عن شأن- و لا يحجبهم مقام عن مقام و لا يلهيهم تجاره و لا بيع عن ذكر الله و تذكر عالم الآخره- فقوتهم يفى بضبط الجانبيين و حفظ النشاطين فهى كالمبادئ الفعاله ذاتا و فعلا فتقدر على إيجاد أمور صوريه إدراكيه يكون إيجادها عين شهودها و ربما يشغل بعض المكاشفين شهود صور ذلك الموطن عن شهود صور هذا الموطن فى اليقظه و سلامه الآلات على عكس حال المحجوبين و إن كان ذلك^(٢) أيضا نوع حجاب لكنه نادر عزيز جدا حجت عيونهم بالآخره عن الدنيا فجميع ما ذكرناه من الأحوال إنما يكون لظهور سلطان الآخره- على بعض النفوس بوجه من الوجوه فهذا أنموذج من معرفه أحوال الآخره و أحكامها للنفوس فكل نفس من النفوس إذا انقطع تعلقها عن البدن بالموت و خلت و بخراب البيت

١- و فى حاله النوم و شبهها إدراكها قدرتها و هى متصرفه بعد فى البدن فما تدركه فى النوم من سماء تظله و أرض تحمله و إنسان تخاطبه و أشياء أخرى كلها منشئاتها و مخترعاتها لا من ماده و كلها علومها الحضوريه، س ره

٢- و هو الجمع المكسر كما أن من يفى بالجانبيين هو الجمع السالم و جمع الجمع- و جمع منتهى الجموع مرتبه غيب الغيوب،

ارتحلت تصير حواسها الباطنيه لإدراك أمور الآخره أشد و أقوى فتشاهد الصور العينيه الموجوده فى تلك الدار و لا يختص ذلك بنفس دون نفس كما لا يختص قوه الإحساس بهذه الحواس فى الدنيا بنفس دون نفس فإذا انقطع تعلقها عن هذا البدن اضطرارا أو اختيارا يجب لها انكشاف الأمور المناسبه لأعمالها و أفعالها و نياتها و اعتقاداتها كما فى قوله تعالى - فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفِّهِ يَوْمَ حَدِيدٍ فَإِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهَا حَسَنَةً وَ نِيَاتُهَا صَاحِيحَةً فَرُوحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ وَ إِنْ كَانَتْ أَعْمَالُهَا قَبِيحَةً وَ اعتقاداتها رديه فنزل من حميم و تصليه جحيم

فصل (١١) فى التنبيه على شرف علم المعاد و علو مكانه و سمو معرفه بعث الأرواح و الأجساد و عظم شأنها

اعلم أن هذه المسأله بما فيها من أحوال القبر و البعث و الحشر و النشر و الحساب - و الكتاب و الميزان و مواقف العرض و الصراط و الجنة و طبقاتها و أبوابها و النار و أبوابها و دركاتهما هى ركن عظيم فى الإيمان و أصل كبير فى الحكمه و العرفان و هى من أغمض العلوم و ألطفها و أشرفها مرتبه و أرفعها منزله و أسناها قدرا و أعلاها شأنًا - و أدقها سبيلا و أخفها دليلا إلا على ذى بصيره ثاقبه و قلب منور بنور الله قل من اهتدى إليها من أكابر الحكماء السابقين و اللاحقين و مشاهير الفضلاء المتقدمين و المتأخرين فأكثر الفلاسفه و إن بلغوا جهدهم فى أحوال المبدئ من التوحيد و التنزيه فى الذات و الصفات و سلب النقائص و التغيرات فى الأفعال و الآثار لكنهم قصرت أفكارهم عن درك منازل المعاد و مواقف الأشهاد لأنهم لم يقتبسوا أنوار الحكمه من مشكاه نبوه هذا النبى الخاتم عليه و على آله الصلاه الكبرى و التقديس الأشرف الأتم الأوفى - حتى أن رئيسهم (١) اعترف بالعجز عن إثبات ضرب من المعاد بالدليل العقلى و هو

١- حيث قال فى إلهيات الشفاء المعاد منه روحانى و منه جسمانى أما الجسمانى - فقد أغنانا عن بيانه الشريعه الحقه المصطفويه و أما الروحانى فنحن ذاكره، س ره

الذى لمعظم الخلائق و جل النفوس و الأرواح بل كلهم إلا عددا قليلا فى كل زمان من المقربين و عجزوا أيضا عن معاد النفوس المتوسطه حتى اضطر بعضهم إلى القول بتعلقها بعد الموت بأجرام فلكيه و عن معاد النفوس الهولانيه فالتجأ الإسكندر الأفروديسى إلى القول بطلانها و إنما ذهب أكثرهم إلى إثبات المعاد الروحانى فقط فالجنه و نعيمها و حورها و قصورها و أشجارها و أنهارها ليست إلا إدراك المعقولات و الابتهاج بها و النار و قيودها و سلاسلها و حميمها و زقومها كناية عن رذائل الأخلاق و ذمائم الصفات خصوصا الجهل المركب و التعذب بها ثم إن أكثر الإسلاميين يرون و يعتقدون- بأن الإنسان ليس شيئا سوى هذه البنيه المحسوسه أعنى الجسد المركب من اللحم- و الدم و العظم و العروق و ما شاكلها من الأجسام و ما يحلها من الأعراض و الكيفيات الفعلية و الانفعاليه على هيئه مخصوصه هى الصورة الإنسانيه عندهم تلك الأجسام مادتها أو مواد تلك الأجساد مادتها فهم فى الحقيقه لا- يعرفون أمر البعث و لا- يتصورون حقيقه القيامه ضميرا و قلبا و إن أقروا بها لسانا و بذلك جرى عليهم حكم المسلمين فالقيامه ليست عندهم إلا إعادته هذه الأجساد المعدومه برمتها و الأعراض بعينها على هذه الحال- التى هى عليها فى الدنيا و أكثر أبناء زماننا و إن قالوا بتجرد النفس لكنهم فى غفله عريضه عن إنيتها و كيفيه درجاتها و دركاتها و منازلها و مصاعدها و أنها من الله مطلعها و إليه مغيبها و مرجعها إما مشرقه زاهره فى عليين أو مظلمه ناكسه رأسها إلى أسفل سافلين فمن عرف حقيقه النفس و ماهيتها و إنيتها و كيفيه تعلقها بالبدن أولا ثم ارتفاعها و اشتداد وجودها شيئا فشيئا ثم انبعاثها عنه ثانيا ثم رجوعها إلى العقل بالفعل ثالثا ثم مصيرها فى الأخير إلى الله تعالى فكانت طبعاً ثم نفساً ثم عقلاً ثم مطموساً نورها فى نور الأحديه فهو العارف الربانى و من جهل نفسه و لم يعلم حقيقه ذاتها فهو جاهل بحقيقه المعادين جميعا و هو بمعرفه خالقه أجهل.

و العجب من أكثر المنتسبين إلى العلم كيف قنعوا بمرتبه العوام و الناقصين كالنساء و الصبيان حيث لم يشغلوا تمام عمرهم بالبحث عن حقيقه النفوس و أنها كيف مآلها و إلى ما ذا يصير حالها مع اشتغالهم طول دهرهم بفروع خلافه نادره الوقوع

فتركوا الواجب العيني و اشتغلوا بفروض الكفايات.

و اعلم أن الاعتقاد بالمعاد على هذا الوجه العامى جيد للجهال و العوام و أرباب الحرف و الصنائع و أهل المعاملات و التجارات الذين لا يمكنهم النظر فى حقائق الأمور و لا التأمل فى المبادئ الذاتيه و الغايات الطبيعیه فهم مكلفون باعتقادات رسميه فى باب الآخرة و ذلك لأنهم متى اعتقدوا هذا الرأى فى المعاد و تحققوا هذا الاعتقاد يكون ذلك حثا لهم على عمل الخير و ترك الشرور و اجتناب المعاصى و فعل الطاعات و أداء الأمانات و ترك الخيانات و الوفاء بالعهود و صحة معامله و النصيحة فيها و حسن العشيره و خصال كثيره محموده فى هذا الباب.

و أما ما تزين به محققو المليين و أفاضل المسلمين فهو أن مع هذه الأجساد جواهر أخرى هى أشرف و أنور و ليست هى بأجسام كثيفه بل هى أرواح لطيفه تخرج عن هذه الأبدان عند الموت فلا يتصور عندهم أمر البعث و القيامة إلا برد تلك الأرواح إلى تلك الأجساد أو أجساد آخر مثلها يقوم مقامها يحشرون و يثابون أو يعاقبون بما عملوا من خير أو شر فهذا الرأى أجود^(١) و أقرب إلى الحق.

و أما من كان فوق هذه الطوائف فى المعرفه و اليقين لرسوخه فى العلم و شدة ارتياضه بالحكمه فهو يرى و يعتقد فى أمر المعاد شيئا لا يعرف كنهه إلا الله و الراسخون فى العلم.

و اعلم أن الكتب الإلهيه المنزله على الأنبياء ع مختلفه الظواهر فى باب البعث و القيامة و إن كانت بواطنها متفقه الأصل و ذلك لدقه المطلب و غموضه كما مر ذكره ففى^(٢) التوراه أن أهل الجنه يمكثون فى الجنه خمسہ عشر ألف سنه ثم

١- الأجوديه و الأقربيه لأنهم لم يقصروا الإنسانيه فى العظم و العصب و العروق و اللحم و الشحم و نحوها بل قالوا إن مع هذه الأجساد جواهر أخرى هى الأرواح المجرده- و إنسانيه الإنسان ليست بمجرد الجسميه و أما أن الأجساد التى بعد رد الأرواح ما هى و كيف هى و أين هى و غير ذلك فلم يحققوها فضلا عن تحقيق مآل النفوس الكليه الإلهيه، س ره

٢- بل التوراه أكثرها أحكام و آداب و ليس فيها من علم التوحيد و علم الأسماء و الصفات و علم الآخرة إلا قليل أنزلنا التوراه و فيها حكم الله و هذه العلوم فى القرآن المجيد كثيره مع و جازته كما قال ص: أوتيت جوامع الكلم و ما فيها من مده المكث و الصيروره ملائكه لعل المراد كون المؤمنين الموحدين متنعما باللذائد الصوريه فى الجنه الجسمانيه مده و بعد ذلك مبتهجا بعالم التجرد و كذا فى الضد و يحمل ما فى الإنجيل على معاد الروحانيين و مقامات الأخيار و المقربين، س ره

يصيرون ملائكه و أن أهل النار يمكثون فى الجحيم كذا أو أزيد ثم يصيرون شياطين- و فى الإنجيل أن الناس يحشرون ملائكه لا يطعمون و لا يشربون و لا ينامون و لا يتوالدون و فى القرآن من الآيات ما تدل على أن أفراد البشر يبعثون على صفه التجرد و الفردانيه كقوله تعالى كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا^(۱) و أن الناس يحشرون كما خلقهم الله أول مره لقوله تعالى كَمَا يَدَّأُكُمْ تَعُودُونَ و فى بعضها ما يدل على أنهم يكونون على صفه التجسم كقوله تعالى يَوْمَ يُسْحَبُونَ فى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ و قوله تعالى يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فى نارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ و كذلك سؤال إبراهيم ع عن الله تعالى رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّ الْمَيُوتَى و الجواب بقوله تعالى فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ الْآيَةِ و قول عزيز كما حكى الله عنه- أَنَّنِي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ الْآيَةِ و مكث أصحاب الكهف فى النوم ثلاثمائة و تسع سنين و قول الله فيهم وَ كَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمُوا أَنَّنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَبَعْضُ هَذِهِ النُّصُوصِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَعَادَ لِلْأَرْوَاحِ وَ بَعْضُهَا عَلَى أَنَّهُ لِلْأَبْدَانِ وَ قَدْ جَلَّ كَلَامُ اللَّهِ وَ كَتَبَهُ النَّازِلُ عَلَى رَسَلِهِ عَنِ أَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى التَّنَاقُضِ وَ سَنَشِيرُ إِلَى وَجْهِ الْمَوَافَقَةِ- و قد وقع شبه هذه الأخبار المنقوله عن الكتب الإلهيه منقولاً فى الأحاديث النبويه- و كذا فى كلام أساطين الحكمه المقتبسين أنوار علومهم من مشكاه النبوه و مبادئ الوحى- دون متأخريهم المقتصرين على البحث مثل ما ذكر قال سقراط معلم أفلاطون و أما

۱- أى فردا من الماده و لواحقه بل بالنسبه إلى طائفه فردا من الماهيه و لوازمها كما قيل -امروز و پير و دى و فردا هر چار يکى شود تو فرد آ، س ره

الذين ارتكبوا الكبائر فإنهم يلقون فى طرطوس و لا- يخرجون منه أبدا و أما الذين ندموا على ذنوبهم مده عمرهم أو قلت آثامهم و قصرت عن تلك الدرجة فإنهم يلقون فى طرطوس سنه كامله يتقدون ثم يلقاهم الموج إلى موضع ينادون خصومهم يسألونهم الإحضار على القصاص لينجوا من الاتقاد فإن رضوا و إلا أعيدوا إلى طرطوس و لم يزل ذلك دأبهم إلى أن يرضى خصومهم عنهم و الذين كانت سيرتهم فاضله يتخلصون من هذه المواضع من هذه الأرض و يستريحون من هذه المحابس و يسكنون الأرض النقيه.

قال المترجم طرطوس شق كبير و أهويه يسيل إليه الأنهار على أنه يصفه بما يدل على التهاب النيران كما فى قوله تعالى وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ و قوله وَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورِ.

و قال أستاذ الفلاسفه النفس إذا سلكت (١) علوا و لم تبلغ إلى العالم الأعلى بلوغا تاما وقفت بين العالمين و كانت بين الأشياء العقلية و الحسيه متوسطه بين العقل و الحس - غير أنها إذا أرادت أن يسلك علوا سلكت بأهون سعى و لم يشتد عليها ذلك بخلاف ما إذا كانت فى العالم السفلى ثم أرادت الصعود إلى العالم العقلى فإن ذلك مما يشتد عليها.

و أما بيان رفع التناقض بين الآيات و الكلمات المنقوله و التحقيق فى التوفيق بينها- فهو أن الأبدان الأخريه متوسطه بين العالمين جامع للجرد و التجسم مسلوب عنها كثير من لوازم هذه الأبدان الدنيويه فإن البدن الأخرى كظل لازم للروح- و كحكاية و مثال له بل هما متحدان فى الوجود بخلاف هذه الأبدان المستحيله الفاسده- و إن الدار الآخرة و أشجارها و أنهارها و غرفاتها و مساكنها و الأبدان التى فيها كلها صور (٢) إدراكه وجودها عين مدركيها و محسوسيتها و قد علمت مرارا أن الصورة المحسوسه وجودها فى نفسها عين محسوسيتها و محسوسيتها عين وجودها للجوهر الحاس

١- كنفس أصحاب اليمين من السعداء حيث استكملت من جهة العقل العملى دون النظرى بخلاف المستكملين من جهة العقل النظرى و إن استكملت من الجهتين فتكون ذات الرئاستين الفائزه بالحسينين، س ره

٢- مثل أن الأشجار و الأنهار و الغرفات و السماء و الأرض و المخاطب و المتكلم و غير ذلك مما يرى فى المنام أو فى الاختلاسات كلها علوم و حياه قويت أو ضعفت، س ره

و كذلك حكم الصور المعقوله فى أن وجودها فى نفسها و معقوليتها و وجودها للجوهر العاقل كلها شىء واحد بلا اختلاف
 وجهه و لذلك قال تعالى إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ معناه أن الحياه ذاتيه لتلك الأجسام بخلاف أجسام الدنيا
 و أبدانها فإنها فى ذواتها ميتة الجواهر مظلمة الذوات مجهوله الأكوان فى أنفسها إلا بصور إدراكيه زائده عليها و إن الحياه وارده
 عليها من خارج و قد علمت أيضا منا فى مباحث العقل و المعقول من الفن الكلى من الحكمه أن الصوره العقليه متحده بالعاقل -
 و كذلك الصوره المحسوسه متحده بالحاس فالأبدان الأخرويه عين النفوس بخلاف هذه الأبدان الدنيويه.

و وجه آخر فى الموافقه أن نحو وجود السعداء و أهل الجنه أرفع و أعلى من نحو وجود الأشقياء و أصحاب النار و الكاملون
 المقربون أعلى و أرفع منها جميعا- فالتجرد لقوم و التجسم لقوم آخرين و هاهنا أوان الشروع فى ما وعدناه من تحقيق المعاد
 الجسماني و بعث الأبدان و ما ينوط بذلك من أحوال الآخره بمقدمات يقينيه و أصول برهانيه تناسب أهل البحث فلنشرع فيه
 مستعينا بالله و ملكوته

الباب الحادى عشر فى المعاد الجسمانى و ما يرتبط به من أحوال الآخره و مقاماتها و فيه فصول

فصل (١) فى ذكر أصول يحتاج إليها فى إثبات هذا المقصد أو ينتفع بها فيه

إشاره

و هذه الأصول و المقدمات قد مر بيانها فى هذا الكتاب مستقصى لكن الغرض استحضارها و اجتماعها لئلا يذهل عنها و يقع إعمال الرويه فيها و هى هذه.

الأصل الأول أن الوجود فى كل شىء هو الأصل فى الموجوديه و الماهيه تبع له

الأصل الأول (١) أن الوجود فى كل شىء هو الأصل فى الموجوديه و الماهيه تبع له و أن حقيقه كل شىء هو نحو وجوده الخاص به دون ماهيته و شئيته و ليس الوجود كما زعمه أكثر المتأخرين أنه من المعقولات الثانيه و الأمور الانتزاعيه التى لا يحاذى بها أمر فى الخارج بل حق القول فيه أن يقال إنه من الهويات العينيه التى لا يحاذيها أمر ذهنى و لا يمكن الإشاره إليها إلا بصريح العرفان الشهودى.

الأصل الثانى أن تشخص كل شىء و ما يتميز به هو عين وجوده الخاص

و أن الوجود و التشخص متحدان ذاتا متغايران مفهوما و اسما و أما المسمى عند القوم بالعوارض المشخصه فليست إلا أمارات و لوازم للهويه الشخصيه الوجوديه لا بأعيانها و أشخاصها بل على سبيل البديله فى عرض يكون لها من حد إلى حد فيتبدل كثير منها بل كلها و الشخص هو هو بعينه.

١- إعمال هذا و الثانى فى المطلوب هو أن يعلم أن الموضوع للعود هو الوجود الخاص و إذا كان عين التشخص فالمعاد محفوظ الهويه و إن تغير كثير من الأحوال و الصور- فإن التميز غير التشخص غايته أن يكون التغير و التميز تفنن تشخص واحد،

الأصل الثالث أن طبيعه الوجود قابله للشده والضعف

الأصل (١) الثالث أن طبيعه الوجود قابله للشده والضعف بنفس ذاتها البسيطة- التي لا تركيب فيها خارجا و لا ذهنيا و لا اختلاف بين أعدادها بـمميز فصلى ذاتى أو بمصنف عرضى أو بمشخص زائد على أصل الطبيعه و إنما تختلف أفرادها و آحادها بالشده و الضعف الذاتيين و التقدم و التأخر الذاتيين و الشرف (٢) و الخسه الذاتيين إلا- أن المفهومات الكليه الصادقه عليها بالذات المنتزعه عنها لذاتها و هى المسماه بالماهيات- متخالفه بحسب الذات اختلافا جنسيا أو نوعيا أو عرضيا و لهذا يقال إن الوجود مختلف الأنواع و إن مراتب الأشد و الأضعف أنواع متخالفه.

الأصل الرابع أن الوجود مما يقبل الاشتداد والتضعف

يعنى أنه يقبل الحركة الاشتداديه و أن الجوهر فى جوهريته أى وجوده الجوهرى يقبل الاستحاله الذاتيه و قد ثبت أن أجزاء الحركة الواحده المتصله و حدودها ليست موجوده بالفعل على نعت الامتياز- بل الكل (٣) موجود بوجود واحد فليس شىء من تلك الماهيات التى هى بإزاء تلك المراتب الوجوديه موجوده بالفعل بوجودها على وجه التفصيل بل لها وجود إجمالى كما فى أجزاء الحد على ما أوضحناه سابقا.

الأصل الخامس أن كل مركب بصورته هو

الأصل الخامس (٤) أن كل مركب بصورته هو لا بمادته فالسرير سرير بصورته

- ١- إعماله و إعمال الرابع الفرق بين الشده و الضعف و الاشتداد و التضعف و غير خفى أنه إذا لم يكن الأشد و الأضعف نوعين بل سنخا واحدا و كذا المشتد ففى عين صيروره الوجود أشد و أكمل بحيث إنه فى الأول لم يكن شيئا مذكورا و فى الآخر صار عقلا بسيطا بالفعل و عقلا فعلا و أين التراب و رب الأرباب كان ذلك الأكمل عين الأنقص، س ره
- ٢- ذاتيه الخسه لمرتبه من الوجود مع أن الوجود خير و شرف أنما هى فى الخسه بمعنى مرتبه من الوجود النازل يقال له فى الاصطلاح نقصا و خسه و نحوهما و هذه غير الخسه و النقص بمعنى العدم و حد الوجود، س ره
- ٣- و الاتصال الوجدانى مساوق للوحده الشخصيه فالقطعيه من كل حركه متصله واحده و التوسطيه منها مستمره بسيطه و التجدد و التكثر فى نسبها إلى حدود المسافه، س ره
- ٤- قد مر أن الأصول بعضها مما يحتاج إليه و بعضها مما ينتفع به و هذا مما يحتاج إليه كثيرا كما لا يخفى و فى الأمثله إشاره إلى أن المراد بالصوره أعم من الصوره النوعيه و الجسميه و الهيا و ما به الشىء بالفعل كالنفس للحيوان، س ره

لا- بمادته و السيف سيف بحدته لا- بحديده و الحيوان حيوان بنفسه لا- بجسده و إنما الماده حامله قوه الشىء و إمكانه و موضوعه انفعالا-ته و حركاته حتى لو فرضت صورته المركب قائمه بلا ماده لكان الشىء بتمام حقيقته موجودا و بالجملة نسبه الماده إلى الصورة نسبه النقص إلى التمام فالنقص يحتاج إلى التمام و التمام لا يحتاج إلى النقص و كذلك الفصل الأخير فى الماهيات المركبه من الأجناس و الفصول كالناطق فى الإنسان هو أصل الماهيه النوعيه و سائر الفصول و الأجناس من اللوازم الغير المجعوله لهذا الأصل فقد يقع فى تعريفه الحدى و إنما دخولها فى الحد بما هو محدود و توضيح(١) هذا المقام أن الماهيه المركبه التى لها وحده طبيعیه هى التى أجناسها و فصولها بحداء أجزائها الماديه و الصوريه كما مر فى مبحث الماهيه فنقول لتلك الماهيه اعتباران اعتبار كثرتها و تفصيلها و اعتبار وحدتها و إجمالها فإذا نظرت إليها من جهة وجودها التفصيلي و أردت تحديدها فلا بد لك من إيراد جميع المعانى التى هى بحداء تلك الأجزاء و إذا نظرت إليها من الجهة التى هى بها واحد و هى صورتها الكماليه و أردت تحديدها فهذا التحديد لا- يكون بالأجزاء- لأن الصورة بسيطه لا جزء لها خارجا و لا ذهنا كما هو التحقيق بل باللوازم لكن ليست هذه اللوازم كسائر اللوازم التى لها وجود غير وجود ملزومها بل هى كلها صادقه على تلك الصورة البسيطه الكماليه منتزعه منها بحسب ذاتها بذاتها من غير انضمام شىء إليها و هى

١- لما قال قدس سره إن شيئيه المركب بصورته و فصله و مادته ليست إلا حامله قوته توجه أن يقال لزم أن يكون جميع ما ذكروا فى حدود المركبات لغوا و ينبغى أن يعرف بالفصل فقط أو بالصورة فقط بناء على جواز التعريف بالأجزاء الخارجيه تصدى لتحقيق المقام و حاصله أن هنا مقامين مقام توحيد الكثير و مقام تكثير الواحد و ما ذكروا من التعاريف التفصيليه فى المقام الثانى و ما قلناه هو فى المقام الأول و نحن أيضا نفصل الجميع فى التعريف إلا أنهما بعد الاستكمال عندنا لوازم غير متأخره فى الوجود كما نقرر أنه ليست هذه اللوازم كسائر اللوازم التى لها وجود غير وجود ملزومها إلخ، س ره

مع ذلك ليست داخله فى ماهيتها إذ لا ماهيه لها(١) غير الإنيه لما سبق أن الصور الكماليه للأشياء هى وجودات محضه متفاوتة فى الموجوديه وقد مر أن الوجود لا- حد له- لكن التعريف بمثل تلك اللوازم ليس بأدون و أنقص من التعريف الحدى بالأجناس و الفصول لأن تلك الأجناس و الفصول متحدت بها منتزعه منها و هذا معنى ما ذكره الشيخ الرئيس فى الحكمه المشرقيه أن البسائط قد يحد باللوازم التى توصل الذهن إلى حاق الملزومات و التعريف بها ليس أقل من التعريف بالحدود انتهى و سر هذا(٢) القول- و هاهنا أيضا من المواضع التى يكون للحد زياده على المحدود كما مر ذكره و تعريف المبادئ الوجوديه لا يكون إلا على هذا الوجه و هكذا تعريف القوى بأفاعيلها فقد علم بما ذكرناه أن للإنسان وجودين وجود تفصيلي و وجود إجمالي فوجوده التفصيلي أنما يتحقق بماده جوهريه و صورته اتصاليه مقداريه و صورته هى مبدأ النمو و التغذية و أخرى مبدأ الحس و الحركه الاختياريه و أخرى ناطقه فيقال فى حده أنه جوهر قابل للأبعاد نام حساس مدرك للكميات و هذه الأجزاء مترتبته فى الوجود متفاضله فى الشرف و الكمال- و كلما يترتب على الأقدم الأخس و يلزمه يترتب على الآخر الأشرف و يلزمه على الوجه الألف الألف و أما وجوده الإجمالي فإنما يتحقق بنفسه الناطقه التى توجد فيها جميع هذه المعانى على وجه أبسط و أعلى.

الأصل السادس أن الوحده الشخصيه فى كل شىء

الأصل السادس(٣) أن الوحده الشخصيه فى كل شىء و هى عين وجوده ليست على

- ١- قد مر توجيه قوله قدس سره أن الفصل هو نحو من الوجود و أن اختياره من الأقوال الأربعة التى فى التركيب من الأجزاء العقلية ما هو فى حواشى الأمور العامه- و هذا الكلام منه ناظر إلى ذلك فتذكر، س ره
- ٢- عطف على لفظ معنى أى و هذا سر هذا القول من الشيخ مع أن ظاهره لا يخلو عن إشكال فإنه أين التعريف بالحدود و علل القوام من التعريف باللوازم و الخارجيات- فدفع الإشكال بأن اللوازم الغير المتأخره فى الوجود كان المحكى بها عنه حاق ذات الملزوم- كما أن جميع الماهيات على القول بأصاله الوجود منتزعه من نفس الوجودات إذ لا- يحاذى فيها للماهيات شىء و تركيب الماهيه و الوجود اتحادى، س ره
- ٣- و هذا أيضا من الأصول الواجبه فإن النفس و إن كانت واحده إلا أن لها وحده فى الكثره كما أن لها كثره فى الوحده فكما أن النفس أعجوبه فى الموجودات كذلك وحدته أعجوبه الوحدات فهى الواحده التى فيها كل الكثرات و جميع العوالم و فيك انطوى العالم الأ- كبر فجميع ما يحس و يتخيل و يتوهم و يعقل هناك من الملذات و المؤلمات من صور الأعمال و الملكات و المعانى الجزئيه و الكليه و غيرها مما فى صقع النفس شئونها- و فنونها و أطوارها لقد خلقكم أطوارا و الكثره فى الحقيقه للمفاهيم المنتزعه من مراتب وجودها فللنفس وحده حقه ظليه و لواجب الوجود تعالى وحده حقه حقيقه لا عدديه- أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كَمَا قِيلَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ نَقَشَ أُولِيَاسْتَ كُو دَلِيلَ نَوْرٍ خورشيد خداست ، س ره

وتيره واحده و درجه واحده كالوجود ليس على نحو واحد فالوحده الشخصيه فى المقادير المتصله عين متصليتها و امتدادها و فى الزمان و المتدرجات الوجود عين تجددتها و تقضيها- و فى العدد عين كثرتها بالفعل و فى الأجسام الطبيعى عين كثرتها بالقوه و أيضا حكمها فى الجواهر المجرده غير حكمها فى الجواهر الماديه فالجسم الواحد يستحيل أن يكون موضوعا لأوصاف متضاده كالسواد و البياض و الحلاوه و المراره و الألم و اللذه و ذلك لنقص وجوده و ضيق وعائه عن الجمع بين الأمور المتخالفه فموضع البصر فى بدن الإنسان غير موضع السمع و موضع الشم غير موضع الذوق و أما الجوهر النفسانى فإنه مع وحدته يوجد فيه صوره السواد و البياض و غيرهما من المتقابلات و كلما زاد الإنسان تجردا و تجوهره و اشتد قوه و كمالاته صار إحاطته بالأشياء أكثر و جمعيتة للمتخالفات أتم فهو يتدرج فى الكمال حتى يستوفى فى نفسه أى ذاته هيئه الوجود كله فينقلب كما ذكره الشيخ فى إلهيات الشفاء عالما معقولا موازيا للعالم المحسوس كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق و الخير المطلق و الجمال المطلق و متحد به و منتقشه بمثاله و منخرطه فى سلوكه و صائره من جوهره و مما يبين ذلك و يوضحه أن المدرك بجميع الإدراكات الحسيه و الخياليه و العقليه و الفاعل بجميع الأفاعيل الطبيعى و الحيوانيه و الإنسانيه الواقعه من الإنسان هو نفسه المدبره فلها النزول إلى مرتبه الحواس و الآلات الطبيعى و لها الصعود(١) إلى مرتبه

١- و هذا الصعود و الطيران و النزول فى التراب بلا تجاف إذ ليست بحركه أينيه فهى بحسب عقلها البسيط فى عالم الجبروت و وعاء الدهر و بحسب جسمه الطبيعى فى الناسوت و وعاء الزمان، س ره

العقل الفعال و ما فوقه فى آن واحد و ذلك لسعه وجودها و وفور نورها المنتشره فى الأطراف و الأكناف فذاتها تتطور بالشئون و الأطوار و تنزل بأمر الله إلى منازل القوى و الأعضاء- فإذا نزلت بساحه المواد و الأجساد كان حكمها حكم القوى و إذا رجعت إلى ذاتها و حاق جوهرها و ذلك عند تمامها كانت الكل فى وحده فمن هذا الأصل يتبين أن شيئاً واحداً- يجوز كونه متعلقاً بالماده تاره و مجرداً عنها أخرى و أما ما اشتهر (١) عند أتباع المشائين- أن نحوى الوجود الرابطى و الاستقلالى لا يجتمعان فى شىء واحد فهو غير مبرهن عليه إلا أن يراد فى وقت واحد من جهة واحده

الأصل السابع أن هويه البدن و تشخصه أنما يكونان بنفسه لا بجرمه

فزيد مثلاً زيد بنفسه (٢) لا- بجسده و لأجل ذلك يستمر وجوده و تشخصه ما دامت النفس باقيه فيه و إن تبدلت أجزاؤه و تحولت لوازمه من أينه و كمه و كيفه و وضعه و متاه كما فى طول عمره و كذا القياس لو تبدلت صورته الطبيعى بصوره مثاليه كما فى المنام و فى عالم القبر و البرزخ إلى يوم البعث أو بصوره أخرويه كما فى الآخره فإن الهويه الإنسانيه فى جميع هذه التحولات و التقلبات واحده هى هى بعينها لأنها واقعته على سبيل الاتصال الوجدانى التدريجى و لا عبره بخصوصيات جوهرية و حدود وجوديه واقعته فى طريق هذه الحركه الجوهريه و إنما العبره بما يستمر و يبقى و هى النفس لأنها الصوره التماميه فى الإنسان- التى هى أصل هويته و ذاته و مجمع ماهيته و حقيقته و منبع قواه و آلاته و مبدأ أبعاضه و أعضائه و حافظها ما دام الكون الطبيعى ثم مبدلها على التدريج بأعضاء روحانيه و هكذا إلى أن تصير بسيطه عقليه إذا بلغت إلى كمالها العقلى بتقدير ربانى و جذبه إلهيه و إلا

١- و لهذا كانت النفس و العقل متباينين و قسمين من أقسام الجوهر الخمسه، س ره

٢- و ما قال سابقاً إن التشخص بالوجود لا يغنى عن ذلك فإن تشخص البدن بالنفس و تشخص النفس بالوجود و أيضاً كون التشخص بالوجود لم يقل به الجميع إلا الفارابى و المصنف قدس سره و بعض تلامذته بخلاف كون تشخص البدن بالنفس و به صححوا الهويه فى البدن المعاد و البدن الدنيوى، س ره

فإلى أى حد وقع الانقطاع إليه لأجل أسباب قاطعه مانعه عن البلوغ إلى الكمال الأخير يطول شرحها فإذا سئل عن بدن زيد مثلاً هل هو عند الشباب ما هو عند الطفوليّه و عند الشيخوخه كان الجواب بطرفى النفى و الإثبات صحيحاً باعتبارين أحدهما (١) اعتبار كونه جسماً بالمعنى الذى هو مادّه و هو فى نفسه أمر محصل و الثانى اعتبار كونه جسماً- بالمعنى الذى هو جنس و هو أمر مبهم فالجسم بالمعنى الأول جزء من زيد غير محمول عليه و بالمعنى الثانى محمول عليه متحد معه و أما إذا سئل عن زيد الشاب هل هو الذى كان طفلاً و سيصير هو بعينه كهلاً و شيخاً كان الجواب واحداً و هو نعم لأن تبدل الماده لا يقدح فى بقاء المركب بتمامه لأن الماده معتبره لا- على وجه الخصوصيه و التعيين بل على وجه الجنسيه و الإيهام و قد مر الفرق فى مباحث الماهيه من العلم الكلى و الفلسفه العامه- بين الجنس و الماده و هو كالفرق بين الماهيه المطلقه و المأخوذ بشرط التجريد و نظير الفرق بينهما الفرق بين الفصل و الصوره و العرضى و العرض بكل من هذه الأمور محمول على الشئ بالاعتبار الأول غير محمول عليه بالاعتبار الثانى.

الأصل الثامن أن القوه الخياليه جوهر قائم لا فى محل من البدن و أعضائه

الأصل الثامن أن القوه الخياليه (٢) جوهر قائم لا- فى محل من البدن و أعضائه و لا هى موجوده فى جهه من جهات هذا العالم الطبيعى و إنما هى مجردة عن هذا العالم واقعته فى عالم جوهرى متوسط بين العالمين عالم المفارقات العقليه و عالم الطبيعيات الماديه- و قد تفردنا بإثبات هذا المطلب ببراهين ساطعه و حجج قاطعه كما مر.

الأصل التاسع أن الصور الخياليه بل الصور الإدراكيه ليست حاله فى موضوع النفس و لا فى محل آخر و إنما هى قائمه بالنفس قيام الفعل بالفاعل لا قيام المقبول بالقابل و كذا الإبصار عندنا ليس بانطباع شبح المرئى فى عضو كالجليديه و نحوها كما ذهب إليه الطبيعويون و لا بخروج الشعاع كما زعمه الرياضيون و لا بإضافه علميه تقع للنفس إلى الصوره الخارجيه عند تحقق الشرائط كما ظنه الإشراقيون لأن هذه الآراء كلها باطله كما بين فى مقامه أما المذهب الأولان فإبطال كل منهما مذكوره فى الكتب

١- و أيضاً باعتبار محفوظيه هويه البدن بالنفس، س ره

٢- بل هى مع الحس المشترك لأنه المدرك و الخيال حافظ، س ره

المشهوره على وجوه عديده و قد تصدى كل من الفريقين لإبطال رأى صاحبه و نقضه و جرحه و كفى الله المؤمنين القتال و أما المذهب الأخير الذى اختاره الشيخ أبو نصر فى الجمع بين الرأيين و الشيخ المقتول فى حكمه الإشراق فنحن قد أبطلناه كما مر ذكره- و اعلم أن النفس ما دامت متعلقه بالبدن كان إبصاره بل إحساسه مطلقا غير تخيله لأن فى الأول يحتاج إلى ماده خارجيه و شرائط مخصوصه و فى الثانى لا يفتقر إليها و أما عند خروجها عن هذا العالم فلا يبقى الفرق بين التخيل و الإحساس إذ القوه الخياليه و هى خزانة الحس قد قويت و خرجت عن غبار البدن و زال عنها الضعف و النقص- و اتحدت القوى و رجعت إلى مبدئها المشترك فتفعل النفس بقوته الخياليه ما تفعله بغيرها- و ترى بعين الخيال ما كانت تراه بعين الحس و صارت قدرتها و علمها و شهوتها شيئا واحدا فإدراكها للمشتبهات نفس قدرتها و إحضارها إياها عندها بل ليس فى الجنه إلا شهوات النفس و مراداتها كما قال تعالى فيها ما تشتهى أنفسكم و قوله فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين.

الأصل العاشر أن الصور المقداريه و الأشكال و الهيئات الجرميه

كما تحصل من الفاعل بمشاركه ماده القابله بحسب استعداداتها و انفعالاتها كذلك قد تحصل من (١) الجهات الفاعليه و حيثياتها الإدراكيه من غير مشاركه ماده و من هذا القبيل وجود الأفلاك و الكواكب من المبادئ العقلية على سبيل الاختراع بمجرد التصورات إذ قبل

١- كاختلاف صور الإنسان و الفرس و الشجر فى الماء من الجهات الفاعليه و هى العواكس لا من جهات القابل لأن الماء طبيعه واحده و الاختلاف النوعى فى غير الصور و المقادير من الجهات الفاعليه كما يحصل من جهه وجوب العقل الأول العقل الثانى و من جهه وجوده النفس الكليه كما من جهه إمكانه جرم الفلك الأقصى و الحصول من حيثيات الإدراكيه و مجرد التصورات على طريقه الإشراقين حصول هذه الأنواع الطبيعيه من العقول المتكافئه التى هى أربابها فإن تلك العقول علوم تفصيليه للحق تعالى و حصولها من الصور المرتسمه فى ذاته تعالى عند المشائين فإن تلك الصور كلماته الفعاله فإن كل صوره مرتسمه كلمه كن الوجوديه بالوجود الوجوبى و كل ذى صوره يازائها كلمه يكون الوجوديه بالوجود الإمكانى، س ره

الأجسام الأوليه ليست مواد سابقه عليها و من هذا القبيل الصور الخياليه الصادره من النفس بالقوه المصوره(١) من الأ-جرام و الأعظام المشكله التى ربما تكون أعظم من الأفلاك- الكليه الخارجيه و كذلك الصحارى و المفاوز الواسعه و الجبال العظيمة و البلاد و الجنات و الأشجار التى لم يخلق مثلها فى البلاد و إنها ليست قائمه بالجزم الدماغى و لا حاله فى القوه الخياليه كما برهن عليه و لا- فى عالم المثال الكلى كما بيناه سابقا بل فى مملكه النفس و عالمها و صقعها الخارج عن هذا العالم الهولانى و قد سبق أن الصور التى يتصورها النفس بقوتها المصوره و تراها بباصرتها الخياليه لها وجود لا فى هذا العالم و إلا ليراها كل سليم الحس و ليس كذلك بل فى عالم آخر غائب عن هذا العالم و لا فرق بينها و بين ما تراها النفس بقوه الحس إلا بعدم ثباتها و ضعف تجوهرها لاشتغال النفس(٢) بغيرها

- ١- المراد بها الحس المشترك من حيث وجهه الداخلى كما مر أنه كمرآه ذات وجهين فهو يدرك ما فى الخيال و ما يركبه المتخيله من الصور التى فيه و يحفظها أيضا الخيال ثانيا و يطلق المصوره على الخيال أيضا و على إحدى القوى الأربع الرئيسيه النباتيه و هذا أشهر، س ره
- ٢- فالصور الخياليه مرائى لحاظ غيرها حينئذ و مرآه اللحاظ غير ملتفت إليها- و لا وجود لها إلا أنها ظهور الغير فالصوره الخياليه و الإدراكيه من الشمس مثلا حين هى مرآه لحاظ الشمس الخارجيه بأنها مضيئه أو منكسفه أو غير ذلك لا وجود لها إلا الوجود الظلى الظهورى للشمس الماديه و أما إذا كانت ملحوظه بالذات لا مرآه اللحاظ للمرتبه الأخرى فواضح أنها وجود و موجود و أكمل لخلوصها عن ماده كالشمس المجرده أى الكلى العقلى المجرد الموجود بالوجود المحيط الواحد بالوحده الجمعيه إذا لم يكن مرآه لحاظ الأفراد الدائره و المحدوده و معلوم أن الشمس التى علم منها ما هو و هل هو و لم هو و كيف هو و كم هو و متى هو و كانت ملحوظه بالذات لا نسبه لها بالتى هى محدوده دائره آنا فآنا مشموله لهذه بالتبع و لهذا الجزئى لا يكون كاسبا و لا مكتسبا- و الكلى العقلى نور يسعى بين يدى العقل يستعلم منه أحوال جميع جزئياته و هو مع ذلك الشموخ ما دام اشتغال النفس بالجزئيات و ما دام كونه مرآه اللحاظ لها و جلوه أمور مرغوبه بمدخله البدن و قواه على النفس الضعيف الوجود فهل يحكم أن هذا الضعف ذاتى له ما هكذا الظن بك فكذا الصوره المثاليه منها، س ره

و تفرق همتها و توزع خاطرها بما تنفعل من المؤثرات الخارجيه و تشتغل بها حتى لو فرض أن يرتفع عنها الاشتغال بأفاعيل سائر القوى الحيوانيه و الطبيعيه و تكون مصروفه الهمه إلى فعل التخيل و التصور تكون الصور و الأجسام التى تتصورها و تفعلها بقوه الخيال فى غايه ما لها من القوام و تأكيد الوجود و يكون تأثيرها أقوى من تأثير المحسوسات الماديه كما يحكى عن أهل الكرامات و خوارق العادات و إذا كان حال النفس فى تصوير الأشياء على هذا الوجه و هى بعد فى الدنيا ذات تعلق ببدنها فما ظنك إذا انقطعت علائقها عن الدنيا بالكلية و قويت قوتها و تأكدت فعليتها فكل نفس إنسانيه فارقت الدنيا و كانت من أهل السلامه- عن الأمراض النفسانيه و ذمائم الأخلاق و الملكات غير مرتين بما يزعجها و يؤذيها و يمنعها عن الرجوع إلى ذاتها تكون لها عالم خاص بها فيه من كل ما تريده و تشتهيه و هذا أدنى مرتبه من مراتب السعداء فإن كل أحد منهم له جنه عرضها كعرض السماوات و منازل الأبرار و المقربين فوق هذا إلى ما لا يحصى

الأصل الحادى عشر أنك قد علمت أن أجناس العوالم و النشأت

مع كثرتها التى لا- تحصى منحصره فى ثلاثه و إن كانت دار الوجود واحده لارتباط بعضها ببعض أديها عالم الصور الطبيعيه الكائنه الفاسده و أوسطها عالم الصور الإدراكيه الحسيه المجرده عن الماده الحامله للإمكانات و الاستعدادات القابله للمتضادات و أعلاها عالم الصور العقليه و المثل الإلهيه فاعلم أن النفس الإنسانيه مختصه من بين الموجودات بأن لها هذه الأكوان الثلاثه مع بقائها بشخصها فلإنسان الواحد من مبدأ طفولته كون طبيعى و هو بحسبه إنسان بشرى ثم يتدرج فى هذا الوجود و يتصفى و يتلطف شيئاً فشيئاً فى تجوهره إلى أن يحصل له كون آخر نفسانى و هو بحسبه إنسان نفسانى أخروى يصلح للبعث و القيام- و له أعضاء نفسانيه و هو الإنسان الثانى ثم قد ينتقل من هذا الكون أيضاً على التدريج- فيحصل له كون عقلى و هو بحسبه إنسان عقلى و له أعضاء عقليه و هو الإنسان الثالث كما ذكره معلم الفلاسفه فى كتاب أثولوجيا و هذه الانتقالات و التحولات التى يقطع بها الشخص الواحد سبيل الحق إلى الغايه القصوى مختصه بنوع الإنسان فإن الأشياء و إن كانت كلها متوجهه إلى الحضرة الإلهيه لكن الذى يمر على الصراط المستقيم منتهياً إلى

النهاية الأخيره لا يوجد فى غير هذا النوع من سائر الأنواع الكونيه ثم لا بد لغيره لو فرض سلوكه إلى الحضرة القدسيه أن ينتقل نوعه إلى نوع آخر بالكون و الفساد و أن يصل أولاً إلى باب الإنسانيه ثم منها إلى باب الحضرة القدسيه و هذه النشأت الثلاث ترتيبها- فى الرجوع الصعودى إلى الله تعالى على عكس ترتيبها الابتدائى التزولى عنه تعالى- لكن على نحو آخر فإن سلسله الابتداء كانت على نحو الإبداع بلا- زمان و حركه و سلسله الرجوع تكون بحركه و زمان فلإنسان أكون سابقه على حدوثه الشخصى المادى- و لهذا قد أثبت أفلاطون الإلهى للنفوس الإنسانيه كونا عقليا قبل حدوث البدن و كذلك ثبت فى شريعتنا الحقه لأفراد البشر كينونه (١) جزئيه متميزه سابقه على وجودها الطبيعى- كما أشار إليه بقوله تعالى وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ إِيَّاهُ و عَنْ أَمْتِنَا المعصومين أحاديث كثيره داله على أن أرواح الأنبياء و الأوصياء كانت مخلوقه من طينه عليين (٢) قبل خلق السماوات و الأرضين و أن أبدانهم مخلوقه (٣) من دون تلك الطينه- كأرواح متابعيهم و شيعتهم و أن قلوب المنافقين مخلوقه من طينه سجين و أبدانهم و كذلك قلوب متابعيهم مخلوقه من دون تلك الطينه الخبيثه فهذا الخبر و أمثاله يدل على أن للإنسان أكونا سابقه على هذا الكون فالإنسان بحسب الفطره الأصلية يتوجه نحو

- ١- بخلاف ذلك الكون العقلى فإنه كينونه كليه تجرديه كما مر و الكينونه الجزئيه صورها المثاليه القدرية التى لها فى عالم الذر موطن العهد و الميثاق، س ره
- ٢- الطينه تطلق و يراد بها الماهيه و تطلق و يراد بها الملكات المخمره بها النفس الناطقه و تطلق و يراد بها الماده و طينه الأنبياء و الأولياء و تابعيهم بأقسامها من عليين- أما ماهيتهم فالحيوان بحياه الحى القيوم و الناطق بالفعل بنطقه و الإنسان الكامل بالفعل و كذا ماهيتهم العرضيه و أوصافهم الكامله و أما الملكات فهى الملكات الحميده العلميه و العمليه المخلوقه أنفسهم الكليه الإلهيه منها سيما على اتحاد العاقل و المعقول- و أما ماده أبدانهم فهى المركب المعتدل الذى كان فى الأصلا ب الشامخه و الأرحام المطهره- و أما فى طرف المقابل فالماهيـه الحيوان بالحياه البهيميه و السبعيه و الناطق بالقوه و الأوصاف المذمومه و الملكات هى المرذوله و الماده المركب الغير المعتدل الذى جاء من أصلا ب دانيه و أرحام نجسه، س ره
- ٣- أى سواء كانت أبدانهم المثاليه أو أبدانهم الطبيعـيه، س ره

الآخرة على التدرّج و يرجع إلى غايه مقصوده فيبتدى بوجوده الدنيوى المادى إلى وجوده الأخرى الصورى إذ نسبه الدنيا إلى الأخرى نسبه النقص إلى الكمال و نسبه الطفل إلى البالغ و لهذا يحتاج فى هذا الوجود كالأطفال لضعفهم و نقصهم إلى مهد هو المكان و دايه (١) هو الزمان فإذا بلغ أشده (٢) الجوهرى يخرج من هذا الوجود الدنيوى إلى وجود أخرى و يستعد للخروج من هذه الدار إلى دار القرار و إلى هذا الحد من الوجود النفسانى و الاستقلال الجوهرى الصورى المعبر عنه بنفخ الصور الموجب للموت الطبيعى و الخروج من هذه النشأ مما يقع فيه الاشتراك بين المؤمن و الكافر و الموحد و المشرك و المعطل إذ لا منافاه بين هذا الكمال الوجودى و الاستغناء عن الماده البدنيه و بين الشقاوه و التعذيب بنار الجحيم و إدراك العذاب الأليم بل يؤكدّها فإن شدة الوجود يوجب الخروج عن الغواشى و الملابس الماديه و هو يوجب شدة الإدراك للمؤلمات و المؤذيات- و نتائج الأعمال القبيحه و السيئات و الأمراض و العلل النفسانيه التى كان الذهول عنها فى الدنيا لخدر الطبيعه و غشاوه على البصيره فإذا زال الحجاب حل العذاب فالنفس ما لم تقطع جميع الحدود الطبيعيه ثم النفسانيه لم يصل إلى جوار الله و لم يستحق مقام العنديه فالموت أول منازل الآخرة و آخر منازل الدنيا و الإنسان بعد خروجه عن الدنيا- قد يكون محبوسا فى البرازخ المتوسطه بين الدارين الدنيا و العقبى مده طويله أو قصيره

- ١- أى إذا بلغ حركته الجوهرية فى مده عمره الدنيوى إلى النهايه و كذا حركاته العرضيه التابعه له، س ره
- ٢- دايه فارسىه و المراد بها هنا المربيه و الأم هى الطبيعه و الثديان هما النبات و الحيوان فإن الإنسان لما كان فى غايه اللطافه فى المركبات لا تصير العناصر أغذيه له إلا بتغييرات الطبيعه بل مع تدبيرات الصنائه فكما أن الطفل الرضيع للطاقته- لم يوافق غداء الكبار و لا بد أن يتصرف فيه نفس الأم و غيره ثديها كذلك العناصر لم توافق مزاج الإنسان الكبير البشرى إلا إذا غيرت فى الثديين اللذين هما النبات و الحيوان و كما أن الإنسان البشرى لا بد أن يشرب من هذين كذلك الإنسان الملكوتى و هو النفس لا بد أن يشرب لبن العلم من الثديين اللذين هما العقل النظرى و العقل العملى ليتقوى و يتكامل، س ره

و ربما يرتقى سريعا بنور المعرفه أو بقوه الطاعات أو بجذبه ربانيه أو بشفاعه الشافعين - و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين

فصل (٢) فى نتيجه ما قدمناه و ثمره ما أصلناه

أقول أن من تأمل و تدبر فى هذه الأصول و القوانين (١) العشره التى أحكمنا بنيانها و شيدنا أركانها ببراهين ساطعه و حجج قاطعه لأمعه المذكوره فى كتبنا و صحفنا سيما هذا الكتاب تأملا- كافيا و تدبرا و افيا بشرط سلامه فطرته عن آفه الغوايه و الاعوجاج- و مرض الحسد و العناد و عاده العصبية و الافتخار و الاستكبار لم يبق له شك و ريب فى مسأله المعاد و حشر النفوس و الأجساد و يعلم يقينا و يحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامه بصوره الأجساد و ينكشف له أن المعاد فى المعاد مجموع النفس و البدن بعينهما و شخصهما و أن المبعوث فى القيامه هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصريا كان كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين أو مثاليا (٢) كما ذهب إليه الإشراقيون فهذا هو الاعتقاد

- ١- لعله كان بدل قوله الأصل الحادى عشر إنك قد علمت إلخ ثم إنك قد علمت بدون لفظ الأصل الحادى عشر، س ره
- ٢- أى مثاليا مباينا من حيث إنه مباين إذ لم يخرجوا من عهد العينييه بإحقاق كون شيئيه الشىء بصورته و تشخصه بوجوده و نحو ذلك و أما نحن فبحول من يحق الحق بكلماته فقد أثبتنا أن الوجود الوجود و التشخص التشخص و النفس النفس و الصوره الصوره و إن حصل تفاوت بالأشد و الأضعف و وقع الاشتداد مثلا فالأشد هو الأضعف و بالعكس و لا يصيره شخصين فضلا عن تصيره نوعين نعم يتميز تلك المرتبه عن هذه المرتبه لكن التميز غير التشخص و التفنن فى التشخص لا يقدح فى بقاء شخصيته الشخص و هويته و لم يحذف من الشخص فى الآخره إلا الحدود و النقائص و لم يسقط من فعلياته و صوره النوعيه و الجسميه و الشخصيه إلا ما ليس له مدخل فى فعليته لكونه قوه صرفه و هو الهيولى و قوه الشىء ليست بشىء و هذه من لوازم هذه النشأه الدنيويه و لو بقيت مع كونها غير داخله فى شيئيه و هويته كانت الصوره دنيويه لا أخريه هذا خلف، س ره

الصحيح المطابق للشريعة و المله الموافق للبرهان و الحكمه فمن صدق و آمن بهذا فقد آمن بيوم الجزاء و قد أصبح مؤمنا حقا و النقصان عن هذا الإيمان خذلان و قصور عن درجه العرفان و قول بتعطل أكثر القوى و الطبائع عن البلوغ إلى غاياتها و الوصول إلى كمالاتها و نتائج أشواقها و حركاتها و يلزم أن يكون ما أودعه الله في غرائز الطبائع الكونيه و جبلاتها من طلب الكمال و التوجه إلى ما فوقها هباء و عبثا و باطلا و هدرًا- فلكل قوه من القوى النفسانيه و غيرها كمال يخصها و لذو و ألم و ملائمته و منافره تليق بها- و بحسب كل ما كسبته أو فعلته يلزم لها في الطبيعه الجزاء و الوفاء كما قررتة (١) الحكماء من إثبات الغايات الطبيعه لجميع المبادئ و القوى عاليه كانت أو سافله فاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً و قوله وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا و إليه الإشاره بقوله تعالى ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و كل ما في الكون من الجواهر الطبيعه دابه لما بيناه من حركاتها الذاتيه فالله آخذ بناصيه نفوسها و طبائعها و هو موليتها نحوه و جاذبها إليه و من تحقق بهذا تيقن بلزوم عود الكل- و لم يشته عليه ذلك و هذا مقتضى الحكمه و الوفاء بالوعد و الوعيد و لزوم المكافاه في الطبيعه و المجازاه و لنا رساله على حده في هذا الباب بينا فيها حشر جميع الأشياء الكائنه- حتى الجماد و النبات إلى الدار الآخره و حشر الكل إليه تعالى ببيانات واضحه و قواعد صحيحه برهانيه مبناها على أن لا معطل في الطبيعه و لا ساكن في الخليقه فالكل متوجه نحو الغايه المطلوبه إلا أن (٢) حشر كل أحد إلى ما يناسبه و يجانسه فلإنسان بحسبه- و للشياطين بحسبهم و للحيوانات بحسبها و للنبات و الجماد بحسبهما كما قال تعالى في حشر

١- فَإِنَّ الْحَشْرَ الَّذِي فِي لِسَانِ الشَّرْعِ عِبَارَتُهُ الْأُخْرَى فِي لِسَانِ الْحُكْمِ هِيَ الْوُصُولُ إِلَى الْغَايَاتِ إِلَّا أَنْ لَفْظَ الْحَشْرِ فِي الشَّرْعِ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْغَايَاتِ- التي لا تدرك بهذه المشاعر و إلا إذا تصورت الروح بالصوره المثاليه و تحولت معنى، س ر ه

٢- فَإِنَّ الْغَايَةَ الْمَطْلُوبَةَ غَايَةَ الْغَايَاتِ و لها وحده جمعيه شامله لغايات الجميع- و لها أسماء حسنى مريبه للأنواع و غايات لها و جميع العوالم الطويله درجات قدرته و علمه فغايات أهل المعنى و أهل الصوره عنده و له بيت الضيافه و بيت النكال و العقوبه- هذا للبعض و ذلك للبعض، س ر ه

أفراد الناس يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُوداً وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِداً^(١) و في الشياطين قَوْ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ و في الحيوانات و إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ^(٢) و الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ و في النبات و النَّجْمَ و الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ و قوله تعالى وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ إِلَى قوله وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ و في حق الجميع وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً وَ عَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا وَ قوله إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِنَّا يُرْجِعُونَ وَ قوله تعالى كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ

فصل (٣) في دفع شبه المنكرين و شكوك الجاحدين لحشر الأجساد

إشارة

إن هذه المقدمات و الأصول المذكورة كما أفادت هذا المطلوب على وجه التحقيق - كذلك هي وافية بدفع تلك الشبهة و الشكوك و لا بأس بذكرها على التفصيل و الإشارة إلى دفعها.

منها ما سبق من أنه إذا صار إنسان غذاء لإنسان آخر

فالأجزاء المأكولة إما

١- أي بتقوى الخواص و حشرهم استتم هاهنا فإن عقلهم البسيط و نفسهم الكلية الإلهية مقامهم الجبروت في عين كونهم بأبدانهم في الناسوت و وقتهم الدهر بل نسبه الثابت إلى الثابت سرمد و الرحمن صاحب الرحمة الواسعة و عند طرح جلباب الجسد - يبرز ذلك بروزاً تاماً كما قال علي ع: فزت برب الكعبة مع أنه قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً و قس عليه سوق المجرمين هاهنا و هناك، س ره

٢- إن حملنا على الحيوانات فالحشر تبعي فإن في الجنة طيوراً عنادل و قمارى و غيرها و فيها ما تشتهيه الأنفس و إن حملنا على الأناسى الذين في الجهل كالغنم و الضبا فحشرهم استقلالاً و كذا النجم أى النبات الذى لا ساق له و الشجر و هو النبات الذى له ساق يمكن أن يحمل على الإنسان الذى درجته درجة النبات لا شأن له إلا الجذب و الدفع و له التعلق التام بالنبات، س ره

أن يعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول و أيا ما كان لا يكون أحدهما بعينه معادا بتمامه و أيضا إذا كان الآكل كافرا و المأكول مؤمنا يلزم إما تعذيب المطيع و تنعيم الكافر أو أن يكون شخص واحد كافرا معذبا و مؤمنا منعما لكونهما جسما واحدا و اندفاعه ظاهر بما مر من أن تشخص (١) كل إنسان إنما يكون بنفسه لا ببدنه و إن البدن المعتبر فيه أمر مبهم لا تحصل له إلا بنفسه و ليس له من هذه الحثية تعين و لا ذات ثابتة و لا يلزم من كون بدن زيد مثلا محشورا أن يكون الجسم الذى منه صار مأكولا لسبع أو إنسان آخر محشورا بل كلما يتعلق به نفسه هو بعينه بدنه الذى كان فالاعتقاد بحشر الأبدان يوم القيامة هو أن يبعث أبدان من القبور إذا رأى أحد كل واحد واحد منها يقول هذا فلان بعينه و هذا بهمان بعينه أو هذا بدن فلان و هذا بدن بهمان على ما مر تحقيقه و لا يلزم من ذلك أن يكون غير مبدل الوجود و الهويه كما لا يلزم أن يكون مشوه الخلق - و الأقطع و الأعمى و الهرم محشورا على ما كان من نقصان الخلقة و تشويه البنيه كما و الأحاديث و المتكلمون عن آخرهم أجابوا عن هذه الشبهة بما لا حاجة إلى ذكره لركاكته -

و منها أن جرم الأرض مقدار محصور محدود ممسوح بالفراخ و الأميال و الذراع - و عدد النفوس غير متناه

فلا يفى مقدار الأرض و لا يسع لأن تحصل منه الأبدان الغير المتناهية.

و الجواب الحق بما مر من الأصول أن لا عبره بخصوصية البدن و أن تشخصه و المعتبر في الشخص المحشور جسميه ما أیه جسميه كانت و أن البدن الأخرى ينشأ من النفس بحسب صفاتها لا أن النفس يحدث من المادة بحسب هيئاتها و استعداداتها كما في الدنيا.

و لك أن تجيب أن المقادير قد يزداد حجما و عددا من ماده (٢) واحده فإن هوى

١- و أيضا صورته الغذاء و شكله لا تعتبر في التغذية أ لا ترى أن الخبز يصير جزءا للمغتذى بل الدم النقى المتغير بتغييرات أربعة و أما الاستداره أو الاستطاله أو غيرهما من الصور فلا مدخلية لها في الجزئية و لو صارت الصوره غذاء لم تكن في وقتها تلك الصوره، س ره

٢- أى بالتخلخل إذا لا علاقه لها بمقدار و التخلخل الحقيقى ازدياد المقدار بدون ازدياد جوهر الأجزاء، س ره

قوه قابله محضه لا- مقدار لها فى نفسها و لا- لها اختصاص بحد خاص و عدد معين بل يعرض لها المقادير و الانقسامات من خارج و هى فى نفسها قابله للانقسامات الغير المتناهيه و ليس أيضا من شرطها فى أن يكون أبدانا أن تكون صورته الأرضيه باقيه بل يجوز انقلابها من الأرضيه إلى أجسام حسب ما شاء الله و أيضا لا يلزم أن يكون كل نفس محشوره بالبدن- فإن من النفوس ما فارت الأجسام صاعده إلى عالم القدس منخرطه فى سلك المقربين- و الجواب الأول (١) هو العمده.

و منها أن الجنه و النار إذا كانتا موجودتين جسمائيتين فأين مكانهما

إشاره

و فى أى جهه من جهات العالم حصولهما فإن كان حصولهما أو حصول إحداهما فوق محدد الجهات- فيلزم أن يكون فى اللامكان مكان و فى اللاجه جهه و إن كان فى داخل طبقات السماوات و الأرض أو فيما بين طبقه و طبقه فيلزم إما التداخل و إما الانفصال بين سماء و سماء و الكل مستحيل و مع هذا ينافى قوله تعالى وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ.

هذا تقرير هذه الشبهه و طريق اندفاعها مكشوف لمن تدبر فى الأصول التى بينهاها.

أما المتكلمون فحيث لم يدخلوا البيوت من أبوابها ليس فى وسعهم التفصى عن أمثال هذا الإشكال فأجابوا عنه تاره بتجويز الخلاء و تاره بعدم كون الجنه و النار مخلوقتين بعد و تاره بانفتاق السماوات على قدر يسع بينها الجنه و ليتهم قنعوا بدين العجائز و اكتفوا بالتقليد و لم يستكفوا أن يقولوا لا ندرى الله و رسوله أعلم.

ثم العجب أن أكثر ما رأينا منهم يخوضون فى المعقولات و هم لا يعرفون المحسوسات- و يتكلمون فى الإلهيات و هم يجهلون الطبيعيات و يتعاطون الحجج و القياسات و لا يحسنون المنطق و الرياضيات و لا يعرفون من العلوم الدينيه إلا مسائل خلافيات و ليس غرضهم فى العلم إصلاح النفس و تهذيب الباطن و تطهير القلب عن أدناس الصفات و الملكات

١- لأنه برهانى و أما الثانى فهو جدلى بناؤه على أن يكون البدن المحشور- هو البدن الطبيعى بما هو طبيعى و مع ذلك ثبت تناهى الأبعاد و المقربون و إن كانوا لا- علاقه لهم بالأبدان إلا أن نفوس غيرهم غير متناه أيضا بل كل صنف غير متناه لعدم تناهى فيض الله و عدم نفاذ كلمه الله سواء كانوا مقربين أو أصحاب اليمين أو أصحاب الشمال أو أصحاب السور و لا نسبه لغير المتناهى إلى المتناهى، س ره

بل طلب الرئاسة و الجاه و إرجاع الخلائق إلى فتاواهم و حكوماتهم و لأجل ذلك يضمرون النفاق و يعادون أهل الحكمة و المعرفة و من أعظم الفتن و المصائب أنهم مع هذه العقول الناقصة و الآراء السخيفة يخاصمون و يعادون الحكماء و العرفاء أكثر من الخصومة و العداوة- مع الكفار و اليهود و النصارى و يعدون هذا من تقوية الدين و حفظ عقائد المسلمين و غاية تقويتهم للدين أن يقولوا إن الحكمة ضلال و إضلال و إن تعلمها بدعه و وبال و إن علم النجوم باطل فى أصله و إن الكواكب جمادات و إن الأفلاك لا حياه لها و لا نطق و إن الطلب لا منفعة له و إن الهندسه لا حقيقه لها و إن علوم الطبيعات أكثرها كفر و زندقه و أهلها ملاحده و كفره إلى غير ذلك من مقالاتهم و هوساتهم المشحونه بالتدليس و التلبيس لمخالفه أكثرها لما فى كتاب الله و سنه نبيه من تعظيم الحكمة و توقير أهلها و تعظيم النجوم و السماء و الأقسام فى كثير من الآيات بها و مدح الناظرين المتفكرين فى خلقها و ذم المعرضين عن آياتها لقوله تعالى - يَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ الْآفِيَةِ و قوله وَ كَذَّبُوا مِنْ آيِهِ فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَمْزُونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ فإذا جاءوا إلى دفع مثل هذه المشكلات عن الدين وقعوا فى العجز كالحمار فى الوحل و الطين و لنرجع إلى ما فارقناه

كشف مقال لدفع إشكال:

أن أعضل شبه الجاحدين للمعاد الجسماني و أعظم إشكالات المنكرين للجنة و النار المحكوم بثبوتها و تحققها فى الشريعة الحقه التى أتى بها أهل النبوه و الحكمة المؤسسه على الأصول و المبانى المحكمه المهمه هو طلب المكان لهما و التزام كونهما فى جهه من الجهات- الامتداديه الوضعيه و فى زمان من الأزمنه المتصرمه و استيجاب كونهما داخل حجب السماوات و تحت حيطه محدد الجهات و عرش المتماديات.

فالجواب كما يستعلم من الأصول المؤسسه عن أصل هذه الشبهه و قلع مادتها- و فسخ صورتها هو أن يقال على منهج أبحاث المتألهين و طريقه إنظار السالكين إلى الله- بأقدام المعرفة و اليقين إن حجتكم هذه مبنيه على أن للجنة و النار مكانا من جنس أمكنه هذه الدنيا لكن أصل إثبات المكان على هذا الوجه للجنة و النار باطل فالشبهه منهدمه الأساس منحسمه الأصل و مما يوضح ذلك حسب ما مضت الإشارة إليه أن عالم

الآخـره (١) عالم تام لا يخرج عنه شىء من جوهره و ما هذا شأنه لا يكون فى مكان كما ليس لمجموع هذا العالم أيضا مكان يمكن أن يقع إليه إشاره وضعيه من خارجه أو داخله لأن مكان الشىء إنما يتقرر بحسب نسبته و إضافته إلى ما هو مبين له فى وضعه خارج عنه فى إضافته و ليس فى خارج هذه الدار شىء من جنسه و إلا لم يوجد بتمامه و لا فى داخله أيضا ما يكون مفصولا عن جميعه إذا أخذ من هذه الحيشه فلا إشاره حسيه إلى هذا العالم عند أخذه تاما كاملا لا من داخله و لا من خارجه فلا يكون له أين و وضع- و لهذا المعنى حكم معلم الفلاسفه بأن العالم بتمامه لا مكان له فقد اتضح أن ما يكون عالما تاما فطلب المكان له باطل و المغالطه نشأت من قياس الجزء على الكل و الاشتباه بين الناقص و الكامل ثم على سبيل التنزل عن هذا لو سأل سائل هل الدار الآخـره مع هذه الدار منتظمتان فى سلك واحد و المجموع عالم واحد فحيثئذ يكون طلب المكان لهما صحيحا أو كل منهما عالم بتمامه مبين الجوهر و الذات للآخر غير منسلك معها

١- هذا كلام تام صدر عن معدن التحقيق فإن هذه التماميه تامه فى دفع شبهات كثيره كطلب الماده له و الزمان و المكان و الوضع و نحوها فإن ما كان عالما تاما كان جميع ضرورياته و لوازمه تستتم من نفسه فلو كان وجوده ملتثما من بعض مواد هذا العالم الطبيعى كان مزاحما لصوره فى الماده مصادما لها فيها و محتاجا إليه فى بعض ضرورياته فلم يكن تاما و كذا لو كان له مكان و وضع و جهه مما فيه كان محاطا له و مصادما لذوات إحيازه و جهاته و محتاجا إليه فى بعض لوازمه فلم يكن تاما مكتفيا بذاته و كذا لو وقع فى بعض أزمنه هذا العالم كان محاطا له مع أنه محيط به و بأمكنته و أزمنته إحاطه قاف بالدنيا و إحاطه الدهر بالزمان فليست الآخـره فى عرض هذا العالم و لا زمانها فى تلو هذا الزمان تلو زمانيا بل دهريا و لذا من يسأل عن الساعه أيان مرساها لا- يمكنه فهم الجواب إذ لم يأت البيت من الباب و لم يؤد على وجهه الخطاب حيث ترقب خاصيه نشأه من نشأه أخرى تخالفها مرتبه فمع أنه يجاب بجواب شاف و هو أن علمها عند ربى لا يتفطن- إذ ليس له مقام العنديه فلا يعلم أن العوالم التى هى النهايات و الغايات إلى غايه الغايات- و هى درجات الآخـره إنما هى فى باطن هذا العالم و فى طوله و هى مقاعد الصدق عند مليك مقتدر سيما الحضـره الربويه و مرتبه الأسماء و الصفات نعم فى ذلك العالم صورته كل شىء ففيه صور الأمكنه و الأزمنه و الأوضاع و الجهات فله هذه و لكن من سنخه، س ره

فى سلك واحد لا يجمعهما دار واحد فحينئذ طلب المكان لهما غير صحيح و أنت تعلم أن الحق هو الثانى إلا أن يراد بكونهما واحدا ضربا آخر من الوحده فإن العوالم و النشآت متداخله فى المعنى و القوام لا فى الوضع و الامتداد مع كون كل منهما عالم تام أ و لا- ترى أن أهل العالم متفقون على قولهم هذا العالم و ذلك العالم حسبا ورثوه من أسلافهم و مقدميهم و لو كان المجموع عالما واحدا كان هذا القول باطلا و لا يصح أن يقال هذا الإطلاق من قبيل قولهم عالم العناصر و عالم الأفلاك و عالم الحيوان لأن هذه أقوال مجازيه على سبيل التشبيه فإن الدنيا و الآخرة لو لم يكونا عالمين تامين- فلا يكون فى الوجود عالم تام لأن المجموع ليس منتظما فى سلك واحد إلا بأن يكون أحدهما باطن الآخر و الآخر ظاهره كما أشرنا إليه و هذا كلام آخر فيه غموض فإذا لم يكونا مع مباينه كل منهما للآخر فى الوجود مما يشملهما عالم آخر فلا محاله كل منهما عالم تام كما أطلق القول عليه فى ألسنه الشريعه إن الله سبحانه عالمين الدنيا و الآخرة و مما يوضح أيضا القول بأن الآخرة ليست من جنس هذا العالم إن الآخرة نشأه باقيه يتكلم (١) الإنسان فيها مع الله و هذه نشأه دائره بئده أهلها هالكه الذوات و لا ينظر إليهم و اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات و أما مكالمه الأنبياء مع الله تعالى و مخاطبه سيد الرسل ص معه تعالى ليله المعراج فهى من ظهور سلطان الآخرة على قلوبهم و مما يدل على ذلك قوله تعالى وَ نُشِئْكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ فإنه صريح فى أن نشأه الآخرة غير نشأه الدنيا و بالجمله فنحو وجود الآخرة غير نحو وجود الدنيا و لو كانت الآخرة من جوهر الدنيا لم يصح أن يقال إن الدنيا يخرب و الآخرة دار القرار لأن الدنيا إنما هى دنيا بالجوهر و الوجود لا بالعوارض الشخصيه و المخصصات الخارجيه و إلا لكان كل سنه بل كل يوم دنيا أخرى لتبدل الأشكال و الهيئات و الشخصيات و لكان القول بالآخرة تناسخا و لكان المعاد عباره عن عماره الدنيا بعد خرابها و إجماع العقلاء على أن الدنيا تضمحل و تفنى ثم لا تعود و لا تعمر أبدا فقد ثبت و تحقق أن الدنيا و الآخرة مختلفتان

١- مثل قوله تعاليزَّبِ ارْجِعُونَ لَعَلِّيْ أَعْمَلُ صَالِحاً و وجه آخر للتكلم هو أنه صار مظهريته لصفات الله أقوى و تلقيه لكلماته التكوينية أتم، س ره

فى الجوهر الوجود غير منسلكين فى سلك واحد فلا وجه لطلب المكان للآخره و صاحب الذوق السليم يتفطن بهذا على أن من نظر إلى مواضع هذا الكتاب لا- يحتاج إلى زياده مؤنه و تفتيش و إنما بسطنا القول فى زياده الكشف و التوضيح شفقته على الظاهريين الذين قصدهم فى النسك و العبادات طلب قضاء شهوه البطن و الفرج فى الآخره على وجه ألد و أدوم فهم فى الحقيقه طلاب الدنيا و عند أنفسهم أنهم يطلبون ثواب الآخره و التقرب إلى الله تعالى.

و منها لزوم مفسده التناسخ كما مر ذكره

إشاره

و هذا أيضا شبهه قويه عسره الانحلال- صعب الزوال على غير من اطلع على طريقتنا و سلك مسلكنا.

و الجواب الذى ذكره و قرره فى غايه الضعف و القصور و ما تيسر إلى الآن لأحد من الإسلاميين فى حل هذا الإشكال شىء يمكن التعويل عليه حتى أن بعضهم ارتكب القول بتجوز التناسخ مع أن استحالة مبرهن عليها و غايه ما تفصوا به عن إشكال التناسخ ما ذكره بعض الأعلام فى رساله لفقهها فى تحقيق المعاد إن للنفس الإنسانيه ضريين من التعلق بهذا البدن أولهما أولى و هو تعلقها بالروح البخارى- و ثانيهما ثانوى و هو تعلقها بالأعضاء الكثيفه فإذا انحرف مزاج الروح و كاد أن يخرج عن صلاحيه التعلق اشتد التعلق الثانوى من جانب النفس بالأعضاء و بهذا يتعين الأجزاء تعينا ما ثم عند المحشر إذا جمعت و تمت صورته البدن ثانيا و حصل الروح البخارى مره أخرى عاد تعلق الروح كالمرة الأولى فذلك التعلق الثانوى يمنع من حدوث نفس أخرى على مزاج الأجزاء فالمعاد هى النفس الباقية لنيل الجزاء انتهى قوله.

و قد سبقت الإشارات إلى بطلانه من أن تعلق النفس بالبدن أمر طبيعى منشؤه المناسبه التامه و الاستعداد الكامل للماده المخصص لها بهذه النفس دون غيرها و لا بد أن يكون هذا التخصص و الاستعداد مما لم يوجد إلا لهذه الماده الواحده بالقياس إلى النفس المعينه الواحده لئلا يلزم التخصص بلا مخصص أو تعلق نفس واحد ببدنين على أنك قد علمت أن منشأ حدوث النفس و ما يجرى مجراها هو الحركه الذاتيه(١) الاستكماليه

١- أى الحركه و التغيرات التى كل تال جامع لكمالات متلوه مع شىء زائد و هى منشأ حصول النفس لا التغير الذى فى الخلع و اللبس و لا- الحركه التنزليه للماده و هنا تنزلت الماده غايه التنزل فكيف تتعلق بها النفس حتى يمنع تعلقها من حدوث نفس أخرى كما ادعاه، س ره

لماده ما فى الصور الجوهرية على سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى حتى يقع انتهاء الأكوان الصوريه إلى النفس و ما بعدها فعلى هذا لا- معنى لبقاء المناسبه الذاتيه للأجزاء الترابيه إليها و مع قطع النظر عما ذكرناه و أصلناه نقول كل من ذاق المشرب الحكيمى- يعلم أن الجسم الذى يتعلق به النفس سيما الناطقه التى هى أخيره مراتب الشرف و الكمال- للأجسام الطبيعیه فى سلسله العود إلى العقل الفعال يجب أن يكون مختصا بمزيد استعداد- و تهيؤ مزاج و حراره غريزيه لروح(١) بخارى شبيه بالجرم السماوى و أن التعلقات الطبيعیه و الذاتيه ليست كالتعلقات الإراديه الواقعه من الإنسان لأجل مصلحه خارجيه أو داعيه جزافيه أو عاديه ترغبه و تدعوه إلى التوجه و الالتفات نحو شىء كمن توجه إلى خرابه عاش فيها مده كانت معموره ثم هاجر منها لأجل سبب من الأسباب فإلتفت إليها مره أخرى بعد خرابها- و يريد تعمیرها طلبا لما يتذكره من التلذذات و التنعيمات التى وقعت منه فيها على سبيل المجازفه الشهويه من غير فائده فكريه و غايه عقليه أو لملاحظه مصلحه رآها أو فائده و حكمه راعاها فإن شيئا من هذه الأمور لا يجرى فى الأسباب الذاتيه للغايات الطبيعیه ثم إن قولهم إن النفس تتعلق أولا بالأرواح اللطيفه و ثانيا بالأعضاء الكثيفه معناه أن تعلقها بالذات ليس إلا- بالأرواح لأنها القريبه الشبه إلى جوهر النفوس دون الأعضاء لكثافتها و ظلمتها و بعد مناسبتها إلى الجواهر النورانيه إلا- بالعرض لأجل كونها كالقشر و الغلاف و الوعاء الصائن للجرم الشبيه بالفلك اللائق لأجل اعتداله و لطافته لأن يستوكره الحمام القدسى و الطائر الملكوتى فإذا تمزقت هذه الشبكه و استحالت ترابا و رمادا و طار طائرها السماوى و خلص من هذا المضيق فأى تعلق بقى له بالأجزاء المتفرقه و الذرات

١- فى اللطافه و الشفافيه و الإشراف و فى الخلق من الأضداد فإن المعتدل المتوسط فيها كالخالى عنها و قلت فى موضع آخر إن لهذه المناسبات أطلق اسم أحدهما على الآخر فيطلق اسم الفلك على الروح البخارى و يطلق البخار و الدخان على الفلك كما قال تعالى **سَمَّوْا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**، س ره

المثبوتة و أى تعلق للنفس بالتراب و الرماد و إن فرض مجتمع الأجزاء و لو كان كذلك لكان كل تراب و رماد ذا نفس لاشتراك الجميع فى الترايبه و الرماديه و الإضافه إلى الزمان السابق الذى كان فيه التعلق غير باقيه أيضا لأن الزمان غير باق

تنبيه تفصيلى:

إن الشيخ الغزالى قد صرح فى كثير من مواضع كتبه أن المعاد الجسمانى هو أن يتعلق المفارق عن البدن ببدن آخر و استبعد بل استنكر عود أجزاء البدن الأول و قال إن زيدا الشيخ هو بعينه زيد الذى كان شابا و هو بعينه الذى كان طفلا صغيرا و جنينا فى بطن الأم مع عدم بقاء الأجزاء ففى الحشر(١) أيضا كذلك و الملتزمون بعود الأجزاء مقلدون من غير درايه.

أقول هذا الكلام فى غايه الإجمال و لم يظهر منه الفرق بين التناسخ و الحشر و قد بينا أن الحق فى المعاد عود البدن بعينه كالنفس بعينها كما يدل عليه الشرع الصحيح - الصريح من غير تأويل و يحكم عليه العقل الصحيح من غير تعطيل.

ثم قال و ليس هذا بتناسخ فإن المعاد هو الشخص الأول و المتناسخ(٢) هو شخص آخر و الفرق بين الحشر و التناسخ أن الروح إذا صار مره أخرى متعلقا ببدن آخر - فإن حصل من هذا التعلق الشخص الأول كان حشرا واقعا لا تناسخا.

أقول تقريره للمعاد الجسمانى بأنه عود للشخص مع عدم عود البدن و تصريحه بأن الشخص إنما هو مجموع الروح و البدن ظاهره(٣) متناقض مشكل و أشكل منه ما قرره فى الفرق بين التناسخ و الحشر أن الشخص الثانى فى الأول غير الأول و فى الثانى

١- فإن المشخص هو النفس فإذا كان الشيخ عين الشاب باعتبار وحده المشخص الذى هو النفس بل عين الجنين فالمحشور عين من أطاع أو عصى، س ره

٢- لأن المعاد هو بصوره إنسانيه كانت له فى النشأ الأولى و المتناسخ بصوره حيوانيّه، س ره

٣- إذ علم من ذلك التقرير أن المشخص هو النفس وحدها و من قوله إن المعاد هو الشخص الأول و المتناسخ هو شخص آخر أنه يعتبر فى الشخص شىء آخر كتوافق الصورتين، س ره

عينه إذ في هذا (١) الفرق تحكم لا يخفى.

و أعجب من هذه (٢) كلها أنه قال في موضع آخر بهذه العبارة إن الروح يعاد إلى بدن آخر غير الأول و لا يشارك له في شىء من الأجزاء.

ثم قال فإن قيل هذا هو التناسخ قلنا سلمنا و لا مشاحه في الأسماء و الشرع جوز هذا التناسخ و منع (٣) غيره.

أقول هذا الكلام مما تلقاه كثير من فضلاء الزمان بالقبول و لعلمهم زعموا أن الإشكال المذكور في الحشر هو لزوم التناسخ بحسب المفهوم و إطلاق اللفظ أو توهموا أن محاليه التناسخ من جهة الشرع إنما الإشكال لزوم مفسده التناسخ بحسب العقل و هو اجتماع نفسين على بدن واحد سواء سمى تناسخا أو حشرا.

و قال في موضع آخر اعلم أن هذا يستنكره من يبطل حشر الأجساد و يحيل رد النفوس إلى الجسد و ليس يقوم على استحالة برهان يقينى و كلما ذكره الأوائل في الدلالة على استحالة ليس ببرهان محقق و الشرع قد ورد به فيجب تصديقه.

و الدليل على أن (٤) ذلك ليس مبرهنا أن أفضل متأخرى الفلاسفة أبا على ابن سينا قد أثبت ذلك في كتاب النجاه و الشفاء قال لا يبعد أن يكون بعض الأجسام السماويه - موضوعا لتخيل النفس بعد الموت و حكى ذلك عمن عظمت رتبته إذ قال و قد قال من لا يجازف في الكلام من العلماء إن ذلك غير ممتنع و هذه (٥) القضية تدل على أنه شاك

١- إذ وحده النفس في التناسخ أيضا باقيه و هى مناط التشخص، س ره

٢- الأعجبيه أولا من قوله و تشارك له في شىء من الأجزاء مع أنه قال في الفرق بين المعاد و التناسخ إن المعاد هو الشخص الأول و المتناسخ هو شخص آخر و ثانيا من تجويزه التناسخ و إسناده إياه إلى من ينكره أشد نكر، س ره

٣- و هو ما قاله التناسخيه من أن يتعلق النفس بعد مفارقتها عن جسده إلى الجنين - الذى فى رحم حيوان مثلا، س ره

٤- أى استحاله التناسخ، س ره

٥- أى كون الفلك موضوعا لتخيل النفس تدل على أنه شاك في استحاله التناسخ - لأن هذه الموضوعيه بكونها نفسا له، س ره

فى هذا الأصل و لم يقم عنده برهان عليه و لو كان محالا عنده لما وصف قائله بأنه لا يجازف فى الكلام بل أى مجازفه تزيد على القول بالمحال.

و ربما يقول قائل إن ذلك إنما ذكره على سبيل المجامله و التقيه و إلا فقد ذكر فى مسأله التناسخ من كتاب النفس استحاله تناسخ الأبدان لنفس واحده و ذلك بعينه دليل إبطال الحشر للأجساد.

فنقول ما ذكره فى استحاله التناسخ أيضا ليس ببرهان محقق فإنه قال لو عادت النفس جسدا و استعد للقبول لفاضت إليه نفس من واهب الصور فإن المستعد يستحق بذاته قبول الصورة فيؤدى إلى أن يفيض إليه نفس و يتعلق به النفس المستنسخه فيجتمع نفسان لبدن واحد و هو محال هذا ما ذكره و يمكن أن يستعمل فى إعاده حشر الأجساد- لكنه دليل ضعيف إذ يقال يجوز أن يختلف الاستعدادات فيكون للماده من الاستعدادات ما يناسب المفارقة الموجوده من قبل حتى يختص بتدبيرها و لا يحتاج إلى إفاضه نفس جديده فإنه لو استعدت فى الأرحام نطفتان لقبول النفس فى حاله واحده- فاضت إليهما نفسان من واهب الصور و اختص كل واحد منهما بنفس و ليس اختصاصه بالحلول (١) فيه فإن النفس لا تحل فى الجسد حلول الأعراض لكن اختصاص النفس بأحد الجسمين لمناسبه بينهما فى الأوصاف فى أحد المستعدين اختصاص إحدى النفسين دون الأخرى فإذا جاز هذا التخصيص فى النفسين المتماثلتين فلم لا- يجوز فى النفوس المفارقة- فإذا توفر على المستعد حقه من النفوس المفارقة المناسبه (٢) له لم لا يفيض إليه نفس جديده من واهب الصور و لتقرير هذا الكلام عرض لست أخوض فيه و إنما المقصود بيان أن من أنكر حشر الأجساد لا برهان معه انتهت عبارته.

١- إذ لو كان بالحلول و وجود الحال عين وجوده للمحل لم يكن لها استقلال- حتى يقال لها نسبه و نسبتها إليهما على السواء بخلاف ما إذا كانت مجردة، س ره

٢- لو كانت العبارة هكذا فإذا توفر على المستعد حقه من النفوس المفارقة المناسبه له لا يفيض إليه نفس جديده من واهب الصور و لا يفيض لاستقام و حقه منصوب على أنه مفعول للمستعد و من فى من النفوس تبعيضية و المصدر فاعل توفر و الضمير المجرور فى له للحق- و لا يفيض إلى آخره جزاء الشرط فافهم، ن ره

أقول بطلان التناسخ مبرهن عليه كما مر بيانه و أما ما جوزة الشيخ و نقله ممن يعتقد أنه من العلماء الذين لا يجازفون فليس إلا كون بعض الأجرام السماويه موضوعا(١) لتخيل النفس و صرح بأن هذا التعلق ليس بأن يصير ذلك الجوهر النفساني المفارق عن البدن نفسا لذلك الجرم و إلا لزم كون ذلك الجرم الفلكي ذا نفسين و هذا أمر محال في نفسه و عند التناسخيه(٢) أيضا فإن القائلين بالتناسخ فكيف جوز مثل الشيخ أمرا لم يجوزه أحد من العقلاء و أما الذي قررناه و ألزمناه عليه فذلك حديث آخر و هو مسلكت عميق دقيق و منهج يمكن الدهول عنه لأكثر العقلاء.

و أما ما تفصى به عن محاليه التناسخ من اختلاف الاستعدادات فلا فائده فيه في دفع المفسده بل يؤكد لزومها(٣) كما يظهر عند التأمل فإن الواقف بالقوانين العقلية يعلم

١- أى مظهرها لتمثل مألوفاتها و مرغوباتها، س ره

٢- إذ ليس التناسخ انتقال النفس بعد المفارقة عن البدن بالموت إلى البدن الحى و إلا لاجتمع نفسان لبدن واحد بل هو انتقال النفس بعدها إلى المواد المستعده المستدعيه بلسان استعدادها لها إلى الأجنه التى فى أرحام الأمهات الحيوانيه الطالبه إياها فكيف يجوز الشيخ انتقال النفس إلى الجسم الحى الفلكي الذى له نفس جزئيه منطبعه و نفس كليه عاقله حاشا عن ذلك نعم مذهب بعض الحكماء أن نفوس الأفلاك تستكمل و بعد قرون تلحق بعالم العقول و تصعد النفوس المستكملة الأرضيه إلى الأفلاك بدلا عنها ثم بعد ما استكملت هناك و التحقت بعالم العقول صعدت طائفه أخرى من النفوس و هكذا و هذا تناسخ، س ره

٣- أى ما ذكره من أن لكل استعداد مخصوص المستعد له المخصوص هو عليه لا له إذ ليس للتراب و الرماد و نحوهما استعداد النفس الناطقه الإنسانيه إذ الطبيعه ما لم تستوف فى الماده كمالات النوع الأخس لم تتخط بها إلى النوع الأشرف و فى حصول كل صوره مستعد له لا بد من مستعد و استعداد و ما به الاستعداد فالمنى لا يستعد للمضغه إلا إذا اكتسى ما به الاستعداد و هو صوره العلقه و كذا لا يستعد للجنين بالمضغه- فالمستعد و إن كان فى كل موضع هو الماده إلا أن ما به الاستعداد غيرها و هذا ما قال قدس سره و لا- تستعد لفيضان صوره إلا عند تلبسه بصوره سابقه إلخ فالأجزاء الترابيه كيف تتعلق بها النفس الناطقه المفارقة و لم تتخط إلى مقام الحيوانيه و لم يتلبس أولا بأقرب صوره إليها، س ره

أن المادة لا- تتهياً ولا تستعد لفيضان صورته إلا عند تلبسه بصوره سابقه مقومه لها هي المعده لللاحقه و تلك الصوره السابقه أقرب الأشياء إلى الصوره اللاحقه فالماده المستعده للنفس لا- تستعدها إلا- بعد استيفائها جميع المراتب الصوريه التي تحتها بالقابليه والاستعداد وهذا شىء مطابق للبرهان معتضد بالتجربه والوجدان فعلى هذا كان تحقيق البعث و الحشر للأبدان أصعب و أشكل فباب الوصول إلى معرفه المعاد الجسماني مسدود إلا على من سلك منهجنا و ذهب فى طريقتنا و هو طريق أهل الله و الراسخين فى العلم و الإيمان الجامعين بين الكشف و البرهان المقتبسين نور الحكمة من مشكاة النبوه و الله ذو الفضل العظيم

و منها أن الإعاده لا لغرض عبث و جزاف لا يليق بالحكيم

إشاره

و الغرض إن كان عائداً إليه كان نقصاً له فيجب تنزيهه عنه و إن كان عائداً إلى العبد لزم العجز و خلاف الحكمة و العدالة فإن ذلك الغرض إن كان إيصال ألم فهو غير لائق بالحكيم العادل فكيف عن خالق الحكمة و العدل و إن كان إيصال لذه فاللذات سيما الحسيات دفع آلام فإن أكل الطعام و إن كان حسناً لذياً لا يلتذ به من كان ممتلئاً شبعاً و إنما يستلذه الجائع و كذا سائر اللذات الحسيه فإن (١) العلماء و الأطباء بينوا و قرروا- أنها دفع الآلام فلزم أنه تعالى يؤلم العبد أولاً حتى يوصل إليه لذه حسيه و ذلك أيضاً لا يليق بالحكيم العادل و كيف يليق به أن يؤلم أولاً أحداً ليدفع عنه هذا و من ذا الذى يريد إحساناً بأحد فيقطع بعض أعضائه و يجرحه ثم يضع عليه المراهم ليلتذ بها

١- عبر بصيغه الجمع المعرف باللام المفيده للعموم و هذا معروف من محمد بن زكريا و هو قول خطابى لائق بالخطباء و رفع الألم عدم و العدم لا تأثير فيه فكيف يكون ملذاً و المغالطه من باب اشتباه ما بالعرض بما بالذات إذ فى بعض مواضع اللذه- ثبوت و سلب لازم و تخليه و تحليه و لذه النظر إلى الوجه الجميل أولاً من غير مسبقه بالفراق و كذا استماع الصوت الحسن و استشمام الطيب و استيذاق الحلاوى و لمس نعومه البدن من غير سبق الاشتياق إليها وجوديات و لا رفع ألم فيها كيف و الحق تعالى أجل مبتهج بذاته و حقيقه الالتذاذ متحققه فيه و إن كان لفظه توقيفياً و لا عدم و لا ألم و كذا فى المجردات من العقول الكليه المتصله بالحق تعالى، س ره

و الأشاعره أجابوا عن هذا بمنعهم لزوم الغرض فى أفعال الله وقبح الخلو عنه- ثم بمنع كون الغرض منحصرًا فى إيصال اللذه و الألم ثم بمنع كون اللذه دفعا للألم- ثم بمنع كون اللذات الأخرويه كالدينويه حتى يستلزم كونها أيضا دفع آلام كهذه.

و أجابت المعتزله عنه بأن الغرض(١) فى المعاد نيل الجزاء و ظهور صدق الأنبياء- أقول قد عرفت الفرق بين الغرض و الضرورى و أن للأفعال غايات طبيعیه و لوازم ضروريه و أن الموت هو الانتقال من هذه النشأه إلى نشأه أخرى فوقها و أن اللذات الأخرويه و مقابلها من الآلام هى مما كسبته أو اكتسبته أيدى النفوس إرادته أو عاده- فلحقته اللوازم و التبعات و الله تعالى منزّه عن حسن طاعه المطيعين و قبح سيئه المسيئين- و ليس فعل الله فى عبادته من إثابه أهل الثواب و عقوبه أهل العقاب يضاهى أفعال الملوك و السلاطين لأنهم ذوى أغراض و حاجات فينفعلون من أفعال أصدقائهم و أعدائهم- فيكرمون صديقهم طلبا للكرامه و تخلصا من الدناءه و ينتقمون من عدوهم تشفيا من الغيظ و إنما يضاهى فعله تعالى فعل الطبيب فى المرضى أمر بالاحتماء و تناول الدواء- و نهى عن ترك الاحتماء و فعل ما يزيد فى الداء فمن أطاع أمره خلص و نجا و من تمرد هلك و هوى و هو فارغ من إطاعه المريض و تعصيه فكذلك النفوس فى هذا العالم بمنزله المرضى و الأرض دار المرض و الأنبياء هم الأطباء المبعوثون من قبل الله- فمنهم من أطاع و منهم من عصى و الله برىء من المشركين و رسوله و قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ثم نقول لذات الآخرة و آلامها ليست من مقوله لذات الدنيا و آلامها حتى يكون لذاتها دفع الآلام كما فى الدنيا فإن هذه اللذات الدينويه كلها انفعالات للنفس بما يرد عليها من الخارج و يؤثر فيها بخلاف اللذات الأخرويه فإنها ابتهاجات للنفس(٢) بذاتها و بلوازمها و أفعالها من حيث

١- كلاهما ضعيف أما الأول فلأن الجزاء إلى إلذاذ أو إيلاء و تعرض المشكك لهما و أما الثانى فمصادره إذ على الشبهه لا وجه للوعد و الوعيد حتى يحتاج إلى إظهار الصدق، س ره

٢- أى مكتفيه بذاتها و باطن ذاتها فى جميع ما يشاء و يختار فالمبهج و المبتهج و الموحش و المتوحش محلها واحد و ليس هناك شىء خارج عن صقع النفس فلا تنفعل عن أمر خارج و هذا بوجه كما يقوله المشاءون فى الصور العلميه للأول تعالى إنه لا ينفعل عنها لأنها ليست من غيره تترشح على ذاته و لا بمدخله ذوات الصور الخارجيه كما فى صورنا العلميه تترشح علينا الآن من العقل الفعال بإعداد المعلومات بالعرض، س ره

إنها أفعالها و لما كان الفعل و الانفعال مقولتان مختلفتان لا اشتراك لهما فى أمر ذاتى - فكذا اللذه الفعلية غير اللذه الانفعالية فى الجنس و الحد فلا- مجانسه بينهما فلا- يقاس إحداهما بالأ-خرى ففى الجنه جميع الملاذ النفسانية على وجه الكمال فللمشاعر الحسيه كلها لذات على وجه أعلى و أتم و أشرف مبناها على ترك هذه اللذات الفانيه- التى إذا أمعن فيها ينقلب هناك بعينها آلام و مؤذيات فينبغى للإنسان أن يلطف نفسه و يصفى جوهره و يزهّد فى الدنيا و يحصل هاهنا قوه إدراك الخيرات و الشوق إلى نيل السعادات الباقيات حتى إذا خرج من القوه إلى الفعل و انتقل من النقص إلى الكمال- و برز من الأغشيه و القشور و الأجداث و القبور و يحصل له ما فى الصدور و كان جميع ما يتمناه و يهواه حاضرا لديه و متمثلا بين يديه بل ليس فى قيامه للنفوس إلا- ما قصده و نوته فإن كان مقصودها و مناهها أمورا صحيحة حقه فازت بها فوزا عظيما- و إن كانت أمورا زائلة مستحيله من باب المقاصد الدنيويه و المطالب الشهويه و الغضبيه و العقائد الوهميه الشيطانيه فأنتها فانفسخت صورتها و اضمحلت مادتها و بقيت الحسره و الندامه و الغصه و العذاب الأليم لأجل الركون إليها و الاعتياد بها و أنت تعلم أن الدنيا(١) و ما فيها مضمحلّه فى جنبه الآخره اضمحلال الجمد و ذوبان الثلج عند طلوع

١- فما استأنس أهل الدنيا من الجزئيات الدائره لم يبق و ما هو باق من عالم الأمر و من له الأمر و الخلق لم يستأنسوا به. إن قلت مألوفاتهم و إن لم تبق لكن صورها باقيه فى خيالهم فلهم التسليه بها و الالتذاذ بسببها. قلت لا- يتمكنون من تخيلها لوجهين أحدهما شدة الأهوال و فضاءه الأحوال- و ثانيهما أن لذائذ الدنيا تنقلب مؤذيات هناك فإن أكل مال اليتيم ظلما ينقلب هناك إلى أكل النار و أكل الموائد حراما فى الباطن أكل الزقوم و الضريع و هذا كانقلاب سنى المجاعه و سنى الرخاء إلى بقرات عجاف و بقرات سمان فى الرؤيا كما فى الكتاب الإلهى و قد مر فهناك فى حس من أكل فى الدنيا أموال اليتامى ظلما و فى خياله ليس إلا أكل النار، س ره

الشمس و سلطان نورها و شدة حرارتها و حال أهل الدنيا و استيناسها بالشهوات الدنيوية بعينها كحال الخفافيش و استيناسها بظلمات الليل فإذا طلعت شمس الآخرة عند صباح القيامة - بعد غروبها في أفق الأجسام الكائنة في ليل الدنيا يلحقهم من التوحش و الاضطراب مثال ما يلحق الخفافيش و الغرض من هذا التمثيل زيادة الوضوح و الانكشاف أو تفهيم العقول الضعيفة القاصرة عن درك حقائق الأ-كوان و النشئات و إلا - فالدعوى ثابتة بالبرهان غير محتاج إلى التمثيل و كذلك جميع الأمثال الواردة (١) في القرآن و لسان النبوة الغرض فيها تنبيه النفوس العامية عن أحوال الآخرة كما قال تعالى وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ و لعل الغرض للحكماء الكاملين من وضع باب التمثيل في كتبهم المنطقية - أنما كان لضعفاء العقول الذين لا يمكنهم إدراك روح المعنى و حقيقته إلا في قالب محسوس محاك لها فإن كلا من أشخاص الحقيقة الإنسانية مثال محسوس مطابق لها و كذلك جميع المحسوسات الطبيعية مثل و أشباح لأنواعها العقلية و كذلك الدنيا و ما فيها مثال الآخرة و ما فيها فإن العوالم متطابقة متحاذاة و من أراد تعريف نشأة أخرى - لمن لم يصبر بعد من أهلها و لم يتجاوز عن نشأته التي تكون فيها فلا يمكن ذلك إلا بوجه التمثيل و لأجل ذلك بناء الشرائع الحققة لكونها نازلة لعامة الناس على باب التمثيلات.

ردع و تفريع:

إن من الفلاسفة الإسلاميين من فتح على قلبه باب التأويل فكان يأول الآيات الصريحة في حشر الأجسام و يصرف الأحكام الأخروية على الجسمانيات إلى الروحانيات قائلا أن الخطاب للعامة و أجلاف العرب

١- لأن العامي الجاهل ليس إلا الحس و الخيال و الوهم فلو لم يصل إليها قوتها من التمثيل لم تطمئن بل لو كان هنا عقل و لم يصل إليها قوت يناسبها من التمثيلات لاختصمت - و نازعت العقل في إدراك المعقول، س ره

و العبرانيين و هم لا- يعرفون الروحانيات و اللسان العربى مشحون بالمجازات و الاستعارات- و العجب منه كيف غفل كجمهور الفلاسفه عن وجود عالم آخر جسمانى فيه أجسام و إشكال أخرويه مع أعراضها كما قررناه ثم كيف حمل الآيات القرآنيه الناصه الصريحه- فى أحوال المعاد الجسمانى على الأمور العقليه مع تصديقه للرسول و إيمانه بما فى القرآن.

و فيه مبالغات و تأكيدات لما ذكرناه أقول منشأ ذلك أنه عجز عن إثبات هذا المقصد بالدليل العقلى و كذا عن إمكانه لغايه غموضه كما يظهر لمن تدبر فيما قررناه فاضطر إلى التأويل كما وقع لغيره- من علماء الإسلام فى كثير من الآيات الوارده فى أحوال المبدإ الظاهره فى التشبيه و التجسيم فما فعله لا يوجب التكفير^(١) كما لا يوجب فيما فعله غيره.

و أما ما أورده عليه بعض المتأخرين من أن الأمر فى باب المعاد و لو كان كما زعمه يلزم أن يكون هادى الخلائق و الداعى لهم إلى الحق مضلا لهم و مقرررا لأكاذيب- فإن الأجلاف و العبرانيين كما قال لا يفهمون من هذه الألفاظ إلا الظواهر التى زعم أنها غير مقصوده و هذا كما ترى مخالف للهدايه فالاعتقاد به مناف لدعوى الإيمان- بصدق الرسول و حقيقه القرآن.

فأقول فيه نظر من وجهين الأول أن القرآن يشتمل على المنافع^(٢) الدنيويه و الأخرويه متاعا لكم و لأنعامكم و لا يلزم أن يعود منفعتة الأخرويه إلى أهل الجلاسه و القسوه بل المنافع الأخرويه يختص بنيلها أهل الصفوه و انشراح الصدر و هؤلاء الحمقى بمعزل عن الهدايه و الضلال جميعا كما قال تعالى وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ الْآيَه.

و الثانى أن هذه الظواهر المذكوره فى القرآن لو لم يكن أمثالا و حكايات فيها

١- لأنه بصدد الإذعان بما جاء به و استفترغ الوسع و عقد القلب على التأويل بل ٢١٥ الغزالى قال لكل شىء من الموعودات فى الشرع وجودات خمس الذاتى و العقلى و الخيالى و الحسى و الشبهى فكل من قال فى شىء من الموعودات بواحد منها حتى الشبهى لا يجوز تكفيره و هو مؤمن إنما الكافر من قال لا معنى له و أنكره مطلقا، س ره

٢- كأحكام المعاملات و المناكح و المواريث و نظيرها، س ره

تصوير الحقائق و تمثيل الأمور الأخرويه لكان الأمر كما ذكره لكن المقصود منها تمثيل الحقائق و تصوير النشأ الباقية فلا يلزم ما ذكره و إلا فجميع باب التمثيل - يلزم أن يكون إضلالا.

و منها ما تشبث به أكثر الطبيعيين و الدهريين

المتشبهين بالفلاسفه أن حدوث الإنسان و غيره من المركبات العنصريه لا يكون إلا من الأسباب السماويه و القوابل الأرضيه و بإعداد حركات فلكيه و استحاللات ماديه و انقلابات زمانيه تحتاج إلى مضي أزمنه و دهور كثيره- لأن هذا مبلغهم من العلم حيث لم يرتفع نظرهم من هذه النشأ الطبيعيه إلى نشأ أخرى يحصل الأشياء الصوريه فيها بمجرد الأسباب الفاعليه لا- جرم أنكروا طريق الوجود و الإيجاد إلا- على نهج التحريك و الإعداد للاستعداد و لو يعلموا الفرق أيضا بين الوجودين اللذين للإنسان ففاسوا الفطره الثانيه بالفطره الأولى فى جميع الأحكام و قد نبه الله تعالى فى كثير من الآيات القرآنيه على أن إنشاء الآخره و إيجاد الأمور الأخرويه على وجه الإعاده كإيجاد هذا العالم فى الابتداء بمحض إفاضه الله تعالى كقوله كما يَدُّنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ فَكَمَا أَنْ جُود الْأَفْلَاكِ وَ الْكَوَاكِبِ وَ الْأَرْكَانِ لَيْسَ بِحَرْكِهِ وَ زَمَانٍ وَ اسْتِعْدَادٍ وَ إِعْدَادٍ- لأسباب قابليه بل بعنايه ربانيه فكذلك حكم النشأ الأخرويه لأن الموجودات هناك صورته مستقلة الوجود بلا ماده فليس لها من الأسباب إلا واهب الصور و الصور هناك قائمه بالفاعل لا بالقابل كما مر مرارا.

و منها أن الحشر و بعث الأبدان إما أن يقع لبعضها أو لجميعها

فالأول ترجيح من غير مرجح لأن استحقاق الثواب و العقاب مشترك بين الناس أجمعين فلا وجه لبعث البعض دون البعض و الثانى يوجب التزاحم المكانى لأجساد الناس و حسابهم و كتابهم- و إليه الإشاره بقوله تعالى أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ فأزال الله تعالى هذا الاستبعاد و الاستنكار بقوله تعليما لنبه ص قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ فنبه تعالى (١) عباده بأن لا تزاحم بين الأجساد فى نحو الوجود الأخروى لما

١- إن قلت ظاهر الآيه لم يرفع الاستبعاد- قلت بل رفعه بقوله يوم معلوم فإنه يوم دهرى لا زمانى فإن الزمانى ليس علما و معلوما بالذات إنما هو علم كالماديات باعتبار تجليه بصور معلومه بالذات فهذا كقوله تعالى ما نُزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ، س ره

ذكرناه أن الصور هناك غير قائمه بالمواد الوضعيه المقيده بالجهات المكانية و أنها ناشئه من تصورات نفسانيه كما لا تترحم في الصور الموجوده في أذهاننا هاهنا لأن لها نحو آخر من الكون و كذا ميقات الآخره و ساعه القيامه يوم معلوم عند الله و خواص عباد- لا يصل إلى إدراكه أفهام المحجوبين عن النشأ الآخره المقيدين بإمكانه الدنيا و أزمنتها- و ليس يصلح لإدراك أمور الآخره هذه المشاعر و الحواس فإن أمور القيامه كلها أسرار- غائبه عن هذا العالم البشرى فلا يتصور أن يحيط بها إنسان ما دام في الدنيا و لم يتخلص عن أسر الحواس و تغليظ الوهم و لذلك أكثر شبه المنكرين للبعث مبناها على قياس الآخره بالأولى و قول المنكرين متى هذا الوعيدُ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ* سؤال عما يستحيل الجواب عنه عن [على خ] موجه فإن أمر الساعه إذا كان خارجا عن سلسله الزمان و كان على شبه الإبداع كلمح البصر أو هو أقرب و كان متى سؤالا عن الزمان المخصوص استحالة جواب السائل عنه إلا بشيء مجمل و هو أن علمه عند الله كقول الأكمه إذا وصفنا له المبصرات المتلونه فقال كيف يدرك هذه الألوان فالجواب الحق من ذلك أن يقال له العلم بها عند البصر فالجواب الحق من الكفار و أصحاب الحجاب عن سؤالهم عن وقت قيام الساعه أن يقال لهم الجواب الإلهي قل علمها عند الله و عنده علم الساعه فمن تجرد عن غشاوه الدنيا و رجع إلى الله(١) و حشر عنده

١- أى رجع و حشر إليه الآن بأن يفنى في الله و يبقى به فهو بصورته في الدنيا و بمعناه عند الله و عنده علم الساعه هذا بحسب جزئيه الصورى و المعنوى و أما بحسب المكان فجسده هنا و روحه في الجبروت أو اللاهوت و كذا بحسب الزمان جسمه الطبيعى في الزمان- و روحه في الدهر الأيمن الأعلى بل معناه في السرمد كما قالوا إن نسبه الثابت إلى الثابت سرمد و من هنا ٢١٧ قال المولوى- «با زبان حال میگفتی بسی که ز محشر حشر را پرسد کسی فکل ما يبرز هناك صورته ما هاهنا و المعرفه بذر المشاهد هو مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى». هر که امروز معاینه رخ دوست ندید طفل راهیست که او منتظر فردا شد، س ر ه

فلا- بد أن يعرف حقيقه الساعه بالضروره و لذلك قال أعلم الخلق لا تقوم الساعه و فى وجه الأرض من يقول الله الله فإن من كان بعد(١) على وجه الأرض لم يحشر بعد إلى الله- لأن القيامة من داخل حجب السماوات و الأرض و منزلتها من هذا العالم منزله الجنين من بطن الأم فالنفس الإنسانية ما دام لم تولد ولاده ثانيه و لم تخرج عن بطن الدنيا- و مشيمه البدن لم تصل إلى فضاء الآخرة و ملكوت السماوات و الأرض

كما قال المسيح ع: لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين

و هذه الولاده الثانيه حاصله للعرفاء الكاملين بالموت الإرادى و لغيرهم بالموت الطبيعى فما دام السالك خارج حجب السماوات و الأرض فلا تقوم له القيامة لأنها داخل هذه الحجب و إنما الله داخل الحجب و الله عنده غيب السماوات و الأرض و عنده علم الساعه فإذا قطع السالك فى سلوكه هذه الحجب- و تبجح حضره(٢) العنديه صار سر القيامة عنده علانيه و علمه عينا

فصل (٤) فى القبر الحقيقى و أنه روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النيران

فى القبر الحقيقى(٣) و أنه روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النيران قد علمت أن الموت حق و أن الطبيعى منه نهايه الرجوع عن الدنيا و ابتداء الرجوع إلى الله فاعلم أن الروح إذا فارقت البدن الطبيعى مع بقاء تعلق ما لها

-
- ١- أى أرض البدن أو أرض القابليه متوجها إليهما و أيضا ما دام هنا ذاكر و مذكور لا تقوم، س ره
 - ٢- مأخوذه من قوله تعالىفى مَقْعِدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ فمقام العنديه نعم البدل للوقوف عند البدن و الإخلاق إلى الأرض، س ره

٣- اعلم أن القبر أقسام أحدها القبر للنفس و هو البدن كما قيل جانهاى مرده اندر گور تن. و ثانيها القبر المادى المعهود بين الجمهور للبدن. و ثالثها و هو أيضا للبدن القبر الصورى المشار إليه بقوله قدس سره فيتخيل ذاتها إلى قوله و تجد بدنها فى القبر. و رابعها و هو للنفس الهيئات المحيطه بالإنسان و الضغطة أنما هى فى هيئات الشواغل الدنيويه الحاده للنفس و الظلمه ظلمه المعاصى و الجهالات فإن العلم هو النور. و خامسها لأهل التجرد و هو عالم الجبروت فقبورهم و مزاراتهم التى يزورها الملائكه المقربون و يحفون بها هناك، س ره

بالبدن لا بأجزاء ماديته كما زعمه جمع من المتأخرين لما مر بطلانه غير مره بل بجمله بدنه من حيث صورته و هيئه هيكله الباقية في ذكره فإن النفس إذا فارقت البدن و حملت القوه (١) الوهميه المدركه للمعانى الجزئيه بذاتها و للصور الجسمانيه باستخدام الخيال و قد علمت من طريقنا استقلال القوه الخياليه فى الوجود و أنها باقيه بعد البدن- و إنما حاجتها إلى هذا البدن الكائن المادى فى الابتداء لا فى البقاء فهى عند المفارقة مدركه للجزئيات و الماديات بصورهما كما كانت مدركه فى الدنيا فإذا مات الإنسان فيتخيل ذاتها مفارقة عن الدنيا و يتوهم عين الإنسان الميت و المقبور الذى مات على صورته و تجد بدنها فى القبر و تدرك الآلام الواصله إليه على سبيل العقوبات الحسيه على ما وردت به الشرائع الحقه فهذا عذاب القبر و إن كانت سعيده تخيلت الموائد الشرعيه على صورته ملاءمه على وفق ما كانت تعتقده من الجنات و الأنهار و الحدائق و الولدان و الحور العين- و الكأس من المعين فهذا ثواب القبر

كما قال ص: القبر إما روضه من رياض الجنه- أو حفره من حفر النيران

فالقبر الحقيقى هذه (٢) الهيئات و عذاب القبر و ثوابه ما ذكرناه- و البعث عبارته عن خروج النفس عن غبار هذه الهيئات كما يخرج الجنين من القرار المكين- و الفرق بين حاله القبر و حاله البعث كالفرق بين حالتى الإنسان فى الرحم و عند الخروج منه فإن حاله القبر أنموذج من أحوال القيامة فإن الإنسان لكونه (٣) قريب العهد

-
- ١- أراد دفع ما استشكل به القائلون بالمعاد الروحاني من أن القوى الجزئيه ماديته تفسد بفساد البدن و تبقى العاقله و هى لا تدرك الجزئيات بأن القوى الجزئيه لها تجرد برزخى فتبقى و تشايح النفس أينما ذهبت فتتخيل و تتوهم و تحس، س ره
 - ٢- أى التى هى أظلال الهيئات النوريه أو الظلمانيه التى كانت للنفس فى الدنيا من الأعمال و العلوم الحسنه و النوريه أو الشواغل الضاغطة و المضيقه المحدوده، س ره
 - ٣- فالصور الأخرويّه بعينها هى الصور البرزخيه و لا تغاير بالذات بل التغاير بالشده و الضعف و التمام و النقصان و بشده التوجه و ضعفه و كان الإنسان فى البرزخ متوجه إلى القفا و فى صور الآخره صارت الدنيا نسيا منسيا و هو شديد الإقبال على الصور الأخرويّه- و من هنا البرزخ منام و الدنيا منام فى منام، س ره

من الدنيا لم يستحكم في نفسه قوه انكشاف الآخرة على وجه الكمال كما لم يستحكم في الجنين قوه الإحساس بالمحسوسات فما دامت النفس حالها على هذا المنوال من الضعف وإدراكه كإدراك النائم يقال إنها في عالم القبر والبرزخ وإذا اشتدت قوتها قامت قيامتها والذي يوضح لك كيفية ضغطه القبر وإن كان جسد الميت ساكناً أو كان في الهواء- أو الماء أن من كان في ضيق شديد أو تفرق اتصال بالنار وغيرها أو وقع بين حجرين عظيمين- فإن الذي يؤلمه و يؤثر في نفسه بالذات ليس هذه الأمور الواقعة على بدنه بل صورتها الواصلة إلى نفسه لعلاقته لها مع البدن حتى أنه لو فرض حصول تلك الصور إلى النفس- من سبيل آخر لا من جهة هذه الأسباب المادية لكان التأثير بحالها ما دامت النفس ذات علاقته بهذا البدن سواء كان البدن بعينه باقياً أم لا فضغطه القبر وعذابه من هذا القبيل الذي ذكرناه وكذلك ثوابه وراحته فسعه القبر وضيقه تابعان لانشرائح الصدر وضيقه

فصل (٥) في الإشارة إلى عذاب القبر

قال بعض العلماء كل من شاهد بنور البصيره باطنه في الدنيا لرآه مشحوناً بأنواع المؤذيات والسباع كالشهوة (١) والغضب والمكر والحسد والحقد والعجب والرياء وهي التي لا تزال تفتتسه وتنهشه إن سها عنها بلحظه إلا أن أكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف عنه الغطاء ووضع في قبره عاينها وقد تمثلت بصورها وأشكالها الموافقه لمعانيتها فيرى بعينه العقارب والحيات قد أهدقت به وإنما هي ملكاته وصفاته الحاضره الآن في نفسه وقد انكشف له صورها الباطنيه الحقيقه فإن لكل معنى صورته يناسبها فهذا عذاب القبر إن كان شقياً وإن كان سعيداً كان بخلافه

١- فالشهوة كخزير والغضب كسبع والمكر كشيطان والإنسان الطبيعي المطيع لها كمن شد الوسط وشمز الذيل لعبادتها وامتثال أوامرها وتمشيها مقاصدها والحال أن الله تعالى قال لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ وَقَالَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ، س ره

فصل (٦) فى الأمر الباقي من الإنسان

قد أشرنا إلى أن النفس إذا فارقت البدن بقى لها من البدن أمر ضعيف الوجود- فوقع فى روايه الحديث النبوى التعبير عنه بعجب الذنب و اختلفت العلماء فى معناه فقل- هو العقل الهولانى و قيل بل الهولوى و قال أبو حامد الغزالى إنما هو النفس(١) و عليها تنشأ النشأ الآخره و قال أبو يزيد الوقواقى هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأ لا يتغير و قال الشيخ العربى فى الفتوحات إنه العين الثابت من الإنسان و قال المتكلمون إنه الأجزاء الأصلية و عندنا القوه الخياليه لأنها آخر الأكوان الحاصله فى الإنسان من القوى الطبيعیه و النباتيه و الحيوانيه المتعاقبه فى الحدوث للماده الإنسانیه فى هذا العالم- و هى أول الأكوان الحاصله له فى النشأ الآخره و بيان ذلك أن شيئا من أشياء الدنيا- و موادها و صورها و قواها لا يمكن أن ينتقل بعينه و شخصه من هذه الدنيا إلى عالم الآخره إلا- بعد تحولات و تكوينات فالإنسان لا يستعد للحشر إلا بقوه كمالیه هى صورته أخيره للطبائع الكونیه و الصور الهولانيه و هى العنصريه و الجماديه و النباتيه- و الحيوانيه اللمسيه أولا ثم الذوقيه ثم الشميه إلى السمييه و البصريه فإنه إذا حدث الإنسان فأول ما يحدث فيه بعد العنصريه و الجماديه قوه بها يغتذى و هى القوه الغاذيه ثم من بعد ذلك القوه التى بها يحس الملموس و هى أوائل الكيفيات المحسوسه- مثل الحراره و البروده و غيرهما ثم التى بها يحس الطعوم ثم التى بها يحس الروائح ثم التى بها يحس الأصوات و التى بها يحس الألوان و المبصرات كلها مثل

١- أى المرتبه الأولى منها فيرجع إلى العقل الهولانى إذ لا بد أن يراعى أمران فى معناه. أحدهما البقاء و عدم الدثور و البلاء. و ثانيهما العجزيه و لذا اعتبر المصنف قدس سره فى المعنى الذى رجحه و هو القوه الخياليه أنها صورته أخيره للطبائع الكونيه، س

الشعاعات و يحدث مع الحواس القوه النزوعيه التى بها يقع الاشتياق و الكراهه ثم ينتهى إلى قوه من شأنها أن يرتسم عندها مثل المحسوسات الخمسه الخارجيه بعد غيبتها عن مشاهده الحواس محفوزه عندها عن البطالان و الفساد و إن بطلت أو فسدت موادها الخارجيه التى هى بمنزله الأبدان لها لأن نشأتها غير نشأ صورها المحفوزه عند الخيال- كما أن نشأ بدن الإنسان غير نشأ روحها الباقية بعد فساد هذه القوه الحافظه لمثل المحسوسات الخارجيه هى الباقية من الإنسان بعد خراب البدن فتصلح لأن تقوم عليها النشأ الآخره لأنها صوره الصور الدنيويه و الكمال الأخير لهذه الكمالات المتعاقبه- و هى الماده الأولى للصور و الكمالات الأخريه المتفاضله فى الشرف و الدنو من المبدإ الفعال فهى من شأنها أن تكون برزخا متوسطا جامعا بين الدنيا والآخره و تكون سقف الدنيا و فرش الآخره

فصل (٧) فى ماده الآخره و هيولى صورها الباقية

اشاره

اعلم أن كل هيولى هى ألطف وجودا فهى أسرع قبولاً للصوره و أيضا كل هيولى هى أبسط جوهرًا و أشد روحانيه فهى أشرف صوره و كما لما سبق من أن التركيب بين الماده و صورتها تركيب (١) اتحادى كالتركيب بين الجنس و الفصل فلا بد أن يكون بينهما مناسبه قويه موجه للاتحاد و لنوضح ذلك بمثال أ لا ترى أن الماء العذب لما كان جوهره ألطف من جوهر التراب صار أسرع انفعالا- و أحسن قبولاً- من التراب لكل ما يقبله من الأشكال و الأصباغ و الطعوم و غيرها و هكذا لما كان الهواء ألطف منهما- و أشرف و أشد سيلانا صار أسرع انفعالا و أسهل قبولاً لما يقبله و جميع مقبولاته أشرف و ألطف من مقبولات الأرض و الماء و هى الروائح و الأصوات و هكذا الشعاع (٢)

١- و لو كان انضماميا أيضا لزم السنخيه و المناسبه و لا يتوقف على الاتحاد، س ره

٢- أى من مقبولات الهواء و الضمير البارز فى قبوله و المستتر فى يقبله فى الموضعين للهواء لكن الألوان لا يلائمه و الظاهر أنه كان بدل الألوان الأنوار فليس المراد بقوله- و هكذا الشعاع أنه الماده القابله مع أنه ينافى هذا لفظ الثلاثه، س ره

و الضياء يكون قبوله لما يقبله فى أسرع زمان بل فى آن و ما يقبله من الألوان و الأشكال- هى أشد روحانيه و قربا من عالم الروحانيات و كذا الروح النفسانى المنبعث من تجويف القلب الصاعد إلى تجويف الدماغ هو ألطف و أشرف مما سبق من المذكورات الثلاثه- فيقبل جميع ما قبلتها الثلاثه من الكيفيات و الطعوم و الروائح و الألوان على وجه ألطف و أشرف و إلى هاهنا تنتهى لطافه المواد (١) الجسمانيه الطبيعيه و هذا أيضا باب يخفى (٢) على كثير من الناظرين فى العلوم فلا يصرفون أعمال رؤيتهم فيه و لا- ينظرون بعين التأمل و الاعتبار حتى ينكشف لهم أن جوهر النفس له مراتب متفاوتة فى قوه الوجود و ضعفه و كمال اللطافه و نقصها و أن أدنى مراتب اللطافه فى النفس هو أشد بكثير من لطافه جوهر النور الحسى و لذلك يقبل رسوم سائر المحسوسات و المتخيلات و المعقولات عند تكونها فى مراتب أنوار الحس و الخيال و العقل فأول ماده تقبل النشأ الآخره هى القوه الخياليه من النفس فيتمثل لها و تقوم بها أمثله المحسوسات- و صورها المفارقة عن موادها.

و اعلم أن الفرق بين هيولى الصور الدنيويه و هيولى الآخره غير ما ذكرناه بأمور أخرى.

و منها أن ما يحل هذه الهيولى لا يحلها إلا بعد حركه استعداديه

و زمان سابق و جهات قابليه و أسباب خارجيه بخلاف الماده الأخرويه فإن الصور الفائضه عليها- إنما تفيض عليها من المبدأ الفياض من جهه المقومات و الأسباب الداخليه (٣) و جهاتها الفاعليه على وجه اللزوم عند تأكدها.

١- المراد بالماده ما هى أعم من الموضوع للعرض، س ره

٢- و لو لم يخف لعلموا أن الصور الخياليه و العقليه أشرف و أتم و أكمل و أقوى- لأن مادتها أشرف و أكمل و ليس كذلك و قل من يتفطن به و تراءى أضعف و أخس سيما عند الأوهام العاميه و أيضا هذا الضعف أيضا ما دام كون الصور الذهنيه مرئى لحاظ الخارجيات و لو كانت ملحوظات بالذات لعكس الأمر لا سيما المعقولات الدائيات المحيطات المجردات عن القشور و السلاسل و الأغلال، س ره

٣- هى الأخلاق و الملكات، س ره

و منها أن المادة الدنيوية إذا أزيلت صورتها عنها فتحتاج في استرجاعها إلى استئناف تأثير

من سبب خارجي مصور للمادة بها تاره أخرى كصوره البياض و الحلاوه و غيرهما إذا حصلت في مادة ثم زالت عنها فلا يكتفى ذات القابل بذاته في استرجاع تلك الصورة بخلاف القوى النفسانية إذا غابت عنها الصورة الحاصله فيها فلا- يحتاج في الاستحضار و الاسترجاع إلى كسب جديد و تحصيل مستأنف بل يكتفى بذاتها و مقوماتها في ذلك الاستحضار لا إلى سبب منفصل و إليه أشير بقوله تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ إشاره إلى أن الأسباب الاتفاقية غير حاصله في ذلك العالم و سلسله الإيجاد منحصره في الأمور الداخلة الناشئه من المبدأ الأول دون العرضيات و المعدات الخارجيه الواقعه في عالم الاتفاقات و الحركات المحصله للاستعدادات كما قال تعالى الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١) و قال فلا أَنَسَابَ بَيْنَهُمْ

فصل (٨) في البعث

أما البعث فهو خروج النفس عن غبار هذه الهيئات المحيطة بها كما يخرج الجنين من القرار المكين و قد مرت (٢) الإشارة إلى أن القبر الحقيقي هو انغمار النفس

١- هذا بملاحظه إسقاط الإضافات و النظر إلى الأصل المحفوظ و قوله تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ بالنظر إلى إثبات الإضافات و المراتب و الكل درجات قدرته الفعلية و جهات فاعليته ففي عين أنها تفعل هو يفعل و الوجود على الإطلاق نوره و فيضه و فعله و الخير بيده و الشر ليس إليه، س ره

٢- و قد مر في الحاشية السابقة أقسام القبر و أن أحدها هيئات الشواغل و الأعمال النورية و الظلمانية بل أظلال تلك الهيئات فالمراد بالقبر و بالمرقد في قوله تعالى مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذه الأظلال و الهيئات المحيطة بالنفس بعد الموت و قبل القيام و الشده و التمام في الصور الأخرويه ببعده العهد من الدنيا و الإقبال على العقبي في جانبى اللطف و القهر و أما البعث فهو هذا القيام و التماميه فإن البعث لغه التنبيه من النوم و كما أن الدنيا منام في منام فالبرزخ منام و البعث هو التنبه منه و الخروج من الصور الضعيفه و اكتساء الصور القويه- و أتميه القوى و المشاعر الأخرويه من البرزخيه، س ره

و انحصارها بعد موت البدن فى تلك الهيئات المكتفنه فهى ما بين الموت و البعث بمنزله الجنين أو النائم لم تقو قواها و مشاعرها لإدراك المدركات الآخـره فإذا جاء وقت القيام- انبعث الإنسان من هذا الانغمار قادمًا إلى الله تعالى متوجهاً إلى الحضرة الإلهيه إما مطلقاً حراً عن قيد التعلقات و أسر الشهوات فرحانا بذاته مسروراً بلقائه تعالى و من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه و إما مقبوضاً مأسوراً بأيدي الزاجرات القاسرات كارهاً للقاءه تعالى و من كره لقاء الله كره لقاءه

فصل (٩) فى الحشر

إشاره

فصل (٩) فى الحشر(١) قد سبق أن الإنسان نوع واحد متفق الأفراد فى هذا العالم و أما فى النشأه الآخـره فأنواعه متكثـره كثره لا تحصى لأن صورته النفسانيه هى مادته قابله لصوره أخـريه شتى بحسب هيئات و ملكات مكتسبه ألبسها الله يوم الآخـره بصور تناسبها فيحشر إليها و بها كما قال تعالى يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا فحشر الخلائق مختلفه الأنحاء حسب الأعمال و الملكات و الآراء فلقوم على سبيل الوفود يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا و لقوم على سبيل التعذيب و يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ و لقوم كما قال تعالى وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى و لقوم كما قال وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا و لقوم إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُشْجَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ و لقوم على سبيل التعظيم و التكريم كقوله سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ و قوله اَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ و لقوم و هم الأسارى كما قال تعالى خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ

١- اعلم أن الحشر عقلا- إلى الله تعالى و بحسب معناه اللغوى الآن متحقق لأن وجودك مطموس و ممحوق تحت وجوده و أما بحسب معناه الشرعى و ما أخبر به فى الدين المبين- فلينتظر فإنه عند طرح جلايب الأبدان الطبيعى و لبس الصور الصرْفه البرزخيه و الحشر بها إلى الله و مظاهره اللطفيه أو القهريه و رجوع المعنى و الصوره إلى المعنى، س ره

صَلَّوْهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلِهِ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (١) و بالجمله كل أحد إلى غايه سعيه و عمله و إلى ما يحبه و يهواه حتى أنه لو أحب أحد حجرا لحشر معه لقوله تعالى

١- و النكته في سبعين ذراعا أن اللطائف في وجود الإنسان سبع و قد مرت و في كل لطيفه عشر مراتب هي القبضات العشر التي خمر منها طينه آدم قبضه من العناصر و قبضات تسع من الأفلاك التسعه مثل أن المحبه من الزهره و الغضب من المريخ و قس عليه- و المراد بقبضه من العناصر في كل من اللطائف الصفات العنصريه و التأثير و الانفعال خذ الغايات و دع المبادئ فتصير سبعين و إذا لوحظ مظهره كل منها لألف اسم من أسماء الله الحسنی تكون سبعين ألف حجاب من نور و ظلمه الوارده في الحديث المشهور وجوداتها أنوار و ماهياتها ظلمات ففي الشقى بقى السبعون في حد القوه لم تخرج إلى الفعلية فهي ناريه و ما خرج إلى الفعلية في الطبع و النفس فحيث لم يكن ذريعه إلى الله تعالى أيضا ناريه- و المظهره للأسماء الحسنی لم تحصل في نظره و لا- وجود رابط لها فهي سلسله ذرعها سبعون ذراعا. ٢٢٦ و قال بعض الفضلاء الناس يتصنفون سبعة أصناف بعدد الكواكب السياره أ أصحاب الأمر و النهى من الملوك و لهم تعلق بالشمس ب أصحاب السيف و السلاح و لهم تعلق بالمريخ ج أصحاب القلم و الحساب و لهم تعلق بعطارد د أصحاب العلم و الرأى كالعلماء و الوزراء و لهم تعلق بالمشتري ه أصحاب الزراعات و أهل الكهوف و الجبال- و لهم تعلق بزحل و أصحاب الطرب و الزينه و النساء و الخواتين و لهم تعلق بالزهره- ز أصحاب السفر و التجار و من يشبههم و لهم تعلق بالقمر ثم إن لكل واحد من هذه الأصناف تعلقات عشره بأمور أ ما يعين في إقامه بدنه كالدراهم و الدنانير و له تعلق بالبرج الثانى من الطالع ب الإخوه و الأنساب و لهم تعلق بالثالث من الطالع ج الأملاك و الآباء و الأمهات و لها تعلق بالربع منه د الأولاد و لها تعلق بالخامس منه ه العبيد و الحيوانات الصغار و لها تعلق بالسادس منه و الأزواج و الشركاء و لها تعلق بالسابع منه- ز ما يعرض للإنسان من المصائب و لها تعلق بالثامن منه ح الذين لهم ولايه عليه و لهم تعلق بالعاشر منه ط الأصدقاء و لهم تعلق بالحادى عشر منه ي الأعداء و الحيوانات الكبار و لهم تعلق بالثانى عشر منه و سقط برج الطالع عن درجه الاعتبار لأنه بيت النفس لا بيت التعلق و الغرض أنما هو ذكر أسباب التعلق و سقط البرج التاسع لأنه برج العلوم و الفضائل و هي كمال النفس لا- بيت التعلق و إذا تقرر ذلك فاضرب خصوصيات الأصناف السبعه فإنها تعلقات أيضا في التعلقات العشره تكون سبعين تعلقا مانعه للنفس عن وصولها إلى البارى و هي السلسله التي ذرعها سبعون ذراعا و أما سبعون ألف في الحديث فلائن تحت كل من هذه التعلقات ألف تعلق من الجزئيات و هو الألف من الأشغال التي احتاج إليها آدم ع- لما خرج إلى الأرض ليأكل لقمه كما ورد في الخبر فالحجب النوريه هي النفوس و الأولاد و الأمهات و الأزواج و غيرهم و العلوم إذا كانت لغير الله تعالى و الظلمانيه هي الدنانير و الدراهم و الأملاك و الحيوانات و غيرها انتهى، س ره

إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ و قوله تعالى احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ (۱) فَإِنْ تَكَرَّرَ الْأَفَاعِيلُ كَمَا مَرَّ يَوْجِبُ حَدُوثَ الْمَلَكَاتِ وَ كُلِّ مَلَكَةٍ تَغْلِبُ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ تَتَصَوَّرُ فِي الْقِيَامَةِ بِصُورِهِ تَنَاسِبُهَا قُلُّ كُلِّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَ لَا شَكَّ أَنَّ أَفَاعِيلَ الْأَشْقِيَاءِ الْمَرْدُودِينَ أُنْمَا هِيَ بِحَسَبِ هَمَمِهِمُ الْقَاصِرَةَ النَّازِلَةَ فِي مَرَاتِبِ الْبَرَازِخِ الْحَيَوَانِيَةِ وَ تَصَوُّرَاتِهِمْ مَقْصُورَةَ عَلَى الْأَغْرَاضِ الشَّهْوِيَةِ الْبَهِيمِيَةِ وَ الْغَضَبِيَةِ السَّبْعِيَةِ الْغَالِبَةِ عَلَى نَفْسِهِمْ فَلَا جَرَمَ يَكُونُ حَشَرُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ عَلَى صُورِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ وَ هَيْئَاتِهَا فَإِنَّ الْأَبْدَانَ سَيَمَا الْأَخْرُويَةِ بِهَيْئَاتِهَا وَ أَشْكَالِهَا الْمَحْسُوسَةِ قَوَالِبَ لِلنَّفُوسِ بِهَيْئَاتِهَا وَ صِفَاتِهَا الْمَعْنَوِيَةِ وَ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۲) وَ قَوْلِهِ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ فِي الْحَدِيثِ

قوله ص: يحشر الناس على صور نياتهم

و قوله ص: يحشر بعض الناس على صورته تحسن عندها القردة و الخنازير.

تبصره أخرويه:

إِنْ فِي دَاخِلِ بَدَنِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَ مَكْمَنَ جَوْفِهِ حَيَوَانًا صُورِيًّا (۳) بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ وَ أَشْكَالِهِ وَ قَوَاهِ (۴) وَ حَوَاسِهِ هُوَ مَوْجُودٌ قَائِمٌ بِالْفِعْلِ

۱- المراد بأزواجهم الملكات و صورها كما أن المراد بالزوجين في الآيات ما هو كالوجود و الماهية و كالجنس و الفصل و كالماده و الصورة و كالذكر و الأنثى إلى غير ذلك، س ره

۲- أي الوحوش التي في صراط الإنسان و التي هي لوازم ملكاته و يشمل الخارجيات أيضا إلا أن لها حشرا تبعا، س ره

۳- أي لا ماده له و هو الحيوان البرزخي الذي هو المتعلق الأول للنفس في الدنيا- و الروح البخاري متعلق ثان و هذا البدن الذي قشر و غلاف له متعلق ثالث، س ره

۴- و بتلك الحواس يدرك مدركات الآخرة و بها يدرك المرتاضون ما لا يدركه الآخرون و بها يدرك النبي ص ما لا يدرك غيره كما نقل قدس سره فيما مر أحاديث في إدراك الخاتم ص بتلك المشاعر كما في الرؤية: زويت لي الأرض فأريت مشارقها و مغاربها و في السمع أطلت السماء و كذا في الباقي و في تلك الحواس قال العارف- پنج حسی هست جز این پنج حس آن چو زر سرخ باشد وین چو مس صحت این حس ز معموری تن صحت آن حس ز ویرانی بدن صحت این حس بجوئید از طیب صحت آن حس بجوئید از حبيب ، س ره

لا يموت بموت هذا البدن و هو المحشور يوم القيامة بصورته المناسبه لمعناه و هو الذى يثاب و يعاقب و ليست حياته كحياء هذا البدن المركب عرضيه وارده عليه من الخارج و إنما حياته كحياء النفس ذاتيه و هو حيوان متوسط بين الحيوان العقلى و الحيوان الحسى يحشر فى القيامة على صورته هيئات (١) و ملكات كسببتها النفس بيدها عمله و بهذا يرجع و يأول معنى التناسخ المنقول عن الحكماء الأقدمين كأفلاطون و من سبقه مثل سقراط و فيثاغورس- و غيرهما من الأساطين كما مرت الإشارة إليه و كذا ما ورد فى لسان النبوات و عليه يحمل الآيات المشيره إلى التناسخ و كذا قوله تعالى وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ و قوله تعالى وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ و قوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ كل ذلك إشارة إلى انقلاب النفوس فى جوهرها و صيرورتها من أفواج الأمم الصامته- و خروجها يوم النشور إذا بعث ما فى القبور و حصل ما فى الصدور على صورته أنواع الحيوانات من السباع و المؤذيات و البهائم و الوحوش و الشياطين

تذكره توضيحيه: ظن أجناس العوالم و النشآت ثلاثة

إحداها النشأ الأولى

و هى عالم الطبيعيات و الماديات الحادثات و الكائنات الفاسدات.

و ثانيها النشأ الوسطى

و هى عالم الصور المقداريات و المحسوسات الصوريات بلا ماده.

١- فإن كانت حميده فصور جرد مرد، و إن كانت رذيله فصور سود زرق، س ره

ثالثها النشأه الثالثه

و هي عالم الصور العقلية و المثل المفارقات فالنشأه الأولى بئده داثره متبدله زائله بخلاف الأخيرتين و خصوصا الثالثه و هي مأوى للكمال و مرجع الكاملين و معاد المقربين و الإنسان حقيقه مجتمعه بالقوه من هذه العوالم و النشأت بحسب مشاعره الثالثه مشعر الحس و مبدؤه الطبع و مشعر التخيل و مبدؤه النفس و مشعر التعقل و مبدؤه العقل و النفس الإنسانیه فی بدایه تكونها و أول خلقتها هي بالقوه فی نشأتها الثلاث لأنها كانت قبل وجودها في مكن الإمكان و كتم الخفاء كما قال تعالى وَ قَدْ خَلَقْتِك مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً وَ قوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ- لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً و كلما كان وجوده أولا بالقوه فلا بد أن يكون متدرج الحصول- في أصل الوجود و كمالاته و يكون مترقيا من الأدنى إلى الأعلى و متدرجا من الأضعف إلى الأقوى فلها في كل من نشأتها الثلاث مراتب و هي قوه و استعداد و كمال مثال ذلك كالكتابه فلها قوه كما للطفل و استعداد كما للأمي المتعلم المحصل لأسباب الكتابه و آلتها و لكن لم يتعلم بعد و الكمال للقادر على الكتابه متى شاء من غير كسب جديد- لأجل حصول ملكه راسخه في هذه الصناعه و هو قد يكون محجوبا عن الكتابه ممنوعا عنها لا مانع داخلي بل لمانع و حجاب خارجي كما للعين الصحيحه إذا لم يبصر لأجل غطاء من خارج و قد لا يكون كذلك لزوال المانع و الحجب الخارجيه فالقوه في الإحساس كما للجنين عند كونه في الرحم و الاستعداد له كما للطفل عند تولده تام الآلات للحواس- و الكمال فيه كما للصبي حين ترعرعه و كذا قياس مراتب التخيل و مراتب التعقل و يقال لها العقل الهولاني و العقل بالفعل و العقل الفعال فالأول قوه و الثاني استعداد- و الثالث كمال و الرابع فوق كمال فهذه كلها مراتب متعاقبه الحصول في الإنسان بحسب جوهره و ذاته فمن غلب عليه واحد من هذه الكمالات الثلاثه أعنى الحسى و النفسى و العقلى كان مآله إلى عالمه و أحكام نشأته و لوازمها فمن غلبت عليه نشأه الحس و الاستكمال- بالمستلذات الحسيه و المألوفات الدنيويه فهو بعد وفاته أليف غصه شديده و رهين عذاب أليم لا أن الدنيا و لذاتها أمور مجازيه لا حقيقه لها(١) و الإحساس بها انفعالات تنفعل النفس

١- إن قلت صورته التي في الخيال لا- دثور و لا- زوال فيها لأنها مجردة عن الماده و إن لم تجرد عن المقدار و قد ثبت فيما مر تجرد الخيال و الحس المشترك فصور محبوبات أهل الدنيا معهم و شئيه الشىء بصورته لا بمادته. قلت قد مر هذا المطلب في الأمور العامه متصلا بتمه الكلام في العله و المعلول أعنى ذوقيات العله و المعلول و قد تعرضت في الحواشى التي كتبت هناك هذا السؤال و أجبت بما فيه كفايه للفظن العارف فلا نعيده، س ره

بها عند الحدوث و يزول بسرعه عنها و لا تدوم و لكن يبقى الأثر و العاده فى المحبه و الاشتياق- فمن عشقتها و اشتاقها كان كمن أحب أمرا معدوما محبه مفرطه و طلب شيئا باطلا- طلبا شديدا- و حيث لم يكن لمحبوبه أثر و لا لطلبه ثمر فهو فى هذه الحال فى غصه شديده و ألم دائم كذلك حال طلبه الدنيا الراغبين فى مشتهياتها إلا أنهم ما داموا فى الدنيا يشته ذلك عليهم و يزعمون أن لمحبوباتهم حقيقه فىأكلون و يتمتعون كما تأكل الأنعام و النار مثوى لهم- لأنه إذا طلعت شمس الآخرة و قامت (۱) اضمحلت بها رسوم المجازات و ذابت بإشراقها أكوان المحسوسات اضمحلال الظلال و ذوبان الجميد بحراره ارتفاع الشمس فى أوان الصيف فبقى المحب للدنيا و المحسوسات الماديه محترقا بنار الجحيم معذبا بالعذاب الأليم- فيكون حشره إلى دار البوار و مرجع الأشرار و مهوى الفسقه و الكفار و إن غلب عليه رجاء يوم الآخرة و الميل إلى ما وعده الله و رسوله من الجنة و نعيمها و سرورها و حورها و قصورها- و الخوف من عذاب الآخرة و نار جهنم و آلامها و العمل بمقتضى الوعد و الوعيد فمآله الوصول

۱- أى شمس الحقيقه و قامت اضمحلت بها إلخ فإن الدنيا كما قال الله تعالى كَسِرَابٍ بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّلْمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ و قال العارف و ما الناس فى التمثال إلا كتلجه و أنت بها الماء الذى هو نابع و لكن يذوب الثلج يرفع حكمه و يوضع حكم الماء و الأمر واقع إنما مثل أهل الدنيا كمثل من يشاهد أمواج البحر و يغفل عن البحر و يتعلق خواطره بموج أو أمواج محدوده منه أو بحباب أو حبيب معدوده منه و معلوم أن لا بناء و لا بقاء لها- و هذه تنكسر و تلك تذهب و لا- تستمر و مثل أهل الله كمن يستغرق فى مشاهده نفس البحر- و يتعلق به و عظمت شأغله له عن مشاهده أمواجه و حبه إلا- من حيث إنها أطوار صنائعه و ظهوراته- و معلوم أنه الأصل المحفوظ فيها و السنخ الباقي منها- روزى كه پيشگاه حقيقت شود پديد شرمنده رهروى كه عمل بر مجاز كرد ، س ره

إلى نعيم الجنة و الخلاص من عذاب النار و إن غلبت عليه القوه العقلية و استكملت بإدراك العقليات المحضه و العلم باليقينيات الحقيقه من طريق البراهين و الأسباب العقلية الدائمه - فمآله إلى عالم الصور الإلهيه و المثل النوريه و الانخراط فى سلك المقربين و القيام فى صف الملائكه العليين بشرط أن يكون عقائده مشفوعه بالزهد الحقيقى خالصه عن أغراض النفس و الهوى و عن مشتتهيات الدنيا فارغه عن جميع ما يشغل سره عن الحق و ذلك هو الفضل العظيم و المن الجسيم.

و ليعلم أن الزهد الحقيقى و النيه الخالصه عن شوب الأ-غراض النفسانيه لا- يمكن أن يتيسر إلا- للطائفه الأخيره و هم العرفاء الكاملون دون الجهال الناسكين(١) مع أن الغرض الأصلى من النسك هو تخليص القلب عن الشواغل و التوجه التام إلى المبدأ الأصلى- و الاشتياق إلى رضوان الله تعالى و ليت شعرى كيف يشتاق و يتوجه نحو المبدأ الأول و دار كرامته من لا يعرفهما و لا يتصورهما.

فإن قلت فيلزم الدور مما ذكرت لأن الاشتياق و السلوك إليه تعالى يتوقف على العلم به و العلم به يتوقف على السلوك نحوه و الاشتياق نحوه لأن العلم هو الغايه القصوى- قلت نعم العلم هو الأول و الآخر و المبدأ و المنتهى و لكن لا يلزم الدور المستحيل لتفاوت مراتب العلم بالقوه و الضعف فالذى هو مبدأ أصل العمل نحو من العلم الحاصل بالتصديق الظنى أو الاعتقاد التقليدى لساكن النفس فإن ذلك مما يصلح لأن يصير مبدأ لعمل الخير و الذى هو الغايه القصوى للعمل و السلوك على الصراط المستقيم هو نحو آخر من العلم و هو المشاهده الحضوريه و الاتصال العلمى المسمى بالفناء فى التوحيد عند الصوفيه

١- لأن الناسك إذا كان غرضه من نسكه الوصول إلى النعيم أو الخلاص من الجحيم فهو يحب نفسه و يتوجه إليها لا- إلى المعبود الحقيقى و لهذا اشترط القدماء من الفقهاء القربه المحضه فى صحه العباده و ليس كذلك لأنها لا تتيسر إلا للمقربين و قد ورد: يا نعيمى و جنتى ، س ره

فصل (١٠) فى أن للنفس الإنسانية أنحاء كثيره من الحشر بعضها قبل حدوث هذا البدن الطبيعى و بعضها بعده

إشاره

قد سبق أن للنفس الإنسانية كينونه سابقه على هذا الكون النفسانى كما دلت عليه الأحاديث النبويه من طريق أهل بيته ع و ذهب إليه أفلاطون كما هو المشهور- و من قدح على مذهبه من أتباع المشائين بما هو مذكور فى الكتب المشهوره لم يعرف مذهبه و زعم أن مراده أن النفس من حيث نفسيتها(١) و نحو وجودها النفسى متقدمه على هذا البدن ليلزم إما التناسخ و إما وحده النفوس و إما تكثر أفراد نوع واحد من غير عوارض مخصصه خارجيه و ماده متخصصه بها حامله لها و قد مرت الإشاره إلى أن مقصوده ليس كما زعموه بل الحق أن للنفس قبل صيرورتها نفسا ناطقه أنحاء أخرى من الكون بعضها فى هذه النشأ الدنيويه و بعضها قبل هذه النشأ و بعضها بعد هذه النشأ- أما التى فى هذه النشأ فبعضها حيوانيه و بعضها طبيعيه نباتيه و غير نباتيه و الانتقالات التى تقع من بعضها إلى بعض لا- تكون إلا- بحركه و زمان و ماده مستحيله كائنه فاسده و أما التى قبل هذه النشأ فبعضها مثاليه و بعضها عقليه و بعضها قضائيه إلهيه و الانتقالات الواقعه هناك- على سبيل النزول الوجودى بالإفاضه و الإبداع من غير زمان و حركه و أما التى بعدها فبعضها حيوانيه حسيه(٢) و بعضها نفسانيه خياليه و بعضها عقليه قدسيه فظهر لمن تدبر و تأمل فيما ذكرناه سابقا و لاحقا بالنهج البرهانى أن للإنسان أنواعا من الحشر.

١- و ليس كذلك بل المراد أن وجود العقل الفعال مثلا قبل عالم الكون و هو وجود النفس بنحو أعلى لأنه الأصل و هى الفرع و هو الحقيقه و هى الرقيقه فكينونته السابقه كينونتها- و شيئه الشىء بتمامه لا بنقصه و ما هو فى كثير من الأشياء لم هو و قد مر فتذكر، س ره

٢- أى بالحس البرزخى و الأخرى و بالجمله بالحس المثالى كما نقلنا أنه برهانى عقلى و أنه نقلى و أنه عرفانى ذوقى، س ره

و مما يؤيد ما ذكرناه ضربا من التأييد ما قاله الشيخ محيى الدين الأعرابى فى الباب الرابع و الثمانين و مأتين اعلم أن الروح الإنسانى أوجده الله مدبرا لصوره حسيه سواء كان فى الدنيا أو فى البرزخ أو فى الدار الآخرة (١) أو حيث كان فأول صورته لبسها- الصورة التى أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسميه الدنياويه و حبس بها فى رابع شهر من تكون صورته جسده- فى بطن أمه إلى ساعه موته فإذا مات حشر إلى صورته أخرى من حين موته إلى وقت سؤاله فإذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة إلى صورته جسده (٢) الموصوف بالموت فيحى به و يؤخذ بأسماع الناس و أبصارهم عن حياته بذلك الروح إلا من خصه الله بالكشف من نبي أو ولي ثم يحشر بعد السؤال إلى صورته أخرى فى البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة (٣) عين البرزخ و النوم و الموت فى ذلك على السواء إلى نفخه البعث فيبعث من تلك الصورة و يحشر إلى الصورة (٤) التى كان فارقتها فى الدنيا إن كان بقى عليه سؤال- فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف حشر فى الصورة التى يدخل بها الجنة و المسئول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله حشر إلى الصورة التى يدخل بها الجنة أو النار و أهل النار كلهم

١- كالمنامات و الكشف و الاختلاسات و نحوها، س ره

٢- الظاهر أن مراده البدن الطبيعى و هذا ما سيقوله المصنف قدس سره إنه يقتصر على مجرد الذوق و هذا محال لاستلزامه المحالات مثل التعطيل و التناسخ و الدنيويه و نحوها و المخبر الصادق أيضا أخبر به و هو باعتبار أن شيئيه الشىء بصورته و التشخص بالنفس و بالوجود كما مر فى الأصول و الشيخ لما كان من العرفاء المتشرعين و هم الحافظون لعقائد المسلمين قال ما قال كما ترى كماله إلى آخره أنه مضامين الأخبار و الكتاب، س ره

٣- هذا مثل أن تقول إن الصورة الذهنيه فى الذهن بل عين مرتبه من مراتب الذهن- أى النفس و الصورة الخارجيه فى الخارج بل عين مرتبه من مراتب الخارج فإن الذهن و الخارج ليسا كالظروف الجسمانيه مثل الماء فى الكوز، س ره

٤- أى الصورة الطبيعیه التى صارت جيفه مثل صورته وقت السؤال و قد مر ما يرشدك إلى الحق من حديث طول العهد بالدنيا و شدة الإقبال على العقبى، س ره

مُسْئُولُونَ(١) فإذا دخلوا الجنة و استقروا فيها ثم دعوا إلى الرؤية(٢) و نودوا حشروا في صوره لا- تصلح إلا- للرؤية فإذا عادوا حشروا في صوره تصلح للجنة و في كل صورته تنسى صورته التي كان عليها و يرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها و حشر فيها- فإذا دخل(٣) سوق الجنة و رأى ما فيه من الصور فأبى صورته رآها و استحسنتها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائما يحشر من صورته إلى صورته إلى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الإلهي فلا يزال يحشر في الصور دائما يأخذها من سوق الجنة و لا- يقبل منها إلا ما يناسب صورته التجلي الذي يكون في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي فاعلم هذا فإنه من لباب المعرفة الإلهية و لو تفتنت لعرفت(٤) أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس في صورته الحال التي أنت عليها و لكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة و إن كنت تحس بانتقالك في أحوالك التي عنها تنصرف في ظاهر ك و باطنك- و لكن لا تعلم أنها صورته لروحك تدخل فيها في كل آن و يحشر فيها و يبصرها العارفون صوراً صحيحة ثابتة ظاهره العين فالعارف يقدم قيامته في موطن التكليف الذي يثول إليها جميع الناس فيزن على نفسه أعماله و يحاسب نفسه هاهنا قبل الانتقال كما حرص الشرع عليه فقال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و لنا فيه مشهد عظيم عايناه و انتفعنا بهذه المحاسبه انتهت عبارته و إنما نقلنا بطوله لما فيها من الفوائد النفيسة و للاتفاق في كثير من وجوه الحشر المذكوره فيها لما ذكرناه و إن وقعت المخالفه في البعض لأن من عاده الصوفيه الاقتصار على مجرد الذوق و الوجدان فيما حكموه عليه و أما نحن فلا نعتمد كل الاعتماد على ما لا برهان عليه قطعياً و لا نذكره في كتبنا الحكميه.

تذكره فيها تبصره:

اعلم أيها السالك إلى الله تعالى و الراغب في دار كرامته أن هذه الأمور الجسمانيه و الصور الماديه جعلها الله كلها مثالات

- ١- لأن السؤال أحد أنواع عذابهم، س ره
- ٢- إشاره إلى قوله تعالىيَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ، س ره
- ٣- إشاره إلى حديث مر في الكلام المنقول عن الغزالي أن في الجنة سوقاً يباع فيه الصور، س ره
- ٤- قد مر منا أن الإنسان بحسب الروح كالجن بحسب الظاهر يتشكل بالأشكال المختلفه لقد صار قلبي إلخ، س ره

دالات على الأمور الروحانيه القدريه كما أنها مثالات دالات على الأمور الرحمانيه(١) القضائيه التى هى عالم الجبروت و حضره الربويه دلالة المعلول على العله و ذى الغايه على الغايه و دلالة الناقص على كماله و الصورة على حقيقتها و معناها لأن العوالم كما علمت متطابقه متحاذايه حذو النعل بالنعل و جميعا منازل و مراحل إلى الله تعالى- و هى أيضا صورة الأسماء الإلهيه فإن الأسماء على كثرتها و تفصيلها باعتبار مفهوماتها لا باعتبار حقيقتها و وجودها الذى هو إحدى محض لا اختلاف فيه أصلا كما سبق بيانه- فهى إنما تنزلت أولا إلى عالم العقول المقدسه و الأنوار المجرده الإلهيه و العلوم التفصيليه الإلهيه ثم تنزلت إلى عالم الصور النفسانيه و المثل المقداريه ثم إلى عالم الصور الماديه و هى ذوات الجهات و الأوضاع المكانيه فكما أن النزول و الصدور من المبدأ الأعلى على هذا المنوال بهذا الترتيب فكذلك الرجوع و الحشر إليه و الورود عليه لا بد أن يكون بتلك الدرج و المراقى على عكس الترتيب النزولى

فصل (١١) فى أن للإنسان حشرا كثيرا كثرة لا تحصى

قد سبق أنه جعل الله مقامات الحواس و التخيلات و التعقلات درجا و مراقى يرتقى بها السالك إليه تعالى فلا بد أن ينزل أولا فى عالم المحسوسات الماديه ثم فى عالم المحسوسات المجرده عن الماده المريئه بعين الخيال لصيروره الحس خيالا ثم فى عالم الصور المفارقة لصيروره الخيال عقلا بالفعل و فى كل من هذه العوالم الثلاثه طبقات(٢) كثيره متفاوتة فى اللطافه و الكثافه و ما هو أعلى من هذه العوالم يكون

-
- ١- إنما كانت الأمور القدريه روحانيه و القضائيه رحمانيه لأن تلك سوائيتها غالبه باعتبار شوب التشكل و التقدر و نحوهما بخلاف هذه لأن إمكان السوائيه فيها مستهلكه فلهذا تعد من صقع الربويه و تسمى أوامر رحمانيه و حضره ربويه، س ره
 - ٢- وقد أشير إلى هذه الكثره بقوله ع: قبلكم ألف ألف عالم و ألف ألف آدم- و عالمكم آخر العوالم و آدمكم آخر الآدميين ، س ره

عدد طبقاته أكثر و التفاوت بين أسفله و أعلاه أشد فلا يبلغ الإنسان إلى أدنى درجات عالم النهايات إلا بعد طى درجات عالم الأوساط كلها و لا- يبلغ إلى أدنى درجات عالم الأوساط إلا- بعد طى درجات عالم البدايات كلها و هو عالم المحسوسات المادية- فجميع العوالم و درجاتها هي منازل السائرين إلى الله تعالى ففي كل منزل منها للسالك خلع و لبس جديد و موت و بعث منه و حشر إلى ما بعده فعدد الموت و البعث و الحشر كثير لا يحصى و قيل بعدد الأنفاس و هو الصحيح عندنا بالبرهان الذى أقمنا على أن لا- ساكن فى هذا العالم من الجواهر الطبيعىة سيما الجوهر الإنسانى المتحرك فى ذاته إلى عالم الآخرة ثم إلى الحضرة الإلهية و لا بد من وروده أولاً إلى أولى مراتب المحسوسات ثم يرتقى قليلاً قليلاً إلى أن يتخلص منها و إليه الإشارة بقوله تعالى- **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (١)** فإن كل واحد من أفراد الناس بواسطه وقوعه فى عالم الطبيعىة الكائنه يحصل له استحقاق عذاب النار لو لم يتبدل نشأته و لم ينجر سيئته الفطريه بفعل الطاعات و ترك الشهوات كما قال تعالى فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.

فإن قلت هذا الذى ذكرت ينافى معنى

قوله ع: كل مولود يولد على الفطره الحديث

. قلت لا منافاه بينهما لأن المذكور فى الحديث هو فطره الروح لأنها بحسب ذاتها من عالم القدس و الطهاره و الذى كلامنا فيه هو ابتداء نشأه البدن و وقوع النفس فيها فهى فطره البدن الذى حصل من الأجسام الحسيه الماديه التى وجودها أحسن الوجودات و أظلمها و أبعداها عن الله و ملكوته

و قد ورد فى الحديث النبوى ص: أنه تعالى ما نظر إلى الأجسام مذ خلقها

و بما ذكرناه أيضا اندفع التدافع بين حديثين (٢)

١- لما فسر ع هذا بورود الكل على النار سئل أ و أنتم فقال ع نعم جزناها و هى خامده أى لم يقعوا فى أشراك الدنيا و حبالها و لم ينشب فيهم مخالبتها فمن كان فى الدنيا و حاله هكذا يقول الله تعالى لنارها كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا على عبدنا فلا تحرقه نارها التى فى حقه- كالنور و لا يغرقه بحرهما المسجور، س ره

٢- و كذا بين حديثين أحدهما: كل مولود يولد على الفطره و الآخر: السعيد سعيد فى بطن أمه و الشقى شقى فى بطن أمه فالأول باعتبار فطره الروح التى من عالم العصمه و الطهاره و الثانى باعتبار فطره البدن و مزاجه الفاضل المحمود و كينونته فى الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهره أو مزاجه السيئ المذموم و كينونته فى مقابل ما ذكر و أيضا الأول باعتبار فطره الروح النوريه و الثانى باعتبار كينونه النفس فى بطن الأمهات الأربع و تخمير طينه وجودها من الملكات الحميده أو الرذيله و أيضا الأول كما مر و الثانى باعتبار الكينونه العلميه فى أم الكتاب و أم الأقالام موافقا لحديث شريف آخر هو: إن السعيد سعيد فى الأزل و الشقى شقى لم يزل، س ره

مشهورين أحدهما كل مولود يولد على الفطره و الآخر أن الله قد خلق الخلق فى ظلمه- ثم رش عليها من نوره الحديث و اعلم يا حبيبى أنه كما لا بد من ورودك إلى هذا العالم الحسى فلا بد لك فى الخلاص عنه و عن علائقه من معرفه الأمور المحسوسه لأن المهاجره عنها أنما يكون بالزهد فيها و هو لا يحصل إلا بمعرفتها و العلم بدناءتها و خستها و لأن الدنيا و الآخره واقعتان تحت جنس المضاف من جهه الدنو و العلو و الدناءه و الشرف- و الأولويه و الأخرويه و معرفه أحد المضافين يستلزم معرفه الآخر معا و كذا جهاله أحدهما مع جهاله الآخر فمن لم يعرف الدنيا و خستها لم يعرف الآخره و شرفها و من لم يعرف الآخره و شرفها كيف اختارها و اشتاق إليها و لهذا و لوجوه أخرى اعتنى الحكماء بالبحث عن الأجسام الطبيعیه و أحوال المحسوسات لينتقلوا منها إلى ما وراء المحسوسات- و ما بعد الطبيعيات كما قال تعالى وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ

فصل (١٢) فى تذكر أن الموت حق و البعث حق

اشاره

قد علمت من تضاعيف ما أسلفنا ذكره من أن لكل شىء جوهرى حركه جليه نحو الآخره و تشوقا طبيعيا إلى عالم القدس و الملكوت و له عبادته (١) ذاتيه تقربا

١- و هذه العباداه امتثال للأوامر و النواهى التكوينية كما أن العباداه التكليفية امتثال للأوامر و النواهى التشريعية و الغايه فيهما جميعا فى القرب هى التقرب إلى الله تعالى و فى البعد هى البعد عن جهنم فى التكليفية و البعد عن هاويه الهوى و دركات الطبيعه فى الذاتيه التكوينية فكل شىء غلب عليه أحكام التجرد و كل من غلب عليه التخلق بأخلاق الروحانيين- فهو أوفر حظا من رحمه الله و كل شىء غلب عليه أحكام التجرد و لوازم الطبيعه فهو أكثر ملعنه من الله و لهذا ورد أن الدنيا ملعونه و ملعون من فيها أى من حيث هو فيها لا الذين بأبدانهم فرشيون و بقلوبهم عرشيون فالعقل البسيط الكامل علما و عملا و عاؤه الدهر الأيمن الأعلى لا الزمان و حيزه الجبروت لا المكان و إن كان جسده فى الزمان و المكان و الجبهه و غيرها من لوازم عالم الطبيعه فإذا ورخ الإنسان الكامل و أقت و مكن و أين فالعقل اليقظان على إيقان أن هذه أحكام مركبه و أما عقله البسيط فهو عرى و برى عنها لا تاريخ له و لا متى و لا يقال له أين و حتى، س ره

إلى الله تعالى سيما الإنسان لكونه أشرف الأنواع الواقعه تحت الكون و الفساد فله كما سبق مرارا انتقالات و تحولات ذاتيه من لدن حدوثة الطبيعى إلى آخر نشأته الطبيعى ثم منها إلى آخر نشأته النفسانيه و هلم إلى آخر نشأته العقليه و علمت أيضا أنه أول ما اقتضت النفس و توجهت إليه تكميل هذه النشأه الحسيه و تعمير مملكه البدن بالقوى البدنيه و الآلات و البدن بمنزله الراحله أو السفينه لراكب النفس فى السفر إلى الله تعالى فى بر الأجسام و بحر الأرواح ثم إذا كملت هذه النشأه و عمرت هذه المرحله عبرت منها و أخذت فى تحصيل نشأه ثانيه و دخلت فى منزل آخر أقرب إلى مبدئها و غايتها و هكذا يتدرج فى تكميل ذاتها و تعمير باطنها و تقويه وجودها بإمداد الله و عنايته و كلما ازدادت فى قوه جوهرها المعنوى و اشتدت نقصت فى صورتها الظاهريه و ضعف وجودها الحسى فإذا انتهت بسيرها الذاتى و حركتها الجوهرية إلى عتبه باب من أبواب الآخره عرض لها الموت عن هذه النشأه و الولاده فى النشأه الثانيه فالموت نهايه السفر إلى الآخره و بدايه السفر فيها إلى غايه أخرى هى النشأه الثالثه و قد مر أيضا أن النفس الإنسانيه فى مبدإ تكونها كالجنين فى بطن الدنيا و مشيمه البدن فيتربى شيئا فشيئا فى هذه الدنيا كما يتربى الجنين فى بطن أمه- و الموت سواء كان طبيعيا أو إراديا عباره عن الخروج عن بطن الدنيا إلى سعه الآخره- فاتضح و انكشف بما ذكرناه سابقا و لاحقا أن الموت أمر طبيعى للنفس و كل أمر طبيعى لشيء يكون خيرا و تماما له و كل ما هو خير و تمام لشيء فهو حق له فثبت أن

الموت حق للنفس فأما الفساد و الهلاك الذى يطرأ البدن فإنما هو أمر واقع بالعرض لا بالذات كسائر الشرور الواقعه فى هذا العالم بالعرض تبعا للخيرات و الغايات الطبيعیه - فالعداله الإلهیه تقتضى رعايه ما هو الأشرف و الأفضل فالحياء الروحانيه للإنسان - أشرف من هذه الحياه الطبيعیه البدنيه على أنك لو نظرت (١) نظرا حكيميا فى البدن - من حيث هو بدن طبيعى لوجدت قوامه و تمامه بالنفس و قواها و هذيته و تشخصه بها - بل وجدته متحد بها اتحاد الماده المبهمه بالصوره المعينه و اتحاد الناقص بالتام و القوه بالفعل فلو فرض تفرد بذاته دون النفس و قواها لم يبق له إنيه و حقيقه إلا العناصر و الأجزاء المتداعيه للافتراق و هى بحالها كما كانت قبل الموت و بعده.

و اعلم أن الأجسام الواقعه تحت تصرف النفوس و الأرواح هى فى نفسها مضمحلّه مقهوره مستهلكه و كلما كانت النفوس أشرف و أقوى كانت الأبدان المتصرفه فيها أضعف قوه و أقل إنانيه و أنقص وجودا و كلما (٢) أمعنت النفس فى القوه و الحياه و الكمال أمعن البدن فى الضعف و الموت و الزوال حتى إذا بلغت غايتها من الاستقلال - انعدم البدن بالكلية و زال و هذا المعنى مشاهد فى الأجسام الطبيعیه ألا - ترى أن جسميه الجماد أقوى و أحكم من جسميه النبات و هى أقوى من جسميه الحيوان - و هى من جسميه الإنسان بحسب تفاوت نفوسها و أرواحها فى القوه و التمام.

١- حاصله أن البدن بما هو بدن لا فساد و هلاك له بل بقاء محصله و مشخصه و ما به اتحاده و ما فيه انغماره بقاؤه و شيء الشىء بتمامه و أما ماده البدن بما هى عناصر و أجزاء متداعيه إلى الافتراق و مأخوذه بشرط لا فليس بدنا و مع ذلك فهى بحالها أيضا، س ره

٢- الفرق بينه و بين قوله و كلما كانت النفوس إلخ أن الأول فى القوه الأولى الفطريه و الثانى فى القوه الثانيه التى للنفوس مطلقا فى آجالها التى هى أوعيه حركاتها الاستكمالیه سيما القوه الكسبيه للنفوس الإنسانیه و بالجمله فى الكمل لا - بدن بحسب الحقيقه - حتى يقال طرأ فساد و هلاك عليهم بالموت كما قال انعدم البدن بالكلية و زال. بس بزرگان گفته اند نى از گزاف جسم پاكان عين جان افتاد صاف أو بقى شىء رقيق لا يدثر كمثال هو كظلال غير ملتفت إليه بالذات لاستغراق نفوسهم فيما فوقها، س ره

قال بعض العرفاء إن الموت أثر تجلى (١) الحق لموسى النفس الناطقه فيندك جبل إنيه البدن اندكاكا و تجليه تعالى أنما يكون فى عالم الملكوت للنفس التى قويت نسبتها إلى ذلك العالم فعند ما قويت لشيء جهه الروحانيه و الملكوتيه اضمحلت منه جهه الجسمانيه و الملك لأنهما ضدان و إن الدنيا و الآخره ككفتين رجحان إحداهما يوجب نقصان الأخرى و هذا الذى ادعيناه غير منقوض بالفلك و ما فيه لأن كمالات الأفلاك و الكواكب و خصائصها الكماليه كلها من جهه نفوسها لا من جهه أجسادها- فإن امتناعها عن قبول الانقسام و دخول جسم فيها من خارج و ورود آفه و فساد و استحاله- و غير ذلك كلها ليس إلا من جهه نفوسها لا من جهه أجسادها و لأجل قوه أو صلابه فى جسميتها إذ لا طبيعه أخرى لها و لا قوه فيها إلا ما يكون من لوازم نفوسها فجسميه الفلك بما هى ماده (٢) لها لا بما هى جنس و قد علمت الفرق بينهما مرارا هى أضعف الأجسام بل الفلك كله نفس إلا أمرا شبيها بالهيولى الأولى أو أرفع منها قليلا- لتمكن فيه قبول الأوضاع و الحركات و أما أجسام الآخره فقد علمت أنها بعينها نفوسها و علمت أن وجودها وجود

١- قال تعالى لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي فَأَنزَلُ إِلَيْكَ فَمَجِئُوهَا لِمِيقَاتِ الرُّؤْيَا استكمالاتها و ترقياتها الطويلة ما دام العمر و هذا هو الطلب الصادق- و الاستدعاء بلسان الاستعداد الغير المردود و تكلم الرب معها التكلم بالكلمات القلبية- و النطق الحقيقي مع النفس الناطقه بالحق عن الحق قال النبی ص: إِنْ فِي أُمَّتِي مَكْلَمِينَ مُحَدِّثِينَ و أيضا تلقيها الكلمات التي هي مراتب العقلين النظري و العملي الذي به تصلح للقاء ربها و في طرف المظاهر أيضا صلوح و فعلية و قوه لمظهرية القهر و تجليه تعالى في كلا- مظهرى اللطف بالفعاليه و الغناء و التجرد و غيرها فيحصل لها الغناء عن البدن و قواه و الفعاليه و الإنشاء و يبرز منها صفات اللطف و القهر فعلى هذا معنى الموت حق أنه موجب لقاء الحق الحقيقي و على ما ذكر أولا معناه أنه خير و غايه طبيعه، س ر ه

٢- أى فقط و بشرط لا و بعد وضع نفسه و ما من صقعها يبقى شىء ضعيف هو الامتداد و هو بما هو هو يقبل الانقسام و الخرق و نحوهما لأن الامتداد فى الفلك و غيره أمثال و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد و أما بما هى جنس فهى منغمرة متحدة مع نفسه اتحاد الجنس مع الفصل و حكم أحد المتحدين حكم الآخر فقوه المنغمر فيه قوتها، س ر ه

إدراكي نفساني و حياتها حياه ذاتيه لا عرضيه كهذه الأجسام الماديه

حكمه إلهيه:

إن الله تعالى قد جعل لواجب حكمته في طبع النفوس محبه الوجود(١) و البقاء و جعل في جبلتها كراهه الفناء و العدم- و هذا حق لما علمت أن طبيعه الوجود خير محض و نور صرف و بقاءه خيريه الخير و نوريه النور و الطبيعه لم تفعل شيئا باطلا و كلما ارتكز فيها لا- بد أن يكون له غايه- يترتب عليه و ينتهي إليها فعلم من هذا أن محبه النفوس للبقاء و كراهتها للموت ليست إلا لحكمه و غايه هي كونها(٢) على أتم الحالات و أكمل الوجودات فكون النفوس مجبولة على طلب البقاء و محبه الدوام دليل على أن لها وجودا آخرويا باقيا أبد الدهر و ذلك لأن بقاءها في هذه النشأه الطبيعه أمر مستحيل فلو لم يكن لها نشأه أخرى باقيه تنتقل إليها لكان ما ارتكز في النفس و أودع في جبلتها من محبه البقاء السرمدي و الحياه الأبدية باطلا ضائعا و لا باطل في الطبيعه كما قالت الحكماء الإلهيون.

عقد و حل:

و لك أن(٣) تقول إذا كان موت البدن في هذه النشأه الفانيه- حياه النفس في النشأه الباقية و إن للنفس توجهها جبليا إلى الانتقال إلى عالم الآخرة عن هذا العالم و حركه ذاتيه جوهريه إلى القرب من الله تعالى و الدخول في عالم الأرواح و الاجتناب عن دار الظلمات و الحجب الجسمانيه فإن التجسم عين الحجاب و الظلمه و الجهل فما سبب كراهه النفوس و توحشها عن الموت و طرح الجسد و فيه تعرى النفس عن ثقله و كثافته و خلاصها عن الحبس و انطلاقها

١- أي جعل في فطرتها محبه الوجود الحي القيوم الباقي و هذا الوجود المجازي و الحياه العرضيه و البقاء المتشابك بالفناء لما كانت أظلال الوجود الحي القيوم الباقي- كانت النفوس محبه عاشقه لها و كارهه عن مقابلاتها لكن أين الجمال و الجلال من الظلال- سيما الظلال النازل في الغايه، س ره

٢- و هو أن تحشر مستكملة لا ناقصه و هذا يستدعي الإمهال في أجل معين، س ره

٣- الجواب يعلم من السؤال لأن كون الموت كذا و كذا مما قاله السائل لم يعلمه أكثر الناس و لو علموا كان علمهم حالا لا ملكه فلزم الكراهه، س ره

عن السجن و قيده.

فنقول في كراهه الموت البدنى للنفوس الإنسانية سببان فاعلى و غائى أما السبب الفاعلى فهو أن أول نشئات النفس هى هذه النشأه الطبيعیه البدنيه و لها الغلبه على النفوس - ما دامت متصله بالبدن متصرفه فيه فيجرى عليها أحكام الطبيعه البدنيه و يؤثر فيها(١) كلما يؤثر فى الجوهر الحسى و الحيوان الطبيعى من الملائمات و المنافيات البدنيه- و لهذا تتألم و تتضرر بتفرق الاتصال و الاحتراق بالنار و أشباه ذلك لا من حيث كونها- جواهر نطقيه و ذواتا عقليه بل من حيث كونها جواهر حسيه و قوى تعلقيه فتوحشها من الموت البدنى و كراهتها إنما يكون لحصه لها من النشأه الطبيعیه و هى متفاوتة بحسب شدة الانغمار فى البدن و الانكباب فيه على أنا لا نسلم الكراهه عند الموت الطبيعى الذى يحصل فى آخر الأعمار الطبيعیه دون الآجال الاختراميه و أما ما يقتضيه العقل التام و قوه الباطن و غلبه نور الإيمان بالله و اليوم الآخر و سلطان الملكوت فهو محبه الموت الدنيوى و التشوق إلى الله و مجاوره مقربيه و ملكوته و التوحش عن حياه الدنيا و صحبه الظلمات و مجاوره المؤذيات فالعارف يتوحش من صحبه حيوانات الدنيا- توحش الإنسان الحى من مقارنة الأموات و أصحاب القبور و أما السبب الغائى و الحكمه فى كراهه الموت هو محافظه النفس للبدن الذى هو بمنزله المركب فى طريق الآخره و صيانتة عن الآفات العارضه ليتمكن لها الاستكمالات العلميه و العمليه إلى أن يبلغ كمالها الممكن و كذا إرادته الله تعالى تعلقت بإبداع الألم و الإحساس به فى غرائز الحيوانات و الخوف فى طباعها عما يلحق أبدانها من الآفات العارضه و العاهات الوارده عليها حثا لنفوسها على حفظ أبدانها و كلاله أجسادها و صيانته هياكلها من الآفات العارضه لها إذ الأجساد لا شعور لها فى ذاتها و لا قدره على جر منفعة أو دفع مضرة- فلو لم يكن الألم و الخوف فى نفوسها لتهاونت النفوس بالأجساد و خذلتها و أسلمتها إلى

١- لأن النفس لطيفه فى الغايه تتزى بى أى شىء تتوجه إليه فكأنها فى أول الأمر عين الجسم المتصل و عين مزاجه المعتدل و بين الانفصال و الاتصال مضاده و بين الاعتدال و سوء المزاج منافره و الموت بغلبه أحد الأضداد على الآخر، س ره

المهالك قبل فناء أعمارها و انقضاء آجالها و لهلك في أسرع مده قبل تحصيل نشأه كماله برزخيه(١) و تعمير الباطن و ذلك ينافى المصلحه الإلهيه و الحكمه الكليه في إيجادها و ليس الأمر في الآلام و الأوجاع المودعه في الحيوانات كما ظنه قوم من التناسخيه من أنها من باب العقوبه لها بل لما ذكرناه

فصل (١٣) في الإشارة إلى حشر جميع الموجودات حتى الجماد و النبات إلى الله تعالى كما يدل عليه الآيات القرآنيه

اعلم أن الممكنات كما مر على طبقات

أشاره

أولها المفارقات العقلية و هي صور علم الله- و ثانيها هي الأرواح المدبره تدييرا كليا للأجرام العلويه و السفليه المتعلقة بها ضربا من التعلق.

و ثالثها الأرواح المدبره تدييرا جزئيا و النفوس الخياليه المتعلقة بالأجسام السفليه البخاريه و الدخانيه أو الناريه منها و ضرب من الجن و الشياطين.

و رابعها هي النفوس النباتيه.

و خامسها الطبائع الساريه في الأجسام المنقسمه بانقسامها.

و سادسها الأجسام الهيولويه و هي الغايه في الخسه و البعد عن المبدأ الأول- و جميعها محشوره إليه تعالى و نحن بصدد إثبات هذا المطلب إجمالا و تفصيلا بتوفيق ربنا الأعلى.

فنبول أما الوجه الإجمالي

فهو كما مر أنه تعالى لم يخلق شيئا إلا لغايه و ما

١- الأول لأصحاب اليمين و الثاني للمقربين و ما يدور عليه النشأه البرزخيه- و هو الخيال و إن كان حاصله لكل أحد إلا أن الخيالات لم تستحكم أولا فكل شئ ء أجل و مده يستكمل و ينضج فيها و لهذا ترى الأطفال لا يرون الرؤيا في أوائل السن- فإدراك الأوجاع فيه إنذار بالهلاك قبل التماميه على أن عدم إيداع الآلام في قوه عدم إعطاء قوه اللمس و حينئذ لا يكون المركب حيوانا، س ره

من ممكن إلا- و له فاعل و غايه و من الموجودات و هى المركبات ما له علل أربع الفاعل و الغايه و الماده و الصوره و لكل غايه غايه أخرى و لا يتسلسل إلى غير النهايه بل ينتهى إلى غايه أخيره لا غايه لها كما أن لكل مبدأ مبدأ حتى ينتهى إلى مبدأ أول لا مبدأ له و قد ثبت بالبرهان أن بارئ الكل لا غايه فى فعله سوى ذاته و أنه غايه الغايات كما أنه مبدأ المبادئ و لا شك أن غايه الشىء ما له أن يصل إليه (١) إلا- لمانع خارجى- و كلما لا يمكن الوصول إليه لم يكن إطلاق الغايه عليه إلا بالمجاز فلم يكن غايه بالحقيقه و قد فرضناها غايه هذا خلف فثبت بما ذكرناه أن جميع الممكنات بحسب الطبائع و الغرائز طالبه إياه تعالى منساقه إليه متحركه نحوه انسياقا معنويا و حركه ذاتيه و هذه الحركه و الرغبه لكونهما مرتكزين فى ذاتها من الله لم تكونا هباء و عبثا و لا- معطلا- فلا- محاله غايتها كائنه متحققه مترتب عليها إلا لعائق قاصر و القسر لكونه خلاف الطبع لا يكون دائما بل منقطع كما سبق بيانه فيزول القواصر و الموانع و لو بعد زمان طويل فتعود الأشياء كلها إلى غاياتها الأصلية و غايه الشىء أشرف لا محاله من ذلك الشىء فغايه كل جوهر هى أقوى جوهرية و أتم وجودا و أشرف مرتبه من ذلك الجوهر و هكذا ننقل الكلام إلى تلك الغايه حتى تنتهى إلى غايه أخيره لا أشرف منها- و لا غايه بعدها دفعا للتسلسل و هى غايه الغايات و منتهى الحركات و الرغبات و مأوى العشاق الإلهيين و المشتاقين و ذوى الحاجات فالكمل محشور إليه تعالى و هو المطلب.

و أما البيان التفصيلي فلنورده فى دعاو

الدعوى الأولى فى حشر العقول الخالصة إلى الله تعالى

إشاره

قد سبق مرارا أنها مستهلكه الهويات فى هويته تعالى و أنها باقيه ببقاء الله راجعه إليه و لنوضح ذلك بذكر وجوه من البراهين.

١- و كما لا بد أن يصل إليه لا بد أن يكون بنحو التحول و الصيروره كصيروره النفس الحيوانيه التى فى صراط الإنسان نفسا ناطقه و العقل بالفعل مستفادا و المستفاد عقلا فعلا و العبارة فى الرجوع إلى الله هى الفناء بالطمس و المحق و هذا الوصول إلى الغايات- حتى غايه الغايات عبارة أخرى للحشر و الجزاء و الحكيم الإلهى يقول به بكلتا العبارتين- ٢٤٤ فىقول لكل شىء غايه لا بد أن يصل إليه حتى أن للطبائع غايات، س ر

البرهان الأول

أن هوياتها وجودات صرفه و إنيات محضه لا- يشوبها عدم و أنوار خالصة لا يخالطها ظلمه و إنما التفاوت (١) بينها و بين نور الأنوار بالنقص و التمام و كذا بين بعضها مع بعض ليس إلا بالشده و الضعف و متى كانت كذلك كان لها اتصال معنوى و لم تكن معزولة الهويات عن الهويه الإلهيه و لأن تمام (٢) هو بالحقيقه ذلك الشئ ء و أحق به منه.

البرهان الثانى

أن قاعده إمكان الأشرف يقتضى أن يكون بين المبدأ الأول- و ما فرض أقرب الموجودات إليه اتصال معنوى و كذا بين الموجود و ما يتلوه و هكذا إلى آخر الإنيات المحضه و الأنوار الصرفه فيكون الكل كأنه ذات واحده لها اتصال واحد متفاوتة المراتب فى شدة الإشراق و كماله الوجود و لها جنبه عاليه غير متناهيه فى الشده و جنبه أخرى متناهيه فى الشده مع عدم تناهيها فى المده و العده و ذلك لأنه لو لم يكن بينها هذا الاتصال يلزم انحصار غير المتناهي بين حاصرين كما بيناه (٣) و لا مخلص إلا بكونها من مراتب الإلهيه و درجات الربوبيه كما أشير إليه بقوله تعالى- رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ فهى واصله إليه راجعه إلى ذاته.

البرهان الثالث

(٤) أن العقل حيث لا حجاب بينه و بين الحق تعالى له أن يشاهد

١- إلى قوله كان لها اتصال معنوى إذ لا- ماهيه لها على التحقيق فضلا عن الماده بمعنى المتعلق و أحكام السوائيه تدور على الماده و الحركه و ما تتعلق بها و كلها مسلوبه عنها- فهى من صقع الربوبيه، س ره

٢- فإن ما هو لم هو و المراد هنا لم هو الغائى، س ره

٣- أى فى الربوبيات حيث ٢٤٥ قال عرض لى شبهه فى هذه القاعده و هى أنه يتصور بين الواجب تعالى و المعلوم الأول ممكن أشرف من المعلوم الأول و أنزل من الواجب و هكذا يتصور بينه و بين الواجب كذا فبمقتضى القاعده يجب أن يصدر عن الواجب و يلزم أمور غير متناهيه و أن تكون محصوره بين حاصرين و قال حصل من نفسى جوابه و هو أن العقول كموجود واحد ذى مراتب كالنفس الواحده و لطائفها و مراتبها و كلها وجه الواجب و نوره و ظهوره و لها الاتصال الحقيقى المعنوى فلا كثره متناهيه فى الأنوار الحقيقه فضلا عن الكثره الغير المتناهيه إلا كثره المراتب و الدرجات لشيء واحد، س ره

٤- هذا البرهان من مسلك الحضورى و إن له موردين الاتحاد و العليه و أردنا بالاتحاد الفناء، س ره

بذاته ذات الأول لكن لا على وجه الاكتناء وإلا لكان محيطا به قاهرا عليه هذا محال- وإذ لا واسطه بينهما ولا حجاب يوجب البينونه فلا محاله يتجلى الحق عليه بصريح الذات- إذ لا جهة أخرى ولا صفه زائده لذاته تعالى متجل بذاته على العقل الأول فذات العقل الأول هي صورته هذا التجلي إذ ليس له قابل للتجلي غير ذاته فما به التجلي (١) والمتجلي والمتجلي له كلها شيء واحد وليس هناك أمران ذات العقل وتجلي الحق له إذ يمتنع أن يصدر عنه تعالى بجهة واحدة صورتان صورته العقل وصورته التجلي ويستحيل أن يتكرر وجودان لشيء واحد فثبت من ذلك أن وجود العقل بعينه عباره عن تجليه تعالى بصورته ذاته عليه وصورته ذات الحق ليست بأمر مغاير لذاته فذات العقل كأنها (٢) صفحه مرآه يترأى فيها صورته الأول وكما ليس في صفحه المرآه لون ولا شيء وجودي إلا- الصورة المرئيه ولا- الصورة المرئيه أمر مغاير لحقيقتها فكذلك ليس للعقل هويه إلا صورته هويه الأول والصورة ليست بأمر مفارق لذى الصورة ولا تفاوت جهة فيها إلا كونها مثلا له وحكاية عنه وهو ذاتها وحقيقتها فالذات الإلهيه هي حقيقه العقل والعقل مثالها وكل ذي حقيقه راجع إلى حقيقته فالعقل الأول محشور إليه تعالى- وكذا العقول البواقي محشوره إليه بالبيان المذكور لأن المحشور إلى المحشور إلى شيء محشور إلى ذلك الشيء.

البرهان الرابع

قد مر في مباحث العقل والمعقول من الفن الكلي البرهان على ثبوت الاتحاد بين العاقل ومعقوله بالذات و ثبت في مباحث علمه تعالى أن المفارقات العقلية هي بعينها علومه (٣) التفصيليه بالأشياء لا بصوره زائده عليها فإذا كانت ذاتها عين عقله تعالى بالموجودات وعقل الشيء كما علمت غير مباين عنه فهي لا محاله راجعه

١- أي التجلي عين المتجلي عليه إذ المفروض هو الفناء وأيضا لا- ماهيه له ووجوده ربط محض لا- نفسيه له بل من صقع الربوبيه، س ره

٢- بل نفس الصورة المرئيه في المرآه والعكس في الحقيقه هو المرآه وقد علمت أنه لا- ماهيه ولا نفسيه حتى يتحقق هناك مرآه، س ره

٣- فمره يثبت الاتحاد من النظر إلى عنوان المعقوليه بالذات وأن المعقول بالذات متحد مع العاقل وتاره يثبت من النظر إلى عنوان العلم وأن العلم متحد مع العالم، س ره

محشوره إليه تعالى صائره إياه.

البرهان الخامس

قد سبق في مباحث علم الله تعالى أن الصور العقلية الإلهية - قائمه بذاته تعالى قواما ذاتيا (١) لا على وجه الحاليه و المحليه و أنها من لوازم ذاته الغير المجعوله الثابته له باللاجعل الثابت لذاته تعالى الواجبه بالوجوب الثابت له الباقية ببقائه تعالى فلا محاله محشوره إليه تعالى فثبت بهذه البراهين أن عالم العقل و الصور الإلهيه و الأنوار المفارقة كلها عائدته إليه فانيه من ذاتها باقيه ببقاء الله و الله معادها كما أنه مبدؤها

الدعوى الثانيه فى حشر النفوس الناطقه

(٢) إلى الله تعالى هذه النفوس إما كامله كاملا عقليا أو ناقصه أما النفوس الكامله فهى التى خرجت ذاتها من حد العقل بالقوه إلى حد العقل بالفعل فصارت النفس عقلا بالفعل و كلما صارت النفس عقلا بالفعل انتقلت عن ذاتها و اتحدت بالعقل الذى هو كمالها فحشرت إليه و كلما كان محشورا إلى العقل كان محشورا إليه تعالى لأن المحشور إلى المحشور إلى شىء كان محشورا إلى ذلك الشىء فالنفوس الكامله محشوره إليه تعالى و هو المطلوب و أما النفوس النطقية الناقصه فلا يخلو إما أن تكون مشتاقه إلى الكمال العقلى أو لا- و النفوس الغير المشتاقه إلى ذلك الكمال سواء كان عدم اشتياقها إليه بحسب أصل الفطره كما هو حال الأنعام أو من جهة أمر عارض عليها كما قال تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ فهى محشوره إلى عالم متوسط بين

- ١- أى متقومه بذاته تعالى تقوما وجوديا فإن ما هو لم هو فى كثير من الأشياء كما قال أرسطو و المراد هنا لم هو الفاعلى كما أنه فى قوله و لأن تمام الشىء إلخ لم هو الغائى و هذا برهان تام على هذا و أما على نسخه قياما و هى أنسب بما بعده فلك أن تقول إن القيام قيام صدورى و الصدور يستدعى مغايره أزيد و اللازم غير مجعول إذا كان الملزوم غير مجعول- و لكن لغير الملزوم و أما لنفس الملزوم فمجعول إذ اللزوم العليه و الاقتضاء إلا- فى اللوازم الغير المتأخره فى الوجود كمفاهيم الأسماء و الصفات و الأعيان الثابتات لكن العقول وجودات- و أما الوجوب بوجوبه و البقاء ببقائه فكان مأخوذا فى تحرير الدعوى، س ره
- ٢- قد طوى حشر النفوس الفلكيه كلياتها فى حشر النفوس الناطقه الكليه و جزئياتها- أعنى النفوس المنطبعة فى حشر النفوس الخياليه الإنسيه لأن السبك واحد، س ره

العقلی و المادی و هو عالم الأشباح المقداریه و عالم الصور المحسوسه المجرده و هی قوالب و حکایات و ظلال لما فی العالم العقلی من الصور العقلیه و بها قوامها و دوامها و کیفیه حشرها ککیفیه حشر سائر النفوس البهیمیة و السبعیه إِنَّ هُمْ إِلَّا کَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا و سيجى ء حال معاد النفوس الحيوانیه و أما النفوس المشتاقه إلى العقلیات- الغير البالغه إلى کمالها العقلی فهی متردده فی الجحیم معذبه دهرًا طویلًا- و قصیرًا بالعذاب الأليم ثم يزول عنها الشوق إلى العقلیات إما بالوصول إليها إن تدارکته العناية (١) الإلهیه بجذبه ربانيه أو شفاعة ملكیه أو إنسانيه لقوه الشوق و ضعف العلائق أو بطول المكث فی البرازخ السفلیه و الاستیناس إليها فيزول عنها العذاب و يسكن عند المآب إما إلى الدرجه العليا و إما إلى المهبط الأدنى فيحشر إلى الله من جهه أخرى من غير تناسخ كما سيظهر.

الدعوى الثالثه فى حشر النفوس الحيوانيه

إشارة

هذه النفوس الحيوانیه إن كانت بالغه حد الخيال بالفعل غير مقتصره على حد الحس فقط فهی عند فساد أجسادها لا تبطل بل باقیه فی عالم البرزخ محفوظه بهویاتها المتمایزه محشوره فی صورته (٢) مناسبه لهيئاتها النفسانيه- و أشخاص كل نوع منها مع کثرتها و تميزها و تشکيلها بأشکالها و أعضائها المناسبه لها المتفقه بحسب نوعها المختلفه بشخصياتها واصله إلى مبدأ نوعها و رب طلسمها و هو من

١- بأن حصل فی الدنيا أسبابه إذ الآخره ليست دار العمل بل دار بروز ما وقع منه فی الدنيا فيكون له صفاء و اختلاس لجذبه و اتصالات بالعقل الفعال للشفاعة الملكيه و مورد إنظار للإنسان الكامل فی الشفاعة الإنسانیه فقله لقوه الشوق معناه قوه الشوق إلى الانجذاب و نحوها، س ره

٢- اعلم أن لكل فرد من نوع حیوانی صورته و معنى أى بدنا و نفسا و لكل منهما فى مده بقائه الدنیوی حركه جوهريه استکمالیه و لهذه الحركه ضرب الله لكل موجود کونى أجلا- فيخمر طينته فى ذلك الأجل فصورته بعد الاستکمال عن هذا المحل العنصرى و تتحد بصورته المثاليه و معناه بعد الاستکمال يستغنى عن البدن الطبیعى مستکفيا بالبدن المثالى- و يتصل مع النفوس الجزئیه الأخرى من نوعه برّب نوعه و أصل ذاته مع کثرتها و تمايزها و تشکلاتها لأن تلك الوحده التى لرب طلسمها جمعيه لا عدديه محدوده ضيقه و سع كرسى نوره سماوات نفوسها و أراضى أشباحها فما حدسك برّب الأرباب تعالى، س ره

العقول النازله فى الصف الأخير من العقليات فإن لكل نوع من أنواع الحيوانات- و غيرها من الأجسام الطبيعى عقلا هو مبدؤها و غايتها كما سبق بيانه فإذا كان الأمر هكذا فلا محاله يكون أفراد كل نوع طبيعى متصله إلى مبدئها الفاعلى و الغائى لكن هذه العقول العرضيه الأخيره التى ليست بعدها عقل آخر بعضها أشرف من بعض و لأجل ذلك كانت الأنواع الطبيعى بعضها أشرف لأن شرافه العله المؤثره يوجب شرافه المعلول- فمن تلك العقول ما لم يتوسط بينه و بين معلوله الطبيعى شىء آخر لغايه نزوله العقلى فحكمه حكم النفوس المباشره للأجسام إلا أن النفس ليست لها رتبه الإبداع للجسم بل التدبير و التصريف بخلاف العقل و منها ما يتوسط بينها و بين طبيعه معلوله نفس إنسانيه إن كان فى غايه الشرف و هو رب نوع الإنسان أو نفس حيوانيه و هو دونه فى الشرف أو نفس نباتيه و هو أنزل منهما جميعا و أرفع من العقول النازله التى هى مبادئ الطبائع الجماديه فالعقول التى هى مبادئ الطبائع الحيوانيه التى لها نفوس خياليه بالفعل ترجع تلك النفوس إليها مع بقاء تعددها و امتياز هوياتها الشخصيه فهى بشخصياتها محشوره كل طائفه من أفراد نوع واحد إلى العقل الذى هو مبدأ نوعها و أما النفوس الحيوانيه التى هى حساسه فقط و ليست ذات تخيل و حفظ بالفعل فهى عند موتها و فساد أجسادها ترجع إلى مدبرها العقلى لكن لا يبقى امتيازها الشخصى و كثره هويتها المتعدده بتعدد أجسادها- بل صارت كلها موجوده بوجود واحد متصله بعقلها لأنها بمنزله أشعه نير واحد- انقسمت و تعددت بتعدد الروازن الداخله هى فيها فإذا بطلت الروازن زال التعدد بينها- و رجعت إلى وحدتها التى كانت لها عند المبدأ فهكذا كيفيه حشر هذه النفوس الحساسه- و ذلك كرجوع القوى الحساسه و غير المتفرقه فى مواضع البدن المجتمعه عند النفس- و من نظر إلى حال الحواس الخمس و افتراقها فى أعضاء البدن و اتحادها فى الحس المشترك هان عليه التصديق بأن النفوس الحساسه الجسمانيه المتعدده بتعدد الأبدان- و هى التى لا استقلال لها فى الوجود بلا قابل إذا فسدت قوابلها فهى لا محاله مرتبطه بفاعلها- و اتحاد الفاعل يوجب اتحاد الفعل و إنما يتعدد بتعدد القابل بالعرض فإذا فسدت

القوابل يرجع الفعل إلى وحدته الأصلية التي له من جهة الفاعل فافهم هذا فإنه نافع جدا فإذا حكم النفوس الحيوانية الغير المستقلة في وجودها حكم سائر القوى النفسانية لذات واحدة في أن وجودها وجود رابطى و أنها غير مدركة لذاتها كقوة البصر و السمع و غيرهما فينا فإن قوة البصر مثلا ليست لها هوية مستقلة و للسمع هوية أخرى مستقلة و إلا لأدركت كل واحدة منها ذاتها بل النفس الإدراكية الحاضرة لذاتها- هي الهوية الجامعة لهويات القوى يدرك بها غيرها فالباقيـة بذاتها في (١) القيامة و في النشأ الباقيـة متميزه هي النفس القائمة بذاتها و أما سائر قواها فهي باقية ببقائها لأنها متصلة بها متحدة بوحدتها فكذلك حكم النفوس الحيوانية الغير القائمة المستقلة بذاتها و لا الشاعره لذاتها فهي عند ارتفاع تكثرها الذى لأجل تكثر أجسادها رجعت إلى مبدئها و أصلها متحدة فيه كارتجاع المشاعر و القوى بمبدئها الجامع الإدراكى عند فساد مواضعها و آلاتها متحدة به باقية ببقائه

تنبيه:

اعلم أن من الناس من زعم أن الأرواح الإنسية أيضا كالأرواح الجزئية للحيوانات الدنية و النباتات تتحد بعد خراب أجسادها و شبهها بالمياه الواقعة فى الكيزان و الجرات إذا انكسرت الأوعية و صارت هي متصلة واحدة و واصله إلى الحوض العظيم و هذا زعم باطل و وهم فاسد و قياس تلك الأرواح بهذه الأرواح الجزئية السارية فى الأجسام قياس مغالطى و همى مبناه عدم الفرق بين الانقسام و التعدد الحاصل بسبب القوابل و بين الانفصال و التكثر الذى بسبب المبادئ الذاتية و ذلك لأنه ذكر الشيخ العربى فى الباب الثانى و ثلاثمائة من الفتوحات بقوله اعلم أن الناس اختلفوا فى هذه المسألة يعنى فى أرواح صور العالم هل هي موجودة- عن الصور (٢) أو قبلها أو معها و أن منزله الأرواح (٣) من صور العالم كمنزله أرواح

١- و هذا هو الذى نسميه بالحشر الاستقلالى و غيره بالحشر التبعى، س ره

٢- كما يقوله من يرى أن النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء بالحركة الجوهرية أو قبلها كما يقول أفلاطون بنحو الوحده لا بنحو الكثرة كما مر و الشيخ العربى ارتضاه و عبر عنه بحضرة الإجمال أو معه كما يقول به المشاءون و كثير من المليين القائلين بتجرد النفس- أولا ذاتا فقط و حدوثها مع حدوث البدن، س ره

٣- تطبيق للعالم الكبير على الصغير، س ره

صور أعضاء الإنسان الصغير كالقدره روح اليد و السمع روح الأذن و البصر روح العين - و التحقيق في ذلك عندنا أن الأرواح المدبره للصور كانت موجوده في حضره الإجمال غير مفصله بأعيانها(١) مفصله عند الله في علمه فكانت في حضره الإجمال كالحروف الموجوده بالقوه في المداد(٢) فلم يتميز لأنفسها و إن كانت متميزه عند الله مفصله في حال إجمالها- فإذا كتب(٣) القلم في اللوح ظهرت صور الحروف مفصله بعد ما كانت مجمله في المداد- فقل هذا ألف و دال و جيم في البسائط و هي أرواح البسائط(٤) و قيل هذا قام و هذا زيد و هذا خرج و هذا عمر و هي أرواح الأجسام المركبه و لما سوى الله صور العالم أى عالم شاء و أراد كان روح الكل كالقلم في اليمين(٥) الكاتبه و الأرواح كالمداد في

١- أى غير موجوده بوجوداتها المتشبهه الكونيه التى لها فيما لا- يزال مفصله أى متميزه فى علم الله الأزلى لأن علمه تعالى هو العلم الإجمالى فى عين الكشف التفصيلى- و المراد بالإجمال بساطه ذلك الوجود العلمى و بالتفصيل كثره مفاهيم الأسماء و الماهيات- المسماه عندهم بالأعيان الثابته، س ره

٢- هذا حال الحروف التدوينيه إن أريد القوه الاستعداديه التى فى مداد رأس القلم الطبيعيين أما الحروف التكوينية التى كمنت بوجودها فى وجود القلم الأعلى كما قال "كنا حروفاً عاليات لم نقل متعلقات فى ذرى أعلى القلل إنا أنت فيه و أنت نحن و نحن هو و الكل فى هو هو فصل عمن وصل أى إنا أنت فى الوجود العلمى و كذا الكل فى علم الهويه الصرفه وجودا هى هى لا بحسب المفاهيم و الماهيات فقوتها الشده و التماميه و كينونتها بنحو الوحده الجمعيه فإن يد الله مع الجماعه و قدرته نافذه، س ره

٣- أى العقل الكلى فى النفس الكليه أو الروح الكلى فى الصور المفصله و هذا أنسب بالمقام. "چوقاف قدرتش دم بر قلم زد هزاران نقش بر لوح عدم زد و المراد بهذا العدم ماهيات الصور لكونها أمورا اعتباريه، س ره

٤- أى هذه كالحروف المقطعه و أرواح المركبات كالحروف المركبه، س ره

٥- و نعم ما قال الجامى- "در كف كاتب وطن دارم مدام کرده بين الإصبعين أو مقام نیست در من جنبش از ذات من اوست در من دمدم جنبش فكن و المراد بالإصبعين صفتا الجمال و الجلال أو صفتا اللطف و القهر، س ره

القلم و الصور كمنازل الحروف فى اللوح فنفخ الروح فى صور العالم (١) فظهرت الأرواح متميزه بصورها فقل هذا زيد و هذا عمر و هذا فرس و هذا فيل و هذه حيه- و كل ذى روح و ما ثم إلا ذو روح لكنه مدرك و غير مدرك فمن الناس من قال إن الأرواح فى أصل وجودها متولده من مزاج الصور و من الناس من منع ذلك و لكل واحد وجه يستند إليه فى ذلك و الطريق المثلى الوسطى (٢) ما ذهبنا إليه و هو قوله تعالى ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ و إذا سوى الله الصورة الجسميه ففى أى صورته شاء من الصور الروحيه ركبها إن شاء فى صورته خنزير أو كلب أو إنسان أو فرس على ما قرره العزيز العليم فثم شخص الغالب عليه البلاده و البهيمة فروحه روح حمار و به يدعى إذ ظهر حكم ذلك الروح فيقال فلان حمار و كذا كل ذى صفه يدعى إلى كتابها (٣) فيقال فلان كلب و فلان أسد و فلان إنسان و هو أكمل الصفات و أكمل الأرواح قال تعالى الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ و تمت النشأ الظاهره فى أى صورته ما شاء ركبك من صورته الأرواح فنسبت إليها كما ذكرناه و هى معينه عند الله فامتازت الأرواح بصورها ثم إنها إذا فارقت هذه المواد فطائفه من أصحابنا يقول إن الأرواح تتجرد عن المواد تجردا كلياً- و تعود إلى أصلها كما يعود شعاعات الشمس المتولده عن الجسم الصيقل إذا صدد إلى الشمس و اختلفوا هاهنا على طريقين فطائفه قالت لا تمتاز بعد المفارقة لأنفسها كما لا تمتاز ماء الأوعية التى على شاطئ النهر إذا انكسرت فرجع ماؤها إلى النهر و قالت طائفه أخرى بل يكتسب بمجاوره الجسم هيئات رديه و حسنه فيمتاز بتلك الهيئات إذا

-
- ١- كما قرأ و نفخ فى الصور بفتح الواو و لو قرأ بالسكون طابق هذا كما سيقول الشيخ و هو المعبر عنه بالصور فالنفخه الروحانيه و النفخه العاطره الربانيه هى الروح المتعلق بهذه الصور كما قال تعالى فى الابتداء وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي*، س ره
 - ٢- أى الأفضل أنها من الصور بجنتها النازله و ليست منها بجنتها العاليه و أيضا على ما استفاد من الآيه من قوله تعالى ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ أنها من الصور بنحو الحركه الجوهرية و اتصال حقيقى معنوى بينهما و ليست من الصور بنحو تكون مادي من ماده كما يتوهمه الطباعيه، س ره
 - ٣- أى كتاب النفس المنقوشه بالملكات، س ره

فارت كما أن ذلك الماء إذا كان في الأوعية أمور تغيره من حالته إما في لونه أو رائحته أو طعمه فإذا فارق الأوعية صحبته في ذاته ما اكتسبته من الصفه و حفظ الله عليها تلك الهيئات المتكسبه و وافقوا في ذلك بعض الحكماء و طائفه قالت الأرواح المدبره- لا تزال مدبره في عالم الدنيا فإذا انتقلت إلى البرزخ دبرت أجساما برزخيه و هي الصور التي يرى الإنسان نفسه فيها في النوم و كذلك الموت و هو المعبر عنه بالصور ثم يبعث يوم القيامة في الأجسام الطبيعیه كما كانت في الدنيا و إلى هنا انتهى (١) خلاف أصحابنا- في الأرواح بعد المفارقة و أما اختلاف غير أصحابنا في ذلك فكثير خارج عن مقصودنا انتهت ألفاظه.

و إنما نقلنا بطولها لما فيها من بعض التحقيقات المطابقه لما نحن عليه من الحكمه البرهانيه و إن كان فيها بعض أشياء مخالفه لها.

منها أنه حكم بتقدم وجود الصورة الجسميه على وجود الأرواح المدبره لها- و قد علمت أن تلك الأرواح أعنى النفوس بحسب ذاتها متقدمه على الأبدان ضربا من التقدم (٢) و هي المخصصه للأبدان بهيئاتها و أشكالها و أعضائها التي تناسب لمعانيها و صفاتها الذاتيه و فصولها المنوعه لتكون مظهرا لحقائقها و موضوعه لأفاعيلها و قابله لأعمالها التي بها يخرج كمالاتها من القوه إلى الفعل فالأبدان تابعه في الوجود للأرواح بالذات لا بالعكس و إن كانت هي أيضا مفتقره إليها في طلب الكمال و ظهور

١- حاصله أقوال ثلاثة اثنان القول بالتجرد عن الصورة مع ما به افتراقهما- و الثالث القول بالتجرم بمعنى التعلق بصورة ما دائما سواء كانت في الدنيا أو في البرزخ أو في العقبى، ن ره

٢- أي التقدم الذاتي و الدهرى و هي المشخصه لها و هي الفصول الحقيقيه التي هي علل الأجناس و هي المبادئ للآثار الخاصه فإذا لم يكن فصل لم يكن جنس و قد مضى في المباحث السابقه لزوم الترجيح بلا مرجح عند مطالبه المخصص لاختصاص الجسم المتحد الحقيقيه بالصورة المنوعه و دفعه بأن الجسم لا- تقدم له على الصور المنوعه و الفصول المقسمه حتى يقال إنه متشابه الأجزاء و تماثلها و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد و المغالطه من باب اشتباه ما في الخارج بما في الذهن فتذكر، س ره

الأفعال و المراد من الصورة فى قوله تعالى فى أى صُورَه ما شاءَ رَكَّبَكَ هى الصورة الجسميه الدنيويه و الذى ذكره من أن الشخص الغالب عليه البلاده روحه روح حمار- صحيح لكن جسده (١) أيضا جسد حمار تابع لروحه و ذلك أعم من أن يكون فى هذه النشأ بحسب الفطره الأصلية كهذا النوع المعهود فى الدنيا أو فى النشأ الآخره بحسب ما اكتسبته النفس الآدميه من الصفات البهييميه فى الفطره الثانيه فتحشر فى الآخره بصورة تلك البهييمه و بالجمله هيئات الأبدان تابعه لهيئات النفوس فى كلتا النشأتين.

و منها أنه يظهر من كلامه أن الصورة التى يبعث فيها الإنسان يوم القيامه- هى بعينها الصورة (٢) الطبيعیه التى كانت فى الدنيا و قد علمت أنه ليس كذلك و أن الدنيا و الآخره نشأتان مختلفتان فى نحو الوجود و أن الصورة المبعوثه من الإنسان فى القيامه ليست طبيعیه لكنها محسوسه بالحواس الظاهره فى الآخره كما مر.

و منها أنه كان يجب عليه أن يفرق بين الأرواح الكليه و الأرواح الجزئيه فى الأحكام التى ذكرها بل بين الأرواح الثلاثه أعنى الأرواح العقلية النطقية و الأرواح الحيوانية الخيالية و الأرواح الحيوانية الحسيه على مراتبها و أن أيها متميزه الوجود بعد مفارقه الأجساد و أيها غير متميزه بعدها و الذى ذكره طائفه من أن الأرواح غير متميزه بعد المفارقه لأنفسها بل هى كمياء الأوعيه إذا انكسرت فاتحدت حكم صحيح- إلا أنه مختص بالأرواح الجزئيه الحسيه و ما دونها من الأرواح النباتيه و غيرها- و ليس بصحيح فيما فوقها من الروحين السابقين أعنى العقلية و الخيالية لأنهما مستقلتان فى الوجود ليستا ساريتين فى الأجساد ليكون تميزهما و تعددهما تابعين لتعدد الأجساد

-
- ١- لا ينكر الشيخ هذا لا فى النوع المعهود و لا فى الإنسان البليد بحسب برزخه المشهود للمتوسمين، س ره
 - ٢- مراده بالعينية من حيث الصورة التى شئته الشىء بها و من حيث إن تشخص البدن و هذيته بالنفس و الوجود. و أيضا منظوره حفظ أوضاع الشرع و حفظ عقائد عوام المسلمين كما مر من المصنف قدس سره أن الحق أن المشهور يوم النشور هذا البدن بعينه و هذه النفس بعينه فلا تفاوت إلا بالدنيويه و البرزخيه و الأخرويه إذ فى كل نشأ له خاصيه تلك النشأ، س ره

و تميزها فهما بعد فساد هذه الأجساد متكثره الأفراد متميزه الذوات و الوجودات - نعم لهما و لغيرهما كينونه أخرى فوق العالمين و هى وجودها الإجمالى فى مبدأ عقلى - و جوهر قدسى مسمى بالقلم الإلهى فهناك وجود جميع الموجودات مجمله كما ذكره و قد سبق تحقيقه

الدعوى الرابعه فى حشر القوى النباتيه

أما نفوس النباتات فدرجتها أدنى من النفوس الحيوانيه لكونها عديمه الحواس سيما اللطيفه منها و هى أرفع درجه من الطبائع الجماديه و العنصريه لأن (١) لها ضربا من الشعور اللمسى كما يشاهد من أفاعيلها و لهذا يستحق إطلاق اسم النفس عليها فلها حشر يقرب من حشر الحيوانات السفليه إذ لها فى هذا الوجود الطبيعى ضرب (٢) من الترقى و الاستكمال و التقرب إلى المبدأ الفعال - و نوع منها و هى الساريه فى النطف الحيوانيه تنتهى فى الاستكمال إلى درجه الحيوان - و نوع منها ما يتخطى عن هذه الدرجه أيضا خطوه أخرى إلى مقام الإنسانيه فيكون حشرها أتم و قيامها فى القيامه أرفع و دنوها عند الله أقرب و أما ما سوى هذين النوعين و هى المقتصره فى حركاتها و سعيها على تحصيل الكمال النباتى فيكون معادها عند فساد أجسادها إلى مقام أنزل و حشرها إلى مدبر عقلى أدنى بالقياس إلى المدبرات العقلية - التى لأنواع الحيوانات على تفاوت مراتبها فى الشرف العقلى.

قال معلم الفلاسفه فى كتاب معرفه الربوبيه فإن قال قائل إن كانت قوه النفس - تفارق الشجره بعد قطع أصلها فأين تذهب تلك القوه أو تلك النفس.

قلنا تصير إلى المكان الذى لم يفارقه و هو العالم العقلى و كذا إذا فسد الجزء البهيمى تسلك النفس التى فيها إلى أن تأتى العالم العقلى و إنما تأتى ذلك العالم - لأن ذلك العالم هو مكان النفس و هو العقل و العقل ليس فى مكان فالنفس إذن ليست

-
- ١- أى شبيها بالشعور اللمسى و لو كان نفسه كان حيوانا كالخراطين لأن الحساس فصل الحيوان و كان متحركا بالإراداه إذ فى الصعود تتخطى الطبيعه على سبيل الأخس فالأخس فلزم أن يكون لها القوه المحركه قبل اللامسه و هو باطل، س ره
 - ٢- أى ضرب لها أجل لاستكمالها صورته و نفسا و قد كتبت سابقا فى النفس الحيوانيه الجزئيه ما يجرى هنا فتذكر، س ره

فى مكان فإن لم يكن فى مكان فهى لا محاله فوق و أسفل و فى الكل من غير أن تنقسم و تتجزى بتجزى الكل فالنفس فى كل مكان و ليست فى مكان انتهى كلامه.

أقول ينبغى أن يعلم أن صورته النبات إذا قطع من أصله أو جف تسلك أولا- إلى عالم الصور المقداريه بلا هيولى و ينتهى منه إلى العالم العقلى كما ذكره المعلم فإذا انتهت إلى ذلك العالم الصورى فتصير إما من أشجار الجنة(١) إن كانت ذات طعم جيد كالحلاوه و نحوها طيبه الرائحة أو من أشجار الجحيم إن كانت رديه الطعم مره المذاق كريهه الرائحة كشجره الزقوم طعام الأثيم و أصول هذه الأشجار تنتهى إلى سدره(٢) المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدره ما يغشى كما أن جميع النفوس تنتهى أولا إلى النفس الكليه التى فوقها العقل الكلى و هو مأوى النفوس الكليه كما أنها منتهى النفوس الجزئيه.

قال الفيلسوف الأ-عظم إن كل صورته طبيعیه هی فى ذلك العالم إلا- أن هناك بنوع أفضل و أعلى و ذلك أنها هاهنا متعلقه بالهيولى و هى هناك بلا هيولى و كل صورته طبيعیه هنا فهى صنم للصوره التى هناك الشبيهه بها فهناك سماء و أرض و هواء و نار و ماء- و إن كانت هناك هذه الصوره فلا محاله هناك نبات أيضا.

١- أى فانيه فيها فإن لها فى نفسها أشجارا هى أصل هذه و قبل هذه و منها أشجار هى صور أخلاق بنى آدم و أعمالها ففى الجنة قيعان غراسها سبحانه الله، س ره

٢- ظاهرها كما فى التفسير شجره عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى إليها علم كل ملك و قيل إليها ينتهى ما يعرج إلى السماء و ما يهبط من فوقها من أمر الله و قيل يغشيه الملائكه أمثال الغربان حين يقعن على الشجر و هذا ما قال تعالى إذ يَغْشَى السُّدْرَةَ ما يَغْشَى و تأويلها البرزخيه الكبرى إليها ينتهى مسير الكمل و أعمالهم و علومهم و هى نهايه المراتب الأسماويه أعنى الحضره الواحدية و وقوع الملائكه عليها كالغربان تأويله انتهاء سير السائرين إليها فليس وراء عبادان قريه و على التأويل بالبرزخيه الكبرى أمكن حمل السدره على الحيره الممدوحه كما قال ص: رب زدنى فيك تحيرا و منه قول ابن الفارض-
إخال حضيضى الصحو و السكر معرجى إليها و محوى منتهى قاب سدرتى و من السدره بمعنى الحيره الصدر الذى من أمراض الرأس، س ره

فإن قال قائل إن كان فى العالم الأعلى نبات فكيف هى هناك و إن كانت ثمه نار و أرض فكيف هما هناك فإنه لا يخلو من أن يكونا إما حيّين أو ميتّين فإن كانا ميتّين مثل ما هاهنا فما الحاجه إليهما هناك و إن كانا حيّين فكيف يحييان هناك.

قلنا أما النبات فنقدر أن نقول إنه هناك حتى لأنه هاهنا أيضا حتى - و ذلك أن فى النبات كلمه محموله على حياه و إن كانت كلمه النبات الهيولانى حياه - فهى إذن لا محاله نفس ما أيضا فأحرى أن يكون فى النبات الذى فى العالم الأعلى - و هو النبات الأول إلا أنها فيه بنوع أعلى و أشرف انتهى كلامه و استفيد من كلامه فى هذا الموضع و فى غيره من المواضع أن لهذا النبات الطبيعى صورتان آخرتان إحداهما موجوده فى عالم النفوس أعنى الصور المحسوسه بلا- ماده و الأخرى و هى المراد بالنبات الأول و سننقل من كلامه ما يدل على أن لهذه الأرض و الماء و غيرهما من الصور الطبيعىه كلمات نفسانيه فقد ثبت و تحقق أن لصور هذه الأجسام الميتة هاهنا المقبوره فى مقبره الهيولى بعثا و حشرا فى عالم و عودا إلى النشأ الثانى و منها إلى معاد النفوس و سنزيدك لهذا إيضاحا.

الدعوى الخامسة فى حشر الجماد و العناصر

يجب عليك أيها الحبيب الراغب - إلى إدراك هذه الغوامض و كشف هذه الخبايا القاصره عن دركها أذهان أكثر الحكماء و الكبار فضلا عن سائر النظار فكيف من دونهم من أسراء الوهم أن تستحضر فى ذهنك القواعد الوجوديه التى أكثرنا ذكرها فى هذا الكتاب الذى فيه قره أعين أولى الألباب فتذكر أولا أن للوجود فى ذاته حقيقه واحده بسيطه لا اختلاف فيها إلا بالتقدم و التأخر و الكمال و النقص و هى مع صفاتها(١) الكماليه التى هى عين ذاتها من العلم و القدره و الإراده و غيرها موجوده فى كل شىء بحسبه فهى فى الذات الأحديه الإلهيه مقدسه عن شوب العدم

١- لعلى كررت عليك أن الدليل على كون الوجود عين هذه الصفات و هذه عينه و مراتبها كمراتبه النظر إلى وجود النفس الناطقه فضلا عن وجود العقل و ما فوقه حتى ترى أنها علم بذاته لذاتها و إرادته و عشق بذاتها و لذاتها و قدره على التشؤن بالقوى و ما فيها و حياه و نور و علم حضورى بذاتها و قواها و ما فيها و قس عليها و أما فى الامتدادات فكما أن كمالاتها كلا كمال كذلك وجودها كلا وجود، س ره

و القصور من كل الوجوه و كذلك فى الثوانى العقلية و المقامات القدسيه و السراقات الكبرىائيه لانجبار نقائصها المعلوليه بوصولها إلى تمامه العلى و كمالها الوجوبى فلم تبق فيها شائبه قصور إمكانى أو فقر نقصانى فى نفس الأمر لأنها قد انجبرت بالكمال القيومى و التسلط الإشرافى و لهذا يقال لها الكلمات التامات و بعد مراتبهم مراتب الموجودات الناقصه التى يشوبها أعدام خارجيه و هى الحريه بأن يسمى بما سوى الله و لا يخلو شىء منها ما دام كونها التجددى من نقص وجودى و عدم زمانى و آخر الدرجات الوجوديه نقصانا و قصورا هى الأجسام الطبيعیه و هى مع أنها من حيث حصتها من الوجود عين العلم و القدره و الحياه إلا أنها لما انتشرت و تفرقت فى الأقطار المكانية و الجهات الماديه و تباعدت أجزاءها فى الامتدادات الزمانيه و تعانقت مع الأعدام و امتزجت بالظلمات فغابت عن أنفسها بلا حضور و نسيت ذواتها بلا شعور و غرقت فى بحر الهوى و لن تقدر على التذكر بفقدان الجمعیه الحضوريه عنها فى تفرقه هذا الكون المادى لغيبها عن ذاتها و مفارقتها من حيزها الأصلى و مقامها الجمعى و موطنها النورى لكنها مع ذلك لكونها بوجودها الضعيف و نورها القليل من حقيقه الوجود و سنخ النور قابله لأن تقبل عن عنايه الله و إمداد فيضه ضربا من الحياه و قسطا من النور ليتخلص من تسلط العدم و قهر الظلمات و لا يلتحق بالعدم الصرف و الهلاك البحت و ينطلق من قيد الظلمات الفاشيه و الحجب الغاشيه و القبور الدائره فأول كسوه صوره ألبستها الرحمه الأزلیه هى الصوره الممسكه(١) لها عن التفرق و السيلان ثم الحافظه لتركيبها عن المسفد المضاد ثم المواتيه لها ما يقويها و يعديها من الخارج بدلا عما ينقص منها بالتحليل و مكملها بما يزيدها فى الإعظام و الأحجام- التى يتم بها كمالها الشخصى ثم المديمه لبقائها بتوليد أمثالها ثم العنايه الإلهيه عاطفه على المواد بعد هذا الإمداد بالهدايه لصورها إلى سبيل القرب و الاتحاد بتلاحق الاستعداد شيئا فشيئا إلى أن ترجع إلى عالم المعاد و رتبه العقل المستفاد فهذا أصل.

ثم تذكر و تدبر فيما أشرنا إليه سابقا من أن الأجسام كلها قابله للحياه الأشرف

١- ليس المراد أن هذه الصور الفائضه عليها حشرها لأنها من هذا العالم الدنيوى- بل المراد أن حشرها حشر البسائط، س ره

و الكمال الأرفع مما هي ساريه فيها لكن المانع لبعضها عن القبول هو التسفل و التنزل فى منزله [منزل] التفرقه و التضاد و التقيد بهويه جزئيه مضاده لما يقابلها فيفسدها و تفسده بالتضاد الواقع بينهما فكلما ضعفت فيها قوه هذا الوجود المتأكد فى النزول إلى منزل التفاسد و التعاند استعدت الماده لصوره أرفع منزله و أقل تفرقه و انقساماً و أكثر جمعيه و اتحاداً فهذه العناصر لغايه تسفلها و تفرقها و بعدها عن عالم الوحده من جهه التضاد و شدة كفياتها المتضاده و صورها المتفاسده متعصيه عن قبول الحياه النفسانيه و العقليه فكلما انكسرت سوره كفياتها و تأكدت وجوداتها الخاصه و انهدمت قوه تضادها بالضعف و الفتور قبلت ضرباً آخر من الوجود و نمطاً آخر من الصوره الكماليه أرفع و أبسط كأنها لاعتدالها و استوائها متوسطه بين الكل خاليه عنها بوجه جامع لها بوجه ألطف من غير تفاسد و تضاد ثم كلما أمعت فى الخروج عن هويات الأطراف المتضاده بالانكسار و الانتقاص فيها استحققت حياه أشرف و نالت صوره أبسط و أجمع و هكذا متدرجه فى الاستكمال متعاليه عن مهوى النزال حتى تبدلت صورتها بصوره النفس المتحدّه بالعقل الفعال الذى هو نور من الله و مثال منه أكرم و كلمه أتم و اسم أعظم فهذا أيضاً أصل (١) ثم استحضر فى ذهنك و تأمل إن كل صوره كماليه فهى مما يوجد فيها جميع الصور- التى دونها على وجه ألطف و أشرف و أبسط و إن كل صوره ناقصه لا يمكن وجودها إلا بصوره أخرى متممه لها محيطه بها حافظه إياها مخرجه لها من القوه إلى الفعل و من النقص إلى الكمال و لولاها لم يكن لهذه الناقصه وجود إذ الناقص لا يقوم بذاته إلا بكامل- و القوه و الإمكان لا يتحققان إلا بفعل و وجوب فالكمال أبداً قبل النقص و الوجوب قبل الإمكان و الوجود قبل العدم و ما بالفعل قبل ما بالقوه و التعين قبل الإبهام و الذى يوقع الناس فى الغلط و الاشتباه ما يرون فى هذا العالم من تقدم الأعدام و الإمكانات و الاستعدادات

١- لا- تفاوت بينه و بين الأصل الأول إلا- من حيث المانع إذ المانع فى الأول هو التباعد المكانى و التمداد الزمانى و الانظام الهولائى و فى الثانى هو التضاد و التفاسد- و إلا من حيث القائد و المقرب فإنه فى الأول نفس الوجود كما قال وجودها من حقيقه الوجود و سنخ النور و هو فى الثانى العداله و التسويه المزاجيه، س ره

بحسب الزمان على ما نسبت إليها من مقابلاتها كالبذر على الثمره و النطفه على الحيوان- و لم يعلموا أن المتقدم بالزمان ليس من الأسباب الذاتيه للمتأخر المعلول بل من المعدات و المهيئات للماده و لم يعلموا أن تلك الأعدام و القوى و الإمكانيات لا بد لها من أمر صوري وجودي يكون هي متعلقه به قائمه بذاته فإذا تحققت هذه الأصول و المباني ثبت و تبين أنه لا بد لكل صوره من هذه الصور العنصريه و الجماديه من صوره أخرى كماله(١) متصله بها قريبه المنزل منها قائمه في باطنها غائبه عن حواسنا و ليست بعينها العقل الفعال بلا واسطه كما هو عند أتباع المشائيين(٢) و لا أيضا عقولا أخرى عرضيه من أرباب الأنواع بلا وسائط كما عليه الإشراقيون لما مر من أن الأدنى لا يصدر عن الأعلى إلا بتوسط مناسب للطرفين غير متباعد عنهما و إلا لوقع الاحتياج إلى متوسط آخر بين هذا المتوسط و كل من الطرفين و هكذا إلى أن ينتهي إلى التجاوز في الارتباط و ضرب من الاتصال المعنوي في الوجود بين المقوم و ما يتقوم به فلكل من هذه الصور الطبيعیه صوره غيبیه هذه شاهدهتها [شهادتها] و ثانيه هذه أولاهها و آخره هذه دنياها إلا أن منازل الآخرة كمنازل الدنيا متفاوتة في الشرافه و الدناءه و العلو و الدنو و ميعاد الخلائق في الآخرة على حسب مراتبها في الدنيا فالأشرف يعاد إلى الأشرف و الأخس إلى الأخس و متى انتقلت صوره شىء في هذا العالم من خسه إلى شرف و من نقص إلى كمال كما انتقلت صوره الجماد إلى صوره النبات أو صوره النبات إلى صوره الحيوان تبدلت في معادها إلى معاد ما انتقلت إليه كما إذا الرجل الكافر أسلم أو الرجل الفاسق تاب انتقل معاده الذي كان إلى بعض طبقات الجحيم و أبوابها منه إلى بعض طبقات الجنان و أبوابها على حسب مقامه و حاله في الدنيا فإذا من موجود من الموجودات الطبيعیه إلا و له صوره نفسانيه(٣) في

١- هي الصور المثاليه المسماه بالمثل المعلقه، س ره

٢- أى القول بوجوده عندهم لا إن اتصالها به قولهم و هو ظاهر و كذا القول بالعقول العرضيه قول الإشراقيين لا إن اتصالها بهما بلا توسط صور نفسانيه قولهم إذ لا بد من رابط بينهما، س ره

٣- إنما سميت نفسانيه لأنها صور الخيال المنفصل الذي هو لنفس الكل فهي كصور الخيال المتصل الذي هو لنفس الإنسان الصغير فإنها صور نفسانيه كيف و جمعها علوم و إدراكات و حياه إن الدار الآخرة لهي الحيوان، س ره

الآخره و لصورته النفسانيه صورته عقليه فى عالم آخر فوقها هى دار المقربين و مقعد العليين - و كل من العالمين الآخرين مشتمل على تفاوت كثيره بين الموجودات التى فيه لأنه كما أشرنا إليه ذو طبقات متفاوتة كهذا العالم و أعلى طبقه كل عالم متصل بأدنى طبقه العالم الذى هو فوقه و بالعكس و كل صورته فى العالم الأدنى يكون هيولى فى العالم الأعلى و بالعكس و قد علمت أن كل هيولى متحده بصورتها و هى تمامها و كمالها و مرجعها و معادها فالصور الحسيه إذا لطفت صارت هيولى للصور النفسانيه و هى للصور العقليه بقاء الحس بالنفس و بقاء النفس بالعقل و بقاء العقل بالمبدع الحق.

قال الفيلسوف الأعظم إن هيولى العقل (١) شريفه جدا لأنها بسيطه عقليه غير أن العقل أشد منها انبساطا و هو محيط بها و إن كان هيولى النفس شريفه لأنها بسيطه نفسانيه غير أن النفس أشد انبساطا منها و هى محيطه بها و مؤثره فيها الآثار العجيبه بمعونته العقل فلذلك صارت أشرف و أكرم من الهيولى لأنها تحيط بها و تصور فيها الصور العجيبه و الدليل على ذلك (٢) العالم الحسى فإن من رآه يكثر منه عجه و لا سيما إذا رأى عظمه و حسنه و شرفه و حركته المتصله الدائمه الظاهره منها و الخفيه و الأرواح الساكنه فى هذا العالم من الحيوان و الهواء و النبات و سائر الأشياء كلها فإذا رأى هذه الأشياء الحسيه فى هذا العالم السفلى الحسى فليرتق بعقله إلى العالم الأعلى الحق الذى إنما هذا العالم مثاله و يلقى بصره عليه فإنه سيرى الأشياء كلها التى رآها فى هذا العالم هناك غير أنها يراها هناك عقليه دائمه متصله ذات فضائل و حياه نقيه ليس يشوبها شىء من الأدناس و يرى هناك الأشياء ممثله عقلا و حكمه من أجل النور الفاضل عليها و كل واحد منهم يحرص (٣) على الترقى إلى درجه صاحبه و أن يدنو من النور

١- المراد بهيولى العقل موافقا لما قاله المصنف قدس سره هو الصور المثاليه - و بهيولى النفس الصور الحسيه و هيولويه هذه و تلك اتحادها بصورها و تحولها إليها و صيرورتها إياها، س ره

٢- أى كونه صور العالم العقلى عجيبه، س ره

٣- أى يعشق الاتصال الحقيقى المعنوى به و العلم الشهودى له و هذا هو كون كلها فى كلها الذى قال فى موضع آخر إذ لا حجاب فى المفارقات و إنما فسرنا الحرص و الترقى بذلك لأن الحرص و الشوق المصاحب للفقدان لا يجوز على الموجودات التامه - و لا يجوز حملها على العقول الصاعده الإنسانيه لأن كلامه فى عالم العقول العرضيه التى فى البدايات و الشاهد عليه قول المصنف قدس سره و من الشواهد العرشيه إلخ، س ره

الأول الفائض على ذلك العالم العلم و ذلك العلم محيط بالأشياء كلها الدائمه التى لا تموت- و محيط بجميع العقول و الأنفس انتهى كلامه الشريف و فيه ما لا يخفى من التأيد لما نحن فيه.

و من الشواهد العرشية الداله على أن لهذه الصور الطبيعیه صوراً نفسانيه هي معادها و باطنها و أخرى عقليه هي معاد معادها و باطن باطنها إنا متى أحسسنا بشىء خارجى وقعت له صورته غير صورتها الخارجيه فى قوانا الحساسه التى هي من جنس الحيوانات المقتصره على النفس الحساسه فقط فإذا وقعت تلك الصوره فى حسنا و استكمل بها الحس حصلت من تلك الصوره صورته أخرى ألطف و أشرف منها فتصورت بها قوه خيالنا التى دلت البراهين التى أقمناها مرسومه فى هذا الكتاب على تجردها و تجرد ما ارتسم فيها و تمثل لها و كذلك انتقلت من الصوره التى فى قوه خيالنا صورته أخرى عقليه إلى قوه عقلنا فلو لا أن بين محسوس كل طبيعیه و متخيله و معقوله علاقته ذاتيه كما بين حسنا و خيالنا و عقلنا من الرابطة الاتحاديه لما كان كذلك و كذلك الأمر على عكس ذلك- الصعود فى سلسله النزول فإننا متى تعقلنا صورته عقليه وقعت منها حكاية مثاليه مطابقه لها فى خيالنا و إذا اشتد وجود الصوره فى عالم الخيال انفعلت منه قوه الحس و تمثلت بين يدي الحس صورته (١) فى الخارج كما قال تعالى فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا و من هذا القبيل رؤيه النبی ص صورته جبرئیل و الملائكه ع فى هذا العالم كما سيتضح لك

١- لكن ليست هيولانيه ظلمانيه و إن كانت فى الفعلية و التاميه و الخارجيه أتم بكثير من هذه الصور الهيولانيه و ليست خياليه بل مشاهده إذ الملاك فى الشهود التمثل- و المشهوديه للحس المشترك من أى صقع ظهر له من الداخل أو الخارج و المشاعر الظاهره ليست إلا طرق إدراكه كما شبهوه بحوض ينصب إليه الماء من أنهار خمس، س ره

فى مباحث النبوات فإذن قد ثبت و تحقق من جميع ما نقلناه و ذكرناه أن لكل صورته طبيعیه فى عالم الشهاده صورته نفسانيه فى عالم الغيب هى معادها و مرجعها الذى يحشر إليه بعد زوال الماده و دثورها و هى الآن أيضا متصله بها متقومه بقوامها راجعه إليها- لكنها لما كانت مغموره فى غمره الظلمات و الأعدام غريقه فى بحر الهیولی و الأجسام لا يستبين حشرها إلى تلك الصور النفسانيه المقيمه لها إلا لأهل المعرفه و الشهود فإذا انفسخت هذه الصور بدثور مادتها و تجردت عن غواشيها الجسمانيه التى هى مقبره ما فى علم الله برزت صورتها من هذه المكامن و المقابر إلى ذلك العالم عالم المعرفه و الكشف و اليقين و حشرت إليه- كما قال تعالى وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى و قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ- كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ و اعلم أن صورته الجحيم التى ستبرز فى الدار الآخرة بحيث يشاهدها أهل المحشر عند ذلك هى بعينها باطن هذه الطبيعیه السفليه التى تحرق نارها(١) الأبدان و تبدل الجلود بالاستحاله و الذوبان لكنها مستوره كما ذكر عن هذه الحواس فإذا خرجت النفوس عن هذا العالم تشاهد صورتها الكامنه بارزه مع قيودها و سلاسلها و أغلالها و عقاربها و حياتها و ترى شهواتها و لذاتها بصوره نيرانات ذات لهب- و شعلات محرقه للقلوب معذبه للنفوس و مطعوماتها و مشروباتها كالزقوم و الحميم تزيد فى الجوع و العطش للنفس و الالتهاب و الاحتراق

الدعوى السادسة فى معاد الهیولی و الأجسام المادیه

إشاره

و الإشارة إلى غايه الأشرار و الشياطين لما علمت أن الموجودات التى لها حظ من الوجود و لها صورته محصله كلها متوجهه- بحسب فطرتها نحو الغايات و الكمالات و الأغراض الصحيحه المتممه لها المبلغه بها إلى غايات أخرى فوق تلك الغايات إلى أن ينتهى إلى غايه لا- غايه لها فاعلم هاهنا أن من الأشياء ما لا حظ لها من الوجود إلا كونها استعدادات و إمكانات لأشياء أخرى- هى الصور و الكمالات دونها و هى مثل الحركه و الهیولی و القوه و الزمان و كذا

١- أى الدليل على كون هذه ظاهره لتلك أن هذه تنضج الأبدان الطبيعیه و النباتات و تحيلها فالطبيعه كما مر نار ذات لهب و ظل ذو ثلاث شعب فكيف إذا تبدلت و برزت بسلاسلها و أغلالها و عقاربها و حياتها و غير ذلك فى عالم آخر، س ره

الامتداد الجسماني الذي شأنه الانقسام و الانعدام و الاضمحلال و السيلا ن لو لا النفوس و الطبائع الممسكه إياه عن التفرق و الانفصال المعطيه له الوحده و الاتصال فإن الجسم بما هو جسم فى نفسه مع قطع النظر عن المحصلات الصوريه المفيده لها ضربا من الوحده و الرباط كان يستدعى كل جزء الغيبه و الفرقه عن صاحبه كما يقتضى وجود صاحبه عدمه و بعده و ما لا وحده له فى ذاته لا وجود له و كذا الزمان الذى ذاته عين السيلا ن و الانقضاء- فإذن معاد هذه الأشياء إلى البوار و الهلاك و لا يمكن(١) انتقالها من هذا العالم الذى هو معدن الشرور و الظلمات و الأعدام إلى تلك الدار التى هى دار القرار و دار الحياه و إلا لكان الاقرار قرارا و العدم وجودا و التجدد ثباتا و الموت حياه فمآل الحركه و الهوى و الزمان إلى العدم و البطلان و كذا الجسم المستحيل الكائن الفاسد من حيث هو هو- فكما أن مبدأ مثل هذه الأشياء أمور عدميه من باب الإمكان و القصور فإن منبع الهوى هو الإمكان و منبع الحركه هو الاستعداد فكذا معادها و مرجعها إلى الزوال و البطلان فإن الغايات على نحو المبادئ فكما علمت هذا فى الجسمانيات فقس عليه نظائره فى النفسانيات(٢) فإن غايه الجبن و الجهل و البلاده و أشباهها إلى الهلاك و البطلان- من غير تعذيب و إيلا م إن كانت بسيطه غير ممزوجه بشر وجودى و إن كانت ممزوجه بعناد و استكبار و نفاق كان مع عذاب شديد و عقاب أليم و قد مر فى مباحث العله و المعلول من

١- إذ الهولويه و الدثور و الزوال من خاصيه هذه النشأه و خاصيه نشأه لا تنتقل إلى نشأه أخرى و إلا لم تكن نشئات عديده و الحاصل أن حشر الفعليات الصوريه إلى العقليات المجرده و حشر الامتدادات القاره و الغير القاره إلى هاويه الهوى و حشر الهوى إلى البوار و العدم و ذلك لغلبه العدم عليها و هذا ما قلناه سابقا إن القوى و الاستعدادات ترجع إلى الهوى و الفعليات إلى ينبوع الفعليات و هذا لا ينافى ما هو الحق من أن حشر الكل إلى الله إذ بحسب الوجود الضعيف الذى لها حشرها إلى الله تعالى و الأحكام تتبع الجزء الغالب، س ره

٢- أى كما أن هاويه الهوى أو العدم معاد الجسمانيات بما هى جسمانيات- و هولا نيات العصاه بحسب الأوامر و النواهي التكوينيّه كذلك جهنم معاد النفسانيات العصاه من حيث عدم امتثال الأوامر و النواهي التشريعيه، س ره

العلم الكلى و الفلسفه الأولى أن هاهنا غايات وهميه (١) زينت لطوائف من الناس مبادئها أغاليط وهميه و أمانى باطله و أهويه رديئه و لكل نوع من الهوى و الشهوات الذميه طاغوت يؤدى بصاحبه إلى غايه جزئيه فى هذا العالم و قد علمت أن هذه الغايات الجزئيه و الأغراض الوهميه مضمحلّه فاسده فمن كان وليه الطاغوت و إضلاله و الهوى و اتباعه و كل هذه الأمور من لوازم هذه النشأ الفانيه فكلما أمعت هذه النشأ فى الدثور - ازداد الطاغوت و جنوده اضمحلالا فيذهب به ممعنا فى وروده العدم متقلبا به فى الدركات - حتى يحله دار البوار و مرجع الأشرار.

تعقيب فيه تأييد:

لما حصلناه و تأكيد لما أصلناه من عود هذه الطبائع المتجدده إلى دار أخرى باقيه قد ذكرنا أن القوه الإلهيه لم تقف و لا تقف عند ذاتها من غير أن يفيض على ما دونها من الأشياء فيضانا دائما لكونها غير متناهيه فى الشده و المده و العده فهى فوق ما لا يتناهى بما لا - يتناهى بل أفاض أولا على العقل و صورته على مثاله تعالى عن المثل و الشبيه قبل أن يفيض على غيره إذ لم يجز فى العناية الواجبيه صدور الممكن الأخص قبل الأشراف كما علمت بل لا بد من إفاضه الأشراف أولا و بعده الأشراف فالأشراف إلى الأخص فالأخص حتى ينتهى إلى ما لا أخص منه فلا جرم صدر من البارى أولا إنيه العقل تاما كاملا و لما كان العقل أيضا تاما كاملا بعد الأول غير متناه عده و مده لا شده لم يجز أيضا وقوفه عند ذاته من غير أن يصدر عنه ما يناسبه و يقرب منه غايه ما يمكن من القرب بين المفيض و المفاض عليه فأفاض من نوره و قوته على النفس و كذلك النفس لما امتلأت نورا و قوه و غيرها من الفضائل و الخيرات و غايه ما يمكن للنفس أن تقبلها لم تقدر على الوقوف على ذاتها لعله أن تلك الفضائل و الخيرات التى أفادها العقل

١- فى مقابله غايات عقليه حكميه فى السلسله الطويله الصعوديه مبادئها أغاليط وهميه تصلح للقياس السفسطى فى مقابله المبادئ التصديقيه التى تصلح مقدمات للبرهان - و أمانى باطله فى مقابله رغبات عقليه و إرادات حقه مبادئ حركات فكريه و الطاغوت هنا ملكه الهوى المخصوص و الشهوه الجزئيه الخاصه و إمعان هذه فى العدم جزئيتها و دثورها كما ترى فى الغايات الجزئيه الوهميه للعبات ماضيه حلت بكتم العدم و يقول العاقل يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله، س ره

تشوقها إلى التشبه بالعقل والاتصال به فأفاضت من نورها وفضائلها على ما تحتها لكن على سبيل التجدد الزماني إذ ليست تامه الوجود و إلا لكانت عقلا لا نفسا و هي نفس هذا خلف فملأت هذا العالم من نورها و بهائها و حسناتها من صورته الأنواع و طبائع الجسمانيات- كالأفلاك و الكواكب و الحيوانات و النبات و المعادن و الأسطقسات فتلك الصور أيضا في غرائزها و جلالها الجود على ما تحتها و الفعل فيما دونها بالناموس الإلهي و الاقتداء بالسنة الواجبه لكن الطبيعه الماديه لما كانت آخر الجواهر الصوريه و أدناها لم تقو على شىء غير الهيولى التى ليس شأنها غير إمكان الأشياء و استعدادها و غير الحركه التى هى خروج الشىء الممكن من القوه إلى الفعل فالهيولى و الحركه شأنهما الحدوث و الدثور و الأخذ و الترك و التجدد و الانقضاء و الشروع و الانتهاء فلا جرم سيخرب هذا العالم و يزول جميع ما فى الأرض و تتول إلى العدم و الفناء كما قال سبحانه كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ فتكر الطبيعه راجعه إلى النفس و النفس راجعه إلى العقل و العقل راجع إلى الواحد القهار كما قال تعالى سائلا و مجيبا لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ و قوله وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَّحَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ فإذا رجعت هذه (١) الأشياء إلى مقارها الأصلية- بعد خروجها عن عالم الحركات و الاستحالات و الشرور و الآلام بالموت و الفساد للأجسام- و الفزع و الصعق للنفوس تعطف عليها الرحمه الإلهيه تاره أخرى بالحياء التى لا موت فيها- و البقاء الذى لا انقطاع لها و لهذا قال تعالى ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ و قال وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ تَلَكَّ الْأَرْضُ الْآخِرِيه هى صورته نفسانيه (٢) ذات

- ١- لما كان حكم الكل حكم كل واحد بمقتضى ما خلقكم و لا بعثكم إلا كنفس واحده نفخت فى هذه الصور الطبيعه بعد استكمالها نفخه الموت و الفساد لها و نفخه الفزع و الصعق لنفوسها المستكملة و هى نفخه الإطفاء نورها فصارت خاليه عن الحياه الطبيعه ثم نفخ فيه أخرى لإيقاد نارها و نورها الأكمل أى تعلق و اكتست النفوس- التى هى نفخه الربانيه بالصور المثاليه فأमितت تلك و أحييت هذه كما قال تعالى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ و سيأتى التفصيل و أن النفخه نفختان، س ره
- ٢- أى مثاليه صارت ذات شروق بنور ربها و هو النور الأسفهد كأحطاب و قتل عديده مشتعله بنيران عظيمه و ما قال قدس سره يمكن أن يراد هذه الأرض فهو أعم من هذه الأرض البسيطة و المركبه كالأبدان و إنما قال بعد قبضها لأن الآيه فى القيامه و بعد آيه نفخه الصعق و قبل قوله تعالى وَضَعَ الْكِتَابُ وَ جِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ و يمكن أن يراد أرض القابليه المطلقة و نور الوجود المطلق و التوحيد الحق، س ره

حياه و قبول للإشراقات العقلية الفائضه منه تعالى و يمكن أن يراد بها هذه الأرض بعد قبضها فإنها إذا صارت مقبوضه بأيدي سنده الملائكه الجاذبه يصير صورته نفسانيه قابله- لأن تجذبها و تقبضها أيدي الرحمن كما قال وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ- وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ(١) و الفرق بين القبض و الطي أن القبض يستدعي أن يكون- للمقبوض وجود عند يد القابض أشرف من وجوده الذي كان في تلك المرتبه كماده الغذاء إذا جذبتة و قبضته القوه الغاذيه فإنها تتبدل صورتها بصورة شبيهه بالمغتذى و هي أشرف- و أما الطي فيستدعي أن لا يبقى للمطوى وجود و إنانيه فقبض الأرض إشاره إلى تبدل صورتها الطبيعیه بصورة نفسانيه أخرويه كما قال تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ طَيَّ السَّمَاءُ إشاره(٢) إلى فنائها بنفسها عن نفسها و اتحادها بالعقل و هو المشار إليه بيمينه تعالى و العقل الصرف مما قد علمت أنه فان عن نفسه و باق بالحق تعالى.

و اعلم أن جميع ما في عالم الآخرة صورته إدراكيه ليس لها موضوع أو ماده لا حياه لها كهيوليات هذا العالم و موضوعاتها التي لا- حياه لها في ذاتها إلا عرضيه وارده عليها من غيرها و أدنى موجودات ذلك العالم و هو أرض الآخرة صورته ذات حياه و هي أعلى من سماء هذا العالم

كما ورد في الحديث: أرض الجنة الكرسي و سقفها عرش الرحمن

و كذلك الماء و الهواء و النار و الشجر و الجبال و الأبنيه و البيوت كلها موجوده بوجود صوري نفساني

١- التأويل يجر التأويل و هذه الآيات متصلات في سورة الزمر لكن آيه القبضه قبل تلك فلهذا عطف عنان الكلام إلى تأويل هذه، س ره

٢- قد مر أنه لم يبق في طرف جرم السماء إلا شئ ضعيف كالهولي و أن عدم التأثير من أمر غريب أنما هو من غلبه أحكام نفسه عليه فذلك يؤكد الطي فتذكر، س ره

بلا ماده و حركه و قوه استعداديه و إذا كان حال الموجودات الدنيه الأرضيه التى لذلك العالم هكذا فما ظنك بحال موجوداتها الشريفة السماويه و بالجمله كل ما فى هذا العالم له صورته فى الآخرة و التفاوت بين سمائها و أرضها و حيواناتها و أشجارها و أحجارها و مياهها و غيرها على نسبه هذا التفاوت لأنها بواطن هذه الأمور فيكون التفاوت فيها أشد و أكثر - كما قال تعالى وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا عَلَى أَنْ الْكُلَّ حَيَوَانٌ بِحَيَاةٍ ذَاتِيهِ فَقَدْ ظَهَرَ وَ انْكَشَفَ أَنْ لِهَذِهِ الصُّورِ الْهَيُولِيَةِ مِنَ الْعُنَاصِرِ وَ غَيْرِهَا صُورٌ أُخْرَوِيَّةٌ مُحَسَّسَةٌ هُنَاكَ مَشْهُودَةٌ بِحَوَاسٍ غَيْرِ دَاثِرَةٍ وَ لَا - فَانِيَّةٍ وَ لَا مُتَجَزِّئَةٍ لِأَنَّهَا كُلُّهَا فِي مَوْضُوعِ النَّفْسِ - كَأَنَّهَا قُوَّةٌ وَاحِدَةٌ مَعَ أَنَّهَا مُتَخَالِفَةٌ الْمَدْرَكَاتِ كَثِيرَةِ الصُّورِ وَ هَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِدَرْكِهَا أُولُو الْبَصَائِرِ وَ تِلْكَ بَوَاطِنُ هَذِهِ الدُّنْيَوِيَّاتِ الَّتِي سَتَرْجِعُ إِلَيْهَا بَعْدَ دُثُورِهَا وَ انْقِطَاعِ وَجُودِهَا عَنْ هَذَا الْعَالَمِ مُحْشُورَةٍ إِلَيْهَا بَاقِيَةً هُنَاكَ حَيَّةٌ بِحَيَاتِهَا النَّفْسَانِيَّةِ لَمَّا مَرَّ مِنْ أَنَّهُ لَا - صُورُهُ طَبِيعِيٌّ إِلَّا - وَ لَهُ نَفْسٌ وَ عَقْلٌ قَالَ الْفِيلَسُوفُ الْمَعْلَمُ لِلْمَشَائِينِ فِي الْمِيمَرِ الثَّامِنِ مِنْ كِتَابِهِ وَ صَفَهُ النَّارَ هِيَ مِثْلُ صَفَةِ الْأَرْضِ أَيْضًا وَ ذَلِكَ أَنَّ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ مَا فِي الْهَيُولَى وَ كَذَلِكَ سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الشَّبِيهِةِ بِهَا وَ النَّارُ لَمْ تَكُنْ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهَا بِلا - فَاعِلٍ وَ لَا مِنْ احْتِكَائِ الْأَجْسَامِ كَمَا ظَنُّ - وَ لَيْسَتْ الْهَيُولَى أَيْضًا نَارًا بِالْقَوَّةِ (١) وَ لَا هِيَ تَحْدُثُ صُورَةَ النَّارِ لَكِنْ فِي الْهَيُولَى كَلِمَةٌ فَعَالَةٌ تَفْعَلُ صُورَةَ النَّارِ وَ صُورَةُ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ وَ الْهَيُولَى قَابِلَةٌ لَذَلِكَ الْفِعْلِ وَ الْكَلِمَةُ (٢) الَّتِي فِيهَا هِيَ النَّفْسُ تَقْوَى أَنْ تَصُورَ فِيهَا صُورَةَ النَّارِ وَ سَائِرِ الصُّورِ وَ هَذِهِ النَّفْسُ إِنَّمَا هِيَ حَيَاةُ النَّارِ وَ كَلِمَةٌ فِيهَا وَ كِلْتَاهُمَا أَعْنَى الْحَيَاةِ وَ الْكَلِمَةُ شَيْءٌ (٣) وَاحِدٌ وَ لَذَلِكَ قَالَ أَفَلَاطُونُ إِنْ فِي كُلِّ جَرَمٍ مِنَ الْأَجْرَامِ الْمَبْسُوطَةِ نَفْسًا وَ هِيَ الْفَاعِلَةُ لِهَذِهِ النَّارِ الْوَاقِعَةُ

١- أى بنحو الكمون و البروز و إلا - فالهيولى كل الصور بالقوه كيف و الصوره ما به الشىء ء بالفعل و الهيولى ما به الشىء ء بالقوه، س ره

٢- و هي الصوره المثاليه التى بإزاء الصوره الطبيعيه، س ره

٣- هذا شاهد على ما قاله المصنف قدس سره إن حياه تلك الصور ذاتيه، س ره

تحت الحس فإن كان هذا هكذا قلنا إن الشئ الذى يفعل هذه النار(١) إنما هى حياه ما ناريه و هى النار الخفيه فالنار إذن التى فوق هذه النار فى العالم الأعلى هى أخرى أن تكون نارا فإن كانت نارا خفيه فلا محاله أنها حياه فحياتها أرفع و أشرف من حياه هذه النار لأن هذه النار إنما هى صنم لتلك فقد بان و صح أن النار التى فى العالم الأعلى هى حيه و أن تلك الحياه هى القيامة بالحياه على هذه النار و على هذه الصفة يكون الماء و الهواء هناك أقوى فإنهما هناك حيان كما هى فى هذا العالم إلا أنهما فى ذلك العالم أكثر حياه لأن تلك الحياه هى التى تفيض على هذين اللذين هاهنا الحياه انتهى.

و قال فى الميمر العاشر إن لهذه الأرض حياه ما و كلمه فعاله و الدليل على ذلك صورها المختلفه فإنهما(٢) تنمو و تنبت الكلاً و الجبال و المعادن فإنها نبات أرضى و إنما يكون هذه فيها لأجل الكلمه ذات النفس التى فيها فإنها هى التى تفعل فيها و تصور فى داخل الأرض هذه الصور و هذه الكلمه هى صوره الأرض التى تنفعل فى باطنها كما تفعل الطبيعه فى باطن الشجره فالكلمه الفاعله فى باطن الأرض الشبيهه بطبيعته الشجره هى ذات نفس لأنها لا يمكن أن تكون ميتة و تفعل هذه الأفاعيل العجيبه العظيمه فى الأرض - فإن كانت هذه الأرض التى هى صنم حيه فبالحرى أن تكون تلك الأرض العقليه حيه أيضاً و أن تكون هى الأرض الأولى و تكون هذه أرضاً ثانيه لتلك شبيهه بها انتهى كلامه و قال الشيخ محيى الدين الأعرابى فى الباب السابع عشر و ثلاثمائه من كتابه المسمى بالفتوحات المكيه اعلم أن الحياه فى جميع الإنسان حياتان حياه عرضيه عن سبب و هى الحياه التى نسبناها إلى الأرواح و حياه أخرى ذاتيه للأجسام كلها كحياه الأرواح

-
- ١- المراد بهذه فى المواضع الخمسه صورته النفسانيه و بما فى العالم الأعلى النار الأولى العقليه، س ره
 - ٢- إلى قوله نبات أرضى هذه مقدمات غير واقعیه بظاهرها و لا- يجوز استعمالها فى البرهان و إن أريد الأرض المركبه فهى النبات و المعدن و ثبت لهما الكلمه الفعاله- و المقصود إثبات الكلمه الفعاله للأرض البسيطه مع أن اللاتق بالأرض الانفعال لا الفعل- فليحمل النمو و الإنبات و نحوهما و بالجملة الفعل على التبريد و التبييس و حفظ الأشكال الذى بطبيعته الأرض و هى مسخره بيد كلمتها النفسانيه، س ره

للأرواح غير أن حياه الأرواح تظهر لها فى الأجسام بانتشار ضوئها فيها و ظهور قواها و حياه الأجسام الذاتيه ليست كذلك إذ ما خلقت مدبره فبحياتها الذاتيه تسبح ربها دائما- لأنها صفة ذاتيه سواء كانت الأرواح فيها أو لا و ما يعطيها أرواحها فيها إلا هيئه أخرى عرضيه فى التسبيح بوجودها و إذا فارقها الروح فارقها ذلك الذكر الخاص فيدرك المكاشف الحياه التى فى الأجسام كلها و إذا اتفق على أى جسم كان أمر يخرجها عن نظامه مثل كسر آنيه أو كسر حجر أو قطع شجر فهو مثل قطع يد إنسان أو رجله تزول عنه حياه الروح المدبره له- و يبقى عليه حياته الذاتيه له فإنه لكل صورته فى هذا العالم روح مدبره و حياه ذاتيه- تزول الروح بزوال تلك الصورة كالقتل و تزول الصورة بزوال ذلك الروح كالصورة كالميت الذى مات على فراشه و لم يغرب عنقه و الحياه الذاتيه الذى لكل جوهر غير زائله انتهى كلامه.

أقول يجب أن يعلم (١) أن الكشف و البرهان شاهدان على أن الجسم الذى حياته

١- أقول لعمري إن ما ذكره الشيخ تحقيق بالغ يليق أن يكتب بالتبر لا- بالحبر- و حاصله أن الحياه قد تطلق و يراد بها مبدأ الدرك و الفعل كما يقال الحى هو الدراك الفعال و هى التى نسبوها إلى الأرواح و هى ذاتيه للأرواح عرضيه للأجسام و قد تطلق و يراد بها الوجود الحقيقى البسيط المبسوط و كفاك شاهدا تسميتهم الوجود المنبسط بالحياه الساريه فى كل شىء و قد مر من المصنف قدس سره غير مره و الحياه بهذا المعنى هى التى جعلها الشيخ العربى ذاتيه للأجسام الموجوده و هذا كذلك كيف و الجسم موجود و الوجود حياه فى كل بحسبه و ما اتفق عظماء الفلاسفه عليه من أن الأجسام دائره هالكه أو أموات أو غواسق إنما هو باعتبار الحياه بالمعنى الأول فإنها عرضيه وارده عليها من قبل الأرواح فتصيرها ذوات حياتين و ذكرين كما قال الشيخ و العجب من المصنف قدس سره أنه ينادى فى هذا الكتاب و فى غيره بأن الحياه و العلم و الإراده و العشق و نحوها توابع الوجود بل عينه مصداقا و هويه و أنها كالوجود فى كل بحسبه- وهنا كذب الشيخ بل كذب نفسه و إنى أيدت و نورت هذه القاعده الشامخه كثيرا بوجود النفوس الناطقه و إن عين علمها بذاتها لذاتها و عين الحياه و النور و عين إرادتها بذاتها لذاتها- و عشقها بذاتها لذاتها و قدرتها بذاتها على شئونها و فنونها و قواها و صورها و مظهرها و مجلاها و غير ذلك من الكمالات بل النفوس عنده قدس سره و عند بعض المحققين ليست إلا الوجود و ما جعله الشيخ حياه أيضا من الصور الطبيعيه فى الأحجار و الصور الصناعيه فى الأوانى إنما هى بمعنى الوجود أيضا إلا أنها أيضا عرضيه لزوالها و ما قال إن الأجسام ذاكره مسبحه لله حقيقه المصنف قدس سره فى أوائل الأمور العامه و قد أحقت ذلك فى الحواشى و بالنظر إلى إسقاط الإضافات تسبيحها منظو فى تسبيحه كما قال تعالىوَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أى بتسبيحه لذاته، س ر ه

ذاتيه ليس هذا الجسم الذى هو ماده مستحيله كائنه فاسده متبدله الذات آنا فآنا و قد أوضحنا ذلك بالبراهين القطعيه و الحجج السمعيه الشرعيه و باتفاق عظماء الفلاسفه و أئمه الحكمه- من أن هذه الأجسام التى فى أمكنه هذا العالم سماؤه و أرضه و ما بينهما كلها حادثه دائره متجدده الكون كائنه فاسده فى كل حين لا يبقى آنين و كلما كان كذلك كيف يكون حياته ذاتيه حياه التسبيح و النطق^(١) إنما الجسم الذى حياته ذاتيه هو جسم آخر أخروى له وجود إدراكى غير مفتقر إلى ماده و موضوع و لا يحتاج إلى مدبر روحانى يدبره و نفس تتعلق به و يخرجها من القوه إلى الفعل و تفيده الحياه لأنها عين الحياه و عين النفس^(٢) فلا- يحتاج إلى نفس أخرى و قد قلنا مرارا أن ذلك الجسم جسم إدراكى و صورته إدراكيه و كل صورته إدراكيه وجودها فى نفسها عين مدركيتها بالفعل فلا- يفتقر إلى ما يجعلها مدركه بالفعل بعد ما كانت مدركه بالقوه كسائر الصور الماديه التى لا تصير محسوسه و لا معقوله إلا بتجريد مجرد يجردها و ينزعها عن الماده حتى تصير محسوسه أو معقوله و قد علمت فيما سبق أن كل صورته محسوسه أو معقوله هى متحدته بالجواهر الحاس أو العاقل فاذا الأجسام الإدراكيه التى هى الصور المحسوسه بالذات حياتها ذاتيه نفسانيه لا كهذه الأجسام الماديه الكائنه الفاسده فالذى أفاده هذا الشيخ ليس بظاهره صحيحا و قوله

١- إن أريد النطق كما فى الإنسان ففى النفس الحيوانيه أيضا مفقود و إن أريد النطق الذى فى كل بحسبه فهو موجود و كل ميسر لما خلق له و قد عرفت أن كل وجود كلمه فإن أضيف إلى الله فهو كلمه الله سيما بنظر أصحاب المقامات و أهل التمكن فى النظر إلى وجه الله و إن أضيف إلى ماهيته فهو كلمتها و حمدها لأنه يشرح صفات الله و مظهر لأسمائه و الحمد شرح فضائل المحمود و فواضله و الوجود المنبسط حمده الذى وصف به نفسه، س ره

٢- و إن كانت هى كظل لنور و ظهور لخفاء و فرع لأصل و غير ذلك من العبارات- ليحافظ المراتب، س ره

تعالى وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و غير ذلك من الآيات إنما يدل على أن الأجسام كلها ذا حياه و نطق سواء كانت بحسب جسميتها أو بما يتصل بها من روح أو ملك و لا يدل(١) على أنها من حيث جسميتها و ماديتها مع قطع النظر عن أرواحها و صورها المدبره- ناطقه مسبحه و قد علمت أن لكل جسم صورته نفسانيه و مدبرا عقليا بهما يكون ذات حياه و نطق لا من حيث جسميتها الميتة(٢) المظلمه الذات المشوبه بالأعدام الزائله الغير الباقية إلا في آن لكن هاهنا دقيقه أخرى يمكن أن(٣) يستتم و يستصح بها كلامه- و هي أن المكشوف عند البصيره و المعلوم بالبرهان أن في باطن هذه الأجسام الكائنه الظلمانيه جسما شعاعيا ساريا فيها سريان النور في البلور و هي بتوسطه تقبل الحياه- و تصرف النفوس و الأرواح و ليس المراد بذلك الجسم النوراني هو الذي يسميه الأطباء الروح الحيواني و هو المنبعث في الحيوان اللحمي من دم القلب و الكبد و يسرى في البدن بواسطه العروق الشريانيه و ذلك لأن ذلك مركب و الذي كلامنا فيه بسيط و هو ظلماني مادي و هذا نوراني مجرد الذات و هو مختص ببعض الأجسام و تقبل الحياه من خارج بخلاف هذا فإنه سار في جميع الأجسام و حيه بحياه ذاتيه لأن وجوده وجود إدراكي هو عين النفس الدراكه بالفعل

١- بل يدل لأن الوجود أينما كان حياه و علم و إدراك و إرادته كما صرح به نفسه مرارا و هو معكم أينما كنتم، س ره
٢- هذا الموت و هذه الظلمه بالنسبه إلى حياه أخرى حيوانيه هي مبدأ الدرك و الفعل و أما بالنسبه إلى حياه ذاتيه عامه هي الوجود الساري فإلّا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَيْ مِنْ مَاءِ حِيَاةِ الْوُجُودِ بَلِ الْهَيُولَى الَّتِي هِيَ أَنْزَلَ مِنَ الْأَجْسَامِ النُّوعِيَّةِ وَ الْجِسْمِ بِالْمَعْنَى الَّتِي هِيَ مَادَّةُ حِيَاةٍ لِأَنَّ الْهَيُولَى مَوْجُودَةٌ وَ الشُّوبُ بِالْعَدَمِ الَّتِي قَالَهُ فِي الْجِسْمِ يَنَادِي بِالْوُجُودِ وَ لَوْ كَانَ الْمَوْتُ وَ الظلمه النسيان منافيين للحياه و الذكر و التسبيح من وجه آخر فهاهنا حياه أخرى هي حياه العلم بالله و صفاته و أفعاله و معرفه التفصيليه و كانت الأوليان بالنسبه إليهما موتى الناس موتى و أهل العلم أحياء فأين عموم الحياه الدال عليها عموم التسبيح و نحن لا- ننكر حياه الجسم المثالي و غيره و تسبيحها و لكن لا تقتصر لأن الحياه قسمان بل ثلاثه أقسام عام و خاص و أخص كما مر،

س ره

٣- هذا توجيه للكلام بما لا يرضى صاحبه إذ الحياه حينئذ تكون عرضيه لهذه الأجسام الكائنه و صرح الشيخ بأنها ذاتيه لها، س

ره

فصل (١٤) فى معنى الساعه

قال تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا قِيلَ إِنَّمَا سَمِيتُ السَّاعَةَ سَاعَةً لَأَنْهَا تَسْعَى إِلَيْهَا النُّفُوسُ (١) لا يقطع المسافات المكانية بل يقطع الأنفاس الزمانية بحركة جوهريه ذاتيه و توجه غريزى إلى الله و ملكوته كما بيناه فى ضروره الموت فمن مات وصلت إليه ساعته و قامت قيامته و هى ساعه القيامه الصغرى و يقاس عليها يوم القيامه الكبرى التى لساعات الأنفاس كالיום للساعات أو كالسنه (٢) للأيام و اعلم أن أهل المعرفه و اليقين لا- يشكون و لا- يمترون فى أمر الساعه

١- و لك أن تقول السعى منقوص و الساعه أجوف بدليل ذكر أهل اللغه إياها فى سوع و يمكن التوجيه بأنه قال صاحب القاموس فى كلمه السعى و السعوه بالكسر الساعه كالسعواء فأقول لعل بناء القيل على أن الساعه و أصلها السوعه مقلوبه السعوه و للقلب المكانى فى الحروف موارد كثيره فى الصرف و قال الزجاج معنى الساعه فى كل القرآن الوقت الذى تقوم فيه القيامه يريد أنها ساعه خفيفه يحدث فيها أمر عظيم. فقله الوقت الذى تقوم فيه سماها ساعه أقول فى إطلاق الساعه إشاره إلى ما سنفصل أن القيامه فى باطن عالم الطبيعه و أنها فى السلسله الطويله الصعوديه ففيه إشاره إلى قربها كما قال الله تعالى إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً فلتفاوت مراتب أهل النظر إليها ربما يطلق عليها اليوم كما ذكر و كقوله تعالى فَيَوْمَ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ربما تقصر فيطلق عليها الساعه و ربما تجعل أقصر كمال قال تعالى مَا أَمَرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ وَ أمر المعاد كأمر المبدأ، س ره

٢- فإن حكم الكل حكم كل واحد كما قال تعالى خَلَقَكُمْ وَ لَا تَعْتَكُمُ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمَا أَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَبْلُغُ إِلَى الْغَايَةِ وَ تستغنى عن البدن و قواه بذاتها و باطن ذاتها كذلك الجميع متوجهه إلى الغايات واصله إليها حتى تصل إلى غايه الغايات- فالساعات الصغريات مشموله للكبرى إلا أن الحس و الخيال يضيقان عن هذا النيل بل لا يسعه نطاق العقل إلا أن له علما إجماليا بأن ما هنا متوجهات إلى الغايات فى السلسله الطويله الصعوديه غير متناهيه واصلات بحركات جوهريه و تبدلات ذاتيه غير متناهيه فى أزمنه غير متناهيه إلى غايه الغايات فإن وعاء كل شىء بحسبه فزمان تبدل جزئى متناه محدود و زمان تبدل أمور غير متناهيه غير محدود و إن كان بالنسبه إلى مبدأ المبادى- كلمح بالبصر بل هو أقرب، س ره

و يعلمون أنها الحق و لا- ينتظرون قيامها كانتظار أهل الحجاب و الغفلة الذين يشكون فى وقوعها و يستبعدونها و يسألون عن وقتها و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين- و لكن أهل اليقين يستعدون لقاءها و يرونها كأنها قائمه عليهم واقعه بهم أو قريبه منهم كما فى قوله تعالى و ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا- إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ و قوله تعالى أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا- رَيْبَ فِيهَا ... وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* و قوله تعالى وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ

فصل (١٥) فى معنى النفخ فى الصور

قال تعالى وَ نَفِخْ فِي الصُّورِ* الآية

و: سئل رسول الله ص عن الصور فقال قرن من نور التقمه إسرائيل فوصف بالسعه و الضيق

و اختلف فى أن أعلاه ضيق و أسفله واسع أو بالعكس و لكل (١) وجه عند صاحب البصيره و الصور بسكون الواو و قرئ بانفتاحها أيضا جمع الصوره و القراءه الأخيره منقوله عن الحسن البصرى و ذكر الرازى فى تفسيره الكبير أقوالا ثلاثه فى معنى الصور.

١- فإن النور و الصور كمخروط رأسه عند عالم التجرد و قاعدته عند عالم الماده أو بالعكس فإنه إن لوحظ البساطه و الجمعيه فرأسه الدقيق فى عالم التجرد إذ البساطه هناك أتم و الفرق و الانتشار و التركيب هنا أوفر إن لوحظ سعه الوجود و المجرد أوسع وجودا فقاعدته هناك و رأسه الضيق هاهنا، س ره

أحدها أنه آله إذا نفخ فيها يظهر منها صوت عظيم و هي الآله المعروفه المستعمله بأمر السلطان علامه لبعث الجنود من البلد و نحو ذلك و ظاهر أنها وقعت فى الآيه على سبيل التشبيه و لهذا وقع فى الحديث أنه قرن من نور و النور لا- يكون له صوت محسوس.

و ثانيها أن المراد منه مجموع الصور و المعنى إذا نفخ فى الصور أرواحها و هو قول الحسن و كان يقرأ بفتح الواو و عن أبى رزين بالفتح و الكسر قال و هو حجه لمن فسر الصور بجمع الصورة.

و ثالثها أن النفخ فى الصور استعاره (١) و المراد منه البعث و النشر قال و الأول أولى للخبر.

أقول قد علمت أن المعنى الأول للآيه لا يمكن حمله على الظاهر و الخبر أيضا يدل على ذلك كما مر ثم قال و فى قوله تعالى ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى دلالة على أنه ليس المراد نفخ الروح و الإحياء لأن ذلك لا يتكرر انتهى.

أقول النفخ من قبل الله تعالى لا يكون إلا إحياء و إفاضه للروح و إنشاء للحياه- لكن إنشاء الحياه فى نشأه (٢) عاليه يلزمها الموت عن نشأه سافله فبالنفخه الأولى تموت الأجساد و تحيا الأرواح و بالنفخه الثانيه تقوم الأرواح قياما بالحق لا بذواتها و اعلم أن جميع المواد الكونيه بصورها الطبيعیه قابله للاستناره بالأرواح كالفحم فى استعدادده للاشتعال من جهه ناريه كامنه فيه فالصور البرزخيه كامنه فيها كلها كمون الحراره

١- أى الاستعاره التبعية التى تكون فى الأفعال مثل نطقت الحال بكذا و المراد الدلالة كقوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى* أى استبدلوا، س ره

٢- تعريض بالإمام حيث قال لأن ذلك لا- يتكرر بأن المراد بالنفخه الأولى هو اللازم الذى هو الإمامته عن نشأه سافله فيطابق حينئذ ما سيقوله الشيخ العربى إن النفخه نفختان و قوله و اعلم إلخ تأكيد و تسجيل لهذا و حاصله أن تقطع النفخه المباركه و النفخه العطريه الربانيه عن هذه الصور الطبيعیه الظلمانيه و تتعلق بالصور البرزخيه البسيطة- أى يشتد تعلقها بها كما علم من السوابق فتموت تلك و تحيا هذه و تترك و ترفض تلك و تستعمل و تنهض هذه، س ره

و الحمرة فى الفحم و الأرواح كامنه فى الصور البرزخيه كلها كمون الاشتعال و الإناره فى الحراره فى النفخه الأولى زالت الصور الطبيعىه بالإماته كزوال هيئه السواد و البروده للفحم بحصول الحمرة و الحراره و استعدت الصور البرزخيه لقبول الاستناره بالأرواح استعداد الفحم المحمر المتسخن لقبول الاشتعال فإذا نفخ إسرائيل و هو المنشى للأرواح فى الصور نفخه ثانيه تستير بالأرواح البارزه القائمه بذاتها كما قال تعالى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

قال الشيخ العربى فى الفتوحات المكيه النفخه نفختان نفخه تطفئ النار و نفخه تشعلها فإذا تهيأت هذه الصور كانت فتيله استعدادها لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش بالنار التى كمنت فيه لقبول الاشتعال و الصور البرزخيه كالسرج مشتعله بالأرواح التى فيها فينفخ إسرائيل نفخه واحده فتمر على تلك الصور فتطفئها و تمر النفخه التى تليها- و هى الأخرى على الصور المستعده للاشتعال و هى النشأه الأخرى فتشتعل بأرواحها- فإذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور أحياء ناطقه بما ينطقها الله فمن ناطق بالحمد لله و من ناطق يقول من بعثنا من مرقدنا و من ناطق بالحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور و كل ينطق بحسب حاله و ما كان عليه و نسى حاله فى البرزخ- و يتخيل أن ذلك منام كما يتخيله المستيقظ و قد كان عند موته و انتقاله إلى البرزخ- كالمستيقظ هناك و أن الحياه الدنيا كانت له كالمنام و فى الآخره يعتقد فى أمر الدنيا- و البرزخ أنه منام فى منام.

و قال فى موضع آخر منها بعد ذكر الناقور و الصور و ليعلم بعد ما قرناه أن الله تعالى إذا قبض الأرواح من هذه الأجسام الطبيعىه و العنصرىه أودعها صوراً أخذها فى مجموع هذا(١) القرن النورى فجميع ما يدركه الإنسان بعد الموت فى البرزخ من الأمور يدركها بعين الصوره التى(٢) هو بها فى القرن و النفخه نفختان نفخه تطفئ النار و نفخه

١- و ما ورد أن فى هذا القرن نقرا بعدد الخلائق إشاره إلى هذا، س ره

٢- أى بذات الصوره و باطن ذاتها أو ببصره تلك الصوره المثاليه و حينئذ إطلاق العين إما من باب التغليب و إما من باب أن كل مشعر هناك عين المشاعر الأخرى، س ره

تشعلها فكذلك نفخه الصور نفختان الأولى للإماتة لمن يزعم أن له حياه سواء كان من أهل السماوات أو من أهل الأرض قال تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ هُم الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى وَ إِلَيْهِمُ الْإِشَارَةُ بقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ إِلَى قَوْلِهِ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ إِذِ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ إِشَارَهُ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

أقول و ذلك لأن أولئك ليسوا من أهل (۱) السماوات و الأرض لكون ذواتهم خارجة عن عالم الأجسام و صورها و نفوسها و لا يجرى عليهم تجدد الأ-كوان و لا- تغير الزمان لاستغراقهم في بحر الأحديث و سلطان نور الإلهية كالملائكة المهيمين الذين هوياتهم مطوية تحت الشعاع الطامس القيومي و النور الباهر الإلهي فلا التفاوت لهم إلى ذواتهم و الثانيه لأجل الإحياء بعد الإماتة و البقاء بعد الفناء حياه أرفع من الأولى- و بقاء حقيقيا لا فناء بعده قال ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

فصل (۱۶) في القيامين الصغرى و الكبرى

أما الصغرى فمعلومه من مات فقد قامت قيامته و أما الكبرى (۲) فمبهمه وقتها و لها

۱- بل هم أهل الله تعالى و لا- يجرى عليهم تجدد الأ-كوان و لا تغير الزمان لأنهم ليسوا هذه المدرات و الأبدان المركبه من العناصر الكائنه الفاسده بل عقول بسيطه و أرواح مرسله بحسب الباطن غير متحيزه و لا- متميته و لا- موجهه بالجهات حيزها الجبروت و متاها الدهر الأيمن الأعلى و جهتها الفوقيه المعنويه و قهر النور و هي في الصعود كالملائكة المهيمين و المقربين في النزول. و از وجود خود چو نی گشتم تهی نیست از غیر خدایم آگهی فانی از خویشم من و باقی بحق شد لباس هستیم یکباره شق ، س ره

۲- لأنها في السلسله الطويله الصعوديه لا- في العرضيه كما مر و لذا لقن الله تعالى نبيه ص أن يقول في جواب سؤال الكفره العميان: علمها عند ربى فمن يطالبها من مستقبل السلسله العرضيه فقد استسمن ذا ورم كمطالبه المبدأ الأزلی من ماضيها و لذا استصعب أهل الفكر ذلك فضلا عن أولى الأوهام و الخيالات و يرشدك إلى ذلك ما قال قدس سره العزيز إن يوم القيامة الكبرى لساعات الأنفاس الصغريات- كالیوم للساعات الزمانيه أو كالسنه للأيام و قال المولوى في الحقيقه المحمديه- «با زبان حال میگفتی بسی کی ز محشر حشر را پرسد کسی ، س ره

ميعاد عند الله و من وقتها على التعيين فهو كاذب

لقوله ص: كذب الوقاتون

و كل ما فى القيامة الكبرى(١) فله نظير فى القيامة الصغرى و مفتاح العلم بيوم القيامة و معاد الخلائق هو معرفه النفس و مراتبها و الموت كالولاده فقس الآخره بالأولى و الولاده الكبرى بالولاده الصغرى ما خَلَقَكُمْ وَ لَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ لَا شَكَّ أَنْ الْآخِرَهُ إِنَّمَا يَحْصُلُ بارتفاع الحجب و زوال الملابس و ظهور الحقائق و انكشاف الحق(٢) بالوحده الحقيقيه- و كذا يظهر كل شىء فيها على صورته الذاتيه الحقيقيه فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى و ظهور الحق بالوحده الحقيقيه و عود الأشياء كلها إليه و فناء الكل عن

-
- ١- مثل أن فى الكبرى زلزلت الأرض زلزالها كذلك عند موت الإنسان الصغير- زلزلت أرض بدنه و ارتعدت أركان بنيته و فى الكبرى حملت الأرض و الجبال فدكتا دكه واحده كذلك فى الصغرى تدك عظام بدنه دكا و فى الكبرى انكدرت النجوم- و فى الصغرى انكدرت أنوار نجوم القوى و فى الكبرى كورت الشمس و خسف القمر- و فى الصغرى كور روح القلب الذى كالشمس فى العالم الصغير و انخسف نور الروح الدماغى المستمد من القلب الصنوبرى و فى الكبرى حشر الكل إلى الله الواحد القهار و فى الصغرى حشر جميع القوى النفسانيه إلى ذات بسيطه روحانيه كما سيدكره، س ره
 - ٢- أى تجليه الأعظم باسمه الواحد و الأحد و القهار و اختفاء الماهيات و عود الوجودات إليه تعالى بإسقاط إضافتها عن الماهيات بعكس حالها قبل القيامة الكبرى من تكثر الوجودات و إضافتها إلى الماهيات حتى المجردات ينمحي إضافه وجودها إلى ماهياتها كما فى الخبر سيما أنها من صقع الربوبيه و أحكام الغيريه و السوائيه فيها مستهلكه من الحركه و الماده بالمعنى الأعم و لواحقها و لهذا كان العالم بمعنى ما سوى الله هو العالم الطبيعى و ما انطبع فيه و ما تعلق به لا غير، س ره

هوياتها الجزئية حتى الأفلاك والأرواح والنفوس كما قال تعالى فَصَبَّعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُمْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى وَقَالَ تَعَالَى وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ* وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَّاهُ وَجْهُهُ وَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَبَقِيَ وَجْهُهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ وَكَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ يَمِيتُ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ حَتَّى الْمَلَائِكَةَ وَجِبْرِئِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمَلَكُ الْمَوْتِ ثُمَّ يَعِيدُهَا (١) لِلْفَصْلِ وَالْقَضَاءِ فَلْيَتَأَمَّلْ فِي الْأَصُولِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا مِنْ تَوَجُّهٍ كُلِّ (٢) سَافِلٍ إِلَى عَالٍ وَرَجُوعٍ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى أَصْلِهِ وَعُودِ كُلِّ صُورَةٍ إِلَى حَقِيقَتِهَا وَمِنْ إِثْبَاتِ الْحَرَكَاتِ الْجَوْهَرِيَةِ الطَّبِيعِيَةِ وَالنَّفْسَانِيَةِ إِلَى غَايَاتِهَا وَرَجُوعِ الْمَعْلُولَاتِ إِلَى عِلَاتِهَا- وَاتِّصَالِ النَّفُوسِ السَّمَاوِيَةِ بِنَهَائِهَا تَهَا الْعَقْلِيَةِ وَمِنْ تَنَوُّرِ قَلْبِهِ بِنُورِ الْيَقِينِ لَشَاهِدٍ تَبْدُلُ أَجْزَاءَ الْعَالَمِ وَأَعْيَانِهَا وَطَبَائِعِهَا وَنَفُوسِهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَالْكُلُّ مُتَبَدِّلٌ وَتَعْيِنَاتُهَا زَائِلَةٌ فَمَا مِنْ مَوْجُودٍ إِلَّا وَيَقَعُ لَهُ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَلَوْ بَعْدَ أَدْوَارٍ وَأَحْقَابٍ كَثِيرَةٍ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ فَنَاءٍ أَوْ اسْتِحَالَةٍ أَوْ انْقِلَابٍ أَوْ صَعْقٍ كَمَا لِلْأَرْوَاحِ فَكُلُّ حَرَكَةٍ وَتَبَدُّلٍ لَا يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ يَنْتَهِي إِلَيْهَا وَقْتًا وَلِغَايَةٍ أَيْضًا غَايَةٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى غَايَةٍ لَا غَايَةَ لَهَا وَيَجْتَمِعُ فِيهَا الْغَايَاتُ فَلَهَا يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَهِي بَلْ لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ أَقْرَبُ مِنْهَا حَاوِيَةً لِجَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَنَةِ وَالْآنَاتِ الَّتِي تَقَعُ فِيهَا النِّهَايَاتُ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْبِدَايَاتِ ابْتَدَأَتْ مِنْ بَدَايَةِ

١- موجوده بوجود أكمل و أنور كما سبق، س ره

٢- هذا التوجه و الرجوع و التبدل و نحوها طولى كما مر غير مره و كيف لم يتحقق الوصول إلى الغايه و القيام عند الرب و أين عناصر النطفه القدره و النفس الكليه الإلهيه أو النطقيه القدسيه و لينظر إلى كل المتوجهات الطويله سيما إذا رفع النقاب عن وجه النفس و نضت الجلايب عن قامتها إذ قد مر أن الحشر و القيامه و نحوهما من الألفاظ لا تطلق في المله إلا عند هذا التجرد التمام كما قال ع عنده؟ فزت برب الكعبه لكن حقيقتها قائمه و كيف يكون قيامه أصحاب اليمين و أصحاب الشمال قيامه- و غاياتهم صوريه و مجازاتهم جسميه و قيامه أهل الحقيقه هاهنا غير قائمه و قد بلغوا من الغايه ما بلغوا و وصلوا من صفات ربهم إلى ما وصلوا بقوه ربانيه و هم أهل المعنى و الكامل إنسان ربانى و كأنه رب إنسانى كما فى آخر الشفاء، س ره

واحد و مبدإ واحد يتشعب منه كل مبدإ و تنبجس منه كل مؤثر و أثر و كذا من شاهد حشر جميع القوى الإنسانية مدركها و محرکها مع تباينها و تباين مواضعها عددا و شخصا و تخالف ماهياتها نوعا و حقيقه إلى ذات واحد بسيطه روحانيه و رجوعها إليها و استهلاكها فيها ثم انبعاثها منها في الآخرة على نحو آخر أفضل و أرفع مما كانت عليه أولا في الدنيا هان عليه التصديق برجوع الخلائق كلها إلى الحق تعالى ثم وجودها و انتشاؤها منه تاره أخرى على وجه أكمل و أرفع من النشأ الأولى فكما أن الروح الإنسانية منه انبساط أشعه القوى و المشاعر على مواضع البدن و إليه رجوع أنوارها من محابس مظاهرها بالموت ثم انبعاثها عنه في الآخرة تاره أخرى على نحو آخر فكذا لك القياس في تكون هذا العالم و موجوداتها من السماوات و الأرض و ما بينهما و ما فيها ثم رجوع الكل إليه بطى السماوات و انتشار الكواكب و اندكاك الجبال و قبض الأرض و ما فيها و موت الخلائق و نزع أرواحها و قبض نفوسها و فناء كل من عليها كما قال تعالى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ فإذا رجع إليه الكل استأنف لها الوجود تاره أخرى على وجه تقوم قياما يبقى أبدا من غير فناء و لا زوال قال تعالى - كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَغَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ و من لم يذق هذا الشهد سواء كان من العلماء الناظرين غير الواصلين أو من المغرورين بعقولهم الناقصه العاديه أو من المحجوبين العاكفين على باب الصور الظاهره و الأصنام فليصدق الأنبياء و الأولياء فيما قالوه و يؤمن به إيماننا بالغيب كإيمان الأعمى بما يقوله و يهديه قائده و لا ينكر شيئا منه نعوذ بالله من ضعف الإيمان باليوم الآخر و الجحود لما أنبأ به أهل الإنباء- ع من النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون و عنه معرضون بل هم ببقاء ربهم كفرون- و قد تحقق بالبرهان و انكشف بلوامع آيات القرآن و بطلوع شمس العرفان من أفق البيان أن أعيان العالم متبدله دائما و هوياتها و تشخصاتها متزايله و طبائعها متجدده كل آن كما قال تعالى بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ و قوله تعالى وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ و هو سبحانه غايه هذه الحركات و التبدلات- وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ* أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ

فصل (١٧) فى أن أى الأجسام يحشر فى الآخرة و أياها لا يحشر

اعلم أن الأرواح ما دامت أرواحا لا تخلو عن تدبير أجسام لها و الأجسام المتصرفه فيها قسمان قسم يتصرف فيها النفوس تصرفا أوليا ذاتيا من غير واسطه و قسم يتصرف فيها النفوس تصرفا ثانويا تدبيرا بواسطه جسم آخر قبله و القسم الأول ليس محسوسا بهذه الحواس الظاهره لأنه غائب عنها لأنها إنما تحس بالأجسام التى هى من جنس ما يحملها من هذه الأجرام التى هى كالقشور و يؤثر فيها سواء كانت بسيطه كالماء و الهواء و غيرهما أو مركبه كالحيوان و النبات و غيرهما سواء كانت لطيفه كالأرواح البخاريه أو كثيفه كهذه الأبدان اللحميه الحيوانيه و الأجساد النباتيه فإن جميعها ليست مما يستعملها النفوس و يتصرف فيها إلا بالواسطه- و أما القسم الأول المتصرف فيه فهو من الأجسام النوريه الحيه بحياه ذاتيه غير قابله للموت.

و هى أعلى رتبه من هذه الأجسام المشفه التى توجد هاهنا و من التى تسمى بالروح الحيوانى فإنها من الدنيا و إن كانت شريفه لطيفه بالإضافة إلى غيرها و لهذا تستحيل و تضمحل سريعا و لا يمكن حشرها إلى الآخرة و الذى كلامنا فيه من أجسام الآخرة- و هى تحشر مع النفوس و تتحد معها و تبقى ببقائها و أما البرازخ العلويه فالتى فى نهايه العلو فى هذا العالم الذى يقال لها سدره المنتهى فهى كأنها عين الصوره بلا- ماده- فحكمها يشبه أن يكون كحكم الأجسام الخياليه و تصرف النفوس فيها كتصرف النفوس فى تلك الأجسام و أما التى دونها فهى كالأرواح الدماغيه لنا لأنها بمنزله خيال العالم الكبير و قد صرح بعض أئمه الكشف أن الأجسام النوريه الفلكيه لا خيال لها بل هى عين الخيال و كما لا يخلو خيال الإنسان عن صوره كذلك لا يخلو ذات الملك عن صوره و صوره الفلك لذات (١) الملك كقوه الخيال لذات الإنسان و هذه الزرقه

١- أى للنفس الفلكيه كقوه الخيال أى كصوره خياليه لها و إنما قال كالقوه لاتحاد الخيال و التخيل، س ره

المحسوسه ليست صورته السماء ولا هذه (١) الأنوار المدركه بالحس هي أنوارها الموجوده يوم القيامة بل هذه السماء مدروسه مهدومه و كواكبها منكسفه مطموسه فى ذلك اليوم

فصل (١٨) فى حال أهل البصيره هاهنا

اعلم أن من الناس من يرى بعين البصيره أمور الآخره (٢) و أحوالها و يحضر عنده شهود الجنه (٣) و أهلها قبل قيام الساعه فلا يحتاج فى معانيه ذلك العالم و بروز الحقائق له إلى حصول الموت الطبيعى لزوال الحجب عن وجه قلبه و عين بصيرته فحالهم قبل الموت كحال غيرهم بعد الموت كما قال تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ و ذلك لتبدل نشأتهم الدنيويه إلى نشأتهم الأخرويه و إذا تبدلت نشأتهم و تبدلت أسماعهم (٤) و أبصارهم و حواسهم إلى أسمع و أبصار و حواس تبدلت فى حقهم جميع الموجودات التى فى السماوات و الأرض لأن لها أيضا نشأتين نشأه الدنيا و نشأه الأخرى و كل حس مع محسوسه من نوع واحد فحواس هذه النشأه تدرك محسوسات

١- أى الأنوار الطبيعيه المتشتمه إذ لها يومئذ أنوار أقوى و أجمع ملكوتيه، س ره

٢- و هذا كأحوال المبدإ عند أهله، س ره

٣- سيما الملكات الحميده و المصوره بالصور الجميله و جنه الصفات و جنه الذات - مشهوره لأرباب التخلق و التحقق قبل القيامة - مهر كه امروز معانيه رخ دوست نديد طفل راهيست كه او منتظر فردا شد و قال آخر موعده وصل تو را غير بفردا انداخت دارم اميد كز امروز بفردا نرسد ، س ره

٤- و هذا كما فى رجال الله الموسومين بالأبدال المبدل وجودهم الظلمانى بالوجود النورانى و كذا مشاعرهم قال المعصوم ع: لا أرى إلا وجهك و لا أسمع إلا صوتك و قال سيد الشهداء ع: عميت عين لا تراك ، س ره

هذه النشأه و حواس نشأه الآخره تدرك بها محسوسات نشأه الآخره و إلى هذا التبديل أشار تعالى بقوله يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَ قَالَ تعالى نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْرِينَ عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَالُكُمْ وَ نُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ بهذا التبديل فى الوجود سواء وقع قبل الموت أو بالموت أو بعده (۱) يستحق الإنسان لدخول الجنة و دار السلام و به يتحقق الفرق بين أهل الجنة و أهل النار فأهل الجنة لهم قلوب منوره و صدور منشرحه و أبدان مطهره و صور مجردة عن رجس الماده الطبيعى بخلاف أهل النار لعدم تبدل ذواتهم عن هذا الوجود الطبيعى فكيف يمكن لهم دخول دار السلام كما قال تعالى أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةٍ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ أَى من نطفه قدره و المكون من نحو هذه الماده كيف يناسب دار القدس و الطهاره و لما كان هاهنا مظهره سؤال مشكل و هو أن جميع الناس (۲) مشترك فى أنهم مخلوقون من نطفه يعنى أنهم أجسام طبيعى فكيف يقع لهم استحقاق دخول دار السلام و استيهال جوار رب العالمين و ما للتراب و رب الأرباب فعقب الآيه بقوله تعالى فَلَا- أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ... عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا- تَعْلَمُونَ أَى تتبدل نشأتهم الطبيعى تبدلا وجوديا و حركه جوهرية بحصول العلم و الإيمان و العمل بالأركان فيحصل لهم أهليه الدخول فى دار القدس و عالم الملكوت

۱- و هذا فيمن له تعطل فى البرزخيات أعاذنا الله منه، س ره

۲- و هذا الإشكال لأهل الصوره نشأ من النظر إلى الصوره- ۲۸۳ ای بسا كسرا كه صورت راه زد قصد صورت كرد و بر الله زد جمله عالم زين سبب گمراه شد كم كسى ز ابدال حق آگاه شد گفتند ايشان هم بشر ما هم بشر جملگى مان بسته خواييم و خور كار پاكان را قياس از خود مكير گر چه ماند در نوشتن شير شير ، س ره

فصل (١٩) فى الصراط

اشاره

قد علمت أن لكل موجود حركه جليه و توجهها غريزيا إلى مسبب الأسباب- و للإنسان مع تلك الحركه الجوهرية العامه حركه أخرى(١) ذاتيه منشؤها حركه عرضيه فى كيفيه نفسانيه لباعث دينى و هى المشى على منهج التوحيد و مسلك الموحدين من الأنبياء و الأولياء و أتباعهم ع و هى المراد بقوله تعالى اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ المدعو للمصلى فى كل صلاه المشار إليه فى قوله تعالى قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَقَوْلِهِ إِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فالاستقامه عليه و الثبت فى المشى فيه هو الذى كلف الله به عباده و أوجب عليهم و أرسل رسله لأجل ذلك إليهم و أنزل الكتب بسببه عليهم- و باقى الصراط الذى يمشى عليها الموجودات ليس شىء منها هذا الصراط المختص بأهل الله لأن كلا منها ينتهى إلى غايه أخرى غير لقاء(٢) الله و إلى منزل آخر غير جوار الله و غير دار الجنان و منزل الرضوان كطبقات الجحيم و دركات النيران فالقوس الصعوديه لا تنقطع إليه تعالى إلا بسلوك الإنسان الكامل عليها إِلَيْهِ يَصِيرُ الْعَلَمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ و الاستقامه عليها هى المراد بقوله تعالى فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا

- ١- حاصله أن لكل موجود طبيعى عباده تكوينيه باعتبار امتثال الأوامر و النواهى التكوينية و للإنسان مع هذه عباده تكليفيه باعتبار الأوامر و النواهى التكليفيه الوارده من الشريعة و الطريقه و المراد بالكيفيه النفسانيه الحالات و الأخلاق و العلوم و المعارف- و بالباعث الدينى نيه القربه فالمتحرك هو الإنسان و ما فيه الحركه هو الصراط، س ره
- ٢- أى غير مظهره اسمه الأعظم الجامع لكل الأسماء و إن كان مظهره بعض الأسماء الأخرى كالسميع البصير المدرك الخبير و القاهر و المضل و الخافض و المذل- و نحوها و الإنسان الكامل هو عبد الله و غير عبد السميع البصير و عبد المدرك الخبير أو عبد القاهر أو عبد المضل أو غير ذلك من الأسماء لا اسم الجلاله، س ره

و الانحراف عنه يوجب السقوط عن (١) الفطره و الهوى إلى دار الجحيم و الهبوط فى جهنم التى قيل لها هل امتلأت و تقول هل من مزيد و وصفه بأنه أدق من الشعر و أحد من السيف لأن كمال الإنسان منوط باستعمال قوته أما القوه النظرية فلاصابه الحق و نور اليقين فى سلوكك الأنظار الدقيقه التى هى فى الدقه و اللطافه أدق من الشعر إذا تمثلت بكثير و أما القوه العمليه فبتعديل القوى الثلاث التى هى الشهويه و الغضبيه و الفكرية فى أعمالها لتحصل للنفس حاله اعتداليه متوسطه بين الأطراف غايه التوسط- لأن الأطراف كلها مدمومه يوجب السقوط فى الجحيم و منزل البعداء و الأشقياء المردودين و قد علمت أن التوسط الحقيقى بين الأطراف المتضاده بمنزله الخلو عنها- و الخلو عن هذه الأطراف المسمى بالعداله منشأ الخلاص عن الجحيم و هى أحد من السيف- فإذا الصراط (٢) له وجهان أحدهما أدق من الشعر و الآخر أحد من السيف و الانحراف عن الوجه الأول يوجب السقوط عن الفطره إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّراطِ لَنُكَفِبْنَهُمُ عَنْ الْوَقُوفِ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي يوجب الشق و القطع كما قيل وقف عليه شقه- و إليه الإشاره بقوله تعالى ائْتَاكُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَ يَثْمَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ و بقوله يُسَيِّجُونَ فِى الْحَمِيمِ و وجه ذلك أن هذه العداله ليست كمالا حقيقيا لأن ذلك منحصر فى (٣) نور العلم و قوه الإيمان و المعرفة بل هى أمر عدمى و صفه نفسانيه عدميه اعتداليه من جنس أطرافها و الركون إليها و الاعتماد عليها يوجب الإخلاق إلى الدنيا- لأنها من الدنيا أيضا و حب الدنيا رأس كل خطيئه.

١- أى الفطره الأصلية لأصل النوع و إن كان بدون الهوى إلى دار الجحيم- بل مجرد القطع و عدم الوصول إلى غايه المقربين من أهل الله و إنما قلنا ذلك ليندرج أصحاب اليمين فإن الله تعالى ثلث عبادته بقولهفأما إِنَّ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ الآيات، س ره
٢- أى كطريق فيه جادتان إحداهما إصلاح العقل النظرى و الأخرى إصلاح العقل العملى فالأدقيه للأول و الأحديه للثانى، س ره

٣- يرشدك إلى هذه جعلهم الشهود آخر أعمال العقل العملى إذ المراتب هنا أربعة التجليه و التخليه و التحليه و الفناء و يعبرون عن الفناء بأن يرى كل علم مستهلكا فى علمه و كل قدره مستهلكه فى قدرته و هكذا فى الباقي الصفات العليا بل كل وجود مستهلكا تحت وجوده فآخر العمل أيضا الشهود الذى هو كمال المعرفة، س ره

تنوير قرآنى:

هذا الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر نور اليقين للمارين عليه إلى الآخرة و بحسب شده نور يقينهم يكون قوه سلوكهم و سرعه مشيهم عليه فيتفاوت درجات السعداء بتفاوت نور معرفتهم و قوه يقينهم و إيمانهم لأن التقرب إلى الله لا يمكن إلا بالمعرفه و اليقين و المعارف أنوار و لا- يسعى المؤمنون إلى لقاء الله إلا- بقوه أنوارهم و أنظارهم كما قال تعالى يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ ... يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا الْآيَه

و قد ورد فى الخبر: أن بعضهم يعطى نورا مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه و منهم من يعطى أصغر من ذلك و منهم من يعطى نوره مثل النخله يمينه و منهم من يعطى نوره أصغر من ذلك- حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على قدر إبهام قدمه فيضيئ مره و يطفأ أخرى- فإذا أضاء قدام قدمه مشى و إذا طفى قام و مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم (١) من يمر كطرف العين و وقوع الشعاع و منهم كالبرق الخاطف و منهم من يمر كشد الفرس و الذى أعطى نورا على قدر إبهام قدمه يحثو على وجهه و يديه و رجليه تجريدا و يعلق أخرى و تصيب النار جوانبه فلا يزال كذلك حتى يخلص الخبر

و بهذا يظهر تفاوت الناس فى الإيمان فرب إيمان رجل بالقياس إلى إيمان رجل آخر إذا وزن معه و قيس إليه كان آلاف ألف مثله فى القوه النوريه و الرسوخ العلمى و عن الحسن الصراط مسيره آلاف سنه- أدق من الشعر و أحد من السيف ألف صعود و ألف استواء و ألف هبوط أقول (٢) لا يبعد أن يكون الأول إشاره إلى السير من الخلق إلى الله و الثانى إلى السير فى الله منه إليه و الثالث إلى السير من الله إلى الخلق و قال أبو طالب المكى فى كتاب قوه القلوب روى أن الله تعالى خلق الصراط من رحمته أخرجها للمؤمنين فالصراط للموحدين

١- و هؤلاء هم أرباب الهمم العاليه الذين يقطعون علاقتهم عن الدنيا بالكلية- دفعه واحده كما قيل. يكقدم بر نفس خود نه ديگرى در كوى دوست ، س ره

٢- هذا بناء على أن يكون المقصد جنه الذات البحتة و المحقق المحض فى نور الذات و إلا- فالسير فى الله تعالى نفس جنه الصفات فكيف السير من الله تعالى، س ره

خاصه و الكفار لا جواز لهم (١) عليه لأن النار قد التقت من الموقف جبارتهم و سائر الكفار قد اتبعوا ما كانوا (٢) يعبدون من دون الله عز و جل إلى النار فقسم النور بين الموحدين على قدر ما جاءوا به من الدنيا و الصراط يدق و يتسع على حسب منازل الموحدين - الدقه للمذنبين و السعه للمتقين و الأصل الواسع للأنبياء و الأولياء يصير لهم كالبساط سعه و بسطا و لهم السعه و الإبطاء فأولهم كلمح البصر و آخرهم كعمر الدنيا سبعة (٣) آلاف سنه تزل قدم تحترق ثم يخرجها فتبرأ من الرحمه ثم تزل قدم و الأخرى قد برأت فالإسلام خرج لهم من الرحمه فلما قبلوه (٤) و لم يفوا به ضرب لهم جسرا من تلك الرحمه فيمروا عليها فمن ضيع منهم شيئا من أعمال الإسلام فإنما ضيع الرحمه التي رحم بها فزلت قدمه فالدقه و الاتساع على قدر الرحمه من الله تعالى للعبد فبحظ العبد من الرحمه التي قسمه سبحانه في أيام الدنيا يتسع الصراط عليه هناك - و السعه و الإبطاء في قطع الصراط على قدر القرب فبحظ العبد من نور القربه يسرع و يبطؤ فأولهم زمره يقطع في مثل طرف العين و لمح البرق و هم الأنبياء ع و الثانيه في مثل الريح و الطير و هم الصديقون الأولياء و الثالثه مثل حضر الفرس و أجاويد الخيل و الركاب و هم الصادقون الذين جاهدوا أنفسهم حتى صدقوا الله سبحانه في جميع حركاتهم و خطراتهم و الرابعه في مثل الراكب رحله و هم المتقون و الخامسه في مثل سعى الرجل و هم العابدون و السادسه مشيا و هم العمال المستورون و السابعه حبوا و هم المتهتكون (٥)

١- إذ ليس الأصل بيدهم فكيف الفرع و هو السبيل إليه، س ره

٢- و هم الجبابره، س ره

٣- فيض الله لا- ينقطع و نوره لا- يأفل و تعيين السبعه باعتبار الكواكب السبعه- أو باعتبار التغيرات الكليه في آداب أولى العزم السبعه من الرسل أو باعتبار اللطائف السبع الإنسانيه، س ره

٤- أى قبلوه تعلقا و لم يفوا به تحققا إذ الإسلام التسليم و الاستقامه فيه كما قال تعالى فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ فَضَرْبَ لَهَا يَحْتَرِقُوا بنار الطبيعه حتى يقضوا أوطارهم، س ره

٥- أى المتجاهرون بالفسق على خلاف المستورين، س ره

من الموحدين و كل زمره لها نور نور النبوه و نور الولا-يه و نور الصدق و نور التقوى و نور العباده و نور الستر و نور التوحيد فمنهم من نوره مد بصره و منهم من نوره عند إبهام قدمه و هو آخرهم فليس النور بكثره الأعمال إنما النور بعظم نور الأعمال- و إنما يعظم نور العمل(١) على قدر ما فى القلب من النور و إنما يعظم نور القلب على قدر القربه فكل ذى نور نوره أقرب إلى الله تعالى فنوره أنور و أعظم و أنفذ بصرا و أثقل وزنا فكم من رجل قل عمله هناك سبق إلى الجنة من أربى بعمله هناك أضعافا مضاعفه- ألا ترى إلى

قول رسول الله ص لمعاذ: أخلص يكفك القليل من العمل

فلا يصل العبد إلى الإخلاص إلا بعظم النور و إنما زكت أعمالهم و نمت بعظم النور و يحقق ما قلناه إن رجلا من هذه الأمة قد سبق من عمر ألف سنه من الأولين و لذلك روى فى الحديث يا حبذا نوم الأكياس و فطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى و صيامهم و لمثقال حبه من خردل من صاحب تقوى و يقين أفضل عند الله سبحانه من أمثال الجبال من المغترين و قال أيضا فالصراط المستقيم طريق التوحيد و هو دين الحق الذى جميع الأنبياء و الرسل و متابعيهم عليه و جميع الأحوال السنيه و مقامات السالكين فى السير إلى الله تعالى و فى الله عز و جل راجعه إليه و علم التوحيد أنفع العلوم و أرفعها بل صفاوتها و نقاوتها- و هو المقصد الأقصى و المطلب الأعلى و ليس وراء عبادان قريه و لا مطمع فى النجاه إلا باقتنائه و لا فوز بالدرجات إلا باجتناؤه و لعلو مرتبته و رفعه منزلته انقلبت البصائر عنه كليله و العقول عليه و النواظر حواسر إذ هو بحر وقف بساحله العقول و امتنع على الأرواح و القلوب إلى كنهه الوصول انتهى كلامه و قد أصاب فيما ذكره من أنه لا- يمكن الوصول إلى عالم القرب و قطع الطريق إليه إلا بعلم التوحيد فقط و غيره من العلوم(٢)

١- فمن صائم يصوم للامتنال و من صائم يصوم لتحصيل صفاء القلب إذ الجوع سحاب يمطر الحكمة و من صائم يصوم ليطلع على حال الفقراء و من صائم يصوم ليتخلق بخلق صمد لا- يطعم و من منفق ينفق للامتنال و من منفق ينفق لتحصيل الصفه الحميده التى هى الجود و من منفق ينفق رقه على الفقير و من منفق ينفق للتخلق بخلق قاضى الحاجات رازق البريه و قس عليه، س ره

٢- فإن العلوم المعينه له علوم آليه لا أصاليه و الأعمال الصالحه مصيقله لمرآه القلب و فى الحديث القدسى فخلقت الخلق لكى أعرف، س ره

و الأعمال لا وزن لها عند الله إلا من جهه إعانتها فى تحصيل ذلك فى العلم لا غير و برهان هذه الدعوى مستفاد من مواضع كثيره فى هذا الكتاب

بصيره كشفية:

اعلم أن الصراط المستقيم كما قيل الذى أوصلك إلى الجنه هو صورته الهدى الذى أنشأته لنفسك ما دمت فى عالم الطبيعه- من الأعمال القلبيه و الأحوال و التحقيق أنه عند كشف الغطاء و رفع الحجاب يظهر لك أن النفس الإنسانيه السعيده صورته صراط الله المستقيم و له حدود و مراتب إذا سلكه سألكت متدرجا على حدوده و مقاماته أوصله إلى جوار ربه داخلا فى الجنه فهو فى هذه الدار كسائر الأمور الأخرويه غائبه عن الأبصار مستوره على الحواس فإذا انكشف الغطاء بالموت و رفع الحجاب عن عين قلبك تشاهده و يمد لك يوم القيامة كجسر (١) محسوس على متن جهنم أوله فى الموقف و آخره على باب من أبواب الجنه يعرف ذلك من يشاهده و تعرف أنه صنعتك و بناؤك و تعلم حينئذ أنه كان فى الدنيا جسرا ممدودا- على متن جهنم طبيعتك التى قيل إنها كظل (٢) ذى ثلاث شعب لا- ظليل و لا يغنى من اللهب لأنها التى تقود النفس إلى لهيب الشهوات التى يظهر أثر حرها فى الآخره- و هو الآن مغمور مكمون فى غلاف هذا البدن كجمره نار مستوقده تحت رماد فالسعيد من أطفأ ناره بماء العلم و التقوى.

قال الشيخ الصدوق فى الإعتقادات اعتقادنا فى الصراط أنه حق و أنه جسر على جهنم و أن عليه ممر جميع الخلق قال الله تعالى

١- يريد أن الفضل فى الجمع بين الأوضاع فالصراط الذى شرحناه أنه منهج التوحيد و أن له وجهين النظرى و العملى و لكل منهما حدود و مقامات كان روحانيا- فليدعن المؤمن أن له صورته أيضا أخرويه محسوسه ممدوده كجسر فوق خندق أو بئر وسيع مسجور كغيره من أمور المعاد الجسماني، س ره

٢- أى كظلمه لهيولانيته كما هو مفساد قولها إلى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لأنه متباعدة تباعدا مكانيا ذا طول و عرض و عمق واقع أجزاءه فى الغيبه كل عن الآخر و لا يغنى من لهب التباعد الزمانى الذى لأجزائه الغير القاره كما لا يغنى من لهب الشهوات، س

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا قَالَ وَالصُّرَاطُ فِي وَجْهِ آخِرِ اسْمِ حُجَّجِ اللَّهِ (١) فَمَنْ عَرَفَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَاطَّاعَهُمْ
أَعْطَاهُ اللَّهُ جَوَازًا عَلَى الصُّرَاطِ الَّذِي هُوَ جَسَرُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَلِيُّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقْعَدَ أَنَا وَأَنْتَ وَجِبْرِيلُ عَلَى الصُّرَاطِ - وَلَا يَجُوزُ عَلَى الصُّرَاطِ إِلَّا مَنْ
كَانَتْ مَعَهُ بَرَاءَةٌ بَوْلَايَتِكَ
انتهى.

أقول و من العجب كون الصراط و المار عليه و المسافه (٢) و المتحرك فيه شيئا واحدا- و هذا هكذا في طريق الآخرة التي
تسلكها النفس الإنسانية فإن المسافر إلى الله أعنى النفس تسافر في ذاتها و تقطع المنازل و المقامات الواقعة في ذاتها بذاتها ففي
كل خطوه تضع قدمها على رأسها (٣) بل رأسها على قدمها و هذا أمر عجيب و لكن ليس بعجيب عند التحقيق و العرفان

فصل (٢٠) في نشر الصحائف و إبراز الكتب

إشارة

إن القول و الفعل ما دام وجودهما في أكوان الحركات و مواد المكونات فلا حظ لها من البقاء و الثبات و لكن من فعل فعلا أو
تكلم بقول يظهر منه أثر في نفسه و حاله قليبه تبقى زمانا و إذا تكررت الأفاعيل و الأقاويل استحكمت الآثار في النفس و صارت
الأحوال ملكات إذ الفرق بين الملكة و الحال بالشدة و الضعف و الاشتداد في الكيفية يؤدي إلى

١- و في الزياره المأثوره عنهم ع فيهم: و أنتم السبيل الأعظم و الصراط الأقوم ، س ره

٢- هما عبارته أخرى لما قبلهما ثم يزيد في العجب كونه ما منه الحركة و ما إليه و بالجملة الأربعة واحده كما لا يخفى على
أولى النهى، س ره

٣- إشاره إلى دوريه الحركة و أيضا العلم ملازم للعمل و العمل ملازم للعلم - فمعنى وضع القدم على الرأس أنها تعمل على
مقتضى نور معرفتها التي هي بمنزله رأسها- و معنى وضع الرأس على القدم أنها تبني معرفتها على نتيجته علمها الذي كان بناؤه
على معرفته السابقه حتى تقطع المنازل إلى الله تعالى، س ره

حصول صورهِ جوهريهِ هـى مبدأُ مثل تلك الكيفيه كالحرارهِ الضعيفهِ فى الفحم إذا اشتدت صارت صورهِ نارِيهِ محرقهِ و كذلك الكيفيه النفسانيهِ إذا اشتدت صارت ملكهِ راسخهِ أى صورهِ نفسانيهِ هـى مبدأُ آثارِ مختصهِ بها فيصدر بسببها الفعل المناسب لها بسهولة من غير رويهِ و تعمل و من هذا الطريق تحدث ملكهِ الصناعات و مبدأُ المكاسب العلميه و العمليه- و لو لم يكن للنفوس الآدميه هذا التأثير من الفعل أولاً ثم اشتداد ذلك الأثر فيها يوماً فيوماً لم يمكن لأحد من الناس اكتساب شىء من الصناعات العلميه و العمليه و لم ينجع التأديب و التعليم لأحد و لم يكن فى تمرين الأطفال على الأعمال فائده و ذلك قبل رسوخ الهيئات مضاده لما هو المطلوب فى نفوسهم و لذلك يعسر تعليم الرجال المحنكين و تأديبهم لاستحكام صفات حيوانيهِ فى نفوسهم بعد ما كانت هيولانيهِ قابله لكل علم و صنع- كصحيفهِ خاليهِ من النقوش و الصور فهذه الآثار الحاصله فى القلوب و الأرواح بمنزله النقوش و الكتابهِ الحاصله فى الصحف و الألواح كما قال سبحانه أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ و هذه القلوب و الأرواح يقال لها فى لسان الشريعة (١) صحائف الأعمال- و تلك النقوش و الصور كما يحتاج إلى قابل يقبلها كذلك يفتقر إلى فاعل أى مصور و كاتب فالمصورون (٢) و الكتاب لمثل هذه الكتابهِ النوريهِ هم الكرام الكاتبون لكرامهِ ذواتهم و أفعالهم عن دناءهِ الجسميه و ارتفاع جواهرهم عن المواد الطبيعيه فهم لا محاله ضرب من الملائكهِ المتعلقه بأعمال العباد و أقوالهم

[الآيات]

لقوله تعالى وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ و هم طائفتان ملائكهِ اليمين و هم الذين يكتبون أعمال أصحاب اليمين و ملائكهِ

١- و العلوم أيضاً و الاقتصار على الأعمال لأن العلوم أيضاً أفعال لكنها أفعال القلوب- ثم إن صور الأعمال فى هذا الكتاب الواسع من ثلاثهِ وجوه أحدها الحالات و الملكات التى هـى آثار الأعمال بل أصولها و ينابيعها و لفها و ثانيها الصور الشبحيهِ المتمثله المناسبهِ- للملكات فى النفس للنفس و ثالثها الصور الإدراكيهِ من الأعمال كما إذا رجعت القهقري الآن تجد صور الأعمال منقوشه فى كتاب نفسك مع احتجابك و كثرهِ اشتغالك فكيف إذا كشف الغطاء عنك، س ره

٢- كالعقل الفعال للكليات و النفوس المنطبعه و المثل المعلقه و الأشباح الربانيهِ- و الرقائق الجزئيه للجزئيات، س ره

الشمال و هم الذين يكتبون أعمال أصحاب الشمال قال تعالى إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وقال يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وقال أيضا فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ لِأَنَّ كِتَابَهُ مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَالظَّنِّ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ وَ لَمْ أَذَرِ مَا حِسَابِيَةَ لِأَنَّ كِتَابَهُ مِنْ جِنْسِ الْأَكَاذِيبِ الْبَاطِلَةِ وَالصِّفَاتِ الشَّيْطَانِيَةِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَةِ وَالرَّئَاسَاتِ الدُّنْيَوِيَةِ الْمَحْرَقَةِ لِلْقُلُوبِ الْمَعَذَبَةِ لِلنَّفُوسِ وَ مِثْلُ هَذَا الْكِتَابِ الْمَشْتَمَلِ عَلَى الْكَذِبِ وَالْغُلْطِ وَالْهَذْيَانِ يَسْتَحِقُّ لِلْإِحْتِرَاقِ بِالنَّارِ كَمَا قَالَ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ- فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً (١) كَذَا يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْهَا مَلَكًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ (٢) وَ هَكَذَا الْقِيَاسُ فِي الْكُفْرِ وَالْإِعْتِقَادِ السَّوِّءِ فَمَنْ فَسَدَ إِعْتِقَادَهُ فِي الْمَسَائِلِ الْإِلَهِيَةِ وَرَسَخَ عَلَى جَهْلِهِ وَبَالَغَ فِي كُفْرِهِ يَتَنَزَّلُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْطَانٌ يُوعِدُهُ بِالْشَّرِّ وَيُغْرِهُ اغْتِرَارًا بِالْجَهْلِ وَيَعْجِبُهُ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَكَانَ قَرِينُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى هَلْ أَتَّبَعُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِطِرُّ مُسْتَكْبِرًا الْآيَةَ وَقَوْلُهُ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَ هَذِهِ الْهَيْئَةُ الرَّاسِخَةُ لِلنَّفْسِ الْمُتَمَثِّلَةِ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ الَّتِي

١- لِأَنَّ الْحَسَنَةَ تَجْرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى تَصِيرَ مَلَكَةً، س ر ه

٢- إِذْ يُحْصَلُ مِنْ مَلَكَاتِهِمُ الْحَمِيدَةُ طَبَقَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَغُلْمَانٍ جَمِيلَةٍ وَ وَلَدَانِ مَخْلُودَةٍ أَوْ الْمَرَادُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُتَنَزِّلَةِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا كُلِّ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ وَ هِيَ آثَارُ الْخَيْرِ الَّتِي لِمَلَكَةِ التَّوْحِيدِ وَ الْإِسْتِقَامَةِ وَ التَّمَكُّنِ عَلَيْهِ فَكُلُّ تَصَوُّرٍ وَ كُلُّ فِعْلٍ مِنْهُمْ خَيْرٌ- وَ يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ آخَرَ وَ بِالْجَمْلَةِ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْأَنْوَارُ مِنْ نَوْرِ الْأَنْوَارِ- نُورٌ أَوْ أَيْمَنُ وَ يَسَرُّ وَ تَحْتَ وَ فَوْقَ بَرٍّ سَرٍّ وَ بَرٍّ گَرْدَنَمِ افْكَنْدِه طَوْقٍ وَ قَسٍّ عَلَيْهِ طَرَفُ الظُّلْمَةِ وَ مَظَاهِرُ الْقَهْرِ، س ر ه

تسمى فى عرف الحكمه بالملكه و فى لسان الشريعه (١) بالملك و الشيطان فى جانبى الخير و الشر و المسمى أمر واحد فى الحقيقه لأن المحقق عندنا أن الملكات النفسانيه تصير صوراً جوهريه و ذواتاً قائمه فعاله فى النفس تنعيماً و تعذيباً و لو لم يكن لتلك الملكات من الثبات و التجوهر ما يبقى أبد الآبـاد لم يكن لخلود أهل الجنه فى الثواب- و أهل النار فى العقاب أبداً وجه فإن منشأ الثواب و العذاب لو كان نفس العمل أو القول و هما أمران زائلان يلزم بقاء المعلول مع زوال العله المقتضيه و ذلك غير صحيح و الفعل الجسماني الواقع فى زمان متناه كيف يصير منشأ للجزاء الواقع فى أزمنه غير متناهيه و مثل هذه المجازاه غير لائق بالحكيم سيما فى جانب العذاب كما قال و ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ و قال بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ و لكن إنما يخلد أهل الجنه فى الجنه و أهل النار فى النار بالثبات فى النيات و الرسوخ فى الملكات و مع ذلك فإن من فعل مثقال ذره من الخير أو الشر فى الدنيا يرى أثر ذلك مكتوباً فى صحيفه نفسه أو صحيفه (٢) أرفع من نفسه كما قال تعالى فى صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ و إذا قامت القيامه و حان وقت أن يقع بصره إلى وجه ذاته لفراغه عن شواغل هذه الحياه الدنيا و ما يورده الحواس و يلتفت إلى صفحه باطنه و لوح ضميره و هو المراد بقوله تعالى- وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِّرَتْ فمن كان فى غفله عن أحوال نفسه و حساب سيئاته و حسناته يقول عند كشف غطاءه و حضور ذاته و مطالعته صفحه كتابه ما لهذا الكتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٣) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا

- ١- و فى وحده مادتها إشاره إلى وحده المسمى و قد يطلق فى جانب الشر أيضاً الملك كما قال تعالى عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ و ذلك باعتبار وجه الله فى الملكات و مظهره القدره القهریه، س ره
- ٢- و هى كالنفوس المنطبعه و النفوس و العقول الكليه ففى المنطبعه بنحو الجزئيه- و فى الكليه بنحو الكليه و الأولى بأيدى الثانيه، س ره

٣- من ثلاثه أوجه ذكرنا من ملكات الأعمال و صورها المجسمه و صورها الإدراكيه، س ره

و قد ورد فى هذا الباب من طريق أهل البيت ع و غيرهم عن النبى ص أحاديث كثيره

منها ما روى عن قيس بن عاصم أنه قال ص: يا قيس إن مع العز ذلا و مع الحياه موتا و إن مع الدنيا آخره و إن لكل شىء رقيبا و على كل شىء حسيبا و إن لكل أجل كتابا و إنه لا بد لك من قرين يدفن معك و تدفن معه و هو حى و أنت ميت فإن كان كريما أكرمك و إن كان ليثما أسلمك ثم لا يحشر إلا معك و لا تحشر إلا معه- و لا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لا تستوحش إلا منه و هو فعلك

فانظر يا ولى فى هذا الحديث الشريف تجد فيه لباب معرفه النفس و علم الآخره- و فيه إشاره إلى عدده مسائل شريفه ليس هاهنا موضع بيانها.

و منها قوله ص: إن الجنة قيعان و إن غراسها سبحان الله

و منها: أن المرء مرهون بعمله

و منها قوله ص: خلق الكافر (١) من ذنب المؤمن

و أمثال ذلك كثيره.

و من كلام فيثاغورس و هو من أعظم الحكماء الأقدمين

أنك ستعارض لك فى أفعالك و أقوالك و أفكارك و سيظهر لك من كل حركه فكريه أو قوليه أو عمليه صورته روحانيه و جسمانيه فإن كانت الحركه غضبيه أو شهويه صارت مادته لشيطن يؤذيك فى حياتك و يحجبك عن ملاقاته النور بعد وفاتك و إن كانت الحركه عقليه صارت ملكا تلتذ بمنادمته فى دنياك و تهتدى به فى أخراك إلى جوار الله و دار كرامته.

١- أى الشيطان الكافر الذى هو صورته الملكة التى تحصل من تكرار الذنب وجه آخر أنه يؤدى كثره الذنوب إلى اسوداد القلب و يؤدى إلى أن يصير ذلك المؤمن مرتدا- وجه آخر لما كان المؤمن الذى هو الإنسان الكامل أصلا كان الكل فروعته كما قيل- إنه خلق من فضاله طينته سائر الأكوان فإذا أخذ مطلق المؤمن و مطلق الكافر و المؤمن مقدم جعل المؤمن المذنب أصلا و الكافر فرعاً كما أن نباتيته الأصل و سائر النباتات فروعته و حيوانيته الأصل و سائر الحيوانات فروعته و أظلاله و كذا فى الأخلاق محبته الأصل و محباتها فروع و قهره كذا و قس عليها عصمه الإنسان الكامل المعصوم علما و عملا و عصمه الملائكة- العلامه و العمال و هكذا، س ر ه

و مما يشير إلى أن صورته كل إنسان في الآخرة نتيجة عمله و غايه فعله في الدنيا- قوله تعالى في حق ابن نوح ع إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ عَلَى قَرَاءَةِ فَتَحِ الْمِيمِ و في القرآن آيات كثيرة داله على أن كل ما يلاقه الإنسان في الآخرة و يصل إليه من الجنة و ما فيها من الحور و القصور و الفواكه و غيرها و النار و ما فيها من العقارب و الحيات و غيرها- ليست (١) إلا غايه أفعاله و صورته أعماله و آثار ملكاته و إنما الجزاء هناك بنفس العمل باعتبار ما ينتهي إليه كقوله تعالى وَ لَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ و قوله تعالى إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* لم يقل مما كنتم تعملون تنبيها على هذا المعنى- و قوله جزاء أعداء الله النار.

و توضيح ذلك أن مواد الأشخاص الأخرويه و متعلقاتها و ما يكون بمنزله البذور للأشجار و النطف للحيوانات و الهيولى للعقليات إنما هي التصورات الباطنيه و التخيلات النفسانيه و التأملات العقليه لأن الدار الآخرة و كل ما فيها ليست من جنس هذه الدار و ما فيها فما في الدنيا له ماده جسمانيه تطرأ عليها صورته أو نفس من خارج بإعانه أسباب خارجيه و أوضاع و حركات فلكيه و لأجسامها الحيوانيه حياه عرضيه و ما في الآخرة من الجنات و الأشجار و الأنهار و غيرها أرواح هي بعينها صورته معلقه قائمه بذاتها حياتها نفس ذاتها و كل نفس إنسانيه مع ما يتعلق بها من الحور و القصور و الأشجار و الأنهار- جميعها موجوده بوجود واحد و حيه بحياء واحده و المجموع مع وحدته الشخصيه متكرر الصور و الإنسان إذا انقطع عن الدنيا و تجرد عن لباس هذا الأدنى و كشف عن بصره هذا الغطاء كانت قوته الإدراكيه (٢) قدره و علمه غيا و غيبه شهادته فيصير مبصرا

-
- ١- إن قيل فيكون فاعل الثواب و العقاب نفس الإنسان فكيف يكون الحق تعالى مثيبا و معذبا و معاقبا كما في الكتاب و السنه و اتفاق الكل عليه. قلنا جاعل الوجود مطلقا و جاعل النور و الظلمات هو الله تعالى كما قالوا لا مؤثر في الوجود إلا الله إلا أن العقول و النفوس و القوى جهات لفاعليته و مخصصات لفعله فالوجود سواء كان في مظاهر اللطف أو في مظاهر القهر فيضه و سببه بلا واسطه أو بواسطه واحده أو متعدده الحمد لله الذي برهانه أن ليس شأن ليس فيه شأنه و بوجه آخر وجود آثار النفس بما هو وجود من الله و بما هو مضاف إلى ماهيات الآثار من النفس، س ره
 - ٢- كما في النوم الذي هو أخ الموت فالسماء التي تظلك و الأرض التي تحملك و الإنسان الذي يخاطبك و ما يبهجك و ما يؤذك و بالجملة جميع ما أنت به مشغول علمك- و كذا العلم الفعلي عين القدره، س ره

لنتائج أعماله و أفكاره و مشاهدات آثار حركاته و أفعاله قارئاً لصحيفه أعماله و لوح كتابه - حسناته و سيئاته كما قال تعالى وَ كُلِّ
 إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١) و مما
 يدل على أن الإنسان الكائن في الدار الآخرة غير متكون من مادة طبيعیه بل من صورہ نفسانيه إدراكيه قوله تعالى وَ نُشِئْكُمْ فِي
 مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢) و قوله إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ و معلوم أن ما في عليين ليس مخلوقاً من المادة الجسمانيه فعلم أن المرء
 متكون في القيامة من معلومه و معتقده فإن كان معلومه من باب الشهوات المذمومه و الأمانى الباطله و الأهواء الفاسده تكون من
 أهل النار و العذاب محترقاً بنار الجحيم يكون كتابه في سجين و إن كانت معلوماته من باب الأمور القدسيه و معرفه الله و
 ملائكته و كتبه و رسله فيكون لا محاله من أهل الملكوت الأعلى و المنزل الأرفع و القرب الأدنى و الرفيق الأسنى

فصل (٢١) في حقيقه الحساب و الميزان

إشاره

لعلك قد تنبّهت من الأصول التي كررنا ذكرها أن كل مكلف يرى يوم الآخرة - حاصل متفرقات أفعاله و أقواله و فذلكه (٣)
 حساب حسناته و سيئاته و يصادف جملة

١- المراد بطائره صحيفه عمله و هي نفسه و يمكن أن يراد و الله أعلم به طائر الإقبال و الأدبار بأن يكون كناية عن حسن عاقبته
 أو سوء عاقبته و هذا معهود بين الناس و منه غراب البين كما قيل - رمى الله الغراب بما رمانا فما فجع الغريب سوى الغراب ، س
 ره

٢- الدلاله من جهة لفظ الإنشاء و مما لا تعلمون، س ره

٣- مأخوذه من قول المحاسب هذا اثنان و هذا ثلاثه و هذا خمسه فذلك عشره و المراد بها و بالحاصل و الجملة هنا الملكات و
 بالمتفرقات الأفعال و الأقوال المتكرره في الدنيا - و بالكتاب الذي لا يغادر شيئاً إلا أحصاها النفس الإنسانيه، س ره

كل دقيق و جليل من أعماله فى كتابه لا يُغادرُ صَغيرَةً وَ لا كَثيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَحَدُّوا ما عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا وَ الحساب عبارته عن جمع تفاريق الأعداد و المقادير و تعريف مبلغها و فى قدره الله أن يكشف فى لحظه واحده للخلائق حاصل (١) أعمالهم

١- هذا للمقربين واضح لصيرورتهم عقولا- بسيطه بل عقولا- كليه و كينونتهم أرواحا مجردة عن الماده و عن حجب الزمان و المكان و غيرهما مطويا فى وجودهم جميع الصور كما ورد أن عليا ع كان يتلو القرآن جميعا دفعه واحده أى مطلق القرآن تدوينيا كان أو تكوينيا آفاقيا كان أو أنفسيا و بالجملة هذه السعه و الإحاطه صارت مقاما لهم و أما بالنسبه إلى أصحاب اليمين الذين لم يستكمل عقولهم النظرية- فضلا عن أصحاب الشمال فالانكشاف فى لحظه واحده ليس مقاما لهم و لم يكن تجردهم إلا برزخيا فذلك الانكشاف كحال لهم سريع الزوال و ليس لهم العلم بالعلم بل لهم إدراك بسيط لا الإدراك التركيبى فمقام أولئك المقربين كمقام المستغرقين فى يوسف دائما و حال هؤلاء كحال النسوة المستغرقات فيه سويه و لما عرفت معنى الحاصل و الفذلكه كان للانكشاف الحاصل وجه آخر هو كون الملكة حاله بسيطه جامعته للفعليات المنبعثه منها فانكشافها انكشاف الجميع دفعه واحده ثم إن فى المعاد الجسماني إشكالا و هو أنه ورد التبدلات و التجددات الأخرويه فى الكتاب و السنه مثل قوله تعالى-كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا وَ مثل حركات أهل الجنة و أكالاتهم و شرباتهم و مباشراتهم المتعاقبه المتجدده و مثلها فى أهل النار مما يليق بحالهم و الحال أن القوه و الاستعداد هناك مفقودان إذ الهولى من خاصيه هذه النشأ الطبيعيه و الدنيا مزرعه و الآخره دار الحصاد فحينئذ كل ما هو من لوازم أعمالهم و ملكاتهم لا بد أن يشاهد دفعه و هذا يؤكد عموم الكشف فى اللحظه مع أنه لا يساعده العقل و النقل و لا يتيسر لكثير من المتفلسفه المنكرين للعلم بالجزئيات فى المجردات تصويره و كيف يقع لأصحاب اليمين فضلا عن أصحاب الشمال و لو يتيسر لهؤلاء لكان لهم أعلى المقامات مع أنه لم يكن لهم من العلوم و المقامات ما يوجب و أفعال الله ليست جزافيه و إن أثبت هذا المقام لصاحب العقل بالفعل و المستفاد و العقول الكليه كان موجهها و لكن الإشكال ليس فيهم- و الحق أن الصور الأخرويه صور صرفه و امتداداتها امتدادات محضه بلا حامل و ليس لها إلا-القيام الصدورى بالحق تعالى كما ورد يا من كل شىء قائم بك و عدم اجتماعها مكانا و زمانا ذاتى لصورها و مقاديرها و الذاتى لا يعلل و لا يتخلف فالغيبه فى الأبعاد القاره و عدم القرار فى الزمان أنما هما بالذات كما فى هذه النشأ و ليسا بسبب الهولى حتى لو فرض عدم الهولى لكان الامتدادات القاره و الغير القاره بحالها فى عدم إمكان اجتماع أجزائها- هذا فى المدرك و أما المدرك فهو و إن كان من أصحاب اليمين لم يخرج عقله النظرى- الذى يدور عليه مدار التجرد الحقيقى و السعه الحقيقيه من القوه إلى الفعل فصار ضيق الوجود فى الفطره الثانويه إذ النفس الناطقه فى غايه اللطافه فبأى شىء توجه و تتصور بصورته و تتزى بزيه فإذا نشأت مده عمرها على الاتحاد بالصور الممتده و الجزئيات الدائره صار حكمها حكمها فتفعل مشتيتها تعاقبا و ولاء و لم يتأت لها أكالات غير متناهيه- أو مباشرات غير متناهيه بل كثيره متناهيه دفعه و هذا واضح هذا ما حققته فى دفع ذلك الأعضاء، س ره

و ميزان حسناتهم و سيئاتهم و هو أسرع الحاسبين قال تعالى وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ و قال تعالى وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ - بما كانوا بآياتنا يَظْلُمُونَ أوتى بلفظ الجمع إشارة إلى أن الميزان له أنواع كثيرة - بعضها ميزان العلوم و بعضها ميزان الأعمال أما ميزان العلوم فاعلم أن الله قد وضع ميزانا مستقيما و قسطاسا مبينا أنزل من السماء ليعرف بإقسامه مكاييل الأرزاق المعنوية - و مثاقيل الأغذية الروحانية و يعلم بها حقها من باطلها و يوزن بها جواهر الحقائق العقلية - و نقود الصور الإدراكية و يميز رائجها في سوق الآخرة من زيفها و خالصها من مغشوشها - و علمنا (١) بتعليم ملائكته و رسله كيفية الوزن بها و معرفه أقسامها الخمسة و تميز مستقيمها من منحرفها حيث قال وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاقِ الْمُسْتَقِيمِ* فمن تعلم هذه الموازين - التي أنزلها الله تعالى في كتابه على رسوله فقد اهتدى و من عدل عنها و عمل بالرأى و التخمين - فقد ضل و غوى و تردى إلى الجحيم فإن قلت أين ميزان (٢) العلوم في القرآن فهل هذا إلا إفك و بهتان.

-
- ١- أى بالاتصال بالعقل الفعال و استعمال رسل الله تعلمنا المنطق الحق الذى هو ميزان العلوم، س ره
 - ٢- أى مطلقه الذى هو مقسم لأقسامه الخمسة بقرينه أنه أثبت فى الجواب مطلقه - بأنه لا- يليق بالمقارنه المذكوره إلا- ميزان العلوم و أما السؤال بأنه أين استعمال أقسام الخمسة فى القرآن فهو شىء آخر و الجواب بتفصيل الأقسام فى مفاتيح الغيب كما سيأتى الإرجاع إليه، س ره

قلنا أ لم تسمع قوله تعالى فى سورة الرحمن وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ أَفَيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ أ لم تسمع قوله تعالى فى سورة الحديد- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ أ زعمت أيها العاقل المتأمل أن الميزان المنزل من عند الله مع إنزال الكتب و إرسال الرسل هو ميزان البر و الشعر و الأرز و التمر و غيرها أ توهمت أن الميزان المقارن وضعه لرفع السماء هو القبان و الطيار و أمثالهما ما أبعد هذا التوهم و الحساب- و ما أقبح هذا الافتراء و البهتان و اتق أيها الناظر فى معانى الكتاب و لا تتعسف فى باب التأويل و لا تركب متن الجهالة و اللجاج إني أعظك أن تكون من الجاهلين و اعلم أن الذى يدعو أمثالك و أصحابك من الظاهريين و الحنابلة و غيرهم على حمل ألفاظ الكتاب و السنه على المعانى العاميه جمود قرائهم على التجسم و عدم تجاوز أذهانهم عن حدود الأجسام و الجسمانيات و لو تأملوا قليلا فى نفس معنى الميزان و جردوا حقيقه معناه عن الزوائد و الخصوصيات لعلموا أن حقيقه الميزان ليس يجب أن يكون البته مما له شكل مخصوص أو صوره جسمانيه فإن حقيقه معنى الميزان و روحه و سره- هو ما يقاس و يوزن به الشىء و الشىء أعم من أن يكون جسمانيا أو غير جسماني فكما أن القبان و ذا الكفتين و غيرهما ميزان للأثقال و الأصطرلاب ميزان للارتفاعات و المواقيت و الشاقول ميزان لمعرفة الأعمده و المسطر ميزان لاستقامه الخطوط فكذلك علم المنطق ميزان للفكر فى العلوم النظرية يعرف به صحيح الفكر من فاسده و علم النحو ميزان للأعراب و البناء و العروض ميزان للشعر و الحس ميزان لبعض المدركات- و العقل الكامل ميزان لجميع الأشياء و بالجملة ميزان كل شىء يكون من جنسه- فالموازين مختلفه و الميزان المذكور فى القرآن ينبغى أن يحمل على أشرف الموازين و هو ميزان يوم الحساب كما دل عليه قوله تعالى وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هو ميزان العلوم و ميزان الأعمال القليله الناشئه من الأعمال البدنيه

و: سئل جعفر الصادق ع عن قوله تعالى وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ فقال الموازين هم الأنبياء و الأولياء

و اعلم أن ميزان الآخرة ما يعرف به حقائق الأشياء كما هى من العلم بالله

و صفاته العليا و أفعاله العظمى من ملائكته و كتبه و رسله و العلم باليوم الآخر و المعاد تعليمًا من قبل أنبياء الله ع كما علم الأنبياء من الملائكة و الملائكة من الله فالمعلم الأول (١) هو الحق سبحانه و المعلم الثانى هو جبرئيل و المعلم الثالث هو الرسول ع و قد أنزل الله سبحانه من السماء هذه الموازين الخمسة المستخرجه من القرآن ليعلم بها كل أحد مقدار علمه و عقله و ميزان سعيه و عمله و هى ميزان التعادل و ميزان التلازم و ميزان التعاند لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأكبر (٢) و الأوسط

١- لما اشتهر بين الحكماء أن المعلم الأول أرسطو واضع الميزان و المعلم الثانى أبو نصر ناقله من اليونانيه إلى العربيه قال قدس سره المعلم الأول هو الله سبحانه- و الثانى هو جبرئيل و الثالث هو الرسول أى باعتبار الروحانيات المتصله بعضها ببعض - إلى الله هذا بحسب الباطن و أما بحسب الظاهر فباعتبار التلقى من القرآن و كلام الله قديم، س ره

٢- أى الشكل الأول و الثانى و الثالث و لم يعتبر الرابع لبعده عن الطباع- و ميزان التلازم هو الاستثنائى و ميزان التعاند هو المنفصلات فالأول كقوله تعالى - وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أى الإعادة أهون عليه من الإبداء- و كل ما هو أهون عليه فهو أدخل فى الإمكان و كقوله تعالى ما أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ أى أنها نفس و كل نفس كذا و أمثالها كثيره و الثانى كقوله تعالى حكاية عن الخليل عَفَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ أى الكوكب آفل و ربى ليس بآفل و الثالث كقوله تعالى قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ فَإِنْ مُوسَى ع مثلاً بشر و موسى ع منزل عليه الكتاب و الاستثنائى كقوله تعالى كَانَفِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و الانفصالي كقوله تعالى أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ و إنا لسنا على ضلال فبقى أنكم على ضلال و قس على هذه سائر ما فى الكتاب و السنه فتبا لمن ينكر الميزان قائلاً أنه لم يستعمل فى الكتاب و السنه فإن أريد أنه لم يستعمل فيها الألفاظ المصطلحه فكثير من العلوم الدينيه كذلك كالثابت و المنفى و الحال و الدور و التسلسل و غيرها فى الكلام و الواجب المطلق و المشروط و العينى و التخيرى و الأصل و الاستصحاب و أقسام الإجماع و القياس و غيرها فى علم أصول الفقه و العقد و الإيقاع و الإيجاب و القبول و أقسام العقود و أقسام الإيقاع و غيرها فى الفقه و ليست بدعه و ضلالاً رزقنا الله الإنصاف و وقانا عن الاعتساف، س ره

و الأصغر فيصير الجميع خمسة و تفاصيلها و بيان كل قسم منها و كيفية استنباطه من القرآن مذكور في كتابنا المسمى بالمفاتيح الغيبية و هي بالحقيقة سلايلم العروج إلى عالم السماء بل إلى مجاوره مبدإ الأشياء و المقدمات و الأصول المذكوره فيها درجات السلايلم للعروج الروحاني و أما المعراج الجسماني فلا تفي بذلك سعه قوه كل نفس بل يختص ذلك بقوه نفس النبي ع و بالجملة فهذه الموازين الأخرويه هي التي تعرف بها مثاقيل الأفكار و مكاييل الأنظار في العلوم الحقيقه التي هي الأرزاق المعنويه لأهل الآخره و قد أنزلها الله تعالى من السماء ليعلم كل أحد مقدار علمه و عقله و مقدار سعيه و عمله- و يحسب حساب رزقه و أجله و يحضر كتاب عمره و أمله فإن لكل مخلوق رزقا مخصوصا و بحسب كل رزق له بقاء معلوم و أجل مكتوب و حساب محسوب و الأرزاق المعنويه كالأرزاق الصوريه متفاوتة في الأكل متفاضله في دوام الحياه و الأجل كما و كيفا- و نفعاً و ضراً بل الأرزاق الأخرويه أشد تفاوتاً و أكثر تفضيلاً من الأرزاق الدنيويه كما قال سبحانه وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً و قال أيضاً مخاطباً لنبيه ص المنذر المعلم للناس ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَأمره بدعوه الخلائق إلى أنواع من الأرزاق المعنويه حسب تفاوت الغرائز لهم و الجبلات فالقرآن بمنزله مائده نازله من السماء إلى الأرض مشتمله على أقسام الرزق و لكل قوم منها رزق معلوم و حياه مقسومه فالحكمه و البراهين لقوم- و الموعظه و الخطابه لقوم و الجدل و الشهرة لقوم و يوجد فيه لغير هؤلاء الطوائف الثلاث أغذيه ليست بهذه المثابه من اللطافه بل هي كالقشور و النخاله على حسب مقاماتهم في غلظ الطبايع و الكثافه و السفاله كما أشير إليه بقوله وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ فكما يوجد فيه اللبوب من الأغذيه لأولى الأبواب كذلك يوجد فيه ما هو كالتبن و القشور للعوام الذين درجتهم درجه الأنعام كما قال مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِنِعْمِكُمْ* و ذلك لأن الغذاء يجب أن يكون مشابهاً للمغتذى فالمحسوس(١) من الغذاء للجوهر

١- فالحنبله و أمثالهم كأنهم ليسوا إلا الحواس و الخيال و الوهم و هذه كأنها حنبله وجود الإنسان و الحكيم القح كأنه ليس إلا العقل و العاقله كأنها الحكيم الصرف القاصر على التنزيه في وجود الإنسان إذا صارت بحسبها بالفعل لكن الجامعين أولئك هم الفائزون الراشدون الهادون المغتبطون غبطه عظمى المبتهجون بهجه كبرى، س ره

الحاس و المخيلات و الموهومات منه للنفس الخياليه و الوهميه و المعقولات منه غذاء للجوهر العاقل إذ بها يتغذى و يتقوى و يستكمل و يصير منتقلا من حد العقل بالقوه- بالغاً إلى حد العقل الفعال باقيا بقاء سرمديا أبديا.

تبصره ميزانيه:

اعلم أن من الأمور التي لا بد من معرفتها لمن يسلك سبيل الآخرة- هي كيفية الموازنه(١) بين النشأتين و المقاييسه لما في كل منهما بإزاء الأخرى فمن فتح الله على قلبه باب الموازنه بين العالمين عالم الملك و الشهاده و عالم الملكوت و الغيب يسهل عليه سلوك سبيل الله و الدخول في دار السلام و يطلع على أكثر أسرار القرآن و أطواره و يشاهد حقائق آياته و أنواره مما غفلت عنه كافه علماء الرسوم- و متفلسفه(٢) الحكماء المشهورون بالفضل و الذكاء و هو باب عظيم في معرفه أحوال الأشياء و حقائق الموجودات على ما هي عليه سيما معرفه المعاد و هو أول مقامات النبوه- لأن مبادئ أحوال الأنبياء ع أن يتجلى لهم في المنام ما في عالم الملكوت و يتصور لهم حقائق الأشياء في كسوه الأشباح المثاليه لأن الرؤيا الصادقه جزء من أجزاء النبوه و لا يتجلى الحقائق مجردة عن لباس الصورة المثاليه إلا في عالم القيامة(٣) لقيامها بذواتها هناك و أما في هذا العالم فهى في أغطيه من الصور الحسيه الماديه و كذلك هى في عالم الرؤيا الصادقه و عالم البرزخ أيضا في أغطيه لكنها رقيقه و هى الصور المثاليه فمن عرف كيفية الموازنه بين العالمين بل العوالم الثلاث يعلم تأويل الأحاديث و تعبير الرؤيا التي هى جزء من النبوه بمشاهده ما في ذلك العالم بالتجرد التام و هو حاصل للأنبياء ع

- ١- أى يوازنهما الإنسان بميزان العقل المستقيم و يدعن بأن كل صوره طبيعیه هاهنا- فيأزائها صوره هناك مثاليه، س ره
- ٢- الحاملون ما ورد في القرآن في المبدأ و المعاد على الروحانيات و المعانى المجرده و عالم الصوره عندهم منحصر في الصور الماديه، س ره
- ٣- أى عالم العقول القائم بقيوميه الحق تعالى كيف و هى المعانى الصرفيه التي لا متعلق لها و لا صوره لا مثاليه و لا طبيعیه، س ره

و هم بعد فى جلايب البشريه و غيرهم من الأولياء إنما يحصل بعد ارتحالهم عن هذه الحياه الدنيا فتأمل يا حبيبى فى هذا المقام فعساك تنفتح لك روزنه إلى عالم الملكوت- و إلا- فما زلت متوجها إلى ملابس عالم التقليد الحيوانى مصروف الهمة و الوجهه إليه من أنوار الملكوت مستفيدا من آثار الحس و التقليد فمحال أن يتجلى لك شىء من غوامض الحكمة و أسرار القيامة و اعلم بأنك مسافر من الدنيا إلى الآخرة و أنت تاجر و رأس مالك حياتك الدنياويه و تجارتك هى اكتساب القنيه العلميه و هى زادك فى سفرك إلى معادك و فائدتك هى حياتك الأبدية و نعيمها بقاء الله و ملكوته و خسرانك هلاك نفسك باحتجابك عن جوار الله و دار كرامته و اعلم أن الناقد بصير و لا يقبل منك إلا الخالص من إبريز المعرفه و الطاعه فوزن حسناتك بميزان صدق لا ميل فيه و أحسب حساب نفسك قبل أن توافى عمرك و قبل أن يحاسب عليك فى وقت لا يمكنك التدارك و التلافى فالموازن مرفوعه ليوم الحساب و فيه الثواب و العقاب فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٌ وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ (١)

تتمه:

و أما القول فى ميزان الأعمال فاعلم أن لكل عمل من الأعمال البدنيه تأثيرا فى النفس فإن كان من باب الحسنات و الطاعات كالصلاه و الصيام و الحج و الزكاه و الجهاد و غيرها فله تأثير فى تنوير النفس و تخليصها من أسر الشهوات و تطهيرها عن غواصق الهويلات و جذبها من الدنيا إلى الأخرى و من المنزل الأدنى إلى المحل الأعلى فلكل عمل منها مقدار معين من التأثير فى التنوير و التهذيب و إذا تضاعفت و تكثر الحسنات فبقدر تكثرها و تضاعفها يزداد مقدار التأثير و التنوير و كذلك لكل عمل من الأعمال السيئه قدرا معين من التأثير فى إظلام جوهر النفس و تكثيفها و تكديرها و تعليقها بالدنيا و شهواتها و تقييدها بسلاسلها و أغلالها- فإذا تضاعفت المعاصى و السيئات ازدادت الظلمه و التكثيف شدة و قدرا و كل ذلك محبوب

١- ثقل موازين العلوم كثره ما يوزن فى الموازين الخمسه سيما إن كانت مواد البرهان اللم و ثقل موازين الأعمال ثقل كفه الحسنات بالنسبه إلى كفه السيئات فلا يتوهم إجمال فى الثقل و الخفه بالبيان العقلى، س ره

عن مشاهدته الخلق في الدنيا وعند قيام الساعة وارتفاع الحجب ينكشف لهم حقيقته الأمر في ذلك و يصادف كل أحد مقدار سعيه وعمله و يرى رجحان إحدى كفتي ميزانه- وقوه مرتبه نور طاعته أو ظلمه كفرانه وبالجملة كل أحد من أفراد الناس في مده حياته- له تفريق أعمال إما حسنات أو سيئات أو مختلفات فإذا جمع يوم القيامة (١) حاصل متفرقات حسناته أو سيئاته كان إما لأحدهما الرجحان أو لا فعلى الأول يكون من أهل السعاده إن كان الرجحان للحسنه و من أهل الشقاوه إن كان للسيئه و على الثاني يكون متوسطا بين الجانبين حتى يحكم الله فيه إما أن يعذب و إما أن يتوب عليه لكن جانب رحمه أرجح نظرا إلى الجواد المطلق و هذه الأقسام الثلاثه إنما تعتبر بالقياس إلى الأعمال و في الوجود قسم آخر أرفع من الكل و هم الذين استغرقت ذواتهم في شهود جلال الله و لا- التفات لهم إلى عمل صالح أو سيئ فكسروا كفتي ميزانهم و خلصوا من عالم الموازين و الأعمال و الانحراف فيها و الاعتدال إلى عالم المعارف و الأحوال و مطالعه أنوار الجمال و الجلال فنقول من الرأس كل أحد ما لم يخلص بقوه اليقين و نور الإيمان و التوحيد عن قيد الطبعه و أسر الدنيا فذاته مرهونه بعمله فهو بحسب مزاوله الأعمال و الأفعال و ثمراتها و نتائجها و تجاذبها للنفس إلى شئ من الجانبين بمنزله ميزان ذى كفتين إحدى كفتيه تميل إلى الجانب الأسفل أعنى الجحيم بقدر ما فيها من متاع الدنيا الفانيه و الأخرى يميل إلى الجانب الأعلى و دار النعيم بقدر ما فيها من متاع الآخرة- ففي يوم العرض الأكبر إذا وقع التعارض بين الكفتين و التجاذب إلى الجنبتين فالحكم لله العلى الكبير على كل أحد في إدخاله إحدى الدارين دار النعيم و دار الجحيم بترجيح

١- بل لأهل السلوك هاهنا محاسبه و مراقبه و موازنه بأن يزنوا كل ليله حسناتهم و سيئاتهم الصادره عنهم كل يوم فإن زادت السيئات تداركوها بالتوبه و الإنابه و الذكر و الطاعه و كذا إن تساويتا رجحوا كفه الحسنات بالطاعات الليله و إن زادت حسناتهم اليوميه وازنوها بنعم الله تعالى التى أسبغ عليهم ظاهره و باطنه فلا محاله رجعوا مستحيين- مستغفرين مستوثقين بفضله و كرمه بل إن تأملوا قليلا علموا أن طاعاتهم بتوفيقه و تسديده- فهي أعظم نعمائه لهم كما قال تعالى قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ، س ر ه

إحدى كفتيه و اعلم أن كفه الحسنات فى جانب اليمين و هو جانب الشرق و كفه السيئات فى جانب الشمال و هو جانب الغرب ثم لا يذهب عليك أنه إذا وقع الترجيح و نفذ الحكم و قضى الأمر تصير الكفتان فى حكم واحده فى المشرقيه و المغربيه و اليمينيه و الشماليه و الجنانيه و الجهنميه لقلبه إحداهما على الأخرى بحيث يجعلها مقهوره مطموسه فأهل السعاده يصير كلتا يديهم يمينيه و كلتا يدي أهل الشمال تصير شماليه فافهم

فصل (٢٢) فى الإشاره إلى طوائف الناس يوم القيامه

قد علمت أن أهل الآخره على الإجمال ثلاثه أقسام المقربون و السعداء و هم أصحاب اليمين و الأشقياء و هم أصحاب الشمال و هم من جهه الحساب صنفان أحدهما يدخلون الجنة و يرزقون من نعيمها بغير حساب و هم ثلاثه أقوام منهم المقربون الكاملون فى المعرفه و التجرد لأنهم لتزهرهم و ارتفاع مكانتهم عن شواغل الكتاب و الحساب يدخلون الجنة بغير حساب كما قال تعالى فى حق أمثالهم ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ (١) عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ منهم جماعه من أصحاب اليمين لم يقدموا فى الدنيا على معصيه و لم يقتربوا سيئه و لم يريدوا علوا فى الأرض و لا فسادا لصفاء ضمائرهم و سلامه فطهرهم عن رين المعاصى و قوه نفوسهم على فعل الطاعات فهم أيضا يدخلون الجنة بغير حساب كما قال تعالى تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ - وَلَا فُسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ منهم جماعه نفوسهم ساذجه و صحائف أعمالهم خاليه عن آثار السيئات و الحسنات جميعا فلهم حاله إمكانيه فينالهم الله برحمه منه و فضل لم يمسسهم سوء العذاب لأن جانب الرحمه أرجح من جانب الغضب و الإمكان مصحح للقبول مع عدم المنافى و الواهب جواد كريم فهؤلاء أيضا يدخلون الجنة بغير حساب

١- تمام الآيهو لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، س ره

و قد قال تعالى وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١) و قال تعالى

: سبقت رحمتى غضبى

و قال تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و أما الصنف الآخر و هم أهل العقاب فى الجمله- فهم أيضا ثلاثة أقوام منهم قوم صحيفه أعمالهم خاليه من العمل الصالح و لا محاله يكونون كفارا محضه فيدخلون جهنم بلا حساب و منهم قوم صدر منهم بعض الحسنات لكن وقع فى حقهم قوله تعالى وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و قوله تعالى- وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا و منهم قوم هم فى الحقيقه من أهل الحساب حيث خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا فهؤلاء قسمان أحدهما من نوقش فى حسابه بكل دقيق و جليل لأنه بهذه المثابه كان فى الدنيا عاشر مع الخلائق و كان يستوفى حقه فى المعاملات معهم من غير مسامحه فيعامل معه فى الآخره مثل ما عامل مع الخلق فى الدنيا و القسم الثانى و هم الذين كانوا يخافون سوء الحساب و يشفقون من عذاب يوم القيامة فهؤلاء لا يناقش معهم فى موقف الحساب فكيف يعذبون و يمكنون فى مقام العذاب

فصل (٢٣) فى أحوال تعرض يوم القيامة

[معنى صيروره الأمور كلها إلى الله]

إذا ظهر نور الأنوار و انكشف عند ارتفاع الحجب جلال وجه الله القيوم و غلب سلطان الأحديه باضمحلال الكثره و اشتدت جهات الفاعليه و التأثير بزوال الحواجز (٢) و خروج المستعدات من القوه إلى الفعل (٣) و انتهاء الحركات إلى غاياتها

- ١- أى بمنسوب إلى الظلم فالمشتق بمعنى المنتسب كالحداد و التمار و البقال و الشمس و نحوها، س ره
- ٢- ليس المراد بالجهات الفاعليه العقول المسماه بأرباب الأنواع لأنها أيضا فانيه بل المراد الأسماء الحسنى التى هى عند العرفاء مربيات الأشياء فتفى المظاهر فى الظاهر- كالحيوان فى السميع البصير و المدرك الخبير و الملك فى السبوح القدوس و الإنسان فى اسم الجلاله و هو الله و هكذا، س ره
- ٣- أى تبدل كل الصور الطبيعیه طولا إلى الصور البرزخيه و هى من صقع النفوس كما أن النفوس من صقع العقول بل النفوس الكليه الإلهيه نفس العقول و جميع الغايات لهذه الطبيعيات مشموله غايه الغايات لأن وحدتها وحده حقه حقيقه لا عديده فالجميع قائمه هناك بالقيوم تعالى لا بالقوابل و ليس التبدل و البروز بمجرد تبدل النظر هنا بإسقاط الإضافات و لو صار مقاما للناظر متمكنا فيه مع بقاء الوجود الدنيوى و إن كان هذا أيضا قياما عند الله و موتا اختياريا بل شرطا للوصول إلى غايه الغايات و أقصى النهايات- و البغيه الكبرى للفئه الأسنى الأعلى فإن من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخره أعمى- و قد مر أن المعرفه بذر المشاهده، س ره

و بروز الحقائق من مكان غيبها و حجب موادها و إمكاناتها إلى مجال ظهوراتها- انخرط كل ذى مبدأ فى مبدئه و رجع كل شىء إلى أصله و عاد كل ناقص إلى كماله- انتهى الأمر كله إلى الله كما قال تعالى وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ* و قوله أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فلا يملك أحد شيئا إلا بإذن الله(١) كما قال تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ فإذا اتصل كل فعل بفاعله و التحق كل فرع بأصله و جمع كل مستفيض مع مفيضه لم يبق لأنوار الكواكب(٢) عند ذلك ظهور و إذا النجوم طمست و لا لأجرامها وضع و قدر و إذا الكواكب انتشرت و زال ضوء الشمس و انكدر نور الكواكب إذا الشمس كورت و محى نور القمر و خسف القمر و لم يبق بعد و مباينه مكان و وضع بين المنير و المستنير و جمع الشمس و القمر و اتحدت النفس بالأرواح و زالت المباينه بين الأشباح و الأرواح و لهذا يكون أبدان أهل الجنة(٣) بصورة نفوسها كالشخص و ظله و رجعت السماوات و الأرض إلى ما كانتا عليه قبل انفتاقها من الرقيق

-
- ١- أى بملكه الله لأن الكل موجوده هناك بوجوده كما عرفت من معنى قوله تعالى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، س ره
 - ٢- لأنه إذا عاد الكل إلى صقع الله و الوجود بشرائه إلى الوجوب لم يكن لماهيات الكواكب نور و لا ظهور إذ النور و الظهور راجع إلى الوجود و الماهيات ظلمات و غواسق لا بنحو الإيجاب و إن كان عدولها بل بمعنى السلب البسيط أى ليست أنوارا و ظهورات، س ره
 - ٣- هذا على سبيل التمثيل فإن أبدان أهل النار أيضا كذلك فإنهم يحشرون على صور يحسن عندها القردة و الخنازير كما أن أبدان أهل الجنة جرد مرد بخلاف الأبدان فى الدنيا إذ ربما يكون البدن أسود و النفس نوريه كما فى بلال و ربما يكون بالعكس، س ره

فعادتا إلى مقام الجمعيه المعنويه حيث كانتا رتقا من هذه التفرقه من حيث هذا الوجود الطبيعي فعادتا كما كانتا رتقا بعد الفتق و كذا العناصر الأربعه و يصير كلها عنصرا واحدا مظلما لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا و الجبال لكونها متكونه من الرمال- فعادت كما كانت عليه فى شهود الآخره وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا- فَيَذَرُهَا قَاعًا (١) صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا وَ يَنْقَلِبُ كُلُّ الْعَنْصَرِيَّاتِ نَارًا وَاحِدَةً- غير هذه النار الأسطقسيه و يصير الهيولى كلها بحرا مسجورا و إذا البحار سجرت- كما وقعت الإشاره فى حق آل فرعون بقوله أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا وَ بالجمله (٢) يتصل البر بالبحر و يتحد الفوق و التحت و تزول الأبعاد و الأحجام و ترتفع الحواجز و الحوائل و يرق الحجب لأهل البرازخ و مواقف الأشهاد يوم تبلى السرائر يوم يقوم الأشهاد و يقام الخلائق عن مكان من الحجب إلى مواقف كشف الأسرار لقوله وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ وَ المتخلصون من محابس الأشباح و الأرواح يتوجهون إلى الحضرة الإلهيه لقوله تعالى فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ.

[موضع جهنم و الصراط و الجنة عند بعض المكاشفين]

قال بعض العرفاء المكاشفين إذا أخرجت الأرض أثقالها حتى ما بقى (٣) فيها شىء

١- إن شئت أن ترى يا حبيبى أنموذجا من ذلك القاع فارجع الأنوار الأسفهبديه و الصور النوعيه و الشخصيه بما هى فعليات كلا إلى صقع الله تعالى و سلم الأمانات من الحلو و الحلل التى تزينت بها الصورة الامتداديه المشتركه إلى أهلها و لا بد يوما أن ترد الودائع و قم بالقسط و أعط الحق بمن له الحق حتى ترى الكل متعلقات به طولا- آثلاث إلى صقعه علوا و ترى أنه لا يبقى إلا القاع الخالى عن ماء حياه الأرواح و كلاء الأشباح كصفحه ملساء هى عن تلك التخاطيط العجيبه و الصور الغريبه عطلاء مع أن تلك الصفحه أيضا لا- تخلى و نفسها بل يقبض و يفنى وجودها و الأرض جَمِيعًا قَبْضُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و لما كان للتوحيد مراتب توحيد الأفعال و توحيد الصفات و توحيد الذات كانت الجبال يوم القيامة على ثلاثه أحوال كما ورد فى القرآن المجيد و قال بعض المفسرين يجعل الله تعالى الجبال يوم القيامة كثيبا مهيلًا ثم عنها منفوشا ثم هباء منثورا فليس المراد أنه يبقى موادها الرملية إذ لا بد أن تفنى بالكلية و يكون الملك ماده و صورته لله، س ره

٢- لأنه مقام تصالح الأضداد، س ره

٣- أى إذا تحركت الأرض سيما أرض الأبدان حركه جوهرية و وصلت إلى غاياتها و أخرجت أثقالها أى برزت كمالاتها الكامنه فى استعداداتها جىء بها إلى الظلمه لأنه إذا عادت الفعليات و الأنوار إلى الله تعالى بقيت الصورة الجسميه الممنوه بالتباعد المكانى- و التمدادى الزمانى و الغسق الهيولانى و كل منها غيبه و فقدان لا حضور و وجدان و هذا عند المحشر أى حشر القوى و النفوس إلى الله، س ره

اختزنه جى ء بها إلى الظلمه التى هى دون المحشر كما قال تعالى وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فتمد مد الأديم و بسطه فلا يرى فيها عوجا و لا أمتا و هى الساهره إذ لا نوم فيها كما قال فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١) و يرجع ما تحت (٢) مقعر فلك الكواكب جهنم و سميت بهذا الاسم لبعدها عن جنة أى بعيد القعر و يوضع الصراط من الأرض علوا إلى سطح فلك الكواكب- و هو فرش الجنة من حيث باطنه إذ كل أمور الآخرة يقع فى باطن حجب الدنيا و لذلك قيل أرض الجنة الكرسي و سقفها عرش الرحمن و يوضع الموازين فى أرض المحشر لكل مكلف ميزان (٣) يخصه بعد الميزان العام قوله تعالى وَ الْوُزْنُ يُؤْمِنُ الْحَقُّ وَ أما الموازين الخاصة فيجعل فيها الكتب و الصحف (٤) و يوزن بها كما يوزن هاهنا الصور

١- أى القيامة و توجه سوقه واحده فى الكل طولا و نفخه واحده دهر و صيحه واحده كذا فى عين كونه زجرات و نفخات و نحوها غير متناهيه عرضا و وصول واحد وحده جميعه فى عين كونها وصولات غير متناهيه لمغيا غير متناهيه إلى غايات غير متناهيه منطويه فى الوحدة الحقه لغايه الغايات وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ، س ره

٢- إنما يرجع هذا إليها لأن الطبيعه التى هى النار و التعلق بها الاحتراق بالنار- إنما يتحقق هنا و إنما حددها بفلك الكواكب إذ من الأرض إلى سمته و إلى نفسه محل- تصرف القوى و الحواس و البصر يصل إليه بسبب كواكبه لا إلى الفلك الأطلس و كلما تدركها القوى إذا لوحظت بما هى كثيره و متعلقه بالماده و الماهيه الإمكانيه صارت ماده للنار و لهذا كان أبواب جهنم بعدد المدارك السبعة كما يأتى، س ره

٣- كما أنه لا يوزن هنا الدراهم و الدنانير بميزان البر و الشعير و بالعكس- فمن مكلف أعماله جم غفير يستدعى ميزانا عظيما و من مكلف أعماله نذر يسير يستدعى ميزانا صغيرا، س ره

٤- ليس المراد ارتضاء وزن دفاتر الأعمال كما يقول به بعض المتكلمين بل المراد محاذاه نقوش الحسنات مع نقوش السيئات اللتين فى جنبى النفس العماله و قد علمت أن لكل معنى صورته فيتمثل موازين صورته منصوبه هناك كما فى الوعاء و بحق الموازين- إذا نصبت و الصحف إذا نشرت، س ره

العلميه و الأفكار النظرية بعلم القسطاس ليظهر صحيحها من فاسدها و حقها من باطلها- و آخر ما يوضع فى الميزان قول العبد
الحمد لله

لذلك قال الرسول ص: الحمد لله ملء الميزان

و كفه ميزان كل أحد بقدر أعماله و أفعاله و بحسبها يكون ثقلها و خفتها- فكل ذكر و قول يدخل فى الميزان إلا قول لا إله إلا الله لأن كل عمل له مقابل فى عالم التضاد و ليس للتوحيد مقابل إلا الشرك و هما لا يجتمعان فى ميزان واحد لأن اليقين الدائم كما لا يجامع ضده كذلك لا يتعاقبان على (١) موضوع واحد فليست للكلمه ما يقابلها و يعادلها فى الكفه الأخرى فلا يرجح عليها شىء بالضروره كما يدل عليه حديث صاحب السجلات (٢) و أما المشركون فلا- ميزان لهم فى ذلك اليوم لأن أعمال خيرهم محبوبه و لذا قال تعالى فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا و ضرب بسور يسمى الأعراف بين الجنة و النار و جعل مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه و وقعت الحفظه بأيديهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من أفعال المكلفين و أقوالهم ليس فيها شىء من الاعتقادات القلبيه و لهذا قال سبحانه وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ و لم يقل علموه فعلقوها فى أعناقهم و أيديهم كما فى قوله وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا و قال وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ و هو أعلم بما يعملون فمنهم من أخذ كتابه بيمينه و منهم من أخذه بشماله و منهم من أخذه وراء ظهره و هم الذين نبدوا الكتاب فى الدنيا وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا- و ليس أولئك إلا أئمه الضلال و يأتى مع كل إنسان قرينه من الملائكه و الشياطين لقوله تعالى وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ

١- كما يتعاقب عليه الصدق و الكذب و الإنفاق و الإمساك و الإحسان و الإساءه و هكذا، س ره

٢- جمع السجل أى الدفتر فقد ورد أن شخصا لم يعمل قط خيرا إلا أنه تلفظ يوما بكلمه لا إله إلا الله مخلصا فيوضع يوم القيامه فى مقابله تسعه و تسعون سجلا من أعمال البشر كل سجل كما بين المشرق و المغرب و يرجح على جميع السجلات و ظاهر الحديث المقابله و لهذا لم يكتف المصنف ره بالمقابله و زاد عليها المعادله، س ره

لأن كل نفس لها قوى محرکه و أخرى مدرکه فمبدأ قواها المحرکه هو المسمى بالسائق سواء كان ملكا أو شيطانا و مبدأ قواها المدرکه هو المسمى بالشهيد كذلك قوله تعالى إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

[حمل الملائكة عرش الحق تعالى و احتفافهم حوله]

ثم يأتى الله عز و جل على عرشه و الملائكة تحمل(١) ذلك العرش فيضعونه فى تلك الأرض المشرقه بنور ربها لقوله وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَ الْجَنَّةُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَ النَّارُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ وَ تَأْتِي مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ مَلَائِكَةُ كُلِّ سَّمَاءٍ عَلَى حَدِّهِ فِي صَفٍّ مَتَمِيزُهُ عَنْ مَلَائِكَةِ سَمَاءٍ أُخْرَى - وَ عَنْ غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ سَبْعُهُ صُفُوفٌ وَ الرُّوحُ الْأَعْظَمُ قَائِمٌ مُقَدِّمُ الْجَمَاعَةِ ثُمَّ يَجَاءُ بِالْكِتَابِ وَ الصُّحُفِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ يُوَضِّعُ هُنَاكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَ أَشْرَقَتِ الْمَازْنُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ يَجْتَمِعُ كُلُّ أُمَةٍ بِرَسُولِهَا مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ وَ مَنْ كَفَرَ وَ يَحْشُرُ الْأَفْرَادَ وَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ غَيْرِ رِسَالِهِ بِمَعْزَلٍ مِنَ النَّاسِ بِخِلَافِ الرِّسْلِ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ الْعَسَاكِرِ فَلَهُمْ مَقَامٌ يَخْصُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْلِيَاءِ وَ قَدْ غَلَبَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْهَيْبَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَ غَلَبَتْ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ مِنْ إِنْسَانٍ وَ مَلَكٍ وَ جِنٍّ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا هَمْسًا وَ يَرْفَعُ الْحُجُبَ بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ عِبَادِهِ وَ هُوَ مَعْنَى (٢) كَشَفَ السَّاقَ

١- كما قال تعالى يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ففى اليوم الإلهى الأول كانت حملة عرشه أربعة و لكن فى اليوم الآخره تضاعف بأربعة أخرى إذ كلما كان فى البدو كان مثله فى العود و المراد بالعرش هو الوجود المنبسط و إتيان الله تعالى ظهور مرتبه الواحدية- فى النفس الكليه الإلهيه و الأرض المشرقه هى القلب المنور هذا حقيقة الأمر و أما الرقيقه فما أشبه صورته ذلك العرش بصوره بيت الله حيث لم يضع قدمه فيه أبدا كما قال عارف كامل إنه مذ صنع بيت قلبى لم يخرج منه طرفه عين و مذ بنى هذا البيت الصورى و هو الكعبه لم يضع قدمه فيه، س ره

٢- الكشف عن الساق كناية عن الظهور كما فى قول العرب كشف الحرب عن ساقها و يدور فى خلدى أن يكون ساق مخفف ساقى أى يكشف عن ساقى الكوثر كما ورد أنه لا يعلم حقيقة على بن أبى طالب ع إلا الله و محمد ص و يدعون إلى السجود أى يدعى كل من الإمام و المأمومين إلى السجود لله الواحد المعبود و هذا المعنى جعله الله قسطى بمنه و جوده س ره

قوله تعالى يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى أَى دِينٍ كَانَ إِلَّا يُسْجَدُ السُّجُودَ الْمَعْهُودَ وَ مِنْ سَجْدِ اتِّقَاءٍ أَوْ رِيَاءٍ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ وَ بِهَذِهِ السَّجْدَةِ يَرْجَحُ مِيزَانُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ لَا لِأَنَّهَا سَجْدَةٌ تَكْلِيفٌ كَمَا ظَنُّ لَأَنَّ دَارَ التَّكْلِيفِ هِيَ الدُّنْيَا لَا غَيْرَ بَلْ لِأَنَّهَا سَجْدَةٌ ذَاتِيَّةٌ صَدَرَتْ عَنْ فِطْرَةِ مَنْ غَيْرِ رِيَاءٍ وَ غَرَضٍ وَ قَدْ مَرَّ أَنَّ جَانِبَ الرَّحْمَةِ أَرْجَحُ إِذَا بَقِيَ الْقَابِلُ عَلَى فِطْرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ وَ مَرْتَبَةِ إِمْكَانِهِ الذَّاتِيَّةِ مِنْ غَيْرِ انْحِرَافٍ عَنْ سُنَنِ الْحَقِّ وَ لَا تَغْيِيرٍ فِي خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِكْمَالِ فِيهِ وَ يَحْضُرُ الْجَحِيمُ فِي الْعُرْصَاتِ عَلَى صُورِهِ (١) بِغَيْرِ غَضَبَانٍ وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ لِيُتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ - وَ يُشَاهَدُهَا أَهْلُ الْمَوْقِفِ بِالْعِيَانِ وَ بُرَّرَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَيَطْلُعُ الْخَلَائِقُ مِنْ هَوْلٍ مُشَاهَدَتِهَا عَلَى فَنَائِهِمْ وَ يَفْزَعُونَ إِلَى اللَّهِ وَ لَوْ لَا أَنَّ حَبْسَهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ لِأَحْرَقَتْ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ الْمَوْتَ لَكُونَهُ عِبَارَةً عَنْ هَلَاكِ الْخَلْقِ بِأَحَدِ طَرَفِي التَّضَادِّ يَقَامُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ وَ النَّارِ وَ هِيَ دَارُ الْهَلَاكِ وَ الْبُورِ فِي صُورِهِ كَبَشٍ أَمْلَحَ وَ يَذْبَحُ بِشَفْرِهِ يَحْيَى - وَ هُوَ اسْمُ لُصُورِهِ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِأَمْرِ جِبْرِئِيلَ (٢) مَبْدَأُ الْحَيَاةِ وَ يَحْيَى الْأَشْبَاحَ بِالْأَرْوَاحِ بِإِذْنِ اللَّهِ لِيُظْهَرَ حَقِيقَةُ الْبَقَاءِ الْأَبَدِ بِمَوْتِ الْمَوْتِ وَ حَيَاةِ الْحَيَاةِ - وَ يَنَادِي مُنَادٍ الْحَقَّ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودَ بَلَا - مَوْتَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودَ بَلَا مَوْتَ وَ إِنْ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ مَمْزُوجَةً بِالْمَوْتِ لَقَوْلُهُ تَعَالَى لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى * وَ لَيْسَ فِي النَّارِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا وَ ذَلِكَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ لِأَنَّهُ حَسْرَةُ أَى ظَهَرَ لِلْجَمِيعِ صِفَةُ خُلُودِهِمْ الدَّائِمِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ فِيمَا هِيَ مِنْ أَهْلِهَا مِنْ الدَّارِ فَأَمَّا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا رَأَوْا الْمَوْتَ سَرُّوا سُرُورًا عَظِيمًا فَيَقُولُونَ بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فَيْكَ لَقَدْ خَلَصْتَنَا مِنْ دَارِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَ كُنْتَ خَيْرَ وَارِدٍ عَلَيْنَا وَ خَيْرَ تَحْفَةٍ أَهَدَانَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ

لقول النبي ص: الموت تحفه المؤمن

و أما أهل النار و هم أهل الدنيا خاصه إذا أبصروه يفزعون و يقولون لقد كنت شر و ارد علينا حلت بيننا و بين ما كنا فيه من الخير و الدعه ثم يقولون له عسى

١- إنما يحضر بهذه الصورة لحقد البعير و قد يقال على صورته جاوميس و هذه لسوداويه البقر و جهنم دار الموت و السوداء جالب الموت، س ره

٢- و الأنسب بأمر إسرافيل لأنه مبدأ الحياه و جبرئيل مبدأ العلم و يمكن أن يقال المراد حياه العلم كما قال علي ع: الناس موتى و أهل العلم أحياء ، س ره

أن تميتنا فنستريح مما نحن فيه من المصيبة و العذاب ثم يغلق (١) أبواب النار غلقاً لا فتح بعده و تطبق على أهلها و يدخل بعضها على بعض ليعظم الضغوط فيها على أهلها- و يرجع أسفلها أعلاها و أعلاها أسفلها و يرى الناس و الشياطين فيها كقطع اللحم فى القدر إذا كانت تحتها النار العظيمة تغلى كغلى الحميم فتدور بمن فيها علوا و سفلا كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا بتبديل الجلود و تشاهد يومئذ نار جهنم و يرى بعين اليقين كما قال تعالى ثُمَّ لَتَرَوْهَا غَيِّنَ الْيَقِينِ و إن وقودها الناس و الحجارة أى من حدود الإنسانية إلى حدود الجمادية داخله فى وقودها و هى نار يأكل بعضها بعضاً و يصل بعضها على بعض و هى نار تذر العظام رميما و هذه النار (٢) غير النار التى تطلع على الأئندة فإن هذه قد تخبو و ذلك بالنوم الذى قد يقع لأهل العذاب فيخفف عنهم به الآلام التى هم فيها- لكنه بحيث يشير إليه قوله تعالى كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا و الآية تدل على أنها نار محسوسة لقبولها الزيادة و النقصان فإن النار الحقيقية لا- تقبل هذا الوصف و يحتمل أن يكون المراد كلما خبت النار المتسلطة على أجسادهم بنوم و شبهه زدناهم سعيراً بانتقال العذاب إلى بواطنهم و هو التفكير فى الفضيحة و الهول يوم القيامة و هو أشد من العذاب الجسمانى

١- كما فى الدنيا ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوه و يدخل بعضها على بعض كما فى الدنيا عالم الديدان ليعظم الضغوط كما فى الدنيا يحمل كل من أهلها على كاهله أعباء الآخر و لا يكتفى بشغل نفسه بل يقلد على رقبته شغل الآخر و الأشغال تضغط النفس و تلطمها و تصغرها و يرجع أسفلها أعلاها أى العناصر تصير مواليد و المواليد تصير عناصر يأكل بعضها بعضاً أى ينقلب بعضها إلى بعض و يتحول بعضها إلى بعض فيتحول الجماد نباتات حسنا و النبات حيوانا و الحيوان إنسانا و يصل بعضها على بعض كصوله الأسد على الغنم و كل أقوى من القوى و الطبائع المادية النارية على أضعفها و قاهريه كل عال على سافل، س ره

٢- فإن النار الجسمانية موجه الوجع فى البدن و النار الروحانية موجه الهم و الغم و الحسره على الروح كنار الفراق و نار الحسره و الانفعال كما قال ع: فهينى يا إلهى و سيدى و مولاي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك و فى الوحي الإلهيا حَسَرْتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، س ره

و اعلم أن في القيامة مواقف و مقامات

إشاره

مثل الصراط و العرض و أخذ الكتب و وضع الموازين و الأعراف و أبواب الجنة و أبواب النار.

و أما العرض

و أما العرض (١) فهو مثل عرض الجيش ليعرف أعمالهم في الموقف و هو مجمع الخلائق لأن حجب الأزمنه و تغاير الأمكنه مرتفعه في ذلك العالم فالجميع مع اختلاف أزمنتهم و أمكنتهم في الدنيا حاضرون هناك في عرصه واحده في يوم واحد قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ

: و سئل ص عن قوله تعالى فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا فقال ذلك هو العرض

فإن من نوقش في الحساب عذب و كما يعرف الأجناد عند عرض الجيش بزيهم و لباسهم فيعرف الناس هناك بوجوههم و سيماهم و على صور نياتهم و أخلاقهم كما مر تحقيقه- ف يُعَرَّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ كحال الأسارى و الدواب هاهنا.

و أما الكتب

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَ يَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا و هو المؤمن السعيد لأن كتاب نفسه من جنس الألواح (٢) العالیه- و الصحف المكرمه المرفوعه و أما من أُوتِيَ كتابه بشماله و هو المنافق الشقى لأن كتابه من جنس الصفائف السفليه و الكتب الحسيه المغلوطة القابله للإحراق كما قال تعالى إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ و أما الكافر فلا كتاب له و المنافق لمكنه استعدادده سئل عنه الإيمان و ما قبل منه الإسلام كما قبل من عوام أهل الإسلام و يقال في حقه إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ و يدخل (٣) فيه المعطل و المشرك و الجاحد المتكبر على الله و يكون المنافق في باطنه واحدا من هذه الثلاثه و لا ينفع له صوره الإسلام- كما ينفع للضعفاء و العوام لما ذكرناه وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَهُمْ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ

١- معناه هنا بالفارسيه سان ديدن لشكر، س ره

٢- أى النفوس الكليه و العقول الكليه، س ره

٣- أى فى الكافر المطلق و لا- يعود الضمير إلى المنافق لأن كفر النفاق مقابل كفر التعطيل و الشرك و الجحود أولا و لو كان بدل كلمه فيه كلمه فى و رجع المستتر فى يدخل إلى المنافق كان قوله و يكون المنافق إلخ عطفًا تفسيريًا له، س ره

له خذ من وراء ظهرك أى من حيث نبذته فيه فى حياتك الدنيا كما فى قوله تعالى قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا وَهُوَ كتابه المنزل عليه بواسطة الرسول لا كتاب الأعمال- فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى جزم(١).

و أما الموازين

فقد مر بيانها على قدر ما تيسر لنا فى حقيقه معناها.

و أما الصراط

فقد علمت أنه طريق الجنة و أنه يتسع فى حق البعض و يضيق فى حق البعض و هو هاهنا معنى و فى الآخرة له صورته محسوسه و الناس بعضهم سائرون على الصراط المستقيم و بعضهم منحرفون عنه إلى طريق الجحيم قال تعالى وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ وَ لَمَّا تَلَا- رسول الله ص هذه الآية خط خطا و خط عن جنبه خطوطا أخرى فالمستقيم هو صراط التوحيد- الذى سلكه جميع الأنبياء و أتباعهم و المعوجه هى طرق أهل الضلال و توابع الشيطان- و المنافق لا قدم له على صراط التوحيد و له قدم على صراط الوجود و المعطل لا قدم له على صراط(٢) الوجود أيضا بحسب ما هو إنسان و إنما له قدم عليه بما هو حيوان و دابه لقوله تعالى مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصَةٍ بِهَا وَ الموحّد و إن كان فاسقا لا يخلد فى النار بل يمسك على الصراط و يسأل و يعذب هناك و هو على متن جهنم غائب فيها- و الكلايب التى فيه تمسكهم عليه و لما كان الصراط فى النار و ما ثم طريق إلى الجنة إلا عليه قال تعالى وَ إِنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا وَ هذه الكلايب و الخطاطيف كما ورد فى الحديث هى صورته تعلقات الإنسان بالدنيا و القيود الدنيوية المانعه لسلوك طريق الحق تمسكهم يوم القيامه على الصراط فلا ينهضون إلى الجنة و لا يقعون أيضا فى النار لأجل قوه الإيمان و نور التوحيد حتى يدركهم الشفاعة لمن أذن له الرحمن فمن تجاوز هاهنا تجاوز الله عنه و من أنظر معسرا أنظره الله و من عفا عن أخيه عفا الله عنه و من استقضى حقه هاهنا من غير تسامح استقضى الله حقه هناك

١- تفسير ظن أى أيقن أن لا يرجع كما فى قوله تعالى وَ ظُنُّوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، س ره

٢- أى لا يقول بوجود الصانع فهو مفراط و المشرك مفراط، س ره

و من شدد على هذه الأئمة شدد الله عليه كما ورد في الحديث إنما هي أعمالكم ترد عليكم - فالتزموا مكارم الأخلاق فإن الله يعاملكم بما عاملتم به عباده.

و أما الأعراف

فهو سور بين الجنة و النار له باب باطنه و هو ما يلي الجنة فيه الرحمه و ظاهره و هو ما يلي النار من قبله العذاب يكون عليه من تساوت كفتا ميزانه - فهم ينظرون بعين إلى الجنة و بعين أخرى إلى النار و ما لهم رجحان بما يدخلهم الله أحد الدارين قال تعالى وَ عَلَى الْمَاعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ الْآيَاتِ وَ قَدْ قِيلَ لِلْأَعْرَافِ وَ أَصْحَابِهِ مَعْنَى آخِرٍ وَ هُوَ أَيْضًا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ التَّأَمُّلِ فَإِنَّ أَحْوَالَ الْعُرَفَاءِ الْكَامِلِينَ مَا دَامُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ يَشْبَهُ حَالِ قَوْمٍ فِي الْآخِرَةِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَ سَيِّئَاتُهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْ جِهَةِ عِلْمِهِمْ وَ عُرْفَانِهِمْ وَ رَقَّةِ حِجَابِهِمْ الْبَدَنِيِّ كَادُوا أَنْ يَكُونُوا فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَ مِنْ جِهَةِ كَثَافَةِ أَجْسَادِهِمْ الْمَادِيَّةِ وَ بَقَاءِ حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةِ مَنَعُوا عَنْ تَمَامِ الْوُصُولِ وَ كَمَالِ الرُّوحِ فَلَهُمْ حَالُهُ مُتَوَسِّطَةٌ وَ لَكِنَّهُمْ بِحَسَبِ جَوْهَرِ ذَاتِهِمْ وَ مَرْتَبَةِ نَفْسِهِمْ الْعَالِيَةِ فِي مَكَانٍ عَالٍ مُرْتَفِعٍ وَ الْأَعْرَافُ فِي اللَّغَةِ جَمْعُ عُرْفٍ بِمَعْنَى مَكَانٍ عَالٍ مُرْتَفِعٍ - لِأَنَّهُ بِسَبَبِ ارْتِفَاعِهِ يَصِيرُ أَعْرَفُ مِمَّا انْخَفَضَ مِنْهُ وَ مِنْهُ يَقَالُ عُرْفُ الْفَرَسِ وَ عُرْفُ الدِّيكِ.

و للمفسرين في معنى الأعراف قولان الأول و هو الذي عليه الأكثرون أن المراد منه أعلى ذلك السور المضروب بين الجنة و النار و هو المروى عن ابن عباس و روى عنه أيضا أنه قال الأعراف شرف الصراط.

و الثاني عن الحسن و الزجاج أن قوله تعالى وَ عَلَى الْأَعْرَافِ أَيْ عَلَى مَعْرِفَةِ (١) أهل الجنة و أهل النار رجال يعرفون كلا من أهل الجنة و أهل النار بسيماهم - فليل للحسن هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فضرب على خده ثم قال هم قوم جعلهم الله على تعرف أهل الجنة و أهل النار يميزون البعض عن البعض و الله لا أدري لعل بعضهم معنا.

و أما القائلون بالقول الأول فقد اختلفوا في أن الذين هم على الأعراف من هم على أقوال أحدها أنهم الأشراف و أهل الطاعة من الناس و ثانيها أنهم الملائكة

١- فعلى الثانى كان الأعراف اسم المعنى و على الأول كان اسم المكان، س ره

يعرفون أهل الدارين و ثالثها أنهم الأنبياء ع أجلسهم الله على ذلك السور تميزا لهم عن سائر أهل الموقف و ليكونوا مطلعين على أهل الجنة و أهل النار و مقادير ثوابهم و عقابهم و رابعها أنهم أقوام يكونون فى الدرجة السافله من أهل الثواب- و خامسها أنهم هم الشهداء و هذا الوجه باطل لأنه تعالى خص أهل الأعراف بأنهم يعرفون كلا من السعداء و الأشقياء و الشهيد لا يلزم أن يكون عارفا بهذا العرفان و لو كان المراد أنهم يعرفون أهل الجنة يكون وجوههم ضاحكه مستبشره و أهل النار بسواد وجوههم و زرقه عيونهم لما بقى لأهل الأعراف اختصاص بهذه المعرفة لأن جميع الخلق فى القيامه يعرفون هذه الأحوال و لما بطل هذا الوجه و الذى قبله لأن أهل السفاله- أنزل حالا من أن يكونوا من أهل المعرفة و كذا الوجه الثانى لأنه تعالى وصفهم بكونهم رجلا و الوصف بالرجوليه إنما يحسن فى الموضع الذى يحصل فيه التقابل بينها و بين الأنوثيه و الملائكه ليسوا كذلك فثبت أن المراد بقوله تعالى يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ هو أنهم كانوا يعرفون فى الدنيا أهل الخير و الإيمان و أهل الشر و الطغيان فهو تعالى أجلسهم على الأعراف و هى الأمكنه العاليه الرفيعه بحسب مقامهم و مرتبتهم ليكونوا مطلعين على الكل شاهدين على كل أحد من الفريقين بما يليق به و يعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات و أهل العقاب إلى الدرجات.

لا يقال إن هذا الوجه غير صحيح أيضا لأنه تعالى وصفهم أنهم لم يدخلوها أى الجنة و هم يطمعون فى دخولها و هذا الوجه لا يليق بالأنبياء و من يجرى مجراهم.

لأننا (١) نقول كونهم غير داخلين فى الجنة فى أول الأمر لا- يقدر فى كمال شرفهم و علو درجتهم و أما قوله وَ هُمْ يَطْمَعُونَ فالمراد من هذا الطمع اليقين ألا- ترى أن الله تعالى قال حكاية عن الخليل ع وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ و لا شك أن ذلك الطمع يقين فكذا هاهنا و بالجملة وصفه تعالى أهل الأعراف بما وصفه من كونهم جالسين على مكان عال رفيع و كونهم عارفين كلا من الفريقين بسيماهم

١- الأولى أن يقال قوله تعالى لَمْ يَدْخُلُوهَا حال من المفعول أى نادى أهل الأعراف أصحاب الجنة حال كون أصحاب الجنة غير داخلين فيها أن سلام عليكم، س ره

يدل على تشريف عظيم لهم و مثل هذا التشريف لا يليق إلا بالإشراف دون من استوت حسناته مع سيئاته فظهر أن الأولى و الأرجح هو القول الثانى و يؤكده

ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب الكلينى عن أبى عبد الله ع: أنه جاء ابن الكواء إلى على ع و سأله عن قوله تعالى عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسَيِّمَاهُمْ فقال ع و نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم و نحن الأعراف الذى لا يعرف الله عز و جل - إلا بسبيل معرفتنا فلا يدخل الجنة إلا من عرفناه و لا يدخل النار إلا من أنكرناه

فهذه جملة من أحوال يوم القيامة.

و قد ورد من الأخبار فى ذلك اليوم ما ورد و دونوا فى الكتب ما دونوا و نحن أوضحنا بعضها بحسب ما تبلغ إليه طاقتنا و يناله جهدنا و مفتاح هذه المعارف معرفه النفس لأنها المنشئه و الموضوعه لأمر الآخرة و هى بالحقيقه الصراط و الكتاب و الميزان - و الأعراف و الجنة و النار كما وقعت الإشارة إليه فى أحاديث أئمتنا ع.

فقد روى ابن بابويه فى كتاب معانى الأخبار و كتاب التوحيد عن أبى عبد الله ع: أنه سئل عن معنى الصراط المستقيم قال هو أمير المؤمنين ع

و روى عن سيد العابدين على بن الحسين ع أنه قال: نحن أبواب الله و نحن الصراط المستقيم

و عن جعفر بن محمد ع قال: قول الله عز و جل صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ يعنى محمدا (١) و ذريته

و عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله ع عن قول الله وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً قال هم الأنبياء و الأوصياء

و المراد بالكتاب فى قوله

١- لا يقال هذا متشابه إذ يمكن أن يكون تفسيراً للمضاف أعنى الصراط فيكون شاهداً للمصنف قدس سره أو للمضاف إليه أعنى الذين أنعمت عليهم فلا يكون شاهداً لأننا نقول إنه تفسير للمضاف لأنه بدل من الصراط المستقيم المفسر بأمر المؤمنين و أولاده ع على أن موضوع الحكم هو المضاف لا- المضاف إليه و المنعم عليهم عينوا فى الآية بقوله تعالى فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ صراطهم المستقيم محمد و ذريته صلى الله عليه و عليهم أجمعين، س

تعالى إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ وَإِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ هو نفوس الأبرار و نفوس الفجار كما سبق.

و مما دل عليه أيضا

قول أمير المؤمنين ع:

و أنت الكتاب المبين الذى بآياته يظهر المضمّر

و قوله

دواؤك فيك و لا تشعرو دأؤك منك و لا تبصر

دال على أن محل نعيم الجنة و لذاتها و عذاب النار و عقوباتها إنما هى النفس الإنسانية

فصل (٢٤) فى بيان ماهية الجنة و النار

أما الجنة

فهى كما دل عليه الكتاب و السنه مطابقا للبرهان و الكشف دار البقاء- و دار السلام لا موت فيها(١) و لا هرم و لا سقم و لا غم و لا- هم و لا- دثور و لا- زوال و هى دار المقامه و الكرامه لا يمس أهلها فيها نصب و لا لغوب لهم فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأ-عين و هم فيها خالدون و إنها دار أهلها جيران الله(٢) و أولياؤه و أحباؤه و أهل كرامته و إنهم على مراتب متفاضله منهم المتنعمون بتسبيح الله و تقديسه و تكبيره فى جملة ملائكته المقربين و منهم المنعمون بالذات المحسوسه كأنواع المآكل و المشارب و الفواكه و الأرائك و نكاح حور العين و استخدام الولدان المخلدين و الجلوس على النمارق و الزرابى و لبس السندس و الحرير و الإستبرق و كل منهم إنما يتلذذ بما يشتهى و يريد على حسب ما تعلق به همته و بالجملة مبادئ الأكوان فى عالم الجنان

-
- ١- إذ لا تركيب من العناصر المتضاده حتى يقال كل مركب ينحل و لا حلول ضد فى موضوع ضد آخر حتى يكون الفساد أو السقم بحلول ضد على موضوع ضد تعاقبا، س ره
 - ٢- سيما الجبروت الذى فى سلسله الصعود فإن العقول الصاعده البسيطة الكامله- من صقع الربوبيه من رآها فقد رأى الله و هى أبعد من الموت و الهرم و نحوها، س ره

إنما هي الأمور الإدراكية و الجهات الفاعليه و لا دخل للمواد و الأسباب القابليه - لأن وجود الأشياء هناك وجود صوري من غير ماده و لا حركه و لا انفعال و تجدد و انتقال- و أما النار فهي دار أهلها في هوان و أسقام و أحزان و آلام و جوع و عطش(١) و تجدد- عذاب و تبدل جلود لا يموتون فيها و لا يحيون و لا يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عذابها و أهل النار حقا هم المشركون و الكفار وجوههم مسوده و أما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمه التي تدركهم و الشفاعة التي تنالهم- و في الروايه التي عن أئمتنا أنه لا- يصيب أحدا من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوا و إنما(٢) يصيبهم الله الآلام عند الخروج منها فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم و ما الله بظلام للعبيد و هذه الروايه مطابقه لأصولنا العقليه لأن العارف بالتوحيد يكون نفسه منوره بنور الحق و اليقين مرتفعه عن العالم الأسفل إلى مقام العلويين و النار لا يدخل في محل المعرفة و الإيمان و إنما سلطانها على الجلود و الأبدان

كما ورد في الحديث: النار لا تأكل محل الإيمان

فأهل النار بالحقيقه هم المشركون و الكفار لا يذوقون فيها بؤداً و لا شراباً إلّا حَمِيماً و غَسَاقاً و إن استطعموا أطعموا من الزقوم و إن استغاثوا أغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقا ينادون من مكان بعيد ثم قيل لهم اخسئوا و لا تكلمون و نادوا يا مالک ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكون.

و مما يجب(٣) أن تعلم أن الجنه التي خرج منها أبونا آدم و زوجته لأجل

١- كما ترى هنا أهل الدنيا لا يشبعون يزيد حرصهم و شرهم يوماً فيوماً و تبدل جلودهم تجدد طبائعهم بحركه جوهريه لا يموتون إذ لهم حياه حيوانيه و لا- يحيون إذ ليس لهم حياه عقليه الناس موتى و أهل العلم أحياء لا يقضى عليهم فيموتوا كما استدعوا عن مالک بقولهم ليقض علينا ربك إذ ذبح الموت بشفره يحيى، س ره

٢- لأنسهم بها و إنما تصيب عند الخروج للخروج عن المألوف و هذا كما في أهل الدنيا لا يتألمون من نار الطبيعه عند اشتغالهم بها و يتألمون عند الخروج و عند الاشتغال بتذكر الموت و التفكير في المآل، س ره

٣- هذا قد مضى نقلاً عن الشيخ محيي الدين العربي في هذا السفر، س ره

خطيئتهما و هي جنه الأرواح (١) المسماه عند أهل المعرفة و الشريعة موطن العهد و منشأ أخذ الذريه هي غير الجنه التي وعد المتقون و هي جنه البرزخ لأن هذه لا يكون لكل أحد إلا بعد انقضاء حياته الدنيويه بموته و لكل إلا بعد خراب الدنيا و بوار السماوات و الأرض و انتهاء الحركات (٢) و بلوغ الغايات و إن كانتا متفقتين في الحقيقه و المرتبه الوجوديه لكونهما جميعا دار الحياه الذاتيه و الوجود الإدراكي الصوري من غير تجدد و لا- دثور و لا انقطاع و لا تضاد و لا تراحم و بيان ذلك أن المبادئ الوجوديه و الغايات متحاذه متعاكسه في الترتيب و أن الموت كما علمت ابتداء (٣) حركه الرجوع للنفوس الآدميه إلى الله تعالى كما أن الحياه الطبيعيه انتهاء حركه النزول لها من عنده و قد شبهت الحكماء و العرفاء هاتين السلسلتين النزوليه و الصعوديه بالقوسين من الدائره إشعارا بأن الحركه الثانيه الرجوعيه انعطافيه غير ماره على الأولى- و أن لكل درجه من درجات القوس الصعوديه بإزاء مقابلتها من القوس النزوليه لا عينها- و إن كانتا من جنس واحد فإذا علمت هذا فاعلم أيضا أن الجنه جنتان جنه محسوسه و جنه معقوله كما قال سبحانه وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ و قوله تعالى فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٤) و قد علمت في الفن الكلي إثبات العالم العقلي المشتمل

-
- ١- أى الموجوده بنحو الكليه و الوجود الواحد بالوحده الجمعيه و إن كانت الصور كثيره بالماهيات الجزئيه و الأشكال و الهيئات إذ قد مر معنى الكينونات السابقه للأرواح- بحيث لا يلزم الأبحاث المشائيه، س ره
 - ٢- أى طولا إن إلى ربك المنتهى و قد ذكرنا أن الأجل المضروب للفعل إنما هو بحسبه إن وسيعا فوسيع و إن ضيقا فضيق و هنا بحسب قدره الله و كلماته التي لا تنفذ و لا تبید، س ره
 - ٣- أى ابتداء برونه و إلا فابتداء الرجوع إلى الرب من حد النقص إلى الكمال- بالاستكمال قبل الموت الاضطراري، س ره
 - ٤- قد يطلق الزوج على مجموع شيئين و قد يطلق على أحدهما كما يقال لأحد النعلين زوج النعل و منه إطلاق الزوج على الفحل و الزوجه على امرأته و من هذا القبيل الزوجان هنا فأحدهما ما في الجنه الصوريه و الآخر ما في الجنه الروحانيه أى أحدهما المحسوس و الآخر المعقول منه، س ره

على الصور العقلية و المثل النورية المطابقة لجميع الأنوار الخارجيه و كذا علمت إثبات العالم الصورى الحسى المشتمل على الصور الحسيه المجرده عن ماده الكائنه الفاسده الموضوعه فى الجهات فالجنه المحسوسه لأصحاب اليمين و المعقوله للمقربين و هم العليون- و كذا النار ناران نار محسوسه و نار معنويه فالمحسوسه للكفار و المعنويه للمنافقين المتكبرين- المحسوسه للأبدان و المعنويه للقلوب و كل من الجنه و النار المحسوستين عالم مقدارى- إحداهما صورته رحمه الله و الأخرى صورته غضبه لقوله تعالى وَ مَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى و كما أن الرحمه ذاتيه و الغضب عارض كما يعلم بالبرهان و يدل عليه قوله-

: سبقت رحمتى غضبى

و قوله وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فكذلك خلق الجنه بالذات و خلق النار بالعرض و تحت هذا سر و قد علمت أن ليس للآخره مكان فى هذا العالم لا- فى علوه و لا- فى سفله لأن جميع ما فى أمكنه هذا العالم متجدده دائره مستحيله فانيه- و كل ما هو كذلك فهو من الدنيا و الآخره عقبى الدار ليست دار البوار و هى فى داخل هذا العالم و فى باطن حجب السماوات و الأرض و منزلتها من الدنيا منزله الجنين من رحم الأم كما مر و لكن لكل من الجنه و النار مظاهر و مرائى فى هذا العالم بحسب رقائقها و نشأتها الجزئيه.

و على ذلك تحمل الأخبار الوارده فى تعيين بعض الأمكنه لأحدهما كما وقع فى

قوله ص: ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه

و قوله: قبر المؤمن روضه من رياض الجنه و قبر المنافق حفره من حفر النيران

و ما روى: أن فى جبل أروند عينا من عيون الجنه

. و روى عن أبى جعفر ع: أن لله جنه خلقها فى المغرب و ماء فراتكم هذه يخرج منها و إليها يخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء (١) و صباح فتسقط على

١- أى عند كل ليل فذكر طرفى الليل كأنه قال ع من المساء إلى الصباح فلا ينافيه قوله فإذا طلع الفجر هاجت من الجنه ثم تأويل الحديث الشريف أن المغرب إشاره إلى فناء الوجودات المجازيه و أقول الأنوار فى الأفق الأعلى و الماء الفرات هو الوجود المنبسط و المراد من قوله ع و إليها تخرج إلخ أنها تتحرك و تتوجه إلى غايه الغايات من الأبدان أو من الهيئات المحيطه بالأرواح كما ذكر فى بيان القبر و كونها فى الليل فى ذلك الأفق الأعلى باعتبار انطفاء الأنوار المتفرقه و الوجودات المتشتته هناك كما فى الحديث إن الله خلق الخلق فى ظلمه ثم رش عليهم من نوره- و قالوا فى الظلمات عين الحياه و أكلها مشاهد الجمال و الجلال و تلاقيها و تعارفها اتحادها متحد جانهاى شيران خداست Z و طلوع الفجر صحو وجودها الموهوم بعد المحو و إفاقتها عن سكر شراب الوصال و كونها بين السماء و الأرض برزخيتها- و حاله بين المحو و الصحو مسماه بالغيبه و إن لها منزله بين المنزلتين و طلوع الشمس بدو نوريتها المضافه إليها و ظهور إنانيتها و خروجها عن تلك الحاله المتوسطه و

أظن أن تعهد تحريف عن تعمد أى تقصد الصور نازله عن عالم المعنى و أن لله نارا هى نار الطبيعه السياه ذات ثلاث شعب فى مشرق السلسله الصعديه يسكنها أرواح الكفار إذا خلدوا إلى عالم الطبيعه و ليهم ظلمات الطبيعه و طلوع الفجر لهم انجذابهم إلى النور المطلق فى الجملة و اختلاسهم إلى الرحمه قليلا كما ينجذبون فى الدنيا فطره فيهيجون إلى واد أضعف حرا من نيران ليهم و إن كان أشد حرا من نيران الدنيا و إذا كان المساء عادوا إلى النار أى عادوا إلى مقامهم الدانى و مقتضيات ملكاتهم الناريه، س ره

أثمارها و تأكل منها و تتنعم فيها و تتلاقى و تتعارف فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة- فكانت فى الهواء فيما بين الأرض و السماء تطير ذاهبه و جائيه و تعهد حفرها إذا طلعت الشمس- و إن لله نارا فى المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار و يأكلون من زقومها و يشربون من حميمها ليلهم فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد بالمين يقال له برهوت أشد حرا من نيران الدنيا كانوا فيها يتلاقون و يتعارفون و إذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة

و روى أيضا فى كتاب الكافى عن أبى بصير: (١) قال قلت لأبى عبد الله ع إنا

١- لا يخفى أن المصنف قدس سره بصدد ذكر أخبار عين فيها بعض الأمكنه الدنيويه للجنة و النار و رواه أبى بصير ليس فيها عين و لا- أثر منه اللهم إلا- أن يكون المعنى فى روضه فى الدنيا كهيئه الأجساد التى فى الجنة و أى داع إليه بل المعنى بالعكس أى فى روضه فى الجنة كهيئه الأجساد فى الدنيا نظير ما نقل سابقا من قوله ع فى قالب كقالبه فى الدنيا فإن المراد بالروضه القالب أو المعنى فى روضه فى البرزخ- كهيئه الأجساد يوم القيامة، س ره

نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طير خضر ترعى في الجنة و تأوى إلى قناديل تحت العرش فقال ع لا إذن ما في حواصل طير قلت فأين هي قال في روضه كهينه الأجساد في الجنة

و فيه أيضا عن أبي عبد الله ع قال قال رسول الله ص: شر اليهود يهود بنان- و شر النصارى نصارى نجران و شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت و هو واد بحضرموت ترد(١) عليه هام الكفار و صداهم

. و في كثير من الأخبار ما يدل على أن الجنة في السماء قال مجاهد في قوله تعالى وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ هو الجنة و النار و مثله عن الضحاك و يروى عن عبد الله بن سلام أنه قال إن أكرم خلق الله أبو القاسم ص و قال إن الجنة في السماء و أما أنها في أى سماء فالمشهور أنها في السماء السابعة و هو المروى عن ابن عباس قال مجاهد قلت لابن العباس أين الجنة فقال فوق سبع سماوات قلت فأين النار قال تحت أبحر مطبقه- و يدل على هذا ما روى في حديث المعراج الثابت في صحاحهم أن السدره في السماء السابعة إذ نزل في الكتاب المجيد وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُتَّهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث يشاء و روى عن عبد الله بن عمر أنه قال الجنة مطويه معلقه بقرون الشمس(٢) تنشر في كل عام مره و إن أرواح المؤمنين في طيور(٣) كالزراير يتعارفون من ثمر الجنة

١- أى ترد عليه أرواحهم المتعلقة بأدمغتهم و قلوبهم إن كان النسخه صدرهم فظاهر و إن كانت صداهم فكأنها صارع عين الرين و الصدى، س ره

٢- لأن الجنة مطويه في وجود النفس و وجودها معلقه بإعداد أشعه الشمس- و نحوها كما قال الحكيم، س ره

٣- هذا و أمثاله مما مر باعتبار جناحي العلم و العمل و العقل النظرى و العقل العملى، س ره

و يقرب من هذا كلام بعض القدماء من أهل الحكمه إن الأرواح تهبط إلى هذا العالم من أشعه الشمس و فى بعض الأخبار ما يدل على أنها فى السماء الدنيا و ذلك ما يروى فى حديث المعراج أنه ص رأى فى السماء الدنيا آدم أبا البشر و كان عن يمينه باب يأتى من قبله ريح طيبه و عن شماله ريح متنته فأخبره جبرئيل ع أن أحدهما هو الجنة و الآخر هو النار.

و فى بعض الأخبار ما يدل على أنها فى بعض أوديه الأرض و ذلك ما يروى أيضا فى حديث المعراج أنه بلغ ص قبل انتهائه إلى بيت المقدس واديا بارده طيبه و سمع صوتا فقال جبرئيل هذا صوت الجنة يقول كذا.

و من الأخبار ما يدل على أن للنار و الجنة كينونه فى الأرض فى بعض الأوقات - كما روى فى حديث صلاه الكسوف إذ روى

أنه قال ص: ما من شىء توعده إلا و قد رأيته فى صلاتى هذه (١) لقد جىء بالنار و ذلك حين رأيتمونى تأخرت مخافه أن يصيبنى من فوحها إلى أن قال ثم جىء بالجنة و ذلكم حين رأيتمونى تقدمت حتى قمت فى مقامى و لقد مددت يدي و أنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لى أن لا أفعل هذا الحديث مما رواه مسلم فى كتابه

. و حكى بعضهم أنه لما رأى ص جهنم و هو فى صلاه الكسوف جعل يتقى حرها عن وجهه بيده و ثوبه و يتأخر عن مكانه و يتضرع و يقول أ لم تعدنى يا رب أنك لا تعذبهم و أنا فيهم أ لم أ لم حتى حجت عنه أراد قوله و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله لمعذبهم و هم يستغفرون.

و روى أيضا: أنه ص صلى يوما الصلاه ثم رقى المنبر فأشار بيده قبله المسجد فقال قد رأيت الآن مذ صليت لكم الصلاه الجنة و النار ممثلتين من قبل هذا الجدار فلم أر كاليوم فى الخير و الشر رواه البخارى

و أما النار

إشاره

فالمشهور فى ألسنه الجمهور أنها فى الأرض السابعة.

١- و ذلك لأن كلها صور صرفه بلا ماده و هكذا فيما يأتى من الأخبار، س ره

و من الأخبار ما يدل على أنها في السماء كما نقلنا روايته عن مجاهد و الضحاك في تفسير قوله تعالى وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ و كما روى في حديث المعراج أنه ص رأى في السماء الدنيا مالكا خازن النار و فتح له طريقا من طرق النار لينظر إليها- حتى ارتقى إليه من دخانها و شررها و ما عن يساره من الباب.

و من الأخبار ما يدل على أنها في البحر منها

ما روى عن أمير المؤمنين ع: أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال ع ما أراه إلا صادقا لقوله تعالى وَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورِ

و يروى أيضا في التفاسير أن البحر المسجور هو النار.

و منها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن رسول الله ص أنه قال: البحر هو جهنم

و منها ما يروى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ص: لا يركب رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا فإن تحت البحر نارا(١) أو تحت النار بحرا

و منها ما أوردها الثعلبي في تفسيره عن رسول الله ص: إنه قال البحر نار في نار

و منها ما مر ذكره نقلا عن مجاهد عن ابن عباس إن النار تحت بحر اسمه قيس- و من ورائه بحر اسمه الأصم و من ورائه بحر اسمه مطبقه و من ورائه بحر اسمه مرماس و من ورائه بحر اسمه الساكن و من ورائه بحر اسمه الباكي و هو آخر البحار محيط بالكل- و كل واحد من هذه البحار محيط بالذى تقدمه و منها ما روى عن بعض السلف في قوله تعالى يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ قال إن جهنم هو البحر و هو محيط بهم ينثر فيه الكواكب ثم تستوقد و يكون هو جهنم و منها ما يروى عن الضحاك في قوله تعالى أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَاراً هِيَ فِي حَالِهِ

١- الترديد من الراوى و من الحديث أن لا يدخلن المسلم الدنيا و لا يأخذها إلا وسيله إلى الآخرة و إلا مجاهدا في سبيل الله و إلا- حاجا و معتمرا ظاهريين أو باطنيين فإن تحت بحر الطبيعه نار الهيولى أو تحت نار الطبيعه لتباعدها المكانى- و تماديها الزمانى و الشوب الهيولانى بحر الهيولى المسجور و سيأتى تأويل البحر بالطبيعه، س ره

واحد في الدنيا يغرقون من جانب و يحترقون من جانب و مثله ما سبق نقله عن سقراط الحكيم إن مرتكب الكبائر يلقي في طرطاووس و قال المترجم طرطاووس شق كبير و أهويه تسيل إليه الأنهار و يعنى به البحر أو قاموسا فيه در دور.

و من الأخبار ما يدل على أن النار في هذه الأرض بعينها كحديث الوادى الذى ذكرناه من قبل.

و منها ما يدل على أن بعض جهنم في الأرض كما روى عن قتاده في قوله تعالى - أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ قَالَ و الله ما تناهر إن وقع في النار و روى عن جابر بن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من أرض ضراره و يقال إن حضرموت بقعه منها و يقرب من هذا حديث وادى برهوت المروى عن

أمير المؤمنين ع قال: أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت فيه أرواح الكفار و فيه بئر ماء أسود متن - يأوى إليه أرواح الكفار

و ذكر رجل أنه بات في وادى برهوت فسمع طول الليل يا دومه - فذكر ذلك لرجل من أهل العلم فقال الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومه.

و حكى الأصمعى عن رجل عن حضرموت أنه قال تجد من ناحيه برهوت - رائحه فظيحه منتنه جدا فيأتينا بعد ذلك خبر موت عظيم من عظماء الكفار و بعض هذه الأخبار و إن كانت في أرواح الكفار من غير تعرض بذكر النار إلا إنا متى ضمناها إلى أخبار أخرى و إلى قوله النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ استصحب في حكم النار على وجه أظهر.

تنبيه:

هذه الأخبار و الروايات و إن كانت ظواهرها متناقضه على أرباب العلوم الرسميه لكن بواطنها متوافقه عند العرفاء المحققين لابتناء علومهم و معارفهم على أصول صحيحه برهانيه و مقدمات جليه كشفية لا يشكون فيها - و يشكون في الشمس رابعه النهار بخلاف غيرهم من أصحاب البحث و الجدل و أرباب الروايه من غير درايه و حال فإنهم حيث لم يأتوا البيوت من أبوابها تناقضت عليهم الأحكام - و تفاسدت عندهم مقاصد الحديث و الكلام و بالجملة قد علمت أن الجنه و النار في نشأ أخرى

و عالم آخر موجوداته أمور صوريه بلا ماده و انفعال و حركه و الدنيا و كل ما فيها أمور كائنه فاسده متجدده دائره زائله ذات أوضاع و جهات مكانيه فكل خبر يذكر فيه أن الجنه أو النار فى مكان من أمكنه الدنيا و موضع من مواضع هذا العالم فإما أن يكون المراد باطن ذلك المكان كقولهم إن الجنه فى السماء السابعة و إن النار تحت السماء ليس المراد به أن الجنه داخله فى جسميه السماء دخولا وضعيا بل دخولا معنويا كدخول النفس فى البدن و كذا حكم النار و قد علمت أن منزله الجنه و النار من هذا العالم منزله الجنين من الرحم فما لم تبطل الدنيا لم ينكشف الأخرى و ما لم ينهدم بناء الظاهر لم يعمر بناء الباطن و إما أن يكون المراد منها حكم المظاهر الرقائق و النشآت النسبيه للجنه و النار ألا ترى أن المرآه مظهر للصور الحسيه- و ليست الصوره موجوده فيها فكذلك بعض مواضع الدنيا مظهر للجنه و النار فكما أن ما بين قبر الرسول ص و منبره روضه من رياض الجنه أى مظهر يظهر بها لمن كان من أهل الكشف و الشهود روضه من أهل الجنه كمرآه تشاهد النفس بها صوره من الصور المحسوسه- التى قابلتها فكذلك بعض المواضع المذكوره بمنزله المرائى المنكشفه بها أحوال الجنه أو النار كجدار مسجد الرسول ص الذى تمثل له الجنه و النار و كماء الفرات و عين فى جبل أروند و كوادى برهوت و غير ذلك من مواضع الأرض و كذلك البحر الواقع فى حديث لا- يركبن رجل بحرا فالمراد بكون الجنه أو النار فى هذه المواضع أنها صارت مجالى و مظاهر ينكشف بها مثال أحدهما و أما ما يروى من قول أمير المؤمنين ع مع اليهودى و تصديقه ع إياه فى أن موضع النار فى البحر فليس المراد من البحر هذا البحر المحسوس بل شىء آخر معنوى غير محسوس بهذه الحواس المشار إليه فى قوله تعالى وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ و كذا المنقول عن ابن عباس و كعب الأحبار من أن النار سبعة أبحر أو تحت سبعة أبحر ليس المراد منه بحار الدنيا و إنما المراد منها طبقات عالم الطبيعه بحسب الجوهر و الحقيقه فإن الطبيعه فى الحقيقه نار غير محسوسه محرقه للأجسام مذيبيه للأبدان محلله مبدله للجلود

فصل (٢٥) فى الإشارة إلى مظاهر الجنة و النار و مشاهدتهما

اعلم أن لكل ماهية من الماهيات الحقيقية و معنى من المعانى الأصولية حقيقته كليه- و مثلاً جزئيه و مظاهر جسمانيه فى هذا العالم فالإنسان مثلاً له حقيقته كليه هى الإنسان العقلى الجامع لجميع رقائقه و خصوصياته على وجه أعلى و أشرف و هو الروح المنسوب إلى الله فى قوله تعالى وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي* و له أمثله جزئيه كزبد و عمرو له مظاهر و مشاهد كالمرايا و الأجسام الصقيله فكذلك للجنة حقيقته كليه هى روح العالم- و مظهر اسم الرحمن كما فى قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا و لها مثال كلى كالعرش الأعظم(١) مستوى الرحمن لقوله الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى و أمثله جزئيه كقلوب المؤمنين قلب المؤمن عرش الله و لها مظاهر حسيه كما وقع فى الأخبار المذكوره من عين أروند و غيرها و كذا النار لها حقيقته كليه جامعها لأفرادها و هى البعد عن جوار الله و رحمته بحسب اسمه الجبار المنتقم القهار و لها نشأه مثاليه كليه هى طبقات سبعه تحت الكرسي و الكرسي موضع القدمين تغترقان [تفترقان] بعده قدم الجبار و هى لأهل النار و قدم صدق عند ربك و هى لأهل الجنة و فيه أصول السدر(٢) التى هى شجره الزقوم طعام الأثيم و هناك منتهى أعمال الفجار و المنافقين و لها أمثله جزئيه و هى طبيعه كل

١- أى العقل الكلى و قلب الإنسان الكامل و أما حقيقتها الكليه و روح العالم و مستوى الرحمن فهى الوجود المنبسط المسمى بالرحمه الواسعه الرحمانيه أو حقيقتها جنة الذات و الصفات و ليس المراد بالعرش الأعظم الفلك الأطلس لأنه مظهر الجنة لا مثالها، س ره

٢- أى منبت أصل شجره الزقوم أصل السدره لكنهما متعاكسان فإن الأغصان و الفروع و الأوراق للسدره تتساعد إلى فوق و هى فى شجره الزقوم تتنازل إلى تحت و كونهما فيه قد سبق وجهه من أن المدارك الجزئيه تصرفها إلى هناك فالصور المأخوذه بها منشأ الوصول إليهما بل هى من مراتبهما و هناك منتهى أعمال الفجره و الكفره و أما أعمال البرره و الخيره و علومهم فترتقى إلى عليين بل إليه يصعد الكلم الطيب، س ره

فرد من الناس معذب لعذابه الجسماني و نفسه و هواه لعذابه الروحاني و لها مظاهر و مجالي حسيه في هذا العالم كما ورد في الأخبار من وادي برهوت و غيره و لكل من الجنة و النار - أبواب كما سنشير إليه

فصل (٢٦) في أبواب الجنة و النار

اشاره

أبواب الجنان هي المشار إليها في القرآن بقوله سبحانه وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ و قوله لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ و قوله جَنَّاتٍ عَظِيمٍ مَفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و أبواب النيران هي المشار إليها بقوله فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا* و قوله حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا و قوله لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.

و اعلم أنه وقع الاختلاف في تعيين هذه الأبواب ف قيل هي المدارك السبعة للإنسان - و هي الحواس الخمس و الحاستان الباطنتان أعني الخيال و الوهم أحدهما مدرك (١) الصور و ثانيهما مدرك المعاني الجزئية و هذه الأبواب كما أنها أبواب دخول النيران - كذلك هي أبواب دخول الجنان إذا استعملها الإنسان في الطاعات و لاقتناء الخيرات و لا نتراع معاني الكليات من المحسوسات و الجزئيات و بالجملة استعملها فيما خلقت لأجله و للجنة باب ثامن مختص بها هو باب القلب و قيل هي الأعضاء السبعة التي وقع التكليف بها و قيل هي الأخلاق السيئة مثل الحسد و البخل و التكبر و غيرها للنار و مقابلاتها من الأخلاق الحسنه كالعلم و الكرم و الشجاعه و غيرها للجنة و لا يبعد أن

١- إن قلت الخيال حافظ لا مدرك قلت نعم لكن المراد بالخيال الحس المشترك - إلا أنه لما أريد وجهه الداخلي إذ مر أنه كمرآة ذات وجهين أطلق عليه الخيال لأنه بهذا الوجه يدرك محفوظات الخيال و لا يقال الحس المشترك لئلا يتوهم وجهه الخارجي، س ره

يكون للصفات السيئه سبعة مواضع لكل منها شعب كثيره و كذا للصفات الحسنه يكون ثمانية مجامع تحت كل منها أصناف كثيره كما هي المذكوره فى كتب الأخلاق و القول الأول أولى و أوفق فإن كلا من المشاعر السبعة باب إلى الشهوات الدنياويه التى ستصير نيرانات محرقه و هيئات معذبه للنفوس فى الآخره و هي أيضا إذا استعملت فى طريق الخير أبواب إلى إدراك الحقائق و المعارف و فعل الحسنات التى بها يثاب فى العاقبه و يصعد إلى الملكوت و يدخل فى الجنه مع زمره الملائكه و بالجملة لكل من هذه المشاعر و المدارك باطن و ظاهر باطنه فيه الرحمه و ظاهره من قبله العذاب فظواهرها أبواب مفتوحه إلى عالم الجحيم أو إلى ما به استحقاقه الدخول فى الجحيم و بواطنها أبواب مفتوحه إلى عالم الجنان أو إلى ما به استحقاقه دخولها و إذ غلقت أبواب النيران فتحت أبواب الجنان بل هي على شكل الباب الذى إذا فتح على موضع انسد عن موضع آخر فعين غلق أبواب إحداهما عين فتحت أبواب الأخرى إلا باب القلب و هو الباب الثامن فإنه مغلق دائما على أهل الحجاب الكلى و الكفر و هو مختص بأهل الجنه من جهة الإيمان و المعرفه و لا يفتح أبدا لأصحاب النار لأنهم المختوم على قلوبهم فى الأزل لقوله تعالى خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ و قوله فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ و ليس للنار دخول أو تصرف (١) فى القلوب و الأفئده و إنما لضرب منها اطلاع على القلوب لا دخول فيها لعل ذلك الباب عليها كغلق باب الجنان على الكفار فما ذكر الله من أبواب السبعة يدخل فيها الإنس و الجان و أما الباب الثامن المغلق الذى لا يدخل فيه أهل الكفر و الاحتجاب فباطنه محل الإيمان و العبوديه-

و فى الحديث: التراب لا يأكل محل الإيمان

و هو أى باطنه سعيد فى الدنيا و الآخره- ليس للعذاب و الشقاء فيه مدخل فالقلب كالجنه حفت بالمكاره و باطنه فيه الرحمه- و ظاهره فيه العذاب و هي النار التى تطلع على الأفئده و أما منازل جهنم و دركاتهم

١- أى ما بالفعل منهما و إنما لضرب من النار كثار الطبيعه و نيران الأعمال السيئه فى الدنيا لهيب و صوله على عقل بسيط من غير دخول و احتراق لأنها فى واد و هو فى واد آخر و هذه طوار لا- تحدث فيه ثلمه و عوار لا تصادم ملكه و إن أوجبت تعطلا فى البرزخيات، س ره

و خوخاتها(١) فعلى قياس ما يذكر فى الجنان من المنازل و الدرجات و الرواشن على سبيل المقابلة و أما أسماء أبوابها السبعة فهى باعتبار الإضافة إلى منازلها كباب جهنم و باب الجحيم و باب السعير و باب اللظى و باب السقر و باب الحطمه و باب السجين و الباب الثامن المغلق لا يفتح فهو الحجاب و السد و أما خوخات النار فهى شعب الكفر و الفسوق - و كذا خوخات الجنة هى شعب الإيمان و الطاعة فمن عمل من خير فهو يراه فى الآخرة و من عمل من شر فقد يراه و قد يعفى عنه

تبصره و تذكره:

اعلم أن باطن الإنسان فى الدنيا هو ظاهره فى الآخرة - و ما دام الإنسان فى هذا العالم تكون الآخرة عالم الغيب بالقياس إليه و إذا انتقل من الدنيا إلى الأخرى يصير ذلك العالم عالم الشهادة بالقياس إليه و إطلاق أبواب الجنان على هذه المشاعر الظاهره من باب(٢) التوسع ليس على سبيل الحقيقة لأن باب الدار و باب البلد ما إذا فتح فتح إليها بلا حجاب و لا بد أن يكون باب كل مدينه من جنسها و باب كل شىء من جنسه و هذه الحواس ليست كذلك - و التى تفتح إلى الجنة ما هى إلا - الحواس المحشوره مع النفس الباقية ببقائها فى الآخرة - و قد علمت أن للنفس فى ذاتها سمعا و بصرا و شما و ذوقا و لمسا و تذكرا و تصرفا و يدا روحانيه و رجلا كذلك فلها عين باصره ناظره إلى ربها و أذن سامعه تسمع آيات الله و كلمات الملائكه و أصوات طيور الجنة و نغماتها و تسبيحات الأشياء و شم تشم به روائح الإنس و نساءم القدس و ذوق تذوق به طعوم الجنة و فواكه مما يشتهون و لمس تلمس به حور العين و هى المشاعر الروحانيه(٣) و الحواس الباطنه و هى مع محسوساتها من أهل الجنة إن لم يسدها ساد و لم يحجبها حجاب و أما هذه الحواس و هى و مدركاتها أمور

١- بفتح الأول أى روازنها التى من كل دركه إلى أخرى و هى لأن السيئه تجر إلى السيئه كما أن الحسنه تجر إلى الحسنه، س
ره

٢- أى إذا أخذت هذه المشاعر مقيدة بهذه أو بشرط لا بالنسبه إلى المشاعر الأخرى و أما إذا أخذت لا بشرط أو بشرط شىء كالجسد مع الروح فلا، س ره

٣- و قد مر فى مباحث النفس أمثلتها فى مشاعر النبى ص فتذكر، س ره

مستحيله زائله دائره كائنه فاسده منشأ العذاب الأليم و الحجاب العظيم و تؤدي بالإنسان إلى الهاويه و يحترق بنار الجحيم فكل نفس تتبع الهوى و يسخرها الشهوه و يستخدمها الشيطان و يستعبدها كما قال تعالى أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فَتَصِيرُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذْ قَدْ صَارَ كُلٌّ مِنْ مَشَاعِرِهِ السَّبْعَ سَبِيًّا مِنْ أَسْبَابٍ بَعْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَلَكُوتِهِ وَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ طَاعَتِهِ لِلْهَوَى - و انقياده للشهوه و عدوله عن طريق الهدى و سنن الحق و وقوعه فى المهوى فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا - تَذَكَّرُونَ و يكون حاله و ماله كما أفصح الله عنه بقوله تعالى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى فظهر أن كل مشعر من هذه المشاعر باب من أبواب الجحيم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم و أما إذا تنور القلب بنور المعرفة و الإيمان و خرج من القوه إلى الفعل بالرياضة و العبادة و الطهارة - عن وسخ المعاصى و درن الشهوات كالحديد إذا أذيب بالنار و ذهب بها درنه و خبثه و اتخذت منه مرآته مصيقله صار كعين صحيحة استنارت بنور الملكوت الأعلى فيطالع بكل مشعر من مشاعره آيه من آيات ربه الكبرى و بابا من أبواب معرفه ربه الأعلى فينتزع من صورها المحسوسه الجزئيه معانى معقوله كليه و يفهم منه أسرار إلهيه يقف عليها و يدخل جنه المقربين و يستعد بها للسعاده القصوى و مجاوره الرحمن فى مقعد صدق عند مليك مقتدر و هذا بخلاف حال أهل الهوى و الجهالة المشتغلين بشهوات الدنيا المعرضين عن الآخرة و عن سماع آيات الله مصرين مستكبرين كما قال تعالى يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ... كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعِيدَابٍ أَلِيمٍ فغلقت عليهم الأبواب و سدت عليهم الطرق إلا طريق جهنم خالدين فيها قال سبحانه فى حقهم وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ إشاره إلى أن ليس لهم درجه قوه نظريه - تنفتح بابها لا يدراك العلوم الإلهيه ليكونوا من أهل القرب و المنزله عند الله و لا أيضا لهم قلب سليم و أذن واعيه لها باب مفتوح إلى تلقى السمعيات و المواعظ و الخطابات ليكونوا من أهل السلامه من عذاب الآخرة فلا جرم حالهم فى الآخرة كما اعترفوا به حين لم ينفعهم الاعتراف قالوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَأَعْتَرَفُوا

يَذُنُّهُمْ فَسِيْحًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ فقد وضح و انكشف أن جميع هذه المشاعر الثمانية تصلح لأن تصير أبواب الجنان في حق من يصرفها فيما خلقها الله لأجله كما قال وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَ منها أبواب جهنم في حق من صرفها في طاعه الهوى و شهوات الدنيا كقوله تعالى فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا- فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ.

فإن قلت باب الدار يشبه الدار و الجنة و النار داران متخالفتان في جوهر الحقيقة و نحو الوجود فكيف يصح أن تكون المشاعر الإنسانية بعينها أبواب الجنة و أبواب النار.

قلنا السمع و البصر و غيرهما التي لأهل السعادة و الهدى مباينة بالحقيقة و النوع عندنا للتي لأهل الشقاوة و الهوى و إن وقع الاشتراك بينهما في أصل الإحساس و الشعور- فإن مدارك أهل السعادة و مرآئهم مطهره عن رجس الهيولى منوره بنور المعرفة و التقوى- و مدارك الأشقياء المدبرين و المردودين إلى أسفل سافلين مغشاه بغشاوه الطبع مظلمه بظلمات الجهل و الهوى و بالجملة السمع و البصر و الفؤاد التي لأولئك الأصحاب و أولى الألباب- قد وقع لها التبديل الأخرى و التحويل الإلهي الذي به تستأهل لأن تكون من أبواب الجنة التي هي دار الحسنات و منزل الخيرات و أما السمع و البصر و الفؤاد التي لأصحاب النار و الأشقياء الفجار فصارت أنحس مما كانت و أظلم و أنجس فناسبت لأن تكون مداخل و أبوابا لدار الظلمات و معدن البوار و النكال و العذاب.

مكاشفه تنبيهه:

اعلم هداك الله لسلوك سبيل الآخرة على الصراط المستقيم أن الجنة التي يصل إليها من هو من أهلها هي مشهوده لك اليوم من حيث محلها (١) لا- من حيث صورتها و أنت تتقلب فيها على الحال التي أنت عليها و لا تعلم أنك فيها فإن الصورة الطبيعية تمنعك و تحجبك عن مشاهدتها و مشاهد ما أعدت فيها من نعيمها و غرفاتها و أشجارها و أنهارها و طعامها و شرابها فأهل الكشف الذين أدركوا ما غاب عنهم يرون ذلك المحل و يرون من كان في روضه خضراء و إن كان جهنميا يرونه بحسب ما يكون فيه من لغوب و نصب من حرورها و زمهريرها و نيرانها و لهبها و حياتها

و عقاربها و حميمها و زقومها و من لم يكن من أهل الكشف و البصيره و بقى فى عماء حجابها لا يدرك ذلك مثل الأعمى يكون فى بستان فما هو غائب عنه بذاته و لكن لا يراه و لم يلزم من كونه لا يراه أن لا يكون فيه و كذلك أكثر أهل الجنة فى الجنة الآن و لكن لا يرونها و هم يتقلبون فيها و كذلك أصحاب النار فى النار و قد أحاط بهم سرادقها و هم لا يشعرون كما نبه الله عليه بقوله إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ* و بقوله جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا و بقوله

فى حديثه القدسى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت الحديث

و قد علمت أن جنة المؤمن أو جحيم الكافر ليست بأمر خارج عن نفسه فإذا كانت معدة اليوم كانت متصله بها و إن كان هو فى حجاب عنها- لأن الله قد يحول بين المرء و قلبه فكيف بينه و بين نعيم قلبه أو جحيمه و من الناس من يستصحبه هذا الكشف و منهم من لا يستصحبه و هو قد يكون أرفع حالا منه لحكمه أخفاها الله فى خلقه فلاهل الله أعين يبصرون بها و آذان يسمعون بها و قلوب يعقلون بها و هى غير هذه الأعين و الآذان و القلوب كما علمت آنفا و أهل الكفر و الحجاب صم بكم عمى- فهم لا يعقلون عن الله فهم لا يرجعون إلى الله

فصل (٢٧) فى تتمه الاستبصار فى بيان حقيقه أحوال الجنة و النار

قد علمت أن النشأ الآخرة نشأه متوسطه بين المجردات العقليه و بين الجسمانيات الماديه

و كل ما فيها صور محسوسه مدركه بقوه نفسانيه هى خيال فى هذا العالم و حس فى ذلك العالم و الإنسان إذا مات و تجرد عن هذا البدن الطبيعى قامت قيامته الصغرى و حشر أولا إلى عالم البرزخ ثم إلى الجنة و النار عند القيامة الكبرى و الفرق بين الصور التى يراها و يكون عليها الإنسان فى البرزخ و التى يشاهدها و يكون عليها فى الجنة و النار عند القيامة الكبرى أنما يكون بالشده و الضعف و الكمال و النقص إذ كل منها صور إدراكيه جزئيه غير ماديه إلا أنها مشهوده فى عالم البرزخ بعين الخيال- و فى عالم الجنان بعين الحس لكن عين الحس الأخرى ليس غير عين الخيال بخلاف

الحس الدنيوى المنقسم بخمس قوى فى خمسة مواضع من البدن مختلفه فموضع البصر هو العين و موضع السمع هو الأذن و موضع الذوق هو اللسان و لا يمكن أيضا أن يفعل كل منها فعل صاحبه فالبصر لا يسمع و السمع لا يبصر و هما لا يذوقان و لا يشمان و على هذا القياس فى الجميع- فإن قلت باصره العين و لامستها فى موضع واحد- قلنا ليس كذلك بل الباصره فى الجليديه و لامسه العين فى القرنيه و أما حواس الآخره فجميعها فى موضع واحد غير متغاير فى الوضع و الجبهه و كل منها يفعل فعل(١) صاحبه و نسبه الصور البرزخيه إلى الصور التى فى القيامة الكبرى كنسبه الطفل أو الجنين إلى البالغ.

قال صاحب الفتوحات المكيه [فى حقيقه الموت]

فى الباب الخامس و الخمسين و ثلاثائه منها و الموت بين الشأتين حاله برزخيه تعمر الأرواح فيها أجسادا برزخيه خياليه مثل ما عمرتها فى النوم و هى أجساد(٢) متولده عن هذه الأجسام الترايبه فإن الخيال قوه من قواها ثم قال و من مات فقد قامت قيامته و هى القيامة الجزئيه فإذا فهمت القيامة الجزئيه فقد فهمت القيامة العامه لكل ميت كان عليها فإن مدته البرزخ من النشأ الآخره بمنزله حمل المرأة الجنين فى بطنها ينشئه الله نشأ بعد(٣) نشء فتختلف عليه أطوار النشئات إلى أن يولد يوم القيامة فلهذا قيل فى الميت إذا مات فقد قامت قيامته أى ابتدأ فيه ظهور النشأ الأخرى فى البرزخ إلى يوم البعث من البرزخ كما يبعث من البطن إلى الأرض

-
- ١- قد ذكرنا فى موضع آخر أنه لما كانت العوالم متطابقه كانت المشاعر العشره موجوده فى قالبك المثالى و لما كان ذلك العالم مجردا تجردا برزخيا و أكمل و أجمع من هذا العالم كان فى كل منها الكل فيحصل من ضرب العشره فى نفسها مائه و من ضرب المائه فى العشره العقليه ألف قوه، س ره
 - ٢- و ذلك لأن النفس جسمانيه الحدود روحانيه البقاء فتتحرك بالحركه الجوهرية عن الجسميه الطبيعیه إلى الجسميه البرزخيه و وجه النفس أصل محفوظ فيهما، س ره
 - ٣- أى يشتد وجود الصورة شده بعد شده حتى تصير الصورة البرزخيه أخرويه، س ره

بالولادة فتدبر نشأه بدنه في (١) الأرض زمان كونه في البرزخ تسويه و تعدله على غير مثال سبق مما ينبغي للدار الآخرة.

و قال في الباب الرابع و السبعين و ثلاثمائة و اعلم أن الحق لم يزل في الدنيا متجليا للقلوب فيتنوع الخواطر لتجليه و أن تنوع الخواطر في الإنسان عين التجلي الإلهي من حيث لا يشعر بذلك إلا أهل الله كما أنهم يعلمون أن اختلاف الصور الظاهره في الدنيا و الآخرة في جميع الموجودات ليس غير تنوع التجلي فهو الظاهر إذ هو (٢) عين كل شئ و في الآخرة يكون باطن الإنسان ثابتا فإنه عين ظاهر صورته (٣) في الدنيا و التبديل فيه خفي و هو خلقه الجديد في كل آن الذي هم فيه في لبس و في الآخرة يكون ظاهره مثل باطنه في الدنيا- و يكون التجلي الإلهي دائما بالفعل فيتنوع ظاهره في الآخرة كما يتنوع باطنه في الدنيا- في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي ينصبغ بها انصبغا فذلك هو التضاهي (٤) الإلهي الخيالي غير أنه في الآخرة ظاهر و في الدنيا باطن فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة انتهى.

و اعلم أنه قد اتفق في هذا العالم لبعض الكاملين كالأنبياء و الأولياء أو لغيرهم من الكهنة و المجانين و المبرسمين فمن قويت قوه خياله أو ضعفت قوه حسه أن يرى بعين الخيال شيئا مشاهدا محسوسا كما يشاهد سائر المحسوسات فكثيرا ما يشتبه عليه الأمر و يزعم أن ما رآه موجود في الخارج فيغلط و جميع ما يراه الإنسان يوم القيامة يراه بعين الخيال و هي موجوده في تلك الدار معتبره باقيه فيها لأنها موطن تلك الصور و إنما لم يعتبر وجود ما يرى بعين الخيال هاهنا من المقامات و غيرها لعدم بقائها و وقوع الحجاب عنها بعد أقصر مده فلا تعويل عليها هاهنا لزوالها عن المشاهده سريعا إذ ليس هذا العالم

١- أي بدنه الذي كان في الأرض بحسب الصورة، س ره

٢- أي بحسب الوجود و غيره بحسب الماهيه كما في طريقه ذوق المتألهين، س ره

٣- أي ينزل منزله فإن الباطن يصير ظاهرا، س ره

٤- هذه المضاهاه لأنه كما أنه كل آن في شأن كذلك الخيال كل آن في شأن- لتفنن الخواطر، س ره

موطن وجودها فبالموت يرفع الحجاب بالكلية فيدوم مشاهدته عين الخيال و تلك الصور المشهوده للنفس قد علمت أنها ليست خارجه عن ذاتها بل عينها فالأجساد فى الآخره- و فى عالم الخيال عين الأرواح و هذا معنى تجسد المعانى و تجسد الأرواح و هى لا تكون إلا فى ذلك العالم و أما فى هذا العالم فالأرواح تتعلق بهذه الأجساد لا أنها تتجسد و كذلك الأجساد فى الآخره تروحن و فى الدنيا لا تكون كذلك.

قال فى الباب الثالث و السبعين و ثلاثمائه و فيه علم تجسد(١) الأرواح فى صوره الأجسام الطبيعى هل عين ذلك الروح هو عين الصورة التى ظهر فيها أو هو ذلك فى عين الرائي كزرقة السماء أو هل الروح لتلك الصورة كالروح للجسم أعنى النفس الناطقه و تلك الصورة صورته حقيقه لها وجود عيني كسائر الصور الحقيقه و هذه مسأله أغفلها كثير من الناس بل كلهم و إنهم قنعوا(٢) بما ظهر لهم من صور الأرواح المتجسده- فلو تروحوها فى نفوسهم(٣) و حكموا بالصورة على أجسامهم و تبدلت أشكالهم و صورهم فى عين من يراهم علموا عند ذلك تجسد الأرواح لما ذا يرجع فإنه علم ذوق لا علم نظر فكري

١- المراد به مثل ما يظهر روح الأستاذ للتلميذ بصورته بعد موته أو روح آخر بصورته ملقيا عليه مسأله أو منذرا له فى سوء سلوك إلى غير ذلك فهل الروح تمثل بصوره مثاليه هى عين ذلك الروح بلا تجاف عن مقامه المعنوى أو لا حقيقه لذلك التصوير كزرقة السماء أو صورته طبيعى و هى مراده من الصورة الحقيقه و الحق هو الأول، س ره

٢- أى السلاك منهم قنعوا به لأنه أمر غريب فحجبوا عن التحقيق بالابتهاج به- فكيف حال من ليس من أهل الكشف الصورى و قد ذكرنا فى موضع آخر أن درجه العمل غير درجه العلم و التحقيق و درجه الجمع مقام آخر فالعامل شأنه أن يشاهد لعمله و رياضته شيئا ليزداد فى رغبته و سلوكه و أما أنه ما هو و هل هو و لم هو و أين هو فعلى العارف المحقق و الحكيم المحدث و الجمع نادر، س ره

٣- أى لو كانت روحانيتهم قويه بحيث كان لهم التحكم و التسلط بقاھريه صورهم المنشأ لخيالهم و لنفسهم المتصرفه و انقھار صورتهم الطبيعى بحيث يكون كالهولى لصور تنشأ من النفس كالجن المتشكل بالأشكال المختلفه لعلوا أن تجسد الأرواح هكذا، س ره

و قد بينا أن كل صوره تحدث فى العالم فلا بد لها من روح يدبره من الروح الكل المنفوخ منه فى الصوره و من علم أن الصوره المتجسده (١) فى الأرواح إذا قتلت إن كانت حيوانا أو قطعت إن كانت نباتا أنها تنتقل إلى البرزخ و لا بد كما تنتقل نحن بالموت و أنها إن أدركت (٢) بعد ذلك إنما يدرك كما يدرك كل ميت من الحيوان إنسان أو غير إنسان فمن هاهنا (٣) أيضا إذ وقفت على علته هذا علمت صور الأرواح المتجسده لما ذا يرجع انتهى.

و قال فى الباب الحادى و الثمانين و ثلاثمائة فاعلم أن هذه المقامات المذكوره لا تدرك إلا بعين الخيال لا بعين الحس إذا شوهدت فإن صورها إذا مثلها الله فيما شاء أن يمثلها متخيله فنراها أشخاصا رأى العين كما نرى المعانى بعين البصيره فإن الله إذ قلل الكثير أو كثر القليل فما نراه إلا بعين الخيال (٤) لا بعين الحس و هو البصر فى الحالىن كما قال و إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَ قَالَ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ ما كانوا مثلهم فى الحس فلو لم يرههم بعين الخيال كانت الكثره فى القليل كذبا و لكان الذى يريه غير صادق فيما أراه إياك و إن كان الذى أراك ذلك أراكه بعين الخيال كانت الكثره فى القليل حقا و القله فى الكثير حقا لأنه حق فى الخيال و ليس بحق فى الحس قال و هكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه فى الخارج ما تراه إلا بعين الخيال

-
- ١- أى الطبيعه إذا فسدت مع أن الأرواح باقيه مصوره متجسده لحقيه المعاد الجسمانى فتشبح الأرواح تشبها مثاليا معلوم حينئذ فتشبح الأرواح للسلاك و غيرهم أيضا محقق، س ره
 - ٢- أى الميت بنحو خاص كالقتل و القطع تدرك كما تدرك كل ميت بصورته المثاليه- و الكاف للتعليل كقوله تعالى و اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ الْحَاصِلُ أَنَّ هَذَا الْجَزْئِيَّ تَحْتَ هَذَا الْكُلِّيِّ، س ره
 - ٣- هذا جواب من علم و الشيخ لما كان من الواغليين فى التوحيد كان ضمير الخطاب فى وقفت و علمت كضمير الغيبه راجعا إلى كلمه من و رابطة بها مع أنك داخل فى عموم من علم، س ره
 - ٤- أى الزائد مثلا- و أما المزيد عليه فبعين الحس نظير ثانى ما يبصره الأحوال على قول بعض الإشراقيه إنه فى عالم المثال و السبب فى قوه النفس الاتصال بقوه ربانيه- و الحقيقه المحمديه و فى الطرف الآخر خاصيته الوجود، س ره

و لا تعقل عن مثل هذا العلم و فرق بين الأعين و اعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوه إلهيه - يعطيها الله من يشاء من عباده أ لا ترى الصحابه لو دققوا النظر الصحيح حقه و أعطوا المراتب حقها لم يقولوا فى جبرئيل (١) إنه دحيه الكلبى لقالوا إن لم يكن روحانيا أو معنى تجسد و إلا - فهو دحيه الكلبى أدر كناه بالعين الحسى فلم يحرروا و لا أعطوا الأمر الإلهى حقه فهم الصادقون الذين ما صدقوا فقال لهم رسول الله ص هو جبرئيل - فحيث عرفوا ما رأوه كما قالوا فيه لما تمثل لهم فى صورته أعرابى مجهول عندهم حين جاء فعلم الناس دينهم فقال رسول الله ص أ تدرون ما السائل فقالوا الله و رسوله أعلم - لكونه ظهر فى صورته مجهوله عندهم فقال لهم هذا جبرئيل ثم قال و ما فى الكون أعظم شبهه من التباس (٢) الخيال بالحس فإن الإنسان إن تمكن فى هذا النظر شك فى العلوم الضرورىه و إن لم يتمكن أنزل بعض الأمور غير منزله فإذا أعطاه الله قوه التفصيل أبان له عن الأمور إذا رآها رأى عين فيعلم ما هى إذا علم العين التى رآها به من نفسه فأكرم على أهل الله هذا و كثير من أهل الله من لا يجعل (٣) باله لما ذكرناه و لو لا علمه

- ١- فإن جبرئيل له حقيقه هى العقل الفعال كما قال ص رأيت و قد طبق الخافقين به يخرج كل العقول الصاعده فى السلسله العرضيه من النقص إلى الكمال - و له رقيقه هى صورته صرفه بلا ماده ناقصه ظلمانيه تشبه أصبح أهل زمان كل نبى و كان دحيه أصبح أهل زمان نبينا ص و كان يقول حين سئل إنه بمن يشبه أنه يشبه دحيه فلم يفهموا المراد و قالوا إنه دحيه و الحال أن الصوره جبرئيل رقيقه الحقيقه - و حامله معناه نازله من سماء العقول على الرسول، س ره
- ٢- أى الخيال القوى فإن تمكن أى احتمال أن يكون المحسوس مرئيا بعين الخيال شك فى المحسوسات الضرورىه و إلا أنزل الشئ غير منزله أى حكم بأن المحسوسات بعين الخيال للأصحاء أو المرضى أو الكاملين موجودات طبيعیه و ظلمانيه لا نورانيه رقائق الحقائق و من أعطاه الله قوه متميزه حقق الأمر و نقده، س ره
- ٣- فى بعض النسخ لا يجبل بالباء الموحده أى غير مجبول البال للتمييز بين المتخيل القوى و المحسوس و لو لا علمه بنومه أى لو كان دائما فى النوم لما حكم بأن ما يراه فى النوم خيال فكم يرى فى اليقظه مثل ما يرى فى النوم من الملذات أو المؤلمات و لا فرق بينهما فى الوجود و التعين، س ره

بنومه و أنه رآه في حال نومه ما قال إنه خيال فكم كان يرى في حال اليقظه مثل هذا- و يقول إنه رأى محسوسا بحسه قال و هذا باب واسع المجال و هو عند علماء الرسوم غير معتبر و لا عند الحكماء الذين يزعمون أنهم قد علموا الحكمه و قد نقصهم علم شموخ هذه المرتبه على سائر المراتب و لا قدرها عندهم فلا يعرف قدرها و لا قوه سلطانها إلا الله- ثم أهله من نبي أو ولي و العلم بها أول مقامات النبوه قال و ما أحسن تنبيه الله عباده من أولى الألباب و أهل الاعتبار إذ قال هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ فَمَنْ الْأَرْحَامِ مَا يَكُونُ خِيَالًا- فيصور فيه المتخيلات كيف يشاء عن نكاح معنوى و حمل معنوى يفتح الله في ذلك الرحم المعانى فى أى صوره ما شاء ركبها فركب الإسلام فيه و القرآن سمنا و عسلا و القيد ثباتا فى الدين و الدين قميصا سابغا و العلم لبنا و قال فى هذا الباب أيضا و اعلم أن فى حضره الخيال فى الدنيا يكون الحق محل تكوين(١) العبد فلا يخطر له خاطر فى أمر ما إلا و الحق يكونه فى هذه الحضره- كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما شاء منها فمشيه العبد فى هذه الحضره من مشيه الحق- العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد فى الدنيا و يقع بعض ما يشاء العبد فى الدنيا فى الحس و أما فى الخيال فكمشيه الحق فى النفوذ فالحق مع العبد فى هذه الحضره على كل حال ما يشاءه العبد كما هو فى الآخره فى حكم عموم المشيه لأن باطن الإنسان هو ظاهره فى الآخره فلذلك يتكون عن مشيته كل شىء إذا اشتهاه- فالحق فى تصريف الإنسان فى هذه الحضره فى الدنيا و فى شهوته فى الآخره لا فى الدنيا حسا فالحق تابع(٢) فى هذه الحضره و فى الآخره لشهوه العبد كما هو العبد فى مشيته

١- أراد المحل الصدورى أو أراد أن الحق بوجوده الظهورى و مشيته الفعلية محل تعيينات خواطر العبد فإن التعينات عوارض الوجود، س ره

٢- إذا كانت إرادته العبد تابعه فى الدنيا لإرادته الحق و مستهلكه فيها و إرادته أوامره بوجه كما أن كرامته نواهيته بحيث لم يبق له من نفسه إرادته و هوى يتبع إرادته الله لإرادته فى الآخره فى كل ما يشاء و يختار نقل أنه وقع الطوفان على أهل سفينه فى البحر فالتجئوا إلى من هو من أهل الله فيها فنادى إلى الله فقال إني تركت دهرًا ما أريد لما تريد فاترك ساعه ما تريد لما أريد فسكن البحر على أن الشيخ بين التابعيه بمراقبه الحق للعبد ليوجد إلخ، س ره

تحت مشيه الحق فما للحق شأن إلا مراقبه العبد ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا و كذلك في الآخرة و العبد يتبع الحق في صورته (١) التجلى فما يتجلى الحق له في صورته إلا- انصبع بها فهو يتحول في الصور لتحول الحق و الحق يتحول في الإيجاد لتحول مشيه العبد في هذه الحضرة الخياليه في الدنيا خاصه و في الآخرة في الجنه عموما و لنا خلق الله همما فعاله (٢) في الوجود الحسى و همما غير فعاله في الوجود الحسى ظهر بذلك التفاضل في جميع الأشياء حتى في الأسماء (٣) الإلهيه و الهمم الفعاله قد تفعل في همم غير أصحابها و قد لا يفعل مثل أنك لا تهدى من أحببت انتهى كلامه.

فتحقق و تبين من جميع ما ذكرناه و نقلناه أن الجنه الجسمانيه عبارته عن الصور الإدراكيه

القائمه بالنفس الخياليه مما تشتهيها النفس و تستلذها و لا ماده و لا مظهر لها إلا النفس و كذا فاعلمها و موجدتها القريب و هو هى لا غير و أن النفس الواحد من النفوس الإنسانيه مع ما تتصوره و تدركه من الصور بمنزله عالم عظيم نفسانى أعظم من هذا العالم الجسمانى بما فيه و أن كل ما يوجد فيها من الأشجار و الأنهار و الأبنيه و الغرفات كلها حيه بحياه ذاتيه و حياتها كلها حياه واحده هى حياه النفس التى تدركها و توجدتها- و إن أدركها للصور هو بعينه إيجادها لها لا أنها أدركتها فأوجدتها أو أوجدتها فأدركتها- كما فى أفعال المختارين منا فى هذا العالم حيث إنا نتخيل شيئا ملائما كالحركه أو الكتابه أولا فنفعله ثانيا ثم نتخيله بعد ما فعلناه بل أدركتها موجوده و أوجدتها مدركه بلا تقدم و تأخر و لا مغايره إذ الفعل و الإدراك هنا شىء واحد و أما دار جهنم فهى ليست كذلك

- ١- أى الصور التى ينشئها العبد فى نفسه مطابقه للصور الخارجيه التى هى تجليات الحق فينصبع نفسه بانصباغها، س ره
- ٢- هذا القول منه فى الفتوحات مثل قوله فى الفصوص كل إنسان يخلق فى قوه خياله ما لا وجود له إلا فيها و العارف يخلق بالهمه ما يكون له وجود فى خارج محل الهمه و قد مر فى مبحث الوجود الذهني من السفر الأول، س ره
- ٣- إذ منها العظيم و منها الأعظم و منها الأعظم بل التفاضل فى المظاهر من الظاهر فيها أعنى الأسماء منخست اين جنبش از حسن ازل خواست Z، س ره

لأنها ليست دارا روحانيه خالصه بل هي مكدره مشوبه بهذا العالم فكأنها هي (١) هذا العالم انساق إلى الآخرة بسائق القهرمان و زمام التسخير فالجهنمي يريد ما لا يجده - و يشتهي ما يضره و يفعل ما يكرهه و يختار ما يعذبه و يهرب عما يصحبه قائلا كما حكى الله عنه يا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبُئْسَ الْقَرِينُ و جميع مشتبهاته و مرغوباته عقاربه و حياته و بالجمله حقيقه جهنم و ما فيها هي حقيقه الدنيا و مشتبهاتها تصورت للنفوس الشقيه بصوره مؤلمه معذبه لها محرقه لأبدانها مذيبه للحوماها و شحومها مبدله لجلودها مشوهه لخلقتها مسوده لوجوهها ثم لما كانت (٢) الدار الآخرة دار لا- فاعل و لا مؤثر هناك إلا الحق سبحانه إذ الأسباب المتقابلة و العلل المتضاده مرتفعه و كذا الموانع و القواسر و الحجب منتفيه في ذلك العالم فلا مؤثر و لا مالک إلا هو الملك يومئذ لله فمن وافق رضاه القضاء الرباني و انخرطت إرادته في إرادة الله و استهلكت خيرته في خيره الله كما في قوله تعالى وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ كَانَ فَعْلُهُ بَعِينَهُ فَعَلَ الْحَقُّ وَ كُلٌّ مِنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ وَ بِهِجِهِ فَائِقَةٍ وَ لَذَّةٍ غَاشِيَةٍ فَالْمُؤْمِنُ لَا مُحَالَه فِي رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ أَبَدًا وَ قَدْ مَرَّ سَابِقًا أَنَّ مَشِيهَ الْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ - عَيْنُ مَشِيهِ الْحَقِّ تَعَالَى وَ وَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ صَادِرَةٌ عَنِ الْوَاجِبِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَ النِّظَامِ الْأَحْسَنِ وَ الْخَيْرِ الْأَعْلَى فَمَنْ اسْتَقَامَ قَلْبُهُ وَ سَلِمَتْ فِطْرَتُهُ عَنِ الْأَمْرَاضِ - وَ خَلَصَتْ ذَائِقَتُهُ عَنِ مَرَارِهِ الْمَعَاصِي وَ مَا تَغَيَّرَتْ عَنِ الْإِعْتِدَالِ وَ لَمْ تَزَلْ قَدَمُهُ عَنِ صَرَاطِ الْحَقِّ - رَضِيَ بِالْقَضَاءِ (٣) وَ حَصَلَ لَهُ مَقَامُ الرِّضَاءِ وَ الْعِبَادِيَةِ فَلَمْ يَشَأْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ

- ١- و ذلك لأن صور هذا العالم كانت مقصوده بالذات للجهنمي و الصور المثاليه التي في خياله و الكليه التي في عقله لو أمكنه إدراك الكلي كلها كانت في الدنيا مرائي لحاظ الموجودات الطبيعیه و الجزئيات الحادثه الدائره فأخرته دنياه بهذا المعنى - لا أنها الصور الدنياويه حقيقه لأنها ليست ماديه و لذا أتى بلفظ كان، س ره
- ٢- و كلما كان من الصور هناك فمعناها هنا موجوده إنما هي أعمالكم ترد إليكم فإذا كانت جميع ما هناك بإرادة الله و مراده فارض هنا بجميع مراداته و أوامره و امح هواك حتى تكون جميع ما هناك مرضيه لك، س ره
- ٣- و يقال العابدون يجهدون أن يرضى الله عنهم و العارفون يجهدون أن يرضوا عن الله و أن يرضوا بجميع ما قضى و قدر و يقال الرضا باب الله الأعظم، س ره

إلا خيرا وكمالا ونعمه و بهجه فكان فى نعمه و بهجه لا غاية فوقها و لا مزيد عليها إذ رأى رحمه الله وسعت كل شىء بل رأى فى كل شىء وجه الحق الباقي و رأى الخير المحض الحسن المطلق الذى هو مبدأ كل خير و كمال و منشأ كل حسن و جمال فيكون مبتهجا به و بكل شىء لأن كل شىء منه و به و إليه فيكون فى جنه عرضها السماوات و الأرض - و بهذا الوجه يسمى خازن الجنه الرضوان لأن من لم يبلغ إلى مقام الرضا لا يدخل الجنه و لا يصل إلى دار النعمه و الكرامه فهذه جنه المقربين و أما من لم يسلك سبيل أهل المعرفه و الإيمان و لم يخرج عن باب الدنيا و ملازمه الهوى قد مات و كان لم يزل محبوسا فى قيد الشهوات و سلسله التعلقات و من اتبع الهوى و الشهوه و هما ضدا للحكمه و العدل - و قامت السماوات و الأرض بالحكمه و العدل ففسد عليه عالم الوجود كما هو و ويل لمن فسد عليه العالم و خالف طبعه حكمه الكون و نظام الوجود فينتقم منه قيم العالم و جبار السماوات و الأرض لأنه عدو الله و عدو العالم و يكون حاله كما أفصح الله بقوله **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ** فيكون بالضروره ممنوعا عما اشتهاه محجوبا عما استدعاه هواه كما قال تعالى **وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ** لأن ما يشتهيهِ (١) و يطلبه أمور باطله و هميه مخالفه للحكمه و الحقيقه لكنه ما دام كونه فى الدنيا يلهيه شواغل الدنيا عن الشعور بفسادها و مخالفتها للحكمه و مضادتها للفطره - لخدع الطبعه و غفله النفس فإذا ارتفع الحجاب بالموت و انكشف الغطاء ظهر أنه واقع فى عقوبه من سخط الله و نار غضبه **أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ** و حيث اتبع الهوى أوقعه الهوى إلى الهاويه و هى البعد عن رحمه الله ممنوعا عن الخيرات - مقيدا بالسلاسل و الأغلال كما هو صفه العبيد و المماليك لأنه عبد الهوى و خدم الشهوه

١- فوهم الجاهل يشتهى أن يكون أحجار داره لئالى و يواقيت و أن لا- يصير كهلا و شيخا بل يبقى شابا على هيئته النسوان و المرد و نحو ذلك من الآمال الوهميه و حكمه الله تقتضى أن يكون اللئالى و اليواقيت عزيزه الوجود للأثمان و نحوها و التراب كثير الوجود للزراعات و الأبنيه و نحوها و أن يسافر الإنسان إلى الله و يصير قليل المبالاه بتعمير البدن و يخرب و أن يصير مستحکم الجرم متلزز اللحم ليتمكنه تحمل المشاق و يكون أبعد من الانفعالات، س ره

فملكته الشهوه و الهوى و أوقعته فى المهالك و المهوى و لهذا يسمى خازن الجحيم مالكا فقد تبين مما ذكرناه أن دار الجحيم و دار العذاب ليست بدار مستقلة و نشأه حقيقه و منزل حقيقى مباين لعالم الدنيا و عالم الجنان بل هى حاله ممتزجه و نشأه إضافيه منشؤها و مبدأ كونها هو جوهر الدنيا منتقلا إلى القيامة بنقل ملائكه العذاب لأجل الذنوب و المعاصى و التعلقات- فافهم هذه المسأله فإنها دقيقه غامضه قل من العرفاء(١) من يكاشف حقيقه الجحيم و قد انكشفت على كثير منهم حقيقه الجنه و ما فيها تأييد.

و مما يؤيد ما ذكرناه من أن جهنم ليست بدار حقيقه متأصله أنها صورته غضب الله كما أن الجنه صورته رحمه الله و قد ثبت أن رحمه الله ذاتيه واسعه كل شىء(٢) و الغضب عارضى و كذا الخيرات صادرة بالذات و الشرور واقعه(٣) بالعرض فعلى هذا القياس لا بد أن يكون الجنه موجوده بالذات و النار مقدره بالتبع

ذكر تنبيهي:

ذكر بعض العرفاء(٤) فى قوله تعالى فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أن النار قد تتخذ دواء لبعض الأمراض و هو الداء الذى لا يتقى إلا بالكى من النار كقوله تعالى فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ

- ١- و كثير منهم يقول بانقطاع العذاب و ما هو متقدم على هل هو و حقيقتها الشرور و النقائص و هى الأعدام و السلوب و مبدؤها الضلال و العصيان و الإضافات و كلها نقائص و فقدانات و التعلق بالدنيا الذى هو أقوى مبادئها إضافه و الدنيا ليست هذه الموجودات- التى هى بما هى وجودات خيرات و أنوار بل علوم الله و قواها جهات فاعليته و درجات مشيته و مقدمات معرفته و وسائل إلى حضرته بل الدنيا حدود هذه الوجودات و نقائصها و دثورها و زوالها و الإضافات الوهميه السرابيه، س ره
- ٢- مثل الكراهه إذ لا- شىء فى ملكه إلا- و هو متعلق رحمته الواسعه التى هى الوجود المنبسط و متعلق إرادته و إلا- لم يكن موجودا فإذا كان المعنى و الظاهر حالهما كذا كان الصورة و المظهر راجعين إلى العدم، س ره
- ٣- من أى فاعل كان كما فى قوله تعالى مَنْ يَعْْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ و قولهم مَنْ يَعْْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ و غير ذلك، س ره
- ٤- هو الشيخ محيى الدين العربى فى الباب السابع و الثمانين من الفتوحات المكيه، س ره

فقد جعل الله النار وقايه فى هذا الموطن من داء هو أشد من النار فى حق المبتلى به و أى داء أكبر من الكبائر فقد جعل الله لهم النار يوم القيامة دواء كالكى بالنار فدفع بدخولهم النار يوم القيامة داء عظيما أعظم من النار و هو غضب الله و لهذا يخرجون بعد ذلك من النار إلى الجنة كما جعل الله فى الحدود الدنياويه وقايه من عذاب الآخرة انتهى كلامه و فيه تأييد لما قلناه من أن جهنم ليست من حيث كونها دار العذاب مما له وجود حقيقى بل منشؤها وجود الضلال و العصيان فى النفوس حتى إنه لو لم يكن معصيه بنى آدم لما خلق الله النار.

و اعلم أن أهل العذاب هم الذين نفوسهم كانت مستعده لدرجه من درجات الجنان- ثم بطل استعدادهم بارتكاب المعاصى فحالهم كحال من انحرف مزاجه عن الاعتدال- اللائق به و عن الصحة التى له بحسبه فيكون فى ألم شديد حتى يرجع إلى الاعتدال- الذى كان له أو بطل استعداده بالكلية و انتقل مزاجه إلى مزاج وافقه تلك الحاله التى كانت مخالفه لمزاجه الأول و كان مرضا فى حقه فصار المرض صحه له و الألم راحه له و انقلب العذاب عذوبه فى حقه لانقلاب جوهره إلى جوهر أدنى فكذلك حال من يدخل فى النار و يتعذب بها مده لأجل الأعمال السيئه فإن بقى فى قلبه نور الإيمان فمنع أن ينفذ ظلمه المعاصى فى باطن قلبه و يحيط به السيئات فلا محاله يخرج من النار و يبرأ من العذاب و أما من اسود قلبه بالكلية و غاص فى باطن قلبه ظلمه المعاصى لأجل الكفر فلا يخرج من النار أبدا مخلدا و إن اشتهت زياده بصيره فى هذا المرام فاستمع لما يتلى عليك صائنا به عن الأشرار و اللثام

فصل (٢٨) فى كيفية خلود أهل النار فى النار

هذه مسأله عويصه و هى موضع خلاف

بين علماء الرسوم و علماء الكشوف و كذا موضع خلاف بين أهل الكشف هل يسرمد العذاب على أهل النار الذين هم من أهلها إلى ما لا نهايه له أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء فينتهى العذاب فيهم إلى أجل مسمى مع

اتفاقهم (١) على عدم خروج الكفار منها و أنهم ما كثون فيها إلى ما لا نهايه له فإن لكل من الدارين عمارا و لكل منهما ملاءها.

اعلم أن الأصول الحكيمه داله على أن القسر لا يدوم

على طبيعه و أن لكل موجود من الموجودات الطبيعه غايه ينتهى إليها وقتا و هى خير و كماله و أن الواجب جل ذكره أوجد الأشياء على وجه تكون مجبوله على قوه ينحفظ بها خيرها الموجود و تطلب بها كمالها المفقود كما قال تعالى الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى فَلْأَجَلِ ذَلِكَ يَكُونُ لِكُلِّ مِنْهَا عَشَقٌ لِلْوُجُودِ وَ شَوْقٌ إِلَى كَمَالِ الْوُجُودِ وَ هُوَ غَايَتُهُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي يَطْلُبُهَا وَ يَتَحَرَّكُ إِلَيْهَا بِالذَّاتِ وَ هَكَذَا الْكَلَامُ فِي غَايَتِهِ وَ غَايَةِ غَايَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى غَايَةِ الْغَايَاتِ وَ خَيْرِ الْخَيْرَاتِ إِلَّا أَنْ يَعُوقَ لَهُ عَنْ ذَلِكَ عَائِقٌ وَ يَقْسِرُ قَاسِرٌ لَكِنِ الْعَوَائِقُ لَيْسَتْ أَكْثَرِيَّةً وَ لَا -دَائِمَةً كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ وَ إِلَّا- لِبَطْلِ النِّظَامِ وَ تَعَطُّلِ الْأَشْيَاءِ وَ بَطْلِ الْخَيْرَاتِ وَ لَمْ تَقُمْ الْأَرْضُ وَ السَّمَاءُ وَ لَمْ يَنْشَأِ الْآخَرَةُ وَ الْأُولَى ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ فَعَلِمَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا طَالِبَةٌ لِدَاتِهَا لِلْحَقِّ مُشْتَاqَةً إِلَى لِقَائِهِ بِالذَّاتِ وَ أَنَّ الْعِدَاوَةَ وَ الْكَرَاهَةَ طَارِئَةٌ بِالْعَرَضِ فَمَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ بِالذَّاتِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ بِالذَّاتِ وَ مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ بِالْعَرَضِ لِأَجْلِ مَرَضٍ طَارَ عَلَى نَفْسِهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ بِالْعَرَضِ فَيُعَذِّبُهُ مَدَهُ حَتَّى يَبْرَأَ مِنْ مَرَضِهِ وَ يَعُودَ إِلَى فِطْرَتِهِ الْأُولَى أَوْ يَعْتَادَ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ زَالَ أَلَمُهُ وَ عَذَابُهُ لِحَصُولِ الْيَأْسِ وَ يَحْصُلُ لَهُ فِطْرَةٌ أُخْرَى ثَانِيَةً وَ هِيَ فِطْرَةُ الْكُفَّارِ الْآتِسِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْخَاصَةِ بِعِبَادِهِ وَ أَمَّا الرِّحْمَةُ الْعَامَّةُ فَهِيَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَذَابِي

١- لا- اتفاق إذ منهم من قال إن الخلود جاء لغه بمعنى الزمان الكثير و سيأتي نقلا عن بعض أهل الكشف أنهم يخرجون إلى الجنة لكن المصنف قدس سره لم يعبا بهذا لشذوذه- و إنما قالوا بعدم الخروج لكون الخلود فى النار للكفار بعلاوه أنه مدلول الكتاب ضرورى الدين و أما العذاب الدائم فليس من ضروريات الدين فلا يجوز تكفير منكروه و عندى دوام العذاب حق و انقطاعه عن الكفار باطل و ما يقول المصنف قدس سره أن القسر لا يدوم و أن الطوارئ و العوارض تزول فجوابه أنه ليس قسرا و لا عروضاً بل تصير الكيفيه الظلمانيه جوهرية و العرضيه السيئه ذاتيه مثل مركب القوى فإن الفطره الإنسانيه ذاتيه لا تزول- و الفطره الثانيه أيضا ذاتيه إذ صارت ملكه جوهرية إذ العاده طبيعه ثانويه فافهم، س ره

أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَ عِنْدَنَا أَيْضًا أَصُول دَالِه عَلَى أَنَّ الْجَحِيمَ وَ آلَامَهَا وَ شُرُورَهَا دَائِمَةٌ بِأَهْلِهَا كَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ وَ نَعِيمَهَا وَ خَيْرَاتَهَا دَائِمَةٌ بِأَهْلِهَا إِلَّا أَنَّ الدَّوَامَ لِكُلِّ (١) مِنْهُمَا عَلَى مَعْنَى آخَرٍ

ثم إنك تعلم أن نظام الدنيا لا ينصلح إلا بنفوس جافيه

و قلوب غلاظ شداد قاسيه- فلو كان الناس كلهم سعداء بنفوس خائفه من عذاب الله و قلوب خاضعه خاشعه لاختل النظام بعدم القائمين بعماره هذه الدار من النفوس الغلاظ العتاه كالقراعه و الدجاجله و كالنفوس المكاره كشياطين الإنس بجزبته و جبلته و كالنفوس البهيميه الجهله كالكفار

و فى الحديث الربانى: إني جعلت معصيه آدم سبب عماره الدنيا

و قال تعالى وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٢) فكونها على طبقه واحده ينافى الحكمه كما مر و لإهمال سائر الطبقات الممكنه فى مكن الإمكان من غير أن يخرج من القوه إلى الفعل و خلو أكثر مراتب هذا العالم عن أربابها- فلا يتمشى النظام إلا بوجود الأمور الخسيه و الدنيه المحتاج إليها فى هذه الدار التى يقوم بها أهل الظلمه و الحجاب و يتنعم بها أهل الذله و القسوه المبعدين عن دار الكرامه و النور و المحبه فوجب فى الحكمه الحقه التفاوت فى الاستعدادات لمراتب الدرجات فى القوه و الضعف و الصفاء و الكدوره و ثبت بموجب قضائه اللازم النافذ فى قدره اللاحق الحكم بوجود السعداء و الأشقياء جميعا فإذا كان وجود كل طائفه بحسب قضاء إلهى و مقتضى ظهور اسم ربانى فىكون لها غايات حقيقه و منازل ذاتيه و الأمور الذاتيه التى جبلت عليها الأشياء إذا وقع الرجوع إليها تكون ملائمته لذيدته و إن وقعت المفارقة عنها أمدا بعيدا و حصلت الحيلولة عن الاستقرار عليها زمانا مديدا بعيدا كما قال تعالى وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَلَّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ فِي جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ

١- أى الدوام للنعيم شخصى و للألم نوعى فنوع المعذب المتألم محفوظ بتعاقب الأشخاص و سيأتى هذا المعنى فى كلامه، س ر ه

٢- أى لكنا شئنا و هدينا إذ لا حاله انتظاريه فى المجرى الذى هو ينبوع الفعليات و لا إمكان هناك و لكن حق علينا أن يكون هدايتنا بطرق مختلفه لتكثر أسمائه الحسنى التى هى أرباب الأنواع عند العرفاء و الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، س ر ه

و المقامات كما حققناه فى مباحث العلم و غيره فهو الرحمان الرحيم و هو العزيز القهار

و فى الحديث القدسى: لو لا أن تذنبون لذهب و جاء بقوم آخر يذنبون

. و قال الشيخ الأعرابى فى الفتوحات يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله- و أهل النار بعدل الله و ينزلون فيهما بالأعمال و يخلدون فيهما بالنيات فيأخذ الألم جزاء العقوبة موازيا لمدته العمر فى الشرك فى الدنيا فإذا فرغ الأمد جعل لهم نعيما فى الدار التى يخلدون فيها بحيث إنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقه (١) الطبع الذى جبلوا عليه فهم يتلذذون بما هم فيه من نار و زمهرير و ما فيها من لدغ الحيات و العقارب كما يلتذ أهل الجنة بالظلال و النور و لثم الحسان من الحور لأن طبائعهم تقتضى ذلك ألا- ترى الجعل على طبيعه يتضرر بريح الورد و يلتذ بالتتن و المحرور من الإنسان يتألم بريح المسك- فاللذات تابعه للملائم و الآلام تابعه لعدمه و نقل فى الفتوحات أيضا عن بعض أهل الكشف قال إنهم يخرجون إلى الجنة حتى لا يبقى فيها أحد من الناس البتة و يبقى أبوابها يصطفق و ينبت فى قعرها الجرجير و يخلق الله لها أهلا- يملأها قال القيصرى فى شرح الفصوص و اعلم أن من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أن العالم بأسره عباد الله و ليس لهم وجود (٢) و صفه و فعل إلا بالله و حوله و قوته و كلهم محتاجون إلى رحمته و هو الرحمن الرحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصفات أن لا يعذب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار أيضا إلا- لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم- كما يذاب الذهب و الفضة بالنار لأجل الخلاص مما يكدره و ينقص عياره فهو متضمن

-
- ١- و هذا مثل أنه لو حضر الجاهل مجلس العالم لا نقبض من استماع علومه و أن النارى لا يجانس النورى، س ره
 - ٢- بل لهم وجود فى نظرهم فيضيفون الوجود إلى أنفسهم و لهذا قالوا التوحيد إسقاط الإضافات و حيث يضاف الوجود إليهم يضاف الصفه إليهم من العلم و القدره و الإراده و غيرها كذا الفعل إذ الإيجاد فرع الوجود و قد مر فى موضعه أنه كما يضاف الوجود إلى الله يضاف الفعل إليه و كما يضاف الوجود إلى الممكن يضاف الفعل إليه و لا- جبر و لا- تفويض بل أمر بين الأمرين، س ره

لعين اللطف كما قيل و تعذيبكم عذب و سخطكم رضى و قطعكم وصل و جوركم عدل انتهى.

فإن قلت هذه الأقوال الداله على انقطاع العذاب عن أهل النار ينافى ما ذكرته سابقا من دوام الآلام عليهم.

قلنا لا نسلم المنافاه إذ لا منافاه (١) بين عدم انقطاع العذاب عن أهل النار أبدا و بين انقطاعه عن كل واحد منهم فى وقت.

و قال فى الفتوحات المكيه و إن من الأحوال التى هى أمهات (٢) أحوال الفطره التى فطر الله الخلق عليها هو أن لا يعبدوا إلا الله فبقوا على تلك الفطره فى توحيد الله فما جعلوا مع الله مسمى (٣) آخر هو الله بل جعلوا آلهه على طريق القربه إلى الله و لهذا قال قل سموهم فإنهم (٤) إذا سموهم بان أنهم ما عبدوا إلا الله فما عبد عابد إلا الله فى المحل الذى

١- و لهذا أوتى بصيغه الجمع كقوله تعالى صَحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* و كقولهم كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ يَقُولُ مَاءٌ حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ، س ره

٢- لكونه أصلا فى الكمال و النوريه بالنسبه إلى الأحوال و الأخلاق الحسنه و هى فطره اللها فى الله شك فاطر السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ - لَيَقُولُنَّ اللَّهُ* فهم يقرون بأن المبدأ الحقيقى المعبود بالحق هو الموجود الكامل على الإطلاق- و هو الحى العليم القدير المريد السميع البصير المتكلم فهذه العقيدة ترجعهم إلى الخير و السعاده فى المآل، س ره

٣- كما قال تعالى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَ قد قيل - اجزأ وجود من همه دوست گرفت ناميست ز من بر من و باقى همه اوست ، س ره

٤- أى إذا سموهم بأنهم شفعاء أو أنهم مقربونا إلى الله ظهر أنهم ليسوا معبوديهم- أو إذا سموهم بأنهم خشب و ذهب و حجر و نحوها ظهر إلخ إذ المعبود الحقيقى حى عالم قادر مريد- لا- ميت جاهل عاجز موجب كيف و هم أنفسهم أحياء شاعرون قادرون يريدون إلى غير ذلك من الكمالات فهم أنفسهم أفضل من هذه الإلهه فكيف يعبد الأفضل مفضولا ناقصا فظهر أنه عبدهم الوجود الحقيقى فى هذه المظاهر و الوجود قد مر مرارا أنه الحياه و العلم و الشعور و القدره- و الإراده و النور و العشق و غير ذلك من الكمالات و نورت لك المطلب فى وجود النفس الناطقه فتذكر، س ره

نسبوا إليه الألوهية فصح بقاء التوحيد لله الذى أقروا به فى الميثاق و أن الفطره مستصحبه.

أقول و هذه عبادته ذاتيه و قد سبق منا القول بأن جميع الحركات الطبيعیه- و الانتقالات فى ذوات الطبائع و النفوس إلى الله و بالله و فى سبيل الله و الإنسان بحسب فطرته داخل فى السالكين إليه و أما بحسب اختياره و هواه فإن كان من أهل السعاده فيزيد على قربه قربا و على سلوكه الجبلى سعيا و إمعانا و هروله و إن كان من الكفار الناقصين المختوم على قلوبهم الصم البكم الذين لا يعقلون فهو كالدواب و البهائم لا يفقه شيئا إلا الأغراض الحيوانيه و إنما الغرض فى وجوده حراسه الدنيا و عماره الأبدان و ما له فى الآخره من خلاق فله المشى فى مراتع الدواب و السباع فيحشر كحشرها و يعذب كعذابها و يحاسب كحسابها و ينعم كنعيمها و إن كان من أهل النفاق المردودين عن الفطره الخاصه المطرودين عن سماء الرحمه فيكون عذابه أليما لانحرافه عما فطر عليه و هويه إلى الهاويه بما كسبت يده فبقدر خروجه عن الفطره و نزوله فى مهاوى الجحيم يكون عذابه الأليم إلا أن الرحمه واسعه و الآلام داله على وجود جوهر أصلى يضاد الهيئات الحيوانيه الرديه و التقاوم بين المتضادين ليس بدائم و لا بأكثرى كما حقق فى مقامه فلا محاله يثول إما إلى بطلان أحدهما أو إلى الخلاص و لكن الجوهر النفسانى من الإنسان لا يقبل الفساد فإما أن يزول الهيئات الرديه بزوال أسبابها فيعود إلى الفطره و يدخل الجنه إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك و إلا فتقلب إلى فطره أخرى و يخلص من الألم و العذاب و هذا هو المراد من مذهب الحكماء أن عذاب الجهل المركب أبدى يعنى صاحب الاعتقاد الفاسد الراسخ فى جهله و عتوه (١) لا يمكن عوده إلى الفطره الأصلية فيصير من الهالكين المائتين- عن هذه النشأه و عن الحياه العقلية و لا ينافى ذلك كونه حيا بحياه أخرى نازله دنيه

١- فإن هذا الاعتقاد المخالف للواقع صار صوره جوهريه للنفس الناطقه و عقلها النظرى التى هى من عالم العصمه بحسب أصل جوهرها فانقلبت حقيقتها و مسخت ذاتها- و لا يمكن عودها إلى الحياه العقلية فهى ظلمه و كدوره و موت للحياه العقلية و أما الحياه الحيوانيه و المرتبه النازله منها فهى ثابتة له بخلاف الجهل المركب الغير الراسخ و للغير العاتى و بخلاف الجهل البسيط و الهيئات الرذيله الأخرى فإنها ممكنه الزوال عن وجه حسناء النور الأسفهب فليست موجه للقلب و المسخ بنحو التجوهر و التدوت، س ره

و قوله تعالى فى حقه لا يَمُوتُ فيها وَ لا يَحْيى * أى لا يموت موت البهائم و نحوها و لا يحيى حياه العقلاء السعداء.

و مما استدل به صاحب الفتوحات المكيه على انقطاع العذاب للمخلدين فى النار قوله تعالى أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*

و ما ورد فى الحديث النبوى من قوله ص: و لم يبق فى النار إلا الذين هم أهلها

و ذلك لأن أشد العذاب على أحد مفارقة الموطن الذى ألفه فلو فارق النار أهلها لتعذبوا باغترابهم عما أهلوا له و إن الله قد خلقهم على نشأه تألف ذلك الموطن أقول هذا استدلال ضعيف مبنى على لفظ الأهل و الأصحاب و يجوز استعمالهما فى معنى آخر من المعانى النسبيه كالمقارنه(١) و المجاوره و الاستحقاق و غير ذلك و لا نسلم أيضا أن مفارقة الموطن أشد العذاب إلا أن يراد به الموطن الطبيعى و إثبات ذلك مشكل و الأولى فى الاستدلال على هذا المطلب أن يستدل بقوله تعالى وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ الْإِنسِ (٢) الآية فإن المخلوق الذى غايه وجوده أن يدخل فى جهنم بحسب الوضع الإلهى و القضاء الربانى لا- بد أن يكون ذلك الدخول موافقا لطبعه و كمالا- لوجوده إذ الغايات كما مر كمالات للوجودات و كمال الشىء الموافق له لا يكون عذابا فى حقه- و إنما يكون عذابا فى حق غيره ممن خلق للدرجات العاليه.

و قال فى الفتوحات فعمرت الداران أى دار النعيم و دار الجحيم و سبقت الرحمة الغضب و وسعت كل شىء حتى جهنم و من فيها و الله أرحم الراحمين و قد وجدنا فى نفوسنا ممن جبل على الرحمة بحيث لو مكنه الله فى خلقه لا زال صفه العذاب عن العالم- و الله قد أعطاه هذه الصفه و معطى الكمال أحق به و صاحب هذه الصفه أنا و أمثالى و نحن

١- الإنصاف أنه بمجرد المقارنه و المجاوره لا يصح إطلاق لفظ الأهل و الأصحاب- ما لم يحصل أنس و ألفه فلا يطلق أهل البيت على من يجاوره و أهل الدنيا على من يقارنها- و لا يقال أهل الله إلا على المحبين العاشقين الآنسين به و أصحاب النبى ص إلا على محبيه و ناصريه و آلفيه، س ره

٢- و ما يقال إن هذه اللام لام العاقبه لا لام الغايه فهو خلاف الصواب إذ الأصل فى الاستعمال هو الحقيقه، س ره

عباد مخلوقون أصحاب أهواء و أغراض و لا- شك أنه أرحم بخلقه منا و قد قال عن نفسه إنه أرحم الراحمين فلا- شك أنه أرحم بخلقه منا و نحن عرفنا من نفوسنا هذه المبالغه انتهى كلامه.

و لك أن تقول و قد قام الدليل العقلى على أن البارى سبحانه لا ينفعه الطاعات و لا يضره المخالفات و أن كل شىء جار بقضائه و قدره و أن الخلق مجبورون فى اختيارهم- فكيف تسرمد العذاب عليهم و جاء فى الحديث و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين فالآيات الواردة فى حقهم بالتعذيب كلها حق و صدق و كلام أهل المكاشفه لا ينافيها لأن كون الشىء عذابا من وجه لا ينافى كونها رحمه من وجه آخر فسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه فى شدة نعمته فى الدنيا و اشتدت نعمته لأعدائه فى سعة رحمته لهم فى الآخرة.

نقل فيه تأكيد:

قال فى الفتوحات المكيه إن الحق لما تجلى لهم فى أخذ الميثاق تجلى لهم فى مظهر(١) من المظاهر الإلهيه فذلك الذى أجرأهم على أن يعبدوه فى الصور و من قوه بقائهم على الفطره أنهم ما عبدوها على الحقيقه و إنما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها من ربه التقرب و الشفاعه كما حكى الله من قولهم ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى و قولهم هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَ هَاتَانِ الْجَهَتَانِ إِلَيْهِمَا مال الخلق فى الدار الآخرة

١- أى لما أخذ الميثاق حين قال أ لست بربكم و هو فى مظهر من الصور دعاهم ذلك على أن يعبدوه فى هذا العالم فى المظاهر الصوريه من الشمس و القمر و الإنسان و البقر و غيرها. أقول من ذا الذى يقول غيركم إنه أخذ الميثاق فى المظهر بل الأعيان الثابته و الماهيات الإمكانيه فى المراتب العلميه و النشآت الربوبيه لما لم يكن لها وجود من أنفسها- و إنما ظهورها بنور وجود الله و علم الله و قالوا بلسان الثبوت لك الحمد و لك العظمه و لك الوجود كان هذا أفصح قول و أبلغ كلام بأنه أ لست بربكم و قولهم بلى و يمكن أن يقال لما كان لكل معنى صورته و لكل حقيقه رقيقه كان ما قلناه حقيقه أخذ الميثاق و معناه و أما رقيقته و صورته المثاليه فهى أن يكتسى هذا بصور مليحه و كلمات بليغه فصيححه مناسبه لتلك النشأه، س ره

و هما الشفاعة و التجلى (١) فى الصور على طريق التحول فإذا تمكنت هذه الحالة فى قلب الرجل - و عرف من العلم الإلهى (٢) ما الذى دعا هؤلاء الذين صفتهم هذا و إنهم مقهورون تحت قهر ما إليه يؤولون تضرعوا إلى الله فى الدياجير و تملقوا له فى حقهم و سألوه أن يدخلهم فى رحمته إذا أخذت منهم النعمة حدها و إن كانوا عمار تلك الدار فليجعل لهم فيها نعيما بهم إذ كانوا من جملة الأشياء التى وسعتهم الرحمة العامة و حاشا الجنب الإلهى من التقييد - و هو القائل بأن رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم (٣) فإن كان شيئا فهو تحت إحاطة الرحمة و قد قالت الأنبياء ع يوم القيامة إذا سئلوا فى الشفاعة إن الله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله و هو أرجى حديث يعتمد عليه فى هذا الباب فإن اليوم المشار إليه يوم القيامة و هو يوم قيام الناس من قبورهم لرب العالمين و فيه يكون الغضب من الله على أهل الغضب و أعطى حكم ذلك الغضب الأمر بدخول النار و حلول العذاب و الانتقام من المشركين و غيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة و الذين يخرجهم الرحمن كما ورد فى الحديث و يدخلهم الجنة إذا لم يكونوا من أهل النار - الذين هم من أهلها فعم الأمر بدخول النار كل من دخل فيها من أهلها و من غير أهلها لذلك الغضب الإلهى الذى لم يغضب مثله بعده أبدا فلو تسرمد العذاب عليهم (٤) لكان ذلك من غضب أعظم من غضب الأمر بدخول النار و قد قالت الأنبياء ع إن الله لا يغضب

-
- ١- أى اعتقادهم بأن هؤلاء شفعاء و مظاهر و مجالى مقربه إلى الله اعتقاد نورى - كماء حياه يطفىء النار و لما كان هذا فطره سابقه كان مال الخلق إليها لقوله تعالى كما بدأكم تعودون، س ره
 - ٢- أى بالتعليم الإلهى أو من العلم الأعلى و الحكمه الإلهيه أو عرف أن علم الله فعلى لا انفعالى، س ره
 - ٣- أى لا يبقى له متعلق كما مر أن كل ما هو موجود فهو متعلق إرادته و لو كان متعلق كراهته لم يكن موجودا، س ره
 - ٤- و المعلول كما يحتاج إلى العلل فى الحدوث كذلك فى البقاء فعذاب بعد عذاب - يحتاج إلى غضب بعد غضب فلا يرد أن الغضب الأول موجب لدخول النار و لتسرمد العذاب على أن الغضب عارضى، س ره

بعده مثل ذلك فلا بد من حكم الرحمة على الجميع و يكفى من الشارع التعريف بقوله- و أما أهل النار الذين هم من أهلها و لم يقل من أهل العذاب و لا- يلزم من كان من أهل النار الذين يعمرونها أن يكونوا معذبين بها فإن أهلها و عمارها مالك و خزنتها و هم ملائكة و ما فيها من الحشرات و الحيات و غير ذلك من الحيوانات تبعث يوم القيامة و لا واحد منهم يكون النار عليهم عذابا كذلك من يبقى فيها لا يموتون فيها و لا يحيون و قد قام الدليل السمعى أن الله يقول يا عبادى (١) على وجه العموم و أضاف إلى نفسه و ما أضاف قط إلى نفسه إلا من سبقت له الرحمة فلا يؤبد لهم العذاب و إن دخلوا النار و ذلك أنه قال يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل منكم- ما زاد ذلك على ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم اجتمعوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا فى صعيد (٢) واحد فسألونى فأعطيت كل واحد منكم مسأله ما نقص فى ملكى شيئا الحديث و لا يشك أنه ما من أحد إلا و هو يكره ما يؤلمه طبعاً فما من أحد إلا و قد سأل الله أن لا يؤلمه و أن يعطيه اللذه فى الأشياء و السؤال قد يكون قولاً و قد يكون حالاً كبكاء الصغير الرضيع و إن لم يعقل عنده وجود الألم الحسى بالوجع أو الألم النفسى بمخالفه الغرض إذا منع من الشدى و قد أخذت المسأله حقها و الأحوال التى ترد على قلوب الرجال لا- تحصى كثره و قد أعطيناك منها فى هذا الباب أنموذجاً انتهى.

و اعلم أن البرهان و الكشف متطابقان على أن الفيض الوجودى (٣) و القول الربانى و الكلمه الوجوديه نازل من الحق أحدياً غير متفرق تفرقا خارجياً إلى الكرسي (٤)

١- فى قوله تعالى عِبَادِى الَّذِينَ أَسِرُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و فى الحديث القدسى المذكور أيضا يا عبادى فى مواضع، س ره

٢- فيه إيماء إلى أرض المحشر إذ ورد أن الناس يحشرون فى صعيد واحد، س ره

٣- هذا هو الوجود المنبسط الذى هو كلمه كن و قوله الحق و هو فى الأول واحد و ما أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً فكَذَلِكَ فى الآخر، س ره
٤- قد ذكرنا سابقاً أن عالم الصورة الذى يناله المشاعر الطبيعى من الكرسي إلى المركز و عالم الصور الأخرويه الجهنميه ملحق إلى الصور الدنيويه و كأنه ليس من الآخره كما مر فبقى للآخره الصور الجنانيه و الصور المدركه بالخيال النورى و لما كان عالم المعنى واحداً إذ المكثرات الوضعيه من الماده الجسمانيه و الزمان و المكان و نحوها مفقوده هناك كانت الوحده باقيه حتى تنزل إلى عالمى الصورة أعنى الفرقه و الماده- كالإنسان المتشعب من المتدلى منه قدماء هذا فى صورته الكرسي و رقيقته و أما معناه و حقيقته فهو النفس الكليه بمعنى كل النفوس السعيده و الشقيه و هذا لشعب ذاك لاتحاد ما بين الروح و الجسد، س ره

ثم يتفرق فرقتين فرقه إلى عالم الدنيا و عالم الشهاده و فرقه إلى عالم الآخرة و عالم الغيب- و ذلك كنهر واحد عظيم يجرى مجتمعا أجزاءه على الاتصال ثم ينقسم إلى نهرين يجرى أحدهما إلى جانب اليمين و هو أشرف الجانبين و أنورهما و أقواهما و الآخر إلى جانب الشمال و هو أخس الجانبين و أضعفهما و أظلمهما فالسعداء من الناس هم أصحاب اليمين و أهل الآخرة و الأشرقياء هم أصحاب الشمال و أهل الدنيا و قد أشرنا سابقا إلى أن أهل الدنيا أهل النار لأن حقيقة جهنم و آلامها أنما هي ناشئه من الدنيا و شهواتها- و قد سبق أيضا أنها ليست بدار مستقلة في الوجود لأن الدار منحصره في الدارين دار الأجسام الطبيعیه الكائنه الفاسده و دار الأجسام الروحانيه الحيه بحياه ذاتيه و هي المتحده مع الأرواح و أما الفرق بين دار الدنيا و دار الجحيم هو أن النفوس الشقيه ما دامت موجوده بحياتها الطبيعیه كانت الدنيا دار نعيمها و تنعمت بشهواتها كالدواب و الأنعام و إذا انتقلت عن هذه الحياه الطبيعیه و انبعثت إلى الآخرة و كانت شديده التعلق بالدنيا و لذاتها التي هي الآلام بالحقيقه و خيراتها التي هي شروق في الآخرة فانقلبت الدنيا نار جهنم في حقهم- و شهواتها حيات و عقارب متمكنه في صميم قلوبهم و طعامها و شرابها حميما و زقوما لهم كل ذلك متصوره بصورها المطابقه لمعناها متطلعه على أفئده أهلها فلم يزل يحترق قلوبهم و نفوسهم بنار الحسد و الغضب و التكبر و غيرها و جلودهم و أبدانهم بنار الطبيعیه و الشهوه- و تلذعهم و تلسعهم حيات الهيئات السوء و عقاربها و هكذا إلى أن يشاء الله فظهر أن الدار داران و الدنيا و الجحيم في حكم دار واحده.

إذا تقرر هذا فنقول إن العرفاء و أهل التصوف اصطلاح عندهم في التعبير عن نزول فيض الوجود عنه تعالى إلى هذا العالم و عالم الآخرة بتدلي القدمين منه تعالى على سبيل

التمثيل كما عبروا عن صفتي الجمال والجلال و ملائكة العقل و النفس باليدين لله تعالى - لأنهما واسطتا جوده و عطائه و هذه الإطلاقات و الاصطلاحات منهم موافقه للكتاب و السنه كما هو عادتهم قال الشيخ العربى فى الباب الرابع و السبعين و ثلاثمائه فتدلت إلى الكرسي القدمان - حتى انقسمت فيه الكلمه الروحانيه فإن الكرسي نفسه به ظهرت فقسمت الكلمه لأنه الثانى بعد العرش المحيط من صور الأجسام الطاهره فى الأصل و الجوهر و هما شكلان فى الجسم الكلى الطبيعى فتدلت إليه القدمان فاستقرت كل (١) قدم فى مكان يسمى المكان الواحد جهنما و الآخر جنة و ليس بعدهما مكان ينتقل إليه هاتان القدمان و هاتان لا تستمدان إلا من الأصل الذى ظهرت منه و هو الرحمن المستوى على العرش فلا يعطيان إلا الرحمه فإن النهايه ترجع إلى البدايه بالحكمه غير أن بين البدايه و النهايه طريقا - و إلا ما كان بدوا و لا نهايه فكان سفر للأمر النازل (٢) بينهن و السفر مظنه التعب و الشقاء - فهذا هو سبب ظهور ما ظهر دنيا و آخره و برزخا من الشقاء و عند انتهاء الاستقرار تلقى عصى التيار (٣) و تقع الراحه فى دار القرار.

فإن قلت فكان ينبغى عند الحلول فى الدار الواحد المسماه نارا أن توجد الراحه و ليس الأمر كذلك.

١- لا منافاه بين كلام الشيخ أن مكاني القدمين الجنة و النار و قول المصنف إن فرقه من الفيض الوجودى فى عالم الدنيا و فرقه فى الآخره لما قال من لحوق الصور الجهنميه إلى الصور الدنيويه و إنما كان الكرسي إلى المركز مظهر الصور الجنانيه إذا استعملت المدارك الجزئيه فيهما باستعمال العقل مستنيره به و مظهرها لصور الجهنميه إذا استعملت لا باستعمال العقل إياها غير مستنيره به و مراد الشيخ أن القدمين لما كانا من الله السلام كلاهما سلام على أهل المكانين و مبدؤهما الرحمن و نهايتهما الرحمه، س ره

٢- تلميح إلى قوله تعاليلله الذى خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن، س ره

٣- بالثناء المثناء من فوق و الياء المثناء من تحت التائه المتكبر أى تطرح العصا - و تستراح فهذا من الكنايات عن الراحه فى المال، س ره

قلنا صدقت و لكن فاتك نظر و ذلك أن المسافرين على نوعين (١) مسافر يكون سفره مما هو فيه من الترفه من كونه مخدوما حاصلًا له جميع أغراضه في محفه محموله على أعناق الرجال محفوظًا عن تغير الأهواء فهذا مثله في الوصول إلى المنزل مثل أهل الجنة في الجنة و مسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف المئونه إذا وصل إلى المنزل - بقيت معه بقيه التعب و المشقه زمانًا حتى تذهب عنه ثم يجد الراحة فهذا مثل من يتعذب و يشقى في النار التي منزله ثم تعم الراحة التي وسعت كل شىء و مسافر بينهما ليست له رفاهيه صاحب الجنة و لا تعذب صاحب النار التي منزله فهو بين راحه و تعب فهي الطائفه التي تخرج بشفاعه الشافعين و بإخراج أرحم الراحمين قال و هم على طبقات بقدر ما يبقى عنهم من الشقاء و التعب فيزول في النار شيئًا فشيئًا فإذا انتهت مدته خرج إلى الجنة و هو محل الراحة و آخر من بقى (٢) هم الذين ما عملوا خيرًا قط إلا من جهة الإيمان و لا بإتيان مكارم الأخلاق غير أن عنايه سبقت لهم أن يكونوا من أهل تلك الدار و بقى أهل هذه الدار الأخرى (٣) فيها فغلقت الأبواب و أطبقت النار و وقع اليأس من الخروج - فحينئذ تعم الراحة أهلها لأنهم قد يئسوا من الخروج منها فإنهم كانوا يخافون الخروج منها لما رأوا إخراج أرحم الراحمين و هم الذين قد جعلهم الله على مزاج يصلح ساكن تلك الدار و تتضرر بالخروج منها كما بينا فلما يئسوا فرحوا فنعيمهم هذا القدر و هو أول نعيم يجدونه و حالهم فيها كما قدمناه بعد فراغ مدته الشقاء فيستعذبون العذاب فتزول الآلام و يبقى العذاب و لهذا سمي عذابًا لأن المآل استعذابه لمن قام به كمن يستحلى للجرب من يحكه ثم قال فافهم نعيم كل دار تستعذبه إن شاء الله تعالى أ لا ترى صدق ما قلناه النار لا تزال متألمة (٤) لما فيها من النقص و عدم الامتلاء حتى يضع الجبار قدمه فيها

-
- ١- جعلهم نوعين مع كونهم ثلاثة باعتبار وجدان الرفاهيه التامه و عدمه، س ره
 - ٢- أى يبقى عليه المشقه و التعب أزيد من الأول إلا أنه يزول و يكونون من أهل تلك الدار أى الجنة، س ره
 - ٣- أى جهنم فيها فهذا الكلام شروع فى حكم أهل النار الذين هم أهلها، س ره
 - ٤- بالتشديد و التصديق من حيث إن رفع تألم جهنم بازدياد النار و الوقود و تألمه كان بالنقص منهما، س ره

و هي إحدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي و الأخرى التي مستقرها الجنة قوله تعالى وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ و الاسم الرب مع هؤلاء و الجبار مع الآخرين (١) لأنها دار جلال و جبروت و هيبة و الجنة دار جمال و أنس و منزل إلهي لطيف فقدم الصدق إحدى قدمي الكرسي و هما قبضتان الواحدة للنار و لا يبالي و الآخرة للجنة و لا يبالي لأن مالهما إلى الرحمة فلذلك لا يبالي فيهما و لو كان الأمر كما (٢) يتوهمه من لا علم له من عدم المبالاه ما وقع الأمر بالجرائم و لا وصف نفسه بالغضب و لا كل البطش الشديد فهذا كله من المبالاه و الهم بالمأخوذ و قد قيل في أهل التقوى إن الجنة أعدت للمتقين و في أهل الشقاء و أعد لهم عذابا أليما فلو لا- المبالاه ما ظهر هذا الحكم فللأمر أحكام و مواطن عرفها أهلها و لم يتعد بكل حكم موطنه فبالقدمين أغنى و أفقر و بهما أمات و أحيى- و بهما خلق الزوجين الذكر و الأنثى و لولاهما ما وقع في العالم (٣) شرك فلكل منهما دار يحكم فيها و أهل يحكم فيهم و العالم الرباني لا يزال يتأوب مع الله (٤) و يعامله في كل موطن بما يريد الحق أن يعامل به في ذلك الموطن و من لا يعلم ليس كذلك انتهى كلامه و قال القيصرى في شرح الفصوص ما ملخصه اعلم أن المقامات الكلية الجامعه- لجميع العباد في الآخرة ثلاثه على الإجمال و هي الجنة و النار و الأعراف و لكل منها

- ١- لما كان كل موجود عند العرفاء تحت حكم اسم من أسماء الله تعالى قال الشيخ الاسم الذي بإزاء أهل الجنة الرب و نحوه من الأسماء اللطيفه و بإزاء أهل النار الجبار- على أن الجبار من جبر كسر العظم أى تلافاه و منه يا جابر العظم الكسير، ر س ره
- ٢- من أن عدم المبالاه لحقاره قبضته من التراب فلو كان لهذا لم يقع عليهم جريمه- و لا غضب و لا بطش شديد لهذا بعينه فإنه إذا كان قبضته من التراب حقيره لم تكن موقعا للغضب و البطش إذ لا مبالاه بشأنها، س ره
- ٣- أى اشتراك و زوجيه و قد قال تعالى مَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ كالماده و الصوره و النفس و الروح و البدن و الخير و الشر و النور و الظلمه و غير ذلك مما لا يحصى، س ره
- ٤- و لا يسوء ظن بربه و لا يحكم على أهل موطن بخلاف ما يحكم الله و يريد، س ره

اسم حاكم عليه يطلب بذاته أهل ذلك المقام لأنه رعاياه (١) و عماره ذلك المقام بهم- و الوعد شامل للكل إذ وعده تعالى فى الحقيقة عبارته عن إيصال كل واحد منا إلى كماله المعين فكما أن الجنة موعود بها كذلك النار قال تعالى وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ فكما أن الجاذب إلى الجنة المناسبه الذاتيه (٢) و السائق هو الرحمن الرحيم و ملائكه الرحمه فكذا الجاذب إلى النار المناسبه الذاتيه و السائق هو العزيز القهار و الشيطان و ملائكه العذاب فعين الجحيم أيضا موعود لهم لا موعود بها (٣) و الوعيد هو العذاب الذى يتعلق بالاسم المنتقم و هو أيضا (٤) شامل للكل بوجه و يظهر أحكامه فى خمس مواطن لأن أهل النار إما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين و هو ينقسم بالموحد العارف الغير- العامل و بالمحجوب و عند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم كما قال تعالى أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا فلما مر عليهم السنون و الأحقاب و اعتادوا بالنيران و نسوا نعيم الرضوان- قالوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ فعند ذلك تعلق الرحمة بهم و رفع العذاب عنهم مع أن العذاب بالنسبه إلى العارف الذى دخل فيها بسبب

١- و قد سموا كل موجود هو مظهر لاسم بإضافه العبوديه إليه فسموا من هو مظهر العلم عبد العليم و مظهر الحلم عبد الحليم و من يهب العطايا عبد الوهاب- و إن كان اسمه الذى من والديه زيدا أو عمروا أو بكرا فالجنة تحت حكم اللطيف و النار تحت حكم القهار و الأعراف و هو كما مر كان من استوت كفتا حسناته تحت كليهما- و لله تعالى أسماء مركبه أيضا لها أحكام و آثار على حده كالحى القيوم و الرحمن الرحيم و العلى العظيم فالحي اسم و القيوم اسم و الحى القيوم اسم و قس عليه، س ره

٢- هى الملكة تشييد للملاءمه بأن الجاذب ليس أمرا غريبا بل ذاتى و السائق هو اسم الله و قهره باهرية نوره و جلاله عين جماله و لا معنى فى ذاته سوى صريح ذاته، س ره

٣- و حدسى أنه بدون تاء المطاوعه و أنه لا موعود بها من الإيعاد المستعمل فى الشر، س ره

٤- أى الوعيد أيضا كالوعد شامل أهل الجنة كمتاعهم الدنيويه حفت الجنة بالمكاره، س ره

الأعمال السيئه عذب من وجه و إن كان عذابا من وجه آخر لأنه يشاهد المعذب (١) فى تعذيبه فيكون عذابه سببا لشهود الحق و هو أعلى نعيم له و بالنسبه إلى المحجوبين الغافلين عن اللذات الحقيقيه أيضا عذب من وجه كما جاء فى الحديث أن أهل النار يتلاعبون فيها بالنار و الملاعبه لا تنفك عن التلذذ و إن كان معذبا لعدم وجدانه ما آمن به من جنه الأعمال التى هى الحور و القصور و بالنسبه إلى قوم يطلب استعدادهم البعد من الحق و القرب من النار و هو المعنى بجهنم أيضا عذب و إن كان فى نفس الأمر عذابا كما يشاهد هنا- ممن يقطع سواعدهم و يرمى أنفسهم من القلاع مثل بعض الملاحده و لقد شاهدت رجلا- سمر فى أصول أصابع إحدى يديه مسامير غلظ كل منها كالقلم و كان يفتخر بذلك و لم يرض بإخراجه و بقى على حاله إلى أن مات و بالنسبه إلى المنافقين الذين لهم استعداد الكمال و استعداد النقص و إن كان أليما لإدراكهم الكمال و عدم إمكان الوصول إليه لهم- و لكن لما كان استعداد نقصهم أغلب رضوا بنقصانهم و زال عنهم تألمهم بعد انتقام المنتقم منهم بتعذيبهم و انقلب العذاب عذابا كما يشاهد ممن لا يرضى بأمر خسيس أولا ثم إذا وقع فيه و ابتلى و تكرر صدوره منه تألف به و اعتاد فصار يفتخر به بعد أن كان يستقبحه و بالنسبه إلى المشركين الذين يعبدون غير الله من الموجودات فينتقم منهم لكونهم حصروا الحق فيما عبدوه و جعلوا الإله المطلق مقيدا و أما من حيث إن (٢) معبودهم عين الوجود الحق

١- فهو كمن يعضه الحبيب و كشرب الجلنجبين، س ره

٢- حيث إن المشوب غير خال عن الصرف و المقيد عن المطلق و بهذه الحثيه- لا يتصور الشرك إذ لا ثانى لحقيقه الوجود بل كل ما فرضته ثانيا لها فهو هى لا غيرها. إن الله لا يغفر أن يشرك به أى لا يمكن أن يتطرق الثانى لأنه صرف الوجود و صرف الشىء جامع لجميع ما هو من سنخه ساقط عنه غرائبه و غريب الوجود الماهيه بل العدم و هما بما هما مشار إليهما عقلا أو وهما أو خيالا- أو حسا و جود و أيضا هما بالحمل الشائع و جود ثم الغفران لغه الستر و منه جاءوا الجم الغفير أى ستروا الأرض بازحامهم فلا يغفر أن يشرك به أى ليس الشرك فى الواقع و ما هو حاق الواقع و حقه لا يكون ساترا و محيطا و يغفر ما دون ذلك أى يسع الوجود الذى هو حاق الواقع و حقه كل التعينات الأخرى من الكبائر و الصغائر و لكن يطرد الشرك، س ره

الظاهر فى تلك الصور فما يعبدون إلا الله فرضى الله منهم من هذا الوجه فينقلب عذابهم عذابا فى حقهم و بالنسبه إلى الكافرين أيضا و إن كان العذاب عظيما لكنهم لم يتعذبوا به لرضاهم بما هم فيه فإن استعدادهم يطلب ذلك كالأتونى يفتخر بما هو فيه و عظم عذابه بالنسبه إلى من يعرف أن وراء مرتبتهم مرتبه و أنواع العذاب غير مخلد على أهله من حيث إنه عذاب لانقطاعه بشفاعه الشافعين و آخر من يشفع هو أرحم الراحمين كما جاء فى الحديث- لذلك ينبت الجرجير فى قعر جهنم و بمقتضى سبقت رحمتى غضبى

فصل (٢٩) فى استيضاح معرفه جهنم و مادتها و صورتها

إشاره

قد سبق أن جهنم من سنخ الدنيا و أصلها و مادتها هى تعلق النفس بأمور الدنيا من حيث هى دنيا و صورتها هى صورته الهيئات المؤلمه و الأعدام و النقائص فإن الأعدام و النقائص و إن كانت من حيث هى أمور سلبيه غير مؤثره و لا معذبه إلا أن صورها الحضوريه (١) و حصولها الخارجيه ضرب من الوجود للشئ ء الموصوف بها و هى من هذه الجبهه شرور حقيقه حاصله للشئ ء أ لا- ترى أن تفرق الاتصال مع أنه أمر عدمى لأنه عبارته عن زوال الاتصال عما من شأنه الاتصال ففيه غايه الألم للحس اللامس به لأنه عدم محسوس مشهود للنفس

١- إلى قوله شرور حقيقه هاهنا إشكال و هو أن العلم الحضورى هو عين المعلوم الخارجى و المعلوم إذا كان عدما كان العلم عين العدم و العدم ليس مبدأ أثر ثم إذا كان ضربا من الوجود كما قال قدس سره كيف يكون شرا حقيقيا و قد تقرر أن الوجود خير و أنه بديهى الصدق. و الجواب أن المراد بصورها الحضوريه ليس العلم به على ما هو عليه فإن تصور العدم صرفا بلا شوب كخلاء أو رفع كحك نقش من لوح أو نحو ذلك لا يمكن للوهم و الخيال و العلم الحضورى بالعدم حضور وجود مقابل وجود ما عدم و صورها الحضوريه الأخرويه صور الأعمال الدنيويه الشوهاء و الأعمال السيئه كانت مصاحبه للأعدام التى كان شريه العمل و سواته بها، س ره س

و إذا كان العدم موجودا كان شرا حقيقيا و يكون إدراكه للمسئى إدراك أمر مناف حاصل بنفسه للمدرك لأن العلم الشهودى هو بعينه نحو وجود المعلوم الخارجى و المعلوم بهذا العلم إذا كان عدما خارجيا كان ذلك العدم مع كونه عدما أمرا موجودا فيكون شرا حقيقيا ففيه غايه الألم و غايه الشريه فافهم هذا فإنه دقيق غامض و بهذا يندفع شبهه (١) مشهوره و هى أن الألم شر مع كونه وجوديا لأنه إدراك المنافى و الإدراك أمر وجودى - فهذا ينافى قول الحكماء إن الشر الحقيقى مما لا ذات له فى الخارج بل هو عدم ذات أو عدم كمال لذات و لا يكفى فى الجواب أن الألم ليس شرا بالذات و أنما هو شر بالعرض - لأن البدايه و الوجدان يحكمان بأن الألم شر فى نفسه لصاحبه مع قطع النظر عن كونه فاقدا لعضو أو اتصال أو غير ذلك من النقائص إذا تقرر هذا فنقول إن صورته جهنم فى الآخرة هى صورته الآلام (٢) التى هى أعدام و نقائص حاصله للنفس فالنفوس الشقيه ما دامت على فطره تدرك بها النقائص و الأعدام الموصوفه بها التى من شأن تلك النفوس أن تتصف بمقابلتها يكون لها آلام شديده بحسبها فتلك الآلام فيها إلى أن يزول عنها إدراكها لتلك النقائص إما بتبدل فطرتها إلى فطره أدنى و أخس من تلك الفطره أو بزوال تلك النقائص و الأعدام بحصول مقابلاتها من جهه ارتفاع حال تلك النفوس و قوه كمالاتها - و اشتغالها بإدراك أمور عاليه كانت تعتقدها من قبل و صارت ذاهله عنها ممنوعه عن إدراكها - لانصراف توجهها عنها إلى تلك الشواغل الحسيه فعلى التقديرين يزول العذاب و تحصل الراحة و الحاصل أن جهنم هى صورته الدنيا من حيث هى دنيا حاله فى موضوع النفس يوم القيامة فتلك الصوره الجحيميه مشتمله على جميع ما فى السماء و الأرض من حيث

-
- ١- قد مرت فى الشطر الربوبى نقلا عن بعض الأجله و كتبنا فى الحواشى هناك ما ينفعك إن شاء الله تعالى، س ره
 - ٢- فى تعيين صورتها هكذا مثل ما فى أول الفصل إشاره إلى ما مر أن جهنم ليست حقيقه متأصله و هى صورتها الحقيقه و أما الصور الشوهاء الحاصله بتجسم الأعمال كما أشار إليها هناك بصور الهيئات المؤلمه فهى ليست صورتها الحقيقه لفعليتها و وجوديتها، س ره

نقائصها و شرورها لا- من حيث كمالاتها و خيراتها فإنها من حيث كمالاتها و خيراتها هي من الجنة فالنفس ما دامت في هذا العالم يدرك الموجودات العالميه بهذه الحواس البدنيه- و كلما يدرك بهذه الحواس تكون مخلوطه غير متميزه حقها من باطلها و صحيحها من فاسدها- فيرى الشمس و القمر و النجوم و السماء و الأرض على صورته مخلوطه مشتبهه فيزعم أن لها بقاء(١) و ثباتا و أن ضوء الشمس و نور القمر و الكواكب بحسب الحقيقه على هذه الهيئه- و أنها ذاتيه لتلك الأجرام قائمه بها لا- بغيرها و أن السماء و الأرض كل منهما على هذه الهيئه- التي يدركها الحس من البقاء و الثبات و الارتفاع و الانخفاض و الوضع و الترتيب فإذا جاء يوم القيامة تبدلت هذه الأشياء غيرها و انفصل ما لها عما ليس لها و امتاز حقها من باطلها و نورها العرضي من ظلمتها الأصليه و خبيثها من الطيب كما قال تعالى ما كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الآ-يه فصوره جهنم عباره عن الحقيقه الأصليه لهذا العالم متميزه عما هو خارج عنها من الخيرات و الكمالات فإذا قامت القيامة و استقر كل طائفه في دارها و رجع كل صورته إلى حقيقتها فيكون الحكم في أهل الجنة- بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في النشأ الآ-خره و يكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي في ماده هذا العالم الذي أودع الله في حركات الأفلاك و في الكواكب الثابته و السبعه المطموسه أنوارها فهي كواكب لكنها مطموسه الأنوار في القيامة و كذا الشمس شمس لكنها منكسفه النور لأن أنوارها مستفاده من مبادئها الأصليه فهي بالحقيقه قائمه بتلك المبادئ لا بهذه الأجرام.

قال في الباب الستين من الفتوحات يقرب حكم النار من حكم(٢) الدنيا فليس بعذاب خالص و لا بنعيم خالص و لهذا قال تعالى لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ* و سبب ذلك

١- و الحال أن البقاء و الثبات لوجه الله و الضوء و النور له لا- لها- شد مبدل آب اين جو چند بار عكس ماه و عكس اختر برقرار ، س ره

٢- فنعيم الدنيا مشوب بنقمه الدثور و الزوال سرورها غم ترياقها سم دواؤها داء نعيمها بلاء تكوناتها تصرمات وصلاتها مجرد مماسات إلى غير ذلك من ساعاتها و بشاعاتها، س ره

أنه بقى ما أودع الله عليهم فى الأفلاك و حركات الكواكب من الأمر الإلهى و تغير منه على قدر ما تغير من صور الأفلاك بالتبدل و من صور الكواكب بالطمس و الانتشار فاختلف حكمها بزياده و نقص و غير ذلك.

و قال فى الباب الستين فى معرفه جهنم اعلم عصمنا الله و إياك أن جهنم من أعظم المخلوقات و هى سجن الله فى الآخرة و سميت جهنم لبعدها قعرها يقال بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر و هى تحوى على حرور و زمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته- و الحرور على أقصى درجاته و بين أعلاها و قعرها خمس و سبعون مائه من السنين- و اختلف الناس فيها هل خلقت بعد أو لم تخلق و الخلاف مشهور فيها و كذلك اختلفوا فى الجنة و أما عندنا و عند أصحابنا أهل الكشف و التعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين و أما قولنا مخلوقتان فكل رجل يبنى دارا فأقام حيطانها كلها الحاويه عليها خاصه فيقال هى دار فإذا دخلتها لم تر إلا سورا دائرا على فضاء و ساحه ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت و غرف و سرادق و مسالك و مخازن و ما ينبغى أن يكون فيها و هى دار حرورها هواء محرق لا- جمر لها سوى بنى آدم و الأحجار المتخذة آلهه و الجن لهبها قال تعالى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ* و قال إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ و قال فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ و تحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجن و الإنس الذين يدخلونها و قد خلقها الله تعالى من صفه الغضب و جميع ما يخلق فيها من الآلام و المحن التى يجدها الداخلون فيها فمن صفه الغضب الإلهى و لا يكون ذلك إلا عند دخول الخلق فيها من الجن و الإنس متى دخلوها- و أما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فى نفسها و لا فى نفس ملائكتها بل هى و من فيها من زبانياتها فى رحمه الله منغمسون ملتذون يسبحون لا يفترون لقول الله تعالى وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ فَإِنَّ الْغَضَبَ هَاهُنَا هُوَ عَيْنُ الْأَلَمِ فمن لا- معرفه له ممن يدعى طريقتنا و يريد أن يأخذ الأمر من التمثيل و المناسبه- فيقول إن جهنم مخلوقه من القهر الإلهى و إن اسم القاهر هو المتجلى لها و لو كان (١) الأمر

١- أى لو كانت من تجلى الاسم القاهر لا من الآلام و الأعدام و النقائص التى هى من صفه الغضب لكانت غنيه بغنى القاهر و لم تكن جوعان و عطشان بهذا القدر حيث تقول هل من مزيد و لم تأكل نفسها من شدة الشهوه و التجويف الذى شأن الممكن المخلوق- و لم تكن بهذا القدر ضيقه المجال حتى يضع الجبار قدمه و ينزل الرحمه الواسعه إليها- فتصير واسعه المجال فى دعاء المزيد و العمل مع الجبابره، س ره

كما قاله لشغلها ذلك بنفسها عما وجدت له من التسلط على الجبابره و لم يمكن لها أن تقول هل من مزيد و لا أن تقول أكل بعضى بعضا فينزل الحق إليها برحمته التى وسعت كل شىء و وسع لها المجال فى الدعوى و التسلط على الجبابره و المنكرين فالناس غالطون فى شأن خلقها.

و من أعجب ما رويانا عن رسول الله ص: أنه كان قاعدا مع أصحابه فى المسجد- فسمعوا هذه عظيمه فارتاعوا فقال ص أ تعرفون ما هذه الهده قالوا الله و رسوله أعلم- قال حجر ألقى من أعلى جهنم منذ سبعين سنه الآن و وصل إلى قعرها

فكان وصوله إلى قعرها و سقوطه فيها هذه الهده فما فرغ من كلامه ص إلا و الصراخ فى دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سبعين سنه فقال رسول الله ص الله أكبر فعلم علماء الصحابه أن هذا الحجر هو ذلك المنافق و أنه منذ خلقه الله يهوى فى جهنم و بلغ عمره سبعين سنه فلما مات حصل فى قعرها قال الله تعالى إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فكان سمعهم تلك الهده التى أسمعهم الله ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوه- و ما ألطف تعريفه و ما أغرب كلامه انتهى كلامه

تذكره كشافه:

لما علمت أن الجنة فوق السماء السابعة من حيث الرتبة- و هى بحسب الحقيقه و الذات فى داخل حجب السماوات و الأرض- لأنها فى العالم الملكوت و عالم الملكوت باطن الملك و علمت أن نشو الآخرة من الدنيا- فاعلم أن هذا العالم بمنزله مطبخ ينضج فيه أطعمه أهل الجنة و يصلح مأكولاتهم بحراره الحركات (١) السماويه و أشعه الكواكب فإن أعمال بنى آدم هى (٢) مواد أغذيتهم التى

١- أى بإعدادها فى الدنيا للأعمال، س ره

٢- إذ الأعمال موجب للملكات و هى منشأه للصور المناسبه لها سواء كانت صور الأغذيه أو صور المغتدين فإن الأعمال الحسنه توجب أن يكون العاملون بصور جرد مرد- و السيئه توجب كونهم بصور شوهاء يحسن عندها القرده و الخنازير، س ره

بها نشو نفوسهم و أبدانهم الأخرى فكلما كانت أعمالهم أتم اعتدالا و أكثر نضجا من جهة الرياضات الدنيوية و المتاعب البدنية فى سبيل الله كانت أغذيتهم و فواكههم و أشربتهم النفسانية الأخرى أوفق و أتم صلوحا و أشد تقويه للحياه الباقية.

قال بعض أهل (١) الكشف إن كره الأثير و أشعه الشمس و الكواكب التى هى بمنزله الجمرات تحت القدر كما يؤثر فى المولدات و هذه نضج الفواكه و المعادن بحرارتها نضجا لما فى ذلك من المنفعه كانت رحمه مع كونها نارا كذلك من عرف (٢) نشأه الآخرة- و موضع الجنه و النار و ما فى فواكه الجنه من النضج الذى يقع به الالتذاذ لأكليه من أهل الجنان علم أين النار و أين الجنه و أن نضج فواكه الجنه سببها حراره النار التى تحت مقعر أرض الجنه فتحدث النار حراره فى مقعر أرضها فيكون بها صلاح ما فى الجنه من المأكولات و ما لا نضج إلا بالحراره و هى لها كحراره النار تحت القدر فإن مقعر أرض الجنه هو سقف النار و الشمس و القمر و النجوم كلها فى النار و من أحكامها أنها أودع الله فيها ما كانت منافع حيوانات الدنيا و حيوانات الجنه التى هى نفوس أهل النجاه بأبدانهم- المناسبه لها فى الأشكال و الصور فتفعل حراره النار بالأشياء هناك علوا كما تفعل بالأشياء هاهنا سفلا و كما هو الأمر هاهنا كذلك ينتقل إلى هناك بالمعنى و إن اختلفت الصور- ألا ترى أرض الجنه (٣) مسكا كما ورد فى الخبر و هو حار بالطبع لما فيه من النار و أشجار الجنه مغروسه فى تلك التربه المسكيه كما يقتضى حال نبات هذه الدار الدنيا الزبل لما

-
- ١- هو المحقق المكاشف محيى الدين فى الباب السابع و الثمانين من الفتوحات فى تقوى النار، س ره
 - ٢- أى عرف أن حضيض عالم المثال على أوج عالم الشهاده فالجمرات التى هى الكواكب تفعل فى العلو الذى هو الجنه كما تفعل جمرات النار التى تحت القدر فى العلو- لكن هذه الجمرات الكوكبيه تفعل فى السفلى أيضا، س ره
 - ٣- و حاصل كلامه أن النار كلها خير و نفع لأهلها و لأهل الجنه أما خيراتها الذاتيه لأهلها فقد بينها سابقا و أما نفعاتها لأهل الجنه فنضج فواكهها و تعديل صور أهلها- و تطيب أرضها المسكيه و تقويه عروق أشجارها الضاربه فى أرضها، س ره

من الحراره الطبيعىه لأنه معفن و الحراره يعطى التعفين فى الأجسام القابله للتعفن - و هذا القدر كاف فى تقوى النار أعادنا الله منها فى الدارين انتهى.

و هذا الكلام و إن كان مبناه على المقدمات الخطايه و التمثيلات إلا - أنه إذا استقصى عاد برهانيا و لو لا - مخافه الإطئاب لأوضحناه على وجه الحكمه و سبيل البرهان و إياك أن تحمل كلامه على أن جهنم ليست إلا هذا العالم تحت الفلك الأقصى لما مر أن جهنم هى من النشأ الآخره و إن كانت صورتها هى مال الدنيا و باطنها و حقيقتها و الذى ذهب إليه هذا المحقق من أن نضج فواكه الجنه و طبخ طعامها بحراره هذا العالم و أشعه الكواكب سببه (١) أن الإنسان إنما يتكون و ينمو و يتم خلقتة و تكمل طبيعته باستحالات و انقلاب تطراً على مادته لا يمكن ذلك إلا بحراره غريزيه محلله و تلك الحراره مستفاده من حركات الأجرام الفلكيه و أشعتها كما ثبت فى مقامه.

ثم إن استكمال الإنسان بحسب كلتا قوتيهِ النظرية و العمليه إنما يتم بالحركات البدنيه و الفكرية و الحرکه تحتاج إلى الحراره و الحراره و الحرکه متصاحبتان لا - ينفك إحداهما عن الأخرى و كما أن جميع الحركات فى هذا العالم ينتهى إلى حركات الأفلاك سيما الفلك الأقصى فكذاك جميع الحرارة الغريزيه و الأسطقسيه تنتهى إلى أضواء الكواكب سيما ضوء الشمس كما يظهر عند التفتيش و الاعتبار و الاستقراء ثم لا - يخفى عليك - أن كل ماده مصوره بصوره أدنى إذا انتقلت إلى أن تلبس بصوره أعلى فذلك إنما يكون بأن يحصل لها بصورتها الأولى شبه التعفن و الهضم و الانكسار كالحبه المدفونه فى الأرض - فما لم تضعف صورتها الجماديه و لم يتعفن باستيلاء الحراره عليها لم تقبل صورته نباتيه - و كذا القياس فى انتقالات النطفه فى أطوارها النباتيه و الحيوانيه و كذا الحكم فى الترقيات الواقعه فى النفس فإنها مسبوقة بانكسارات و انهضامات نفسانيه منشؤها الحركات البدنيه فى النسك البدنيه و الحركات الفكرية فى النسك العقليه و الكل منوط بحركات الأفلاك

١- أى إسناد إلى العله البعيده و قد فسرناه بالإعداد و أما سببه القريب فهو الملكة الحميده و التعديلات الأخرويه و التطييبات سببها تعديلات أخلاق النفس و حرارات حب الله و السلوك إليه و سرعه السير إلى الله، س ره

و الكواكب بأضوائها فانكشف أن الكمالات العلميه و العمليه للنفوس التي بها تحصل حياتها الأخرويه و بها يتم نعيمها و غذاؤها و طعامها و شرابها في الجنه أنما يحصل بحراره الطبيعيه الدنيويه التي هي من جوهر نار الجحيم و سنخها كما مر غير مره

فصل (٣٠) في تعيين محل الآلام و العقوبات في النار

لما علمت أن حقيقه جهنم حقيقه ممزوجه من الدنيا و الآخره بحسب الماده و الصوره- فإن مادتها الأعدام و الشرور الدنيويه و صورتها حضورها عند النفس بصوره إدراكيه مؤلمه من جهه تعلقها و التفاتها بالدنيا فاعلم أن محل العذاب و النقمه أيضا ليس أمرا بسيطا كالبدن فقط أو النفس الناطقه فقط أو النفس الحيوانيه فقط أما البدن فالجوارح (١) و الأعضاء ليست بموضع الآلام بل هي مما يستعذب (٢) جميع ما يرد عليها من أنواع العقوبات و الآلام لأنها قابله للفصل و الوصل و الحراره و البروده و غيرها من الأضداد و الأعدام- فكل ما يرد على الجسم (٣) يكون صفه كماله له و إذا زال اتصاله كان قد بطلت ذاته- و حدثت ذاتان أخريان متصلتان و ليس إذا طرأت عليه صفه مضاده للتي كان عليها بقيت

- ١- أي من حيث إنها أجسام فقط و بشرط لا- كما سيقول فكل ما يرد على الجسم و لا يمكن مثل ذلك في الجسم و أما من حيث إنها جوارح و أعضاء فهي تتألم لكونها ذوات لمس، س ره
- ٢- أي تستكمل و إنما فسرت به لأن الجسم بالمعنى الذى هو ماده إذ لا لمس لها- فكما لا ألم له لا استعذاب له، س ره
- ٣- أي من الكمالات الثانيه للجسم فقط و أما الجسم النوعى كالماء فالحراره ليست كماله و القلب و الكبده ليست البروده كمالهما بل الحراره كمالهما الثانيه و قس عليه بل الفصل ليس كمالا- للجسم فقط أيضا لأنه رفع اتصاله الجوهرى الذى هو صورته- و لعله منقول من القائل بالجواهر الأفراد في الجسم أو ممن يقول بأن الامتداد الجوهرى جسم و هيولى، س ره

الأولى مع الثانيه ليكون آفه و ضررا(١) له كما للجوهر النفسانى فإن النفس جامعه لإدراك أحد الضدين مع الآخر الذى كان ملائما لها فيتضرر بالآخر كما إذا ورد على عضو من بدننها ما يضاد الكيفيه المزاجيه فتدرك بالأولى و هى المعتدله التى بها قوتها للمسيه الثانيه المضاده لها فيحصل الألم و لا يمكن مثل ذلك فى الجسم و صورته الساريه فيه فتأمل و ليس كل من دخل العذاب(٢) و العقوبه معذبا معاقبا بل ربما كان مستعذبا كالسدنه و الزبانيه و كأهل السجون و الأتونات و كذلك قوى الجوارح حيث جعلها الله محلا للانتقام من النفس التى كانت تحكم عليها و تسخرها بأمر الله فالآلام تختلف عليها بما تراه فى ملكها و موضع تصرفها خلاف ما تطلبه و تحبه من جهة ما ينتقل إليها المدركات من المشاعر و الحواس و أما النفس الناطقه أعنى الروح الإلهى محل الحكمه و المعرفه و هى سعيده فى الدنيا و الآخره لا حظ لها فى الشقاء لأنها ليست من عالم الشقاء و الشر إلا أن الله ركبها هذا المركب الحيوانى المسمى بالنفس الحيوانيه فهى لها كالدابه و ليس للناطقه إلا المشى بها على الصراط المستقيم فإن أجابت النفس الحيوانيه لها فهى المركب الذلول المرتاض و إن أبت فهى الدابه الجموح كلما أراد الراكب أن يردها إلى الطريق حرنت عليه و جمحت و أخذت يمينا و شمالا لا إفراطا و تفريطا لقوه رأسها و للراكب أن يروضها و يؤدبها حتى تتبدل ذاتها عما كانت و يصير طبعها موافقا لما أراد منها صاحبها و أما النفس الحيوانيه فالمعاصى و إن نشأت بسببها إلا أنها لا ذنب(٣) لها و لا معصيه لأن الأفعال

-
- ١- رفع الاتصال للجسم بالمعنى الذى و ماده و إن لم يكن ضررا و ألما إذ لا لمس له لكنه ليس كمالا له بل رفع كمال لماهيته و فساد و شريه ضد الشىء له لتأديه إلى العدم فكيف يكون عدم الاتصال كمالا للجسم، س ره
 - ٢- فالأعضاء للنفس المتعلقه الممزوجه بالنفس الحيوانيه الموضوعه للآلام و العقوبات كالسدنه، س ره
 - ٣- نفى الذنب و المعصيه غير نفى الألم فإن الألم و اللذه درك المنافر و درك الملائم و للنفس الحيوانيه إدراكات جزئيه للملائمات و المنافرات و قد مر أن لكل قوه لذه بإدراك ملائمتها و ألم بإدراك منافرها فللمسه العضو لذه لمسيه بإدراك الكيفيه المعتدله و بإدراك النعومه و ألم لمسى بإدراك الكيفيه الغير المعتدله و بإدراك الخشونه و كذا للذائقه بإدراك الحلاوه و المراره مثلا و للقوى الآخر مثل هاتين إلا أن يقال إنها و إن كانت محل الآلام لكن ليست محل العقوبات من الله كما فى الحيوانات العجم هاهنا- فإن نفوسها و إن كانت محال الآلام لكن ليست محال الآلام من حيث هى عقوبات من الله تعالى نعم ليست لها الهموم و الغموم و الحسره و نحوها من العذاب الروحانى و أين هى من الأوجاع التى هى لها بل للناطقه فى مرتبتها و نزولها فى منزلتها و هى النفس الآدميه المتصله بالحيوانيه، س ره

الصادره منها كالشهوه و الغضب و غيرها هى كمالات و متممات لها بها تسبح الله و تقدسه و ليست مما يقصد فى أفعالها المخالفه لله و لا- فى تأتيها المعصيه انتهاكا للشريعه و إنما تجرى بحسب طبعها و كل ما يجرى من الأفعال بحسب الطبع فهو تسبيح لله و تقديس كما علم سابقا- لكنها اتفق أنها على طبيعه لا توافق صاحبها و راكبها على ما يريد منها فإذا يجب عليك أن تتأمل فى هذا المقام و تجد محل الآلام فاعلم أن محل الآلام كالممتزج من أمرين و هى النفس الآدميه المتصله بالنفس الحيوانيه قبل أن تصير عقلا بالفعل فهى كالبرزخ الجامع للطرفين- و المتوسط بينهما فهى محل صور العقوبات من حيث كونها نفسا حيوانيه و مدرك الآلام من حيث كونها ناطقه فإذا وقع العقاب يوما القيامه فإنما يقع على النفس الحيوانيه لمخالفتها للنفس الناطقه فى سلوك طريق الحق كما يضرب الدابه إذا جمحت و خرجت عن الطريق الذى يراد المشى عليه ألا ترى الحدود الشرعيه فى الزنا و اللواط و السرقة و غيرها أنها محلها النفس الحيوانيه و هى التى تحس بألم القتل و قطع اليد و ضرب الظهر فقامت الحدود بالجسم و قام الألم بالنفس الحساسه المتخيله و أما النفس الناطقه أعنى الجوهر العقلى المدرك للعقليات المحضه لا تبرح عن مكانها(١) العالى الشريف فهى على شرفها فى عالمها

١- أى الجبروت و كما هذا مكانها كذلك وقتها الدهر الأيمن الأعلى كيف و هو العقل البسيط الذى هو روح الله فى السماء المعنويه التى هى العقل التفصيلى فكيف يصل إليها أغبره المضاده من العالم الطبيعى أو المقابلات الأخر التى فيه. ٢- تا تو خود را پیش و پس داری کمان بسته جسمی و محرومی ز جان زیر و بالا پیش و پس وصف تن است بیجهت آن ذات جان روشن است برگشا از نور پاک شه نظر تا نپنداری تو چون کوته نظر ، س ره

و سعادتها الدائمة لأنها المنفوخة من روح الله و ليست هي موجوده فى أكثر الناس و أما الحيوانيه فلا يخلو منها إنسان سواء كان سعيدا و هى سليمه مطيعه ذلوله أو كان شقيا فهى عاصيه جموحه فالمطيعه تنسرح يوم الآخره فى رياض الجنه و مراتعها و العاصيه تعاقب و تعذب حتى تصير منقادها و أما الأعضاء و الجوارح فما عندها إلا النعيم الدائم فى جهنم مثل ما هى الخزنه عليه من كونها مسبحه لله تمجده مطيعه دائما لما يقوم بها أو يقام عليها من الأفعال كما فى الدنيا فيتخيل الإنسان أن العضو يتألم و يتأذى لإحساسه فى نفسه بالألم و ليس كما توهمه إنما هو المتألم المتأذى بما يحمله إليه حاسه الجارحه من صورته ما يكرهه أ لا- ترى المريض إذا نام و هو حى و الحس عنده موجود و الجرح الذى يتألم منه فى يقظته حاصل فى العضو و مع هذا لا يجد ألما لأن الواجد للألم قد صرف وجهه عن عالم الشهاده إلى عالم البرزخ فما عنده خبر فإذا استيقظ المريض و رجع إلى عالم الشهاده و نزل إلى منزل الحواس قامت به الأوجاع و الآلام فإن بقى فى البرزخ على ما يكون عليه إما فى رؤيا مفزعه و صورته مؤلمه فيتألم أو فى رؤيا حسنه و صورته ملذذه فيتنعم فينتقل معه النعيم أو الألم حيث انتقل و هكذا حاله فى الآخرة فتنبه لما قلناه و تبصر بما نورناه

فصل (٣١) فى الإشارة إلى الزبانيه و عددها

قال تعالى عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا آيَهُ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مَلَائِكُهُ عَمَالَهُ بِإِذْنِهِ فِى الْأَجْسَامِ كَمَا أَنَّ لَهُ مَلَائِكُهُ عِلَامَهُ لَا التَّفَاتِ لَهُمْ بغيره تعالى و لا شغل لهم فى الأجسام و هم المشار إليهم بقوله.

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا وَ بقوله فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا(١) إلى تلك الثوانى و هى مدبرات الأمور فى برازخ عالم الظلمات و أشباح عالم الطبيعه التى ظاهرها الدنيا و طبقاتها

١- أى أشير بقوله هذا إلى الملائكة العمال و الأرواح المتعلقة و الطبائع المنطبعة، س ره

و باطنها الجحيم و طبقاتها و إنما أوتيت بلفظ الفاء الداله على الترتيب و التعقيب الوجودى لأن كلا منها تحت جوهر قدسى من المفارقات السابقيه الوجود على النفسانيات المدبره و الطبيعيات المحركه و هى كروحانيات العالم الكبير السماوى و العالم الصغير الإنسانى و فيه أنموذج لما فى العالم الكبير فهى فى العالم الكبير العلوى أرواح (١) الكواكب السياره و أرواح الثوابت التى بجمعها اثنا عشر برجاً و الجمله تسعه عشر مدبراً على الإجمال و لها تفاصيل لا تحصى (٢) بعضها تحت حيطه بعض و حكمه و كذا فى العالم الصغير الإنسانى تسعه عشر قوى هى رءوس سائر القوى و الطبائع المباشره للتدبير- و التصرف فى البرازخ السفليه الحيوانيه و النباتيه اثنا عشر منها هى مبادئ الأفعال الحيوانيه المدركه و المحركه فعشر منها للإدراكات الخمسه الظاهره و الخمسه الباطنه و اثنتان للتحريك إحداهما للشهوه مبدأ الجذب للملائمات و الأخرى للغضب مبدأ الدفع للمنافرات و سبعة منها مبادئ الأفعال النباتيه ثلاثه منها الأصول فى فعل التغذية و التنميه و التوليد و أربعة منها الفروع و السدنه الغذائيه و أفعالها فى الجذب و الإمساك و الهضم و الدفع فلكل من هذه التسعه عشر مدخلا فى إثارة نار الجحيم التى هى ناشئه من ثوران حراره جهنم الطبيعه و شهواتها التى هى نيرانات كامنه اليوم محجوبه عن نظر الخلائق و ستبرز يوم القيامه بحيث يراها الناس محرقه للوجود مذيبه للأبدان فظاعه نزاعه للشوى تدعو من أدبر و تولى و الإنسان ما دام كونه محبوساً فى دنيا- بهذه المحابس الداخليه و الخارجيه التى باطنها مملو بنار الجحيم مسجوناً بسجن الطبيعه مقبوضاً أسيراً فى أيدي المدبرات العلويه التسعه عشر و المؤثرات السفليه التسعه عشر لا يمكنه الخروج إلى دار الحيوان و الدخول فى عالم الجنان و معدن الروح و الريحان فهو لا يزال معذب بعذاب الجحيم محترق بنار الحميم مقيد بالسلاسل

١- بدل تفصيلي من الروحانيات، س ره

٢- أى الثوابت لما كانت أكثر من عدد الرمال و قطرات البحار فروحانياتها هكذا- بل أكثر لكن إذا قسمت بحسب اثني عشر برجاً كانت مع روحانيات السبعه السياره تسعه عشر مدبراً، س ره

و الأغلال كالأسارى و العبيد و حاله كما أفصح الله عنه بقوله تعالى خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ لعدم خلاص نفسه من حبس البدن و عدم استكمال ذاته بالعلم و العمل ليصير كالمجردين الأحرار حرا غير مأسور بأسر الشهوات و لا- مقيد بقيد الهوى و التعلقات و لذلك وقع التعليل بترك العلم و العمل- فى قوله تعالى إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسَكِينِ أَى لَأَنَّهُ- فالأول إشاره إلى ترك العلم الإلهى و الثانى إلى ترك العمل الصالح فإذا انتقل روحه بموت الجسد من هذا العالم إلى عالم الآخرة التى هى فى داخل حجب السماوات و الأرض كما مر ينتقل من السجن إلى السجن و من الهوى إلى الهاويه و كان هاهنا أيضا مسجوناً محاطاً بالجحيم و لكن لا يحس بألم السجن و عذاب الحبس فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ فإذا كشف عنه الغطاء أحس بذلك و انتقل العذاب من باطنه فى الدنيا إلى ظاهره فى الآخرة فيؤديه المالك إلى أيدي هذه الزبانية التسعة عشر التى هى من نتائج تلك المديرات الكليه فيتعذب بها كما يتعذب بها فى الدنيا من حيث لا يشعرون و من كان على هدى من ربه مستويا على صراط مستقيم- صراط الله العزيز الحميد فيسلك سبيل الآخرة بنور الهداية و قدمى العلم و التقوى يصل إلى دار السلام و يسلم من هذه المهلكات المعذبات الزاجرات و يخلص من رق الدنيا و أسر الشهوات الآمرات للمنكرات ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

فصل (٣٢) فى الإشارة إلى درجات السلوك إلى الله و الوصول إلى الجنه أى الذات و جنه الصفات إنما أعاد شطرا من الكلام فى المعاد الروحانى- ببيان آخر مع سبقه إشارة إلى حسن الخاتمه إذ فى الكلام حسن الخاتمه و حسن الفاتحه- كلاهما مطلوبان كما ترى فى السور القرآنيه،

إشاره

فصل (٣٢) فى الإشارة إلى درجات السلوك إلى الله و الوصول إلى الجنه(١) الحقيقه و ما بإزائها من دركات البعد عن الله و السقوط فى النار الحقيقه

قال بعض المحققين الخلق اتصف أولا بالوجود الخاص ثم بالعلم الخاص ثم بالإرادته ثم

١- أى جنه الذات و جنه الصفات إنما أعاد شطرا من الكلام فى المعاد الروحانى- ببيان آخر مع سبقه إشارة إلى حسن الخاتمه إذ فى الكلام حسن الخاتمه و حسن الفاتحه- كلاهما مطلوبان كما ترى فى السور القرآنيه،

بالقدره الجزئيتين ثم بالفعل و حيث يكون المعاد عودا إلى الفطره الأصلية و رجوعا إلى البدايه فى النهايه فلا بد أن تنتفى من السالك هذه الصفات على التدرج و الترتيب المعاكس للترتيب الأول الحدوثى فإن السالك إلى الله بقدّم الإيمان و نور العرفان لا بد أن ينتفى منه أولا الفعل و هو مرتبه التقوى و الزهد فى الدنيا قوله تعالى لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ و قوله ما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ ... إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ* ثم لا بد أن ينتفى منه الاختيار و لم يبق فيه إرادته إلا بإذن الله و رسوله بل تستهلك إرادته (۱) فى إرادته الله و رسوله- و ما كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ لَأَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ صَادَرَهُ مِنْهُ عَلَى وَفْقِ قَضَائِهِ وَ قَدَرِهِ عَلَى أْبْلَغِ وَجْهِ وَ أَفْضَلِ نِظَامٍ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ وَ تَمَكَّنَ فِيهِ وَ اسْتَقَامَ رِضَى بِالْقَضَاءِ وَ حَصَلَ لَهُ مَقَامُ الرِّضَا وَ اسْتِرَاحَ مِنْ كُلِّ هَمٍّ وَ غَمٍّ وَ عَذَابٍ لِأَنَّهُ رَأَى الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ وَ الْحَسَنِ وَ التَّمَامِ وَ رَأَى رَحِمَةَ اللَّهِ وَ سَعَتَ كُلِّ شَيْءٍ بَلْ رَأَى الْعَارِفَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَ وَجْهَ الْحَقِّ الْبَاقِي وَ رَأَى غَيْرَهُ هَالِكًا إِذْ لَا غَيْرَ- فَرَأَى الْحَسَنَ الْمَطْلُوقَ وَ الْجَمَالَ الْمَطْلُوقَ مُتَجَلِّيًا عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَيَكُونُ مُبْتَهَجًا بِهِ مُلْتَمِدًا مِنْهُ رَاضِيًا فَإِنْ مِنْ رَأَى صُورَهُ جَمَلَهُ الْعَالَمَ مَكْشُوفَهُ لَدَيْهِ حَاضِرَهُ عِنْدَهُ حُضُورًا عِلْمِيًا عَلَى أَحْسَنِ تَرْتِيبٍ وَ خَيْرِ نَسْقٍ وَ نِظَامٍ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَ صِفَاتِهِ وَ أَعْمَالِهِ وَ بِالْجَمَلَةِ عِلْمَ الْأَشْيَاءِ- مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِأَسْبَابِهَا وَ مَبَادِئِهَا الْآخِذَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا هُوَ طَرِيقُهُ الصِّدِّيقِينَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ بِنُورِ الْحَقِّ إِلَى الْأَشْيَاءِ يَسْتَشْهَدُونَ بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ وَ كَانَ قَبْلَ هَذَا الشُّهُودِ يَرَى الْأَشْيَاءَ كَسَائِرِ النَّاسِ- بِنُورِ الْحَسَنِ أَوْ بِنُورِ الْفِكْرِ الْمَشُوبِ بِالظُّلْمَةِ الْمُثِيرِ لِلْغُلَطِ وَ الْخَطَا فَصَارَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ فِي حَقِّهِ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا عِنْدَهُ وَ كَذَا السَّمَاوَاتُ وَ مَا بَيْنَهَا فَيَكُونُ فِي جَنِّهِ

۱- فلا يبقى له هواء و لا يريد إلا ما أراد الله و أمر به و لا يكره إلا ما كرهه و نهاه- و من إرادته الفعلية أو امره و من كراهته التى بالعرض نواهيه و إذا لم يبق له هواء و غرض لم يبق له حاجه فيكون غنيا بغنى الحق تعالى إذا الأغراض جوالب الحاجات- هر کسی را هوسى در سر و من هوسم آنکه نباشد هوسم ، س ره

عرضها السماوات والأرض على وجه عقلى منور وبهذا الوجه يسمى خازن الجنة الرضوان- أن السالك ما لم يبلغ إلى مقام الرضا لم يدخل الجنة ولا وصل إلى دار الكرامة والقرب- كما ورد

: من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليعبد ربا سوائى وليخرج من أرضى وسمائى

وقال تعالى وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ثم بعد هذا المقام لا بد أن ينتفى عنه قدره حتى لا يرى لنفسه حولا ولا قوه وقدره مغايره لقوه الحق وقدرته التى لا- يخرج منها شىء من المقدورات ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم فيكون فى مقام التوكل وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ وَهُوَ مَقَامُ التَّفْوِيزِ وَأُقْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ثم بعد ذلك لا- بد أن ينتفى منه صفه العلم لاضمحلال علمه فى علم الله الذى لا يعزب عنه مثقال ذره فى الأرض ولا فى السماء لأن علمه تعالى بالأشياء عين ذاته- والعارف ينظر بنور ربه الذى هو علمه بذاته وبغيره إلى الأشياء وليس له علم آخر به يعلم شيئا لقصر نظره على ملاحظه الحق وصفاته وآثاره من حيث هى آثاره فيستهلك علمه فى علمه تعالى وهو مقام التسليم كما قال تعالى وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَ قوله سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وقوله سَلِّمُوا لَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ثم بعد ذلك لا بد أن ينتفى وجوده الذى به كان يوجد من قبل و يضمحل فى وجود الحق الذى به يوجد كل شىء ويقوم حتى لا يكون له فى نفسه عند نفسه وجود وهذا مقام أهل الوحده وهو أجل المقامات وأجل الكرامات وهو مقام أهل الفناء فى التوحيد- أولئك مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فهذا نهايه درجات السالكين- إلى الله تعالى بقدم الإيمان ونور العرفان وليس وراء عبادان قريه وأما من لم يسلك سبيل أهل الوحده وكانت أفعاله وأحواله على حسب إرادته ومقتضى طبعه فيكون كما أشار إليه بقوله تعالى وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ فيبصر لا- محاله ممنوعا عما استدعاه هواه محجوبا عن مقتضى طبعه مشتتاه كما قال تعالى وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ فوقع فى سخط الله و نار غضبه أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ فَيُوصِلْهُ الْهَوَاءَ إِلَى الْهَوَايَةِ محروما عن جميع ما يستلذه ويهواه قلبه فيقيد بالسلاسل والأغلال- كما هو صفه العبيد والمماليك و يسلمه مالك نفسه إلى المهالك ولهذا يسمى خازن النار

بالمالك فيكون له بإزاء كل درجة من درجات أهل الحق دركه في الجحيم فله بإزاء درجة التوكل دركه الخذلان كما في قوله تعالى وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَبِإِذَاءِ دَرَجَةِ التَّسْلِيمِ دركه الهوان قوله تعالى وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ وَبِإِذَاءِ دَرَجَةِ الْقَرْبِ والوصله دركه الطرد واللعنه أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ وكما أن انتفاء القدره والعلم والوجود في الطائفة الأولى أوجب لهم القدره الغير المتناهيه والعلم الذاتى اللدنى والوجود المخلد الأبدى كذلك فى هذه الطائفة اقتضى استبدادهم بهذه الصفات عجزا غير متناه و جهلا كليا و هلاكا سرمديا و ذلك هو الخزى العظيم

فصل (٣٣) فى شجره طوبى و شجره زقوم

قال تعالى طوبى لَهُمْ وَحُشْنُ مَأْوٍَ وَقَالَ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ أى شجره منها طعام الآثمين إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ يعنى طبيعه الدينويه طلعها كأنه رؤس الشياطين والطلع عباره عن مبدإ وجود الأشجار و منشأ حصول الأثمار و بروزها عن الأكمام و المراد منه هاهنا مبدأ الاعتقادات الباطله والأخلاق السيئه و هى رؤساء الصفات الشيطانيه التى كل منها إذا رسخت فى النفس و قويت صارت صوره جوهرية شيطانيه- كما علمت من صيروره الصفات الغالبه فى النفس صوراً جوهرية نفسانيه من جنس تلك الصفات فتلك الصفات التى هى مبادئ تكون الشياطين هى الأهويه المغويه و الأمانى المرديه و الشهوات المذمومه لأنها مما يتغذى بها و يتقوى نفوس أهل الضلال و يمتلى بها بواطنهم و يكون منها نار الجحيم و العذاب الأليم كما قال سبحانه ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَالُؤُنْ مِنْهَا الْبُطُونَ أى يملئون بطونهم أى نفوسهم من الشهوات المذمومه و مواد الأمراض النفسانيه الباعثه لفنون من العذاب- و أنواع من المحن و الآلام فى الآخرة كمن أدى به نهمه من الحمى و الصداع و غيره من الأوجاع و الآلام.

و اعلم أن النفس الإنسانية إذا كملت فى العلم و العمل صارت كشجرة طيبة متحملة لثمرات العلوم الحقيقية و فواكه المعارف اليقينية و كانت أصلها علوم ثابتة و فرعها نتائج- هى حقائق عالم الملكوت و معارف عالم اللاهوت هذا من حيث قوة العلم و الإدراك و أما من حيث قوة العمل و التأثير فهى تصوير بحيث كلما تريده و يتمناه يحضر عندها بقوتها العملية القوية على إحضار الصور المطلوبة دفعه بلا- مهله لأن باطن الإنسان فى الدنيا عين ظاهره فى الآخرة كما مرت الإشارة إليه سابقا و الإنسان يتصور و يخترع هاهنا بقوته الخيالية كل ما يريده و يشتهي فيحضر صورته مشتتهيات كثيرة فى باطنه بحسب التمثل الذهنى إلا أن تلك الصور ليست (١) موجودة و لا حاضره عند حسه فى العين بل عند خياله فى الذهن- بوجود ضعيف غير متأكد و لأجل ذلك لا يلتذ منها لذه تحصل من المشتتهيات العينية- و لانصراف النفس إلى الشواغل الحسية و أما عند القيامه فلكون النفس مجردة عن شواغل الدنيا و آثار الحواس و كون الباطن مكشوفاً ظاهراً و العلم عينا و الغيب شهادته كانت اللذه على حسب الظهور و الوجود فتكون مفرطه لأنها نزلت تلك الصور منزله الصورة الموجودة فى العين و لن تفارق الآخرة الدنيا فى هذا المعنى إلا من حيث كمال القوة و القدره للنفس الإنسانية على تصوير الصور عند القوة الحاسه كما تشتهيه فى الآخرة دون الدنيا إذ ليس لها

١- إلى قوله بوجود ضعيف غير متأكد ضعف وجودها عمده سببه أنها فى الدنيا مرائى لحاظ الماديات لا أنها تكون ملحوظه بالذات و إن كانت ملحوظه بالذات كانت أقوى و أتم لأنها أبسط و أدوم و أنها دالات للنفس على الموجودات الماديه لأنها موجودات لك لا للماده و الموضوع الخارجيين و لولاها لا خبر عن الخارج و ما يقال إن الدرهم و الدينار و الحلاوى الخياليه و نظائرها لا جدوى فيها إنما يحسن فى مقام الإغراء على العمل و إلا فهى موجودات حقيقه مخلوقات لك بقوه الله بل موجودات خارجيه لأنها فى النفس و هى خارجيه و صورته الموجود الخارجى موجود خارجى و قد تقرر فى مباحث الوجود الذهنى أن الموجود فى الذهن ذهنى بالنسبه إلى الموجودات الماديه و الخارجيه عن النفس و إذا لوحظ نفسه و ارتفع المقاييسه فهو خارجى و لو لا الأغراض المتعلقة بالماديات- لم تكن الذهنيات مرائى لحاظ الماديات و لم تكن ضعيفه و لصيرورتها قويه فى قليلى الشواغل و الأغراض تشتهه بالماديات و من هنا قال الشيخ العربى لا أعظم اشتباها فى الكون- من التباس الخيال بالحس،

فى الدنيا هذه القدره لتوزع قواها و عدم جميعه همتها لاشتغالها بالخارجيات و شواغل الحسيات فالإنسان السعيد كلما يشتهيه فى الآخره حضر عنده دفعه و يكون شهوته سبب تخيله و تخيله سبب تمثّل الصوره بين يديه و حضورها لديه كما قال تعالى فيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَ تَلْعَدُ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و هذه القدره أوسع و أكمل من القدره على إيجاد الشئ فى الدنيا أى فى خارج الحس فإن الموجود فى الدنيا لا يوجد فى مكانين و لا فى مكان واحد يوجد اثنان للتراحم و التضائق الواقعين فى هذا العالم.

و أيضا النفس إذا اشتغلت بفعل الدنيا احتجبت و امتنعت عن فعل آخر فشغلها محسوس عن محسوس آخر و حجبتها لذه عن لذه أخرى و الملد أيضا لا يقوى فى إلذاه هاهنا لانغماره فى الماده و امتزاجه بغيره و كذا القياس فى حال الألم و المؤلم فى الدنيا بالنسبه إلى حالهما فى الآخره فإذن الصور المحسوسه تتضاعف عند الإنسان بلا مزاحمه و لا تضايق و لا يستحيل هناك وجود صور غير متناهيه دفعه إذ لا يجرى (١) فيه براهين امتناع الأمور الغير المتناهيه مجتمعهم.

و أيضا لا- يشغل النفس بعض المحسوسات هناك عن بعض آخر لقوه النفس فتكون اللذه كثيره غير محصوره و لكون الصور الملذه بلا ماده تكون اللذه بها شديده مفرطه لخلوصها من الشوائب و المكدرات و الأضداد فإذا تقرر هذا نقول إن شجره طوبى مثال للنفس السعيده الكريمه

و قد روى فى طريق أهل البيت ع: أن طوبى شجره أصلها فى دار على بن أبى طالب ع و ليس مؤمن إلا- و فى داره غصن من أغصانها و ذلك قول الله تعالى - طُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بٍ

فتأويل ذلك من جهه العلم أن المعارف الإلهيه سيما ما يتعلق بأحوال الآخره و ما يستقل بإدراكه العقول على طريقه الفكر الجثى أنما تقتبس من مشكاه نبوه خاتم الأنبياء ص و نور ولايته المندمج فى رسالته المنتشر أضواؤه من ولايه أفضل أوصيائه فى نفوس القابلين للهدى و الإيمان المستعدين للعلم و العرفان فإن أثمار العلوم الإلهيه أنوار و المعارف الحقيقيه أنما نشأت و انتشرت فى قلوب عرفاء هذه الأمه

١- إذ لا- ترتيب فيها ثم إنها غير متناهيه عددا لا أن فيها بعدا واحدا غير متناه و قد نقلنا عن حكمه الإشراق فى حواشينا على مبحث المثل ما يؤيد هذا، س ره

المرحومه من بذر ولايته و نجم هدايته كما أفصح عنه

قول النبي ص: أنا مدينه العلم و على بابها

و نسبه ذاته المقدسه بالقياس إلى سائر الأولياء و العلماء بالولاده المعنويه كنسبه آدم أبى البشر(١) إلى سائر الناس بالولاده الصوريه و لذلك

ورد عن النبي ص أنه قال: يا على أنا و أنت أبوا هذه الأمه

. و قال العارف المحقق فى الفتوحات المكيه إن شجره طوبى أصل لجميع شجرات الجنات كآدم لما ظهر من البنين فإن الله لما غرسها بيده و سواها نفخ فيها من روحه و لما تولى الحق غرس شجره طوبى بيده و نفخ فيها من روحه و زينها بثمره الحلى و الحلل الذين فيها زينه للابسها فحن أرضها كما جعل ما على الأرض زينه لها و أعطت فى ثمره الجنه كله من حقيقتها عين ما هى عليه كما أعطت النواه النخله و ما تحمله النوى التى فى ثمرها انتهى كلامه و قد استفيد منه أن شجره طوبى يراد بها مبدأ أصول المعارف الحقيقيه و الأخلاق الحسنه التى هى زينه و غذاء و لباس للنفوس القابله كما أن ما على الأرض زينه و غذاء و لباس لها و لأهلها و ذلك لأن أرض تلك الشجره إذا كانت نفوسنا و غارسها هو الله فحللها لا بد أن تكون من قبيل زينه العلوم و المعارف و محاسن الأخلاق و الملكات و هى أيضا غذاء و لباس فإن غذاء النفوس العلم و لباسها التقوى

فصل (٣٤) فى كيفيه تجدد الأحوال و الآثار على أهل الجنه و النار

أما أهل النار فلا شبهه فى تجدد أحوالهم و تبدل جلودهم(٢) و استحاله أبدانهم

- ١- فكأنه ع يقول و إني و إن كنت ابن آدم صوره فلى فيه معنى شاهد بأبوتى، س ره
- ٢- بل تبدل ذواتهم فى نظرهم إذ ذواتهم فى اعتقادهم ليست إلا- الجلود و القوى الطبيعيه و الهيئات المحسوسه فكان نفوسها فانيه فى أجسادها بخلاف أهل الحق فإن أجسادها فانيه فى أرواحها سيما أرباب العقول البسيطة النظرية و من هنا ورد أن جسد المؤمن لا يبلى، س ره

و تقلبها من صورته إلى صورته لقوله تعالى كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا- لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ وَ ذَلِكَ لِأَن طَبَائِعَهُمْ مِنَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَةِ الْمَادِيَةِ لَمَّا مَرَّ أَنَّ دَارَ الْجَحِيمِ مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الدَّارِ وَ قَدْ سَبَقَ أَنَّ أَفَاعِيلَ الْقُوَى الْمَادِيَةِ وَ انْفِعَالَاتِهَا مَتَنَاهِيَهُ فَلَا بَدَّ فِيهَا مِنْ انْقِطَاعٍ وَ تَبَدُّلٍ ثُمَّ لَا بَدَّ فِي تَبَدُّلِ الْأَبْدَانِ (١) وَ اسْتِحَالَةِ الْمَوَادِّ مِنْ حَرَكَه (٢) دَوْرِيَةٍ صَادِرَةٍ عَنْ أَجْسَامِ سَمَاوِيَةٍ مُحِيطَةٍ بِأَجْسَامِ ذَوَاتِ جِهَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ كَانَتْهُ فَاسِدَةً فَيَكُونُ الْحُكْمُ فِي أَهْلِ النَّارِ- بِحَسَبِ مَا يُعْطِيهِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ بِمَا أَوْدَعَهُ مِنَ الْقُوَى الْمُحَرِّكَةِ فِي الْجَرَمِ الْأَقْصَى الْجَابِرَةِ إِيَّاهُ عَلَى حَرَكَاتِهِ وَ الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ فِي سِيَاحِهِ الدَّرَارِيِّ السَّبْعَةِ الْمُطْمُوسَةِ الْأَنْوَارِ كُلِّهَا يَوْمَ الْآخِرَةِ فَهِيَ كَوَاكِبٌ لَكِنِّهَا لَيْسَتْ بِثَوَاقِبٍ وَ لَا مُضِيئَةٍ وَ لَهَا تَأْثِيرَاتٌ فِي خَلْقِ أَهْلِ النَّارِ- بِفَنُونٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ صُنُوفٍ مِنَ الْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ سَوَاقِبُ أَعْمَالِهِمْ وَ مَبَادِيءُ أَفْعَالِهِمْ- وَ اعْتِقَادَاتِهِمْ وَ نِيَاتِهِمْ وَ لِهَذَا حُكِمَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ وَ الشُّهُودِ بِأَنَّ حُكْمَ النَّارِ وَ أَهْلِهَا قَرِيبٌ مِنْ حُكْمِ الدُّنْيَا (٣) وَ أَهْلِهَا وَ لِهَذَا لَيْسَ لِأَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ اسْتِيفَاءِ مَدَّةِ الْعَذَابِ وَ انْقِضَاءِ زَمَانِ الْعِقَابِ نَعِيمٍ خَالِصٍ وَ لَا عَذَابٍ خَالِصٍ وَ حَالُهُمْ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَ الْمَمَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى* وَ هَذَا بَعَيْنُهُ حَالُ أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا مَمْزُوجَهُ بِالْمَحْنَةِ وَ الْبَلَاءِ وَ حَيَاتِهَا مَشُوبَةٌ بِالمَوْتِ وَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ بَقِيَ فِيهِمْ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنْ أَثَارِ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاقِ وَ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ تَوْفِيقُ الْخُرُوجِ مِنْ حُكْمِ الطَّبِيعَةِ وَ تَأْثِيرِهَا- فَلَا جَرَمَ لَمْ يَنْجُو مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَ إِنْ تَغَيَّرَتْ مِنْهُمْ الصُّورَةُ وَ تَبَدَّلَتْ لَهُمُ النُّشَاءُ عَلَى قَدَرِ مَا تَغَيَّرَ وَ تَبَدَّلَ مِنْ صُورِ الْأَفْلَاقِ وَ الْكَوَاكِبِ مِنَ التَّبَدُّلِ وَ الطَّمَسِ وَ الْانْكَدَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى- فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ

- ١- بيان لتحكيم الأفلاك و الفلكيات على أهل الدنيا لكونهم واغليين في الجسميه و الطبيعه و لوازمها لأن التركيب و الامتزاج و الكيفيات المطعومه لهم كلها من لوازم الأفلاك و ذلك العالم يوم بروز هذه، س ره
- ٢- أى فى الابتداء و النشأه الأولى كما قال بحسب ما يقتضيه سوابق أعمالهم و فى الاستدامه و النشأه الثانيه كما قال فهى كواكب لكنها ليست بثواقب و لا مضئيه، س ره
- ٣- كما أن حكم الجنه الحقيقه قريه من حكم الجبروت و العقول الكليه بل حكم جنه الصفات قريه من حكم اللاهوت، س ره

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ و أما أصحاب الجنة فليس لهم هذا التبدل (١) والاستحالة و الكون و الفساد- لارتفاع نشأتهم عن نشأ الطبيعة و أحكامها فحركاتهم و أفاعيلهم نوع آخر ليس فيها نصب و لا تعب و لا فى أعمالهم من لغوب لأن حركاتهم و أعمالهم ليست بدنيه بل هى كخطرات الوهم و لحظات الضمير منا هاهنا حيث لا تعب و لا كلال و لا نصب و لا فتور يعترىها لأن السماوات و حركاتها مطويه فى حقهم لأنهم من أصحاب اليمين و لهم مقام فيه يكون طى الزمان و المكان فزمانهم زمان يجتمع فيه الماضى و المستقبل من هذا الزمان و مكانهم مكان يحضر فى خدمته جميع ما تسعه السماوات و الأرض و مع ذلك يكون جنة الأعمال و نعيمها من المحسوسات بلا- شبهة إلا- أنها و إن كانت محسوسة لكنها ليست طبيعیه مادیه بل صورها صور إدراكيه وجودها العينية عين محسوسيتها و كل ما فيها نفسانى الوجود مجرد عن نشأ الدنيا و الطبيعة و الهوى المستحيله الكائنه الفاسده و مع ذلك يقع فى عالم الجنان التجددات فى تكوين الصور الجنانيه لا من أسباب ماديه بل جهات فاعليه نفسانيه و شئوناته إلهيه بحكم كل يوم هو فى شأن و قد ثبت أن أصل التغيرات فى الآفاق إنما نشأت من عالم الأنفس و نشأ الجنان نشأ النفوس ففيها الأكوان النفسانيه.

قال العارف المحقق فى الفتوحات المكيه فى الباب السابع و الأربعين منها فلا- تزال الآخره دائمه التكوين فإنهم يقولون فى الجنان للشىء الذى يريدونه كن فيكون- فلا يتمنون فيها أمرا و لا يخطر لهم خاطر فى تكوين أمر إلا و يتكون بين أيديهم و كذلك أهل النار لا يخطر لهم خاطر خوفا من عذاب أكبر مما هم عليه إلا و يكون فيهم ذلك العذاب و هو خطور الخاطر فإن الدار الآخره تقتضى تكوين الأشياء حسا- بمجرد حصول خاطر و الهم و الإراده و الشهوه كل ذلك محسوس و ليس ذلك فى الدنيا- أعنى الفعل بمجرد الهمه لكل أحد انتهى كلامه و من عرف كيفيه قدره الله فى صنع الخيال و ما تجده النفس بل توجده بإذن الله من صور الأ-جرام العظيمه و الأفلاك الجسميه الساكنه و المتحركه و البلاد الكثيره و خلائقها و أحوالها و صفاتها فى طرفه عين هان عليه التصديق

١- أى كالتبدلات الدنيويه لتركهم الدنيا و أطوار أهلها و قد مر منا تحقيق أن التمدد و التجدد من ذاتياتهما التفرقه و الغيبه فتذكر، س ره

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات ...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١. JAVA

٢. ANDROID

٣. EPUB

٤. CHM

٥. PDF

٦. HTML

٧. CHM

٨. GHB

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١. ANDROID

٢. IOS

٣. WINDOWS PHONE

٤. WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصحان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايضاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩